شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار

المجلد الثالث

العلاّمة المجلسي (ره)

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ،

و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده ، و يدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ، و وصاياه لأهله و أصحابه .

الكتابان الأولان

1 و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، جبهة (3300) الأنصار و سنام (3301) العرب .

أمّا بعد ، فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه (3302) ،

إنّ النّاس طعنوا عليه ، فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه (3303) ،

و أقلّ عتابه ، و كان طلحة و الزّبير أهون سيرهما فيه الوجيف (3304) ،

و أرفق حدائهما (3305) العنيف . و كان من عائشة فيه فلتة غضب ،

[12]

فأتيح له قوم فقتلوه ، و بايعني النّاس غير مستكرهين و لا مجبرين ،

بل طائعين مخيّرين .

و اعلموا أنّ دار الهجرة (3306) قد قلعت بأهلها و قلعوا بها (3307) ،

و جاشت (3308) جيش المرجل (3309) ، و قامت الفتنة على القطب ، فأسرعوا إلى أميركم ، و بادروا جهاد عدوّكم ، إن شاء اللّه عزّ و جلّ .

2 و من كتاب له عليه السلام إليهم ، بعد فتح البصرة

و جزاكم اللّه من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته ، و الشّاكرين لنعمته ، فقد سمعتم و أطعتم ، و دعيتم فأجبتم .

بيان

« أكثر استعتابه » أي أكثر طلب العتبى منه و الرجوع إلى ما يرضى به القوم منه . و « أقلّ عتابه » أي لائمته على وجه الإذلال و المؤاخذة إمّا لعدم النفع أو للمصلحة . و « الوجيف » السير السريع ، قوله « فلتة غضب » أي فجأة غضب .

و الحاصل أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا أشدّ الناس عليه . « فأتيح له » أي قدر و هيّيء و جاشت و غلت . و « المرجل » القدر من النحاس . و « دار الهجرة » المدينة و الغرض إعلامهم باضطراب حال المدينة و أهلها حين بمسير القوم إلى البصرة للفتنة .

[13]

أقول : قال ابن ميثم رحمه اللّه : كتب الكتاب الأوّل حين نزل بماء العذب متوجّها الى البصرة و بعثه مع الحسن عليه السّلام و عمّار بن ياسر . 1 و قال ابن أبى الحديد في الشرح : روى محمد بن اسحق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشي قال : لمّا نزل عليّ عليه السّلام الربذة متوجّها إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر [2] أبي طالب و محمد بن أبي بكر و كتب اليهم هذا الكتاب (يعني الكتاب الأوّل) و زاد في آخره : « فحسبي بكم إخوانا و للدّين أنصارا » ، « فَانْفِرُوا خِفَافاً وَ ثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » 3 .

روى أبو مخنف ، قال : حدّثني الصعقب قال : سمعت عبد اللّه بن جنادة يحدث أنّ عليّا عليه السّلام لمّا نزل الربذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص إلى أبي موسى الاشعري و هو الأمير يومئذ على الكوفة لينفر إليه الناس و كتب إليه معه :

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عبد اللّه بن قيس :

أمّا بعد ، فإنّي بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ من قبلك من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتي و قتلوا شيعتي و أحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم فاشخص بالناس إليّ معه حين يقدم عليك فإنّي لم أولّك المصر الّذي أنت فيه و لم أقرّك عليه إلاّ لتكون من أعواني على الحقّ و أنصاري على هذا الأمر ،

و السّلام .

و روى محمد بن إسحق أنّه لمّا قدم محمد بن جعفر و محمد بن أبي بكر الكوفة استقرّ [4] الناس فمنعهم أبو موسى فلحقا بعليّ عليه السّلام فأخبراه الخبر .

و روى أبو مخنف أنّ هاشم بن عتبة لمّا قدم الكوفة دعا أبو موسى فقال : اتّبع ما كتب به إليك فأبى ذلك فبعث إلى هاشم يتوعّده ، فكتب إلى عليّ عليه السّلام

----

(1) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 338 .

[2] في المصدر : جعفر بن أبي طالب . و هذا صحيح (المصحّح) .

----

(3) التوبة : 41 .

[4] في المصدر : استنفر .

[14]

بامتناعه و أنّه شاقّ بعيد الودّ ظاهر الغلّ و الشنآن و أنّه هدّده بالسجن و القتل . فلمّا ورد كتابة علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام أتاه به المحل ابن خليفة فسلّم عليه ، ثم قال :

الحمد للّه الّذي أدّى الحقّ إلى أهله و وضعه موضعه فكره ذلك قوم ، و قد و اللّه كرهوا نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله ثم بارزوه و جاهدوه فردّ اللّه كيدهم في نحورهم و جعل دائرة السّوء عليهم . و اللّه يا أمير المؤمنين لنجاهدنّهم معك في كل موطن حفظا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده فرحب به عليّ عليه السّلام و قال له خيرا . ثم أجلسه إلى جانبه و قرأ كتاب هاشم و سأله عن النّاس و عن أبي موسى ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أثق به و لا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك ، فقال عليّ عليه السّلام : « و اللّه ما كان عندي بمؤتمن و لا ناصح و لقد أردت عزله فأتاني الأشتر فسألني أن أقرّه و ذكر أن أهل الكوفة به راضون ،

فأقررته . » و روى أبو مخنف قال : و بعث عليّ عليه السّلام من الربذة بعد وصول المحل بن خليفة عبد اللّه بن عباس و محمد بن أبي بكر إلى أبي موسى و كتب معهما :

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن قيس :

أما بعد يا ابن الحائك يا عاض أير أبيه فواللّه إن كنت لا أرى [5] أنّ بعدك من هذا الأمر الّذي لم يجعلك اللّه له أمرا [6] أهلا و لا جعل لك فيه نصيبا سيمنعك من ردّ أمري و الافتراء عليّ و قد بعثت إليك ابن عباس و ابن أبي بكر فخلّهما و المصر و أهله و اعتزل علينا مذؤوما مدحورا فإن فعلت و إلاّ فإنّي قد أمرتهما أن ينابذاك على سوء . إنّ اللّه لا يهدي كيد الخائنين . فإذا ظهرا عليك قطعاك إربا إربا ،

و السّلام على من شكر النعمة و وفى بالبيعة و عمل برجاء العافية .

قال أبو مخنف : فلمّا أبطأ ابن عباس و ابن أبي بكر عن عليّ عليه السّلام

[5] في المصدر : إنّي كنت لأرى .

[6] ليست كلمة « أمرا » في المصدر .

[15]

و لم يدر ما صنعا ، رجل من الربذة إلى ذي قار فنزلها قال : فلما نزل ذاقار بعث إلى الكوفة الحسن ابنه عليه السّلام و عمار بن ياسر و زيد بن صوحان و قيس بن سعد بن عبادة و معهم كتاب إلى أهل الكوفة فأقبلوا حتّى كانوا بالقادسية فتلقّاهم النّاس فلمّا دخلوا الكوفة قرؤوا كتاب عليّ عليه السّلام و هو :

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين :

أمّا بعد ، فإنّي خرجت مخرجي هذا إمّا ظالما و إمّا مظلوما و إمّا باغيا و إمّا مبغيّا عليّ ، فأنشد اللّه رجلا بلغه كتابي هذا إلاّ نفر إليّ فإن كنت مظلوما اعانني و إن كنت ظالما استعتبني ، و السّلام .

قال : فلمّا دخل الحسن عليه السّلام و عمّار الكوفة اجتمع اليهما النّاس فقال [7] الحسن فاستقرّ [8] النّاس فحمد اللّه و صلّى على رسوله ، قال :

أيّها النّاس إنّا جئنا ندعوكم إلى الله ، و إلى كتابه و سنّة رسوله ، و إلى أفقه من تفقّه من المسلمين و اعدل من تعدلون و أفضل من تفضلون و أوفى من تبايعون من لم يعبه القران و لم تجهله السنة و لم تقعده به السكنة [9] السابقة ، إلى من قرّبه الله إلى رسوله قرابتين قرابة الدّين و قرابة الرّحم ، إلى من سبق النّاس إلى كلّ مؤثرة [10] ،

إلى من كفى الله به و [11] رسوله و النّاس متخاذلون فقرب منه و هم متباعدون و صلّى معه و هم مشركون و قاتل معه و هم منهزمون و بارز معه و هم مجمحون [12] و صدقه و هم يكذبون ، إلى من لم نزد [13] له رأيه و لا تكافأ له سابقة و هو يسألكم [14] النصر و يدعوكم إلى الحقّ و يسألكم بالمسير إليه لتوازروه و تنصروه على قوم نكثوا [15] بيعته و قتلوا أهل الصلاح من أصحابه و مثّلوا بعمّاله و انتهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه ،

[7] في المصدر : فقام .

[8] في المصدر : فاستنفر .

[9] ليست كلمة « السكنة » في المصدر .

[10] في المصدر : مأثرة .

[11] في المصدر : بدون « و » .

[12] في المصدر : و هم محجمون .

[13] في المصدر : لم ترد .

[14] في المصدر : يأمركم .

[15] في المصدر : نكثوا راية بيعته .

[16]

رحمكم الله ، فمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر و أحضروا بما يحضر به الصالحون .

قال أبو مخنف : و حدّثني جابر بن يزيد عن تميم بن جذلم [16] قال :

« قدم علينا الحسن بن عليّ عليه السّلام و عمّار بن ياسر يستنفران الناس إلى عليّ عليه السّلام و معهما كتابه فلمّا فرغا من قراءة كتابه ، قام الحسن و هو فتى حدث و الله إنّي لأرثى له من حداثة سنّه و صعوبة مقامه فرماه النّاس بابصارهم و هم يقولون : اللّهمّ سدّد منطق ابن بنت نبيّنا ، فوضع يده على عمود يتساند إليه و كان عليلا من شكوى به فقال :

الحمد لله العزيز الجبّار الواحد القهّار الكبير المتعال ، سواء منكم من أسرّ القول و من جهربه ، و هو مستخف بالليل و سارب بالنهار . أحمده على حسن البلاء و تظاهر النعماء و على ما أحببنا و كرهنا من شدة و رخاء و أشهد أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له و أنّ محمّدا عبده و رسوله ، امتنّ علينا بنبوّته و اختصّه برسالته و أنزل عليه وحيه و اصطفاه على جميع خلقه و أرسله إلى الإنس و الجنّ حين عبدت الأوثان و أطيع الشيطان و جحد الرّحمن . فصلّى الله عليه و آله و جزاه أفضل ما جزى المرسلين .

أمّا بعد ، فإنّي لا أقول لكم إلاّ ما تعرفون أنّ أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب أرشد الله أمره و أعزّ نصره بعثني إليكم ، يدعوكم إلى الصواب و إلى العمل بالكتاب و الجهاد في سبيل الله و إن كان عاجل ذاك ما تكرهون ، فإنّي في أجله ما تحبّون إن شاء الله . و قد علمتم [17] أنّ عليّا صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه و آله وحده و أنّه يوم صدق به لفي عاشرة من سنّه ثمّ شهد مع رسول الله صلّى الله عليه و آله جميع مشاهده و كان من اجتهاده في مرضاة الله و طاعة رسوله و آثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم . و لم يزل رسول الله صلّى الله عليه

[16] في المصدر : حذيم الناجي . .

[17] في شرح النهج لابن أبي الحديد : و إن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء اللّه و لقد علمتم . . .

[17]

و آله راضيا عنه حتّى غمضه بيده و غسله وحده و الملائكة أعوانه و الفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء ثمّ أدخله حفرته و أوصاه بقضاء دينه و عداته و غير ذلك من [18] منّ اللّه عليه . ثمّ و اللّه ما دعاهم [19] إلى نفسه ، و لقد تداكّ النّاس عليه تداكّ الابل الهيّم عند ورودها فبايعوه طائعين ، ثمّ نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه و لا خلاف أتاه حسدا له و بغيا عليه .

فعليكم عباد اللّه بتقوى اللّه و الجدّ و الصبر و الاستعانة باللّه و الخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين . عصمنا اللّه و إيّاكم بما عصم به أولياءه و أهل طاعته و ألهمنا و إيّاكم تقواه و أعاننا و ايّاكم على جهاد أعدائه . و أستغفر اللّه العظيم لي و لكم .

ثمّ مضى إلى الرحبة فهيّأ منزلا لأبيه أمير المؤمنين عليه السّلام .

قال جابر : فقلت لتميم : « كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه ؟ » فقال : و « ما [20] سقط عنّي من قوله أكثر و لقد حفظت بعض ما سمعت » .

قال أبو مخنف : و لمّا فرغ الحسن عليه السّلام من خطبته ، قام عمّار و خطب النّاس و استنفرهم فلمّا سمع أبو موسى خطبتهما صعد المنبر و قال :

الحمد للّه الّذي أكرمنا بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله فجمعنا بعد الفرقة و جعلنا إخوانا متحابّين بعد العداوة و حرّم علينا دماءنا و أموالنا . قال اللّه سبحانه :

« لا تَأْكُلُوا أَموالَكُمْ بِالبَاطِلِ » 21 . و قال تعالى : « وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ » 22 . فاتّقوا اللّه عبادكم و ضعوا أسلحتكم و كفّوا عن قتال إخوانكم . . .

[18] في شرح النهج لابن أبي الحديد : و غير ذلك من أموره . كلّ ذلك من . . .

[19] في شرح النهج لابن أبي الحديد : ما دعا إلى نفسه .

[20] في شرح النهج لابن أبي الحديد : لما .

----

(21) البقرة : 188 .

----

(22) النساء : 93 .

[18]

إلى آخر خطبته الملعونة التي تركها أولى من ذكرها و تنادي بكفر صاحبها و نفاقه .

قال : فلمّا أتت الأخبار عليّا عليه السّلام باختلاف النّاس بالكوفة بعث الأشتر إليها فأخرجه منها صاغرا .

قال أبو مخنف : و لمّا نزل عليّ عليه السّلام ذاقار كتبت عايشة إلى حفصة :

أمّا بعد ، فإنّي أخبرك أن عليّا قد نزل ذاقار و أقام بها مرعوبا خائفا لمّا بلغه من عدّتنا و جماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدّم عقر و إن تأخّر نحر .

فدعت حفصة جواري لها يتغنّين و يضربن بالدفوف ، فأمرتهنّ أن يقلن في غنائهنّ : ما الخبر ما الخبر عليّ في سفر كالفرس الاشقر إن تقدّم عقر و إن تأخّر نحر . و جعلت بناة الطلقاء يدخلن على حفصة و يجتمعن لسماع ذلك الغناء . فبلغ أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السّلام ذلك فلبست جلابيبها و دخلت عليهنّ في نسوة متنكّرات ثمّ أسفرت عن وجهها . فلمّا عرفتها حفصة خجلت و استرجعت فقالت أمّ كلثوم : لئن تظاهرتما عليه اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل اللّه فيكما ما أنزل . » فقالت حفصة : « كفى ، رحمك اللّه ، و أمرت بالكتاب و استغفرت اللّه » . فقال سهل بن حنيف في ذلك شعر [23] :

عذرنا الرجال بحرب الرّجال
فما للنساء و ما للسباب

أما حسبنا ما أتيناه
لك الخبر من هتك ذات الحجاب

و مخرجها اليوم من بيتها
يعرفها الذنب نبح الكلاب

إلى أن أتانا كتاب لها
مشوم فيا قبح ذاك الكتاب [24]

[23] في المصدر : هذه الأشعار .

[24] بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 409 ، ط كمپانى و ص 384 ، ط تبريز . فراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 14 ،

ص 8 14 ، ط بيروت .

3 و من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه

و روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السّلام ، اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا ، فبلغه ذلك ، فاستدعى شريحا ، و قال له :

بلغني أنّك ابتعت دارا بثمانين دينارا ، و كتبت لها كتابا ،

و أشهدت فيه شهودا .

فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له :

يا شريح ، أما إنّه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ، و لا يسألك عن بيّنتك ، حتّى يخرجك منها شاخصا (3310) ، و يسلمك إلى قبرك خالصا . فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدّار من غير مالك ،

أو نقدت الثّمن من غير حلالك فإذا أنت قد خسرت دار الدّنيا و دار الآخرة أما إنّك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النّسخة ، فلم ترغب في شراء هذه الدّار بدرهم فما فوق .

و النسخة هذه : « هذا ما اشترى عبد ذليل ، من ميّت قد أزعج للرّحيل ، اشترى منه دارا من دار الغرور ، من جانب الفانين ،

و خطّة (3311) الهالكين . و تجمع هذه الدّار حدود أربعة : الحدّ الأوّل ينتهي إلى دواعي الآفات ، و الحدّ الثّاني ينتهي إلى دواعي المصيبات ،

و الحدّ الثّالث ينتهي إلى الهوى المردي ، و الحدّ الرّابع ينتهي إلى الشّيطان المغوي ، و فيه يشرع (3312) باب هذه الدّار . اشترى هذا المغترّ بالأمل ، من هذا المزعج بالأجل ، هذه الدّار بالخروج من عزّ القناعة ، و الدّخول في ذلّ الطّلب و الضّراعة (3313) ، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك ، فعلى مبلبل أجسام (3314) الملوك ،

و سالب نفوس الجبابرة ، و مزيل ملك الفراعنة ، مثل كسرى و قيصر ،

و تبّع و حمير ، و من جمع المال على المال فأكثر ، و من بنى و شيّد (3315) ،

و زخرف و نجّد (3316) ، و ادّخر و اعتقد (3317) ، و نظر بزعمه للولد ،

إشخاصهم (3318) جميعا إلى موقف العرض و الحساب ، و موضع الثّواب و العقاب : إذا وقع الأمر بفصل القضاء « و خسر هنالك المبطلون » شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ، و سلم من علائق الدّنيا . »

بيان

يقال : « شخص بصره بالفتح فهو شاخص » إذا فتح عينيه و صار لا يطرف و هو كناية عن الموت ، و يجوز أن يكون من « شخص من البلد » يعني ذهب و سار ، أو من « شخص السهم » إذا ارتفع عن الهدف و المراد : يخرجك منها مرفوعا محمولا على أكتاف الرّجال . و « سلّم إليه » أعطاه فتناوله منه . قوله عليه السلام « خالصا » اى من الدنيا و حطامها ليس معك شيء منها . قوله عليه السلام « فإذا أنت » في أكثر النسخ بالتّنوين فهو جزاء شرط محذوف ، أي لو ابتعتها كذلك فقد خسرت الدارين ، و في بعضها بالألف

[21]

غير منوّن فتكون إذا الفجائية ، كقول اللّه تعالى : فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ 25 . و « أزعجه » أقلقه و قلعه عن مكانه . و « الخطّة » بالكسر هي الأرض يخطّها الإنسان أي يعلم عليها علامة بالخطّ ليعمرها ، و منه خطط الكوفة و البصرة ، و لعلّ فيه إشعارا بأنّ ملكهم لها ليس ملكا تامّا ، بل من قبيل العلامة الّتي يعلم الانسان على أرض يريد التصرّف فيها .

قوله عليه السلام « و تجمع هذه الدار » أي تحيط بها ، و يقال : « أرداه » أي أهلكه . قوله « و فيه يشرع » على البناء للمجهول أي يفتح ، و لعلّه كناية عن أنّ سبب شراء هذه الدار هو الشيطان و اغواؤه ، أو عن أنّ هذه الدار تفتح باب وساوس الشيطان على الإنسان .

قوله عليه السلام « بالخروج » الباء للعوض ، فالخروج هو الثمن . قوله عليه السلام « فما أدرك » ما شرطيّة و أدرك بمعنى لحق ، و اسم الإشارة مفعوله . و « الدّرك » بالتّحريك التبعة . و « البلبلة » الاضطراب و الاختلاط و إفساد الشيء بحيث يخرج عن حدّ الانتفاع به ، و المراد به الموت أو ملكه أو الربّ تعالى شأنه و قوله « إشخاص » مبتدء و « على مبلبل » خبره ، و يقال : « نجد » أي فرش المنزل بالوسائد ، و « التنجيد » التزيين ، و يجوز أن يكون المراد به هنا الرفع من النجد و هو المرتفع من الأرض ، و يقال : « اعتقد ضيعة و مالا » أي اقتناهما .

ثمّ اعلم أنّه يكفي لمناسبة ما يكتب في سجلاّت البيوع لفظ الدّرك ، و لا يلزم مطابقته لما هو المعهود فيها من كون الدّرك لكون المبيع أو الثّمن معيبا أو مستحقّا للغير ،

فالمراد بالدّرك التبعة و الاثم أي ما لحق هذا المشتري من وزر و حطّ مرتبة و نقص عن حظوظ الآخرة فسيجزى بها في القيامة .

أقول : و يحتمل أيضا عندي أن يكون المشتري هذا الشخص من حيث كونه تابعا للهوى ، و لذا وصفه تارة بالعبد الذليل أي الأسير في قيد الهوى ، و بيّن ذلك آخرا حيث عبّر عنه بالمغترّ بالأمل ، و البائع هذا الشخص أيضا حيث أعطاه اللّه العقل و نبّه عقله و آذنه بالرّحيل و أعلمه أنّه ميّت و لا بدّ من أن يموت . و المدرك لتلك الأمور

----

(25) يس : 29 .

[22]

و المخاطب بها هو النفس من حيث اشتماله على العقل ، و لمّا كان هذا العقل شأنه تحصيل السعادات الدائمة و المثوبات الأخرويّة و الدار الباقية و هذا المأسور في قيد الهوى استعمله في تحصيل الدار الفانية المحفوفة بالآفات و البليّات و أعطاه عوضا من كسبه الخروج من عزّ القناعة و الدخول في ذلّ الطلب ، فعلى البائع عليه دعوى الدرك في القيامة بأنّك ضيّعت كسبي و نقصت حظّي و أبدلتني من سعيي ذلاّ و نقصا و هوانا ،

فعند ذلك يخسر المبطلون ، فهذا ما خطر بالبال فخذما آتيتك و كن من الشاكرين . 26

4 و من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه

فإن عادوا إلى ظلّ الطّاعة فذاك الّذي نحبّ ، و إن توافت (3319) الأمور بالقوم إلى الشّقاق و العصيان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك ،

و استغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك ، فإنّ المتكاره (3320) مغيبه خير من مشهده ، و قعوده أغنى من نهوضه .

توضيح

قال ابن ميثم : روي أنّ الأمير الّذي كتب إليه عثمان بن حنيف عامله على البصرة و ذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها و عزموا على الحرب . فكتب عثمان إليه يخبره بحالهم ، فكتب عليه السلام كتابا فيه الفصل المذكور . 27 « و إن توافت الامور » أي تتابعت بهم المقادير و أسباب الشقاق و العصيان

----

(26) بحار الأنوار ، الطبعة ، الجديدة ، ج 41 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 155 .

----

(27) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 349 .

[23]

إليهما و يقال : « نهد القوم إلى عدوّهم » اذا صمدواله و شرعوا في قتاهم . و « تقاعس » أبطأ و تأخّر . « المتكاره » من يظهر الكراهة و لا يطيع بقلبه . و « النهوض » القيام . 28

5 و من كتاب له عليه السلام إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان

و إنّ عملك ليس لك بطعمة (3321) و لكنّه في عنقك أمانة ، و أنت مسترعى لمن فوقك . ليس لك أن تفتات (3322) في رعيّة ، و لا تخاطر إلاّ بوثيقة ، و في يديك مال من مال اللّه عزّ و جلّ ، و أنت من خزّانه (3323) حتّى تسلّمه إليّ ، و لعلّي ألاّ أكون شرّ ولاتك (3324) لك ، و السّلام .

بيان

قال ابن ميثم رحمه اللّه و غيره : « روي عن الشبعني أنّه عليه السلام لمّا قدم الكوفة و كان الأشعث بن قيس على ثغر آذربيجان من قبل عثمان ، فكتب إليه بالبيعة و طالب بمال آذربيجان مع زياد بن مرحب الهمدانيّ . و صورة الكتاب :

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس :

أمّا بعد ، فلولا هنات و هنات كنّ 29 منك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل الناس و لعلّ آخر أمرك يحمل أوّله و بعضها بعضا إن اتّقيت اللّه عزّ و جلّ و قد كان

----

(28) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 405 ، ط كمپاني و ص 380 ، ط تبريز .*

----

(29) *في شرح النهج لابن أبي الحديد : كانت .*

[24]

من بيعة النّاس إيّاي ما قد بلغك . و كان طلحة و الزبير أوّل من بايعني ثمّ نقضا بيعتي عن غير حدث و أخرجا عائشة فساروا بها إلى البصرة . فصرت إليهم في المهاجرين و الأنصار ، فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا الى ما خرجوا منه ، فأبوا فأبلغت في الدعاء و أحسنت في البقيّة . و اعلم أنّ عملك . . .

إلى آخر ما مرّ .

و كتب عبيد اللّه بن أبي رافع في شعبان سنة ستّ و ثلاثين .

و روي أنّه لمّا أتاه كتابه عليه السلام دعا بثقاته و قال لهم : « إنّ عليّ ابن أبي طالب قد أوحشني و هو آخذي بمال آذربيجان على كلّ حال و أنا لاحق بمعاوية .

فقال له أصحابه : « الموت خير لك من ذلك ، تدع مصرك و جماعة قومك فتكون ذنبا لأهل الشام . » فاستحيى من ذلك و بلغ قوله أهل الكوفة .

فكتب إليه [عليّ] عليه السلام كتابا يوبخه فيه و يأمره بالقدوم عليه .

و بعث حجر بن عدي ، فلامه حجر على ذلك و ناشده اللّه و قال : « أتدع قومك و أهل مصرك و أمير المؤمنين و تلحق بأهل الشام ؟ » و لم يزل به حتّى أقدمه إلى الكوفة ، فعرض عليه [عليّ] عليه السلام ثقله فوجد فيها مائة ألف درهم (و روي أربعمائة ألف درهم) فأخذها و كان ذلك بالنخيلة فاستشفع الأشعث بالحسن و الحسين عليهما السلام و بعبد اللّه بن جعفر ، فأطلق له منها ثلثين ألفا .

فقال : لا تكفيني .

فقال : لست بزائدك درهما ، و أيم اللّه لو تركتها لكان خيرا لك و ما أظنّها تحمل لك لو تيقّنت ذلك لما بلّغتها من عندي .

فقال الأشعث : خذ من جذعك ما أعطاك . 30

----

(30) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 14 ، ص 351 .*

[25]

و أقول : « الأذربيجان » اسم أعجميّ غير مصروف و الألف مقصورة و الذال ساكنة . و منهم من يقول « آذربيجان » بمدّ الهمزة و ضمّ الذال و سكون الراء . و لعلّ المراد بالهنات أي الأمور القبيحة ما كان ارتداه و موافقته لخلفاء الجور في جورهم ، أي لولا تلك الأمور لكنت في هذا الأمر متقدما على غيرك في الفضل و السابقة . و يحتمل أن يراد بالهنات ما في قلبه من النفاق و الحقد و العداوة أي لولا تلك الأمور لكان ينبغي أن تكون متقدما عليّ في بيعتي و متابعتي . و « لعلّ آخر أمرك يؤيّد الأوّل » أي لعلّه صدر منك في آخر الأمر أشياء تصير سببا للتجاوز عمّا صدر منك أوّلا . « و بعضها » أي بعض أمورك من الخيرات يحمل « بعضا » أي سائرها من السيّئات و « البقيّة » الإبقاء و الشفقة . و قال في النهاية : «

الطعمة » بالضمّ شبه الرزق ، و « الطعمة » بالكسر و الضمّ وجه الكسب ، يقال : هو طيّب الطعمة و خبيث الطعمة . و هي بالكسر خاصّة ، حالة الأكل . و « استرعاه » طلب منه الرعاية ، أي أنت راع من قبل سلطان هو فوقك .

قوله عليه السلام « أن تقتات » في بعض النسخ بالقاف من القوت ، يقال :

« قتّه فاقتات » أي رزقته فارتزق . و في بعضها بالفاء و الألف من الفوت بمعنى السبق ،

يقال : « يفوت فلان على فلان في كذا » . و « و افتات عليه » إذا انفرد برأيه في التصرّف فيه و لمّا ضمن معنى التغليب عدّي بعلى . و قال ابن ميثم بالهمزة و لعلّه سهو . 31 قوله عليه السلام « و لا تخاطر » أي و لا أن تخاطر في شيء من الأمور إلاّ بوثيقة ، أي لا تقدم على أمر مخوف ممّا يتعلّق بالمال الّذي تتولاّه إلاّ بعد أن تتوثّق لنفسك ، يقال : « أخذ فلان بالوثيقة في أمره » أي احتاط و يقال : « خاطر بنفسه » أي أشفابها على خطر .

و قال الزمخشري في المستقصى في قولهم « خذ من جذع ما أعطاك » : هو جذع بن عمرو الغسّاني . أتاه سبطة بن المنذر السليجي ، يسأله دينارين كان بنو غسّان يؤدّونهما

----

(31) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 351 .

أتاوه 32 في كلّ سنة من كلّ رجل إلى ملوك سليج فدخل منزله و خرج مشتملا على سيفه فضربه به حتّى سكت ثمّ قال ذلك و امتنعت بعد غسّان عن الأتاوه .

و قال الفيروزآبادي : الجذع هو ابن عمرو الغسّاني و منه « خذ من جذعك ما أعطاك » . كان غسّان تؤدّي إلى ملك سليج دينارين من كلّ رجل و كان يلي ذلك سبطة بن المنذر السليجي فجاء سبطة يسأله الدينارين فدخل جذع منزله فخرج مشتملا بسيفه فضرب به سبطة حتى برد و قال : « خذ من جذع ما أعطاك » أو أعطى بعض الملوك سيفه رهنا . فلم يأخذه و قال : « اجعل من كذا في كذا » ، فضربه به و قتله و قال : « يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل » . في الصّحاح : « قال : اجعل هذا في كذا من أمّك » . 33

6 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

إنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشّاهد أن يختار ، و لا للغائب أن يردّ ، و إنّما الشّورى للمهاجرين و الأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماما كان ذلك للّه رضى ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين ،

و ولاّه اللّه ما تولّى .

----

(32) هكذا في البحار .

----

(33) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 638 ، ط كمپاني و ص 588 ، ط تبريز .

و لعمري ، يا معاوية ، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ النّاس من دم عثمان ، و لتعلمنّ أنّي كنت في عزلة عنه إلاّ أن تتجنّى (3325) ، فتجنّ ما بدا لك و السّلام .

7 و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا

أمّا بعد ، فقد أتتني منك موعظة موصّلة (3326) ، و رسالة محبّرة (3327) ،

نمّقتها (3328) بضلالك ، و أمضيتها بسوء رأيك ، و كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ، و لا قائد يرشده ، قد دعاه الهوى فأجابه ، و قاده الضّلال فاتّبعه ، فهجر (3329) لاغطا (3330) ، و ضلّ خابطا .

و منه : لأنّها بيعة واحدة لا يثنّى فيها النّظر (3331) ، و لا يستأنف فيها الخيار . الخارج منها طاعن ، و المرويّ (3332) فيها مداهن (3333) .

تنبيه

لعلّ هذا منه عليه السلام إلزام لمعاوية بالإجماع الّذي أثبتوا به خلافة أبي بكر و عمرو عثمان و عدم تمسّكه عليه السلام بالنصّ لعدم التفاتهم إليه في أوّل العهد مع عدم تطاول الأيّام فكيف مع بعد العهد .

و قوله عليه السلام « إنما الشّورى الخ » أي الشورى الّذي تعتقدونه و تحتجّون به . و لا حاجة إلى حمل الكلام على التقيّة كما نقله ابن أبي الحديد من أصحابنا الإماميّة .

قوله عليه السلام « كان ذلك للّه رضى » أي بزعمهم . « العزلة » الاسم من الاعتزال . و « التجنّي » أن يدعى عليك ذنب لم تفعله .

و قال ابن ميثم رحمه اللّه : هذا الفصل من كتاب كتبه إلى معاوية مع جرير بن عبد اللّه البجليّ حين نزعه من همدان . و صدره :

أمّا بعد ، فإنّ بيعتي يا معاوية لزمتك و أنت بالشام لأنّه بايعني القوم ثمّ يتلو قوله : « و ولاّه اللّه ما تولّى . . . » [34] تمام الآية . و يتّصل بها أن قال :

و إنّ طلحة و الزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي و كان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر اللّه و هم كارهون . فادخل يا معاوية فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الأمور إليّ فيك العافية إلاّ أن تتعرّض للبلاء ، فإن تعرّضت له قاتلتك و استعنت باللّه عليك و قد أكثرت في قتلة عثمان . فادخل فيما دخل فيه النّاس ثم حاكم القوم إليّ أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه . و أمّا هاتيك الّتي تريد فهي خدعة الصّبيّ عن اللّبن .

ثمّ يتّصل به قوله « و لعمري » إلى قوله « ما بدالك » ، ثمّ يتّصل به :

و اعلم أنّك من الطّلقاء الّذين لا تحلّ لهم الخلافة و لا يعرض فيهم الشورى و قد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد اللّه و هو من أهل الإيمان و الهجرة فبايع و لا قوّة إلاّ باللّه .

و قال رحمه اللّه : كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السّلام من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمّا بعد ، فلو كنت على ما كان عليه أبو بكر و عمر ، إذن ما قاتلتك و لا استحللت

[34] هذه العبارة تكون مقتبسة من الآية التالية :

وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيراً (النساء : 115) .

ذلك و لكنّه إنّما أفسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان بن عفّان . و إنّما كان أهل الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحقّ فيهم فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام على الحجاز و غيرهم من النّاس . و لعمري ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة و لا حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة و الزبير لأنّ أهل البصرة قد كانوا بايعوك و لم يبايعك أهل الشّام و أنّ طلحة و الزبير بايعاك و لم أبايعك .

و أمّا فضلك في الإسلام و قرابتك من رسول الله صلّى الله عليه و آله و موضعك من بني هاشم فلست أدفعه ، و السّلام .

فكتب عليه السلام في جوابه :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام إلى معاوية بن صخر أمّا بعد ، فإنّه أتاني كتابك ، كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لا قائد يرشده ، قد دعاه الهوى فأجابه و قاده الضّلال فاتّبعه فهجر لاغطا و ضلّ خابطا زعمت أنّه إنّما أفسد على بيعتك خطيئتي في عثمان و لعمري ما كنت إلاّ رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا و أصدرت كما أصدروا و ما كان الله ليجمعهم على ضلال و لا يضربهم بعمى . و أمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز ، فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى أو تحلّ لهما الخلافة فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون و الأنصار و إلاّ فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز و أمّا ما ميّزت بين أهل الشام و أهل البصرة و بينك و بين طلحة و الزبير فلعمري ما الأمر في ذلك إلاّ واحد ، لأنّها بيعة عامّة واحدة لا يثنّى فيها النظر و لا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعن و المرويّ فيها مداهن . و أمّا فضلي في الإسلام و قرابتي من الرسول و شرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت ، و السّلام .

فلمّا وصل هذا الكتاب إلى معاوية كتب :

أمّا بعد ، فاتّق الله يا عليّ ودع الحسد فإنّه طال ما لم ينتفع به أهله و لا تفسد سابقة قديمك بشرّ من حديثك ، فإنّ الأعمال بخواتيمها و لا تلحدنّ بباطل في حقّ من لا حق لك في حقّه فإنّك إن تفعل ذلك لا تضلل إلاّ نفسك ، و لا تمحق إلاّ عملك . و لعمري إنّ ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة إن تردك

[30]

و تردعك عمّا اجترأت عليه من سفك الدّماء و إجلاء أهل الحقّ عن الحلّ و الحرام فاقرأ سورة الفلق . و نعوذ بالله من شرّ ما خلق و من شرّ نفسك الحاسد إذا حسد .

فقل الله بقلبك و أخذ بناصيتك و عجّل توفيقك فإنّي أسعد النّاس بذلك ،

و السّلام .

فكتب عليه السلام :

أمّا بعد ، فقد أتتني منك موعظة موصّلة و رسالة محبّرة نمّقتها بضلالك و أمضيتها بسوء رأيك و كتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حقّ و لولا علمي بك و ما قد سبق من رسول الله صلّى الله عليه و آله فيك ممّا لا مردّ له دون إنفاذه ، إذا لوعظتك و لكن عظتي لا تنفع من حقّت عليه كلمة العذاب و لم يخف العقاب و لا يرجو الله وقارا و لم يخف له حذارا فشأنك و ما أنت عليه من الضلالة و الحيرة و الجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة و تمنّيك الأباطيل و قد علمت ما قال النبيّ صلّى الله عليه و آله فيك و في أمّك و أبيك ، و السّلام . 35 أقول : روى السيد رضي الله عنه في النهج بعض الكتابين الّذين أورد هما ابن ميثم و خلطهما .

قوله عليه السلام « فهجر » أي هذى . و « اللغط » بالتحريك الصوت و الجلبة . ذكره الجوهري و قال : « خبط البعير فهو خابط » إذا مشى ضالاّ فخبط بيديه كلّ ما يلقاه و لا يتوقّى شيئا ، و « خبطه » ضربه باليد و منه قيل : « خبط عشواء » أي الفاقة الّتي في بصرها ضعف . قوله عليه السلام « طاعن » قال ابن ميثم : أي في صحّتها فهو طاعن في دين الله فيجب قتاله حتى يرجع إليها . و « روّيت في الأمر »

----

(35) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 355 .

[31]

نظرت فيه و فكّرت أي الشاكّ فيها مداهن ، و « المداهنة » نوع من النفاق . قوله عليه السلام « موصّلة » قال ابن أبي الحديد : أي مجموعة الألفاظ من هيهنا و هيهنا و ذلك عيب في الكتابة و الخطابة . و قال : « حبّرت الشيء تحبيرا » حسّنته و زيّنته ، أي المزيّنة الألفاظ يشير عليه السلام إلى أنّه قد كان يظهر عليها أثر التكلّف و التصنّع .

و قال الجوهري « نمق الكتاب ينمقه بالضمّ » أي كتبه . و « نمّقه تنميقا » زيّنه بالكتابة .

و قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : كتب معاوية في أثناء حرب صفّين إلى أمير المؤمنين :

من عبد اللّه معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمّا بعد ، فإنّ اللّه تعالى يقول في محكم كتابه : وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . 36 و إنّي أحذّرك اللّه أن تحبط عملك و سابقتك بشقّ عصا هذه الأمّة و تفريق جماعتها فاتّق اللّه و اذكر موقف القيامة و اقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين و إنّي سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول : « لو تمالأ أهل صنعاء و عدنه [37] و قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم اللّه على مناخرهم في النار . » فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين و سادات المهاجرين . بله ما طحنت رخاء حربه [38] من أهل القرآن و ذوي العبادة و الإيمان من شيخ كبير و شاب غرير ، كلّهم باللّه تعالى مؤمن و له مخلص و برسوله مقرّ عارف ، فإن كنت أبا حسن إنّما تحارب على الإمرة و الخلافة فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت

----

(36) النساء : 66 .

[37] في المصدر : لو تمالأ أهل صنعاء و عدن على قتل . . .

[38] في المصدر : رحا حربه .

[32]

قريبا من أن تعذر في حرب المسلمين و لكنّها لم تصحّ لك و إنّي بصحّتها [39] و اهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها . فخف اللّه و سطواته ، و اتّق بأسه و نكاله و اغمد سيفك عن النّاس . فقد و اللّه أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلاّ كالثّمد في قرارة الغدير و اللّه المستعان .

فكتب عليّ عليه السلام إليه جوابا عن كتابه :

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن ابى سفيان أمّا بعد ، فقد أتتني منك موعظة موصّلة و رسالة محبّرة ، نمقتها بضلالك و أمضيتها بسوء رأيك ، و كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه و قاده الضلال فاتّبعه ، فهجر لاغطا و ضلّ خابطا . فأمّا أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها ، و أستعيذ باللّه من أن أكون من الّذين إذا أمروا بها أخذتهم العزّة بالاثم . و أمّا تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي و سابقتي في الإسلام ،

فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك و لكنّي وجدت اللّه تعالى يقول : فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ . 40 فنظرنا إلى الفئتين الباغية [41] فوجدناها الفئة الّتي أنت فيها ، لأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك و أنت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة و أنت أمير لعمر على الشام و كما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر بالمدينة و هو أمير لأبي بكر على الشام . و أمّا شقّ عصا هذه الأمّة ،

فأنا أحقّ أن أنهاك عنه . فأمّا تخويفك لي من قتل أهل البغي ، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمرني بقتالهم و قتلهم و قال لأصحابه : إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله . » و أشار إليّ و أنا أولى من اتّبع أمره و أمّا قولك « إنّ بيعتي لم تصحّ لأنّ أهل الشام لم يدخلوا فيها » ، فإنّما هي بيعة واحدة يلزم [42] الحاضر و الغائب ، لا يستثنى فيها النظر و لا يستأنف فيها الخيار .

[39] في المصدر : و لكنّها ما صحّت لك إنّي بصحّتها .

----

(40) الحجرات : 9 .

[41] في المصدر : فنظرنا إلى الفئتين ، أمّا الفئة الباغية .

[42] في المصدر : تلزم . و هذا صحيح (المصحّح) .

[33]

الخارج منها طاعن و المرويّ فيها مداهن . فاربع على ظلعك و انزع سربال عينك [43] و اترك ما لا جدوى له عليك فإنّه ليس لك عندي إلاّ السيف حتّى تفيء إلى أمر اللّه صاغرا و تدخل في البيعة راغما ، و السلام . 44 بيان : قال الجوهري : « بله » كلمة مبنيّة على الفتح مثل « كيف » و معناها « دع » و يقال : معناها « سوى » . و في الحديث : « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، بله ما اطلعتهم عليه . » و قال ابن ميثم : كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى معاوية :

فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي و تستقبح مواريثي و تزعمني متجبّرا و عن حقّ اللّه مقصّرا ، فسبحان اللّه كيف تستجيز الغيبة و تستحسن العضيهة ؟ إنّي لم أشاغب إلاّ في أمر بمعروف أو نهي عن منكر و لم أتجبّر إلاّ على باغ مارق أو ملحد منافق و لم آخذ في ذلك إلاّ بقول اللّه سبحانه لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَ أَبْنَاءَهُمْ . 45 و أمّا التقصير في حقّ اللّه فمعاذ اللّه و إنّما المقصّر في حقّ اللّه جلّ ثناؤه من عطّل الحقوق المؤكّدة و ركن إلى الأهواء المبتدعة و أخلد إلى الضلالة المحيّرة . و من العجب أن تصف يا معاوية الإحسان و تخالف البرهان و تنكث الوثائق الّتي هي للّه عزّ و جلّ مطلبة و على عبادة حجّة مع نبذ الإسلام و تضييع الأحكام و طمس الأعلام و المجرى في الهوى و الهوس في الردى ، فاتّق اللّه فيما لديك و انظر في حقّه عليك و ارجع إلى معرفة مالا تعذر بجهالته فانّ للطاعة أعلاما واضحة و سبلا نيّرة و محجّة نهجة و غاية مطّلبة ، يردها الأكياس و تخالفها الأنكاس . من نكب عنها جار عن الحقّ و خبط في التّيه و غيّر اللّه نعمته و أحلّ به نقمته . فنفسك نفسك فقد

[43] في المصدر : غيّك .

----

(44) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 42 ، ط بيروت .

----

(45) المجادلة : 22 .

[34]

بيّن اللّه لك سبيلك ، و حيث تناهت به أمورك فقد أجريت إلى غاية خسرو محلّة كفر ، و إنّ نفسك قد أوحلتك شرّا و أقحمتك غيّا و أوردتك المهالك و أوعرت عليك المسالك .

و من ذلك الكتاب :

و إنّ للنّاس جماعة يد اللّه عليها و غضب اللّه على من خالفها ، فنفسك نفسك قبل حلول رمسك ، فإنّك إلى اللّه راجع و إلى حشرة مهطع ، و سيبهضك كربة و تحلّ بك غمّة في يوم لا يغني النادم ندمه ، و لا يقبل من المعتذر عذره . يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلَيً عَنْ مَوْلَىً شَيْئاً وَ لاَ هُمْ يُنْصَرُونَ (الدخان : 41) . 46

9 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

فأراد قومنا قتل نبيّنا ، و اجتياح أصلنا (3338) ، و همّوا بنا الهموم (3339) و فعلوا بنا الأفاعيل (3340) ، و منعونا العذب (3341) ،

و أحلسونا (3342) الخوف ، و اضطرّونا (3343) إلى جبل وعر (3344) ، و أوقدوا لنا نار الحرب ، فعزم اللّه لنا (3345) على الذّبّ عن حوزته (3346) ،

----

(47) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 473 ، ط كمپاني و ص 438 ، ط تبريز . فراجع أيضا شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 358 .

[36]

و الرّمي من وراء حرمته (3347) . مؤمننا يبغي بذلك الأجر ، و كافرنا يحامي عن الأصل . و من أسلم من قريش خلو ممّا نحن فيه بحلف يمنعه ، أو عشيرة تقوم دونه ، فهو من القتل بمكان أمن .

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا احمرّ البأس (3348) ،

و أحجم النّاس ، قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ السّيوف (3349) و الأسنّة ،

فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر ، و قتل حمزة يوم أحد ، و قتل جعفر يوم مؤتة (3350) . و أراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الّذي أرادوا من الشّهادة ، و لكنّ آجالهم عجّلت ، و منيّته أجّلت . فياعجبا للدّهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي (3351) ، و لم تكن له كسابقتي (3352) الّتي لا يدلي أحد (3353) بمثلها ، إلاّ أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه ، و لا أظنّ اللّه يعرفه . و الحمد للّه على كلّ حال .

و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك ، فإنّي نظرت في هذا الأمر ، فلم أره يسعني دفعهم إليك و لا إلى غيرك ، و لعمري لئن لم تنزع (3354) عن غيّك و شقاقك (3355) لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك ،

لا يكلّفونك طلبهم في برّ و لا بحر ، و لا جبل و لا سهل ، إلاّ أنّه طلب يسوءك وجدانه ، و زور (3356) لا يسرّك لقيانه ، و السّلام لأهله .

[37]

10 و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا

و كيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلابيب (3357) ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت بزينتها (3358) ، و خدعت بلذّتها . دعتك فأجبتها ،

و قادتك فاتّبعتها ، و أمرتك فأطعتها . و إنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ (3359) ، فاقعس (3360) عن هذا الأمر ، و خذ أهبة (3361) الحساب ، و شمّر لما قد نزل بك ، و لا تمكّن الغواة (3362) من سمعك ،

و إلاّ تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك ، فإنّك مترف (3363) قد أخذ الشّيطان منك مأخذه ، و بلغ فيك أمله ، و جرى منك مجرى الرّوح و الدّم .

و متى كنتم يا معاوية ساسة الرّعيّة (3364) ، و ولاة أمر الأمّة ؟ بغير قدم سابق ، و لا شرف باسق (3365) ، و نعوذ باللّه من لزوم سوابق الشّقاء . و أحذّرك أن تكون متماديا في غرّة (3366) الأمنيّة (3367) ، مختلف العلانية و السّريرة .

و قد دعوت إلى الحرب ، فدع النّاس جانبا و اخرج إليّ ، و أعف الفريقين من القتال ، لتعلم أيّنا المرين (3368) على قلبه ،

[38]

و المغطّى على بصره فأنا أبو حسن قاتل جدّك و أخيك و خالك شدخا (3369) يوم بدر ، و ذلك السّيف معي ، و بذلك القلب ألقى عدوّي ، ما استبدلت دينا ، و لا استحدثت نبيّا . و إنّي لعلى المنهاج (3370) الّذي تركتموه طائعين ، و دخلتم فيه مكرهين .

و زعمت أنّك جئت ثائرا (3371) بدم عثمان . و لقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالبا ، فكأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال ، و كأنّي بجماعتك تدعوني جزعا من الضّرب المتتابع ، و القضاء الواقع ،

و مصارع بعد مصارع ، إلى كتاب الله ، و هي كافرة جاحدة ، أو مبايعة حائدة (3372) .

11 و من وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم ، فليكن معسكركم في قبل (3373) الأشراف (3374) ، أو سفاح (3375) الجبال ، أو أثناء (3376) الأنهار ،

كيما يكون لكم ردءا (3377) ، و دونكم مردّا (3378) . و لتكن مقاتلتكم

[39]

من وجه واحد أو اثنين ، و اجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال (3379) ،

و مناكب (3380) الهضاب (3381) ، لئلاّ يأتيكم العدوّ من مكان مخافة أو أمن . و اعلموا أنّ مقدّمة القوم عيونهم ، و عيون المقدّمة طلائعهم .

و إيّاكم و التّفرّق : فإذا نزلتم فانزلوا جميعا ، و إذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا ، و إذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرّماح كفّة (3382) ، و لا تذوقوا النّوم إلاّ غرارا (3383) أو مضمضة (3384)

12 و من وصية له عليه السلام وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له :

اتّق الله الّذي لا بدّ لك من لقائه ، و لا منتهى لك دونه . و لا تقاتلنّ إلاّ من قاتلك . و سر البردين (3385) ، و غوّر (3386) بالنّاس ،

و رفّه (3387) في السّير ، و لا تسر أوّل اللّيل ، فإنّ الله جعله سكنا ،

و قدّره مقاما لا ظعنا (3388) ، فأرح فيه بدنك ، و روّح ظهرك . فإذا وقفت حين ينبطح السّحر (3389) ، أو حين ينفجر الفجر ، فسر على بركة الله . فإذا لقيت العدوّ فقف من أصحابك وسطا ، و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب . و لا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس ، حتّى يأتيك أمري ، و لا يحملنّكم شنآنهم (3390) على

[40]

قتالهم ، قبل دعائهم و الإعذار (3391) إليهم .

بيان

قال ابن ميثم : بعثه عليه السلام من المدائن و قال له : امض على الموصل ثمّ القني حتّى توافيني بالرقّة ثمّ أوصاه بذلك . و « البردان » الغداة و العشيّ . 48 و قال الجوهري : « التغوير » القيلولة يقال : غوّروا أي أنزلوا للقائلة . قال أبو عبيد : يقال للقائلة الغائرة . و « الترفيه » الإراحة . و « السكن » ما يسكن إليه .

و « الظعن » الارتحال . و في النهاية : « الظهر » الابل الّذي يحمل عليها و يركب . قوله عليه السلام « فإذا وقفت » قال ابن أبي الحديد : أي إذا وقفت ثقلك و جملك [49] لتسير فليكن ذلك حين ينبطح السحر ، أي حين يتّسع و يمتدّ ، أي لا يكون السحر الأوّل بل ما بين السحر الأوّل و بين الفجر الأوّل . و أصل الانبطاح السعة ، و منه « الأبطح » بمكّة . 50 قال الجوهري : « نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوبا » أي علق فيه و أنشبته أنافيه . و يقال : نشب الحرب بينهم . و « الشنآن » البغض . و في بعض النسخ « شبابكم قبل دعائهم » أى إلى الإسلام . و يقال : « أعذر الرجل » إذا بلغ أقصى الغاية في العذر . 51

13 و من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه

و قد أمّرت عليكما و على من في حيّزكما (3392) مالك بن الحارث

----

(48) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 380 .

[49] في المصدر : رحلك .

----

(50) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 94 ، ط بيروت .

----

(51) بحار الأنوار الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 474 ، ط كمپانى و ص 439 ، ط تبريز .

الأشتر ، فاسمعا له و أطيعا ، و اجعلاه درعا (3393) و مجنّا (3394) ، فإنّه ممّن لا يخاف وهنه (3395) و لا سقطته (3396) و لا بطوه عمّا الإسراع إليه أحزم (3397) ، و لا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل (3398)

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث ابن سلمة بن ربيعة بن حذيمة [52] بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن غلّة [53] بن خالد بن مالك بن داود ، و كان حارسا [54] شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة و عظمائها شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين عليه السّلام و نصره ، و قال فيه بعد موته : يرحم [55] اللّه مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . و لمّا قنت عليّ عليه السلام على خمسة و لعنهم و هم : معاوية و عمرو بن العاص و أبو الأعور السلميّ و حبيب بن مسلمة و بسر بن أرطاة ، قنت معاوية على خمسة و هم : عليّ و الحسن و الحسين و عبد اللّه بن العبّاس و الأشتر ، و لعنهم .

و قد روي أنّه قال لمّا ولّى عليّ عليه السلام بني العبّاس علي الحجاز و اليمن و العراق : فلما ذا قتلنا الشيخ بالأمس ؟ و إنّ عليّا عليه السلام لمّا بلغته هذه الكلمة أحضره و لا طفه و اعتذر إليه ، و قال له : فهل ولّيت حسنا أو حسينا أو أحدا من ولد جعفر أخي أو عقيلا أو أحدا من ولده ؟ و إنّما ولّيت ولد عمّي العبّاس لأنّي سمعت العبّاس يطلب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الامارة مرارا ، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله « يا عمّ إنّ الإمارة إن طلبتها وكّلت إليها و إن طلبتك

[52] في المصدر : ربيعة بن الحارث بن خزيمة .

[53] في المصدر : علة .

[54] في المصدر : ادد و كان فارسا .

[55] في المصدر : رحم اللّه .

[42]

اعنت عليها . » و رأيت بنيه في أيّام عمر و عثمان يجدون في أنفسهم أن ولّي غيرهم من أبناء الطلقاء و لم يولّ أحد منهم فأحببت أن أصل رحمهم و ازيل ما كان في أنفسهم ، و بعد فإن علمت أحدا هو خير منهم فائتني به ، فخرج الأشتر و قد زال ما في نفسه .

و قد روى المحدّثون حديثا يدلّ على فضيلة عظيمة للاشتر ، و هي شهادة قاطعة من النبيّ صلّى الله عليه و آله بأنّه مؤتمن [56] . روى هذا الحديث أبو عمر بن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب في حرف الجيم في باب جندب .

قال أبو عمر : لمّا حضرت آباذرّ الوفاة و هو بالربذة بكت زوجته امّ ذرّ ،

قالت : فقال لي . [57] ما يبكيك ؟

فقالت : ما لي لا أبكي و أنت تموت بفلاة من الأرض ، و ليس عندي ثوب يسعك كفنا ، و لا بدّ لي من القيام بجهازك .

فقال : ابشري و لا تبكي فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : « لا يموت بين امر أين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران و يحتسبان فيريان النار أبدا » . و قد مات لنا ثلاثة من الولد . و سمعت أيضا رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول لنفر أنا فيهم : « ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين » و ليس من اولئك النفر أحد إلاّ و قد مات في قرية و جماعة ، فأنا لا أشكّ أنّي ذلك الرجل . و الله ما كذبت و لا كذبت ، فانظري الطريق قالت ام ذرّ : فقلت : أنّى و قد ذهب الحاجّ و تقطّعت الطرق ؟

فقال : اذهبي فتبصّري .

قالت : فكنت أشتدّ إلى الكثيب فأصعد فأنظر ثمّ أرجع إليه فامرّضه ، فبينا أنا و هو على هذه الحالة إذا أنا برجال على ركابهم كأنّهم الرخم [58] تخبّ بهم رواحلهم ،

[56] في المصدر : مؤمن .

[57] في المصدر : فقال لها .

[58] « الرخم » طائر من الجوارح الكبيرة الجثّة الوحشية الطباع . « خبّ الفرس في عدوه » راوح بين يديه و رجليه ، أي قام على إحداهما مرّة و على الأخرى مرّة .

[43]

فأسرعوا إليّ حتّى وقفوا عليّ و قالوا : يا أمة الله مالك ؟ فقلت : امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه ؟ قالوا : و من هو ؟ قلت : أبوذرّ ، قالوا : صاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله ؟

قلت : نعم ، ففدوه بآبائهم و امّهاتهم و أسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه ، فقال لهم : ابشروا فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول لنفر أنا فيهم : « ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين » . و ليس من اولئك النفر أحد إلاّ و قد هلك في قرية و جماعة ، و الله ما كذبتم و لا كذبتم [59] و لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أو لامر أتي لم اكفّن إلاّ في ثوب لي أولها ، و إنّي أنشدكم الله أن لا يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا .

قالت : و ليس في اولئك النفر أحد إلاّ و قد قارف بعض ما قال إلاّ فتى من الأنصار قال له : أنا أكفّنك يا عمّ في ردائي هذا و في ثوبين معي في عيبتي من غزل امّي .

فقال أبو ذرّ : أنت تكفّنني ، فمات ، فكفّنه الأنصاريّ و غسّله في النفر الّذين [60] حضروه و قاموا عليه ، و دفنوه في نفر كلّهم يمان .

قال أبو عمر بن عبد البرّ قبل أن يروي هذا الحديث في أوّل باب جندب : كان النفر الّذين حضروا موت أبي ذرّ بالرّبذة مصادفة جماعة منهم حجر بن الابرد [61] هو حجر بن عديّ الّذي قتله معاوية ، و هو من أعلام الشيعة و عظمائها . أمّا الأشتر فهو أشهر في الشيعة من أبي الهذيل في المعتزلة . و قرئ كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوهّاب بن سكينة المحدّث و أنا حاضر ، فلمّا انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال استاذي عمر بن عبد الله الدبّاس و كان يحضر [62] معه سماع الحديث : لنقل الشيعة

[59] في المصدر : ما كذبت و لا كذبت .

[60] في المصدر : و غسّله النفر الّذين 1 ه .

[61] في الاستيعاب : منهم حجر بن الأدبر و مالك بن الحارث الأشتر ، قلت : حجر بن الأدبر 1 ه .

[62] في المصدر : و كنت أحضر .

بعد هذا ما شاءت ، فما قال المرتضى و المفيد إلاّ بعض ما كان حجر و الأشتر يعتقدانه في عثمان و من تقدّمه ، فأشار الشيخ إليه بالسكوت ، فسكت .

و قد ذكرنا آثار الأشتر و مقاماته بصفّين فيما سبق . و الأشتر هو الّذي عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصطرعا على ظهر فرسيهما حتّى وقعا إلى الأرض [63] فجعل عبد الله يصرخ من تحته : اقتلوني و مالكا فلم يعلم من الّذي يعنيه لشدّة الاختلاط و ثوران النقع [64] فلو قال : اقتلوني و الأشتر لقتلا جميعا . فلمّا افترقا قال الأشتر :

أعايش لو لا أنّنى كنت طاويا [65]
ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا

غداة ينادي و الرماح تنوشه
كوقع الصياصي : اقتلوني و مالكا [66]

فنجّاه منّي شبعه و شبابه
و أنّي شيخ لم أكن متماسكا

و يقال : إنّ عائشة فقدت عبد الله فسألت عنه ، فقيل لها : عهدنا به و هو معانق للأشتر ، فقالت : و اثكل أسماء . و مات الأشتر في سنة تسع و ثلاثين متوجها إلى مصر واليا عليها لعليّ عليه السلام . قيل : سقي سمّا ، و قيل : إنّه لم يصحّ ذلك و إنّما مات حتف أنفه ، فأمّا ثناء أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا الفصل فقد بلغ فيه مع اختصار مالا يبلغ بالكلام الطويل . و لعمري لقد كان الأشتر أهلا لذلك ، كان شديد البأس جوادا رئيسا حليما فصيحا شاعرا ، و كان يجمع بين اللين و العنف ، فيسطو في موضع السطوة و يرفق في موضع الرفق . 67 أقول : و قال ابن أبي الحديد في شرح وصايا أوصى أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الحارث الهمدانيّ : هو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن

[63] في المصدر : في الأرض .

[64] النقع : الغبار .

[65] أي جائعا .

[66] « ناش الشيء بالشيء » تعلّق به . و « الصياصي » جمع « الصيصية » بمعنى الوتد يقلع به التمر .

----

(67) شرح النهج لابن ابى الحديد ، ج 15 ، ص 98 102 ، ط بيروت .

[45]

مخلّد بن حارث بن سبيع بن معاوية الهمدانيّ ، كان أحد الفقهاء [68] و صاحب عليّ عليه السلام و إليه تنسب الشيعة الخطاب الّذي خاطب به في قوله عليه السلام :

يا حار همدان من يمت يرني
من مؤمن أو منافق قبلا 69

أقول : رأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا : روي أنّه دخل أبو أمامة الباهليّ على معاوية ، فقرّ به و أدناه ثمّ دعا بالطعام ، فجعل يطعم أبا أمامة بيده ، ثمّ أوسع رأسه و لحيته طيبا بيده ، و أمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه ، ثمّ قال :

يا أبا أمامة باللّه أنا خير أم عليّ بن أبي طالب ؟

فقال أبو أمامة : نعم و لا كذب و لو بغير اللّه سألتني لصدقت . عليّ و اللّه خير منك و أكرم و أقدم إسلاما ، و أقرب إلى رسول اللّه قرابة و أشدّ في المشركين نكاية ، و أعظم عند الأمّة غناء ، أتدري من عليّ يا معاوية ؟ ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و زوج ابنته سيّدة نساء العالمين ، و أبو الحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة ، و ابن أخي حمزة سيّد الشهداء و أخو جعفر ذي الجناحين ، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية ؟ أظننت أنّي سأخيّرك على عليّ بألطافك و طعامك و عطائك فأدخل إليك مؤمنا و أخرج منك كافرا ؟ بئس ما سوّلت لك نفسك يا معاوية ثمّ نهض و خرج من عنده ، فأتبعه بالمال فقال : لا و اللّه لا أقبل منك دينارا واحدا . 70

بيان

قال ابن ميثم : الأميران [71] هما زياد بن النضر و شريح بن هاني . و ذلك أنّه حين بعثهما على مقدّمة له في اثنا عشر ألفا لقيا [72] أبا الأعور السلميّ في جند من أهل

[68] في المصدر بعد ذلك : له قول في الفتيا و كان 1 ه .

----

(69) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 42 ، ط بيروت .

----

(70) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 42 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 176 180 .

[71] في المصدر : الأميران المشار اليهما ، هما . . .

[72] في المصدر : التقيا .

[46]

الشام فكتبا إليه يعلمانه بذلك . فأرسل إلى الأشتر فقال له : « يا مال و إنّ زياد بن النضر و شريحا أرسلا إليّ يعلماني أنّهما لقيا أبا الأعور السلميّ في جند من أهل الشام بسور الرّوم ، فنبّأني الرّسول أنّه تركهم متوافقين ، فالتجيء إلى أصحابك التجاء و إذا [73] أتيتهم فأنت عليهم . و إيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدؤوك حتّى تلقاهم و تسمع منهم ، و لا يجر منّك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار اليهم مرّة بعد مرّة . و اجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك شريحا ، وقف من أصحابك وسطا و لا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب الناس حتّى أقدم إليك ، فإنّي حثيث السير إليك إن شاء اللّه . و كتب إليهما : « أمّا بعد ، فإنّي أمّرت عليكما . . . » 74 إلى آخر الكتاب .

و « الحيّز » الناحية . و « السقطة » الزلّة . و « الأمثل » الأفضل . 75

14 و من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين

لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم ، فإنّكم بحمد الله على حجّة ، و ترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أخرى لكم عليهم . فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا ، و لا تصيبوا معورا (3399) ، و لا تجهزوا (3400) على جريح ، و لا تهيجوا النّساء بأذى ، و إن شتمن أعراضكم ، و سببن

[73] في المصدر : فإذا .

----

(74) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 381 .

----

(75) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 478 ، ط كمپانى و ص 442 ، ط تبريز .

امراءكم ، فإنّهنّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول ، إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ و إنّهنّ لمشركات ، و إن كان الرّجل ليتناول المرأة في الجاهليّة بالفهر (3401) أو الهراوة (3402) فيعيّر بها و عقبه من بعده .

إيضاح

قال ابن ميثم رحمه الله : روي أنّه عليه السلام كان يوصي أصحابه في كلّ موطن يلقون العدوّ فيه بهذه الوصية . و زاد بعد قوله : « و لا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا لهم عورة و لا تمثلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سرّا و لا تدخلوا دارا إلاّ بإذن ، و لا تأخذوا شيئا من أموالهم و لا تهيجوا النساء . . . إلى آخر ما مرّ . » قوله عليه السلام « حجّة أخرى » قال ابن ميثم : من وجهين :

أحدهما أنّه دخول في حرب الله و حرب رسوله لقوله صلّى الله عليه و آله :

« يا عليّ حربك حربي » و تحقق سعيهم في الأرض بالفساد بقتلهم النفس الّتي حرّم الله ، فتحقّق دخولهم في عموم قوله تعالى : إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا الآية . 76 و ثانيها دخولهم في قوله تعالى : فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ . 77 قوله عليه السلام « و لا تصيبوا معورا » قال ابن ميثم : « أعور الصيد » أمكن من نفسه ، و « أعور الفارس » ظهر فيه موضع خلل للضرب . ثم قال : أي لا تصيبوا الّذي أمكنتكم الفرصة في قتله بعد انكسار العدوّ كالمعور من الصيد . 78 و قال ابن أبي الحديد : هو الّذي يعتصم منك في الحرب بإظهار عورته لتكفّ عنه . و يجوز أن يكون المعور هنا المريب الّذي يظنّ أنّه من القوم و أنّه حضر للحرب و

----

(76) المائدة : 33 .

----

(77) البقرة : 194 .

----

(78) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 383 .

ليس منهم لعلّه حضر لأمر آخر . 79 و قال في النهاية : كلّ عيب و خلل في شيء فهو « عورة » ، و منه حديث عليّ عليه السلام « و لا تصيبوا معورا » . « أعور الفارس » إذا بدا فيه موضع خلل للضرب .

و « إن » في قوله عليه السلام « إن كنّا » مخفّفة من المثقّلة ، و كذا في قوله « و إن كان » . و الواو في قوله « و إنّهنّ » للحال . و « الفهر » بالكسر الحجر ملأ الكفّ و قيل مطلقا . و « الهراوة » بالكسر العصا ، و التناول بهما كناية عن الضرب بهما . و قوله عليه السلام « و عقبه » عطف على الضمير المستكنّ المرفوع في فيعيّر و لم يؤكّد للفصل بقوله بها كقوله تعالى : مَا أَشْرَكْنَا وَ لاَ آبَاؤُنَا (الأنعام : 148) . 80

15 و من دعاء له عليه السلام كان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محاربا :

اللّهمّ إليك أفضت (3403) القلوب ، و مدّت الأعناق ، و شخصت الأبصار ، و نقلت الأقدام ، و أنضيت (3404) الأبدان . اللّهمّ قد صرّح مكنون الشّنآن (3405) ، و جاشت (3406) مراجل (3407) الأضغان (3408) . اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا ، و كثرة عدوّنا ، و تشتّت أهوائنا « ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ ، و أنت خير الفاتحين » .

----

(79) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 104 ، ط بيروت .

----

(80) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 626 ، ط كمپانى و ص 576 ، ط تبريز .

بيان

قال الخليل في العين : « أفضى فلان إلى فلان » أي وصل إليه ، و أصله أنّه صار في فضائه . و قال ابن أبي الحديد : « أفضت القلوب » أي دنت و قربت و يجوز أن يكون « أفضت » أي يسرها فحذف المفعول . 81 انتهى .

و يحتمل أن يكون من « أفضيت » إذا خرجت إلى الفضاء ، أي خرجت إلى فضاء رحمتك بسؤالك . و « شخص بصره فهو شاخص » إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف .

و « أنضيت الأبدان » أي أهزلت ، و منه « النضو » و هو البعير المهزول و « صرّح » أي انكشف . و « الشنآن » البغضة . و « جاشت القدر » أي غلت ، و « المراجل » القدور . و « تشتّت أهوائنا » أي تفرّق آرائنا و اختلاف آمالنا .

و قال في النهاية : « فتح الحاكم بين الخصمين » إذا فصل بينهما ، و « الفاتح » الحاكم . 82

16 و كان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب :

لا تشتدّنّ عليكم فرّة بعدها كرّة (3409) ، و لا جولة بعدها حملة ،

و أعطوا السّيوف حقوقها ، و وطّنوا للجنوب مصارعها (3410) ، و اذمروا (3411) أنفسكم على الطّعن الدّعسيّ (3412) ، و الضّرب الطّلحفيّ (3413) ، و أميتوا الأصوات (3414) ، فإنّه أطرد للفشل . فو الّذي فلق الحبّة ، و برأ

----

(81) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 112 ، ط بيروت .

----

(82) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 627 ، ط كمپانى و ص 578 ، ط تبريز .

النّسمة ، ما أسلموا و لكن استسلموا ، و أسرّوا الكفر ، فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه .

بيان

« لا تشتدّنّ عليكم » أي لا تستصعبوا و لا يشقّ عليكم فرار بعده رجوع إلى الحرب . و « الجولة » الدوران في الحرب ، و « الجائل » الزائل عن مكانه و هذا حضّ لهم على أن يكرّوا و يعودوا الى الحرب إن وقعت عليهم كرّة ، و المعنى : إذا رأيتم المصلحة في الفرار لجذب العدوّ إلى حيث تتمكّنوا منه فلا تشتدّ عليكم و لا تعدّوه عارا . و « وطّنوا للجنوب مصارعها » و في بعض النسخ بالنون أي اجعلوا مصارع الجنوب و مساقطها وطنا لها أو وطيئا لها أي استعدّ و السقوط على الأرض و القتل ، كناية عن العزم على الحرب و عدم الاحتراز عن مفاسدها .

و قال الجوهري : « ذمرته ذمرا » حثثته . و قال ابن أبي الحديد : « الطعن الدعسيّ » الّذي يحثى أجواف الأعداء ، و أصل الدعس الحشو ، يقال : « دعست الوعاء » أي حشوته . و « ضرب طلحفيّ » بكسر الطآء و فتح اللام أي شديد و اللاّم زائدة و الياء للمبالغة . 83 و « أميتوا الأصوات » أي لا تكثروا الصياح . و « الفشل » الفزع و الجبن و الضعف . « و لكن استسلموا » أي انقادوا خوفا من السيف . 84

17 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ، جوابا عن كتاب منه إليه

و أمّا طلبك إليّ الشّام فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس .

----

(83) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 114 ، ط بيروت .

----

(84) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 626 ، ط كمپاني و ص 577 ، ط تبريز .

[51]

و أمّا قولك : إنّ الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت ،

ألا و من أكله الحقّ فإلى الجنّة ، و من أكله الباطل فإلى النّار . و أمّا استواؤنا في الحرب و الرّجال فلست بأمضى على الشّكّ منّي على اليقين ،

و ليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة .

و أمّا قولك : إنّا بنو عبد مناف ، فكذلك نحن ، و لكن ليس أميّة كهاشم ، و لا حرب كعبد المطّلب ، و لا أبو سفيان كأبي طالب ، و لا المهاجر (3415) كالطّليق (3416) ، و لا الصّريح (3417) كاللّصيق (3418) ، و لا المحقّ كالمبطل ، و لا المؤمن كالمدغل (3419) . و لبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنّم .

و في أيدينا بعد فضل النّبوّة الّتي أذللنا بها العزيز ، و نعشنا (3420) بها الذّليل . و لمّا أدخل اللّه العرب في دينه أفواجا ، و أسلمت له هذه الأمّة طوعا و كرها ، كنتم ممّن دخل في الدّين : إمّا رغبة و إمّا رهبة ، على حين فاز أهل السّبق بسبقهم ، و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم . فلا تجعلنّ للشّيطان فيك نصيبا ، و لا على نفسك سبيلا ، و السّلام .

[52]

18 و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن عباس و هو عامله على البصرة

و اعلم أنّ البصرة مهبط إبليس ، و مغرس الفتن ، فحادث أهلها بالإحسان إليهم ، و احلل عقدة الخوف عن قلوبهم .

و قد بلغني تنمّرك (3421) لبني تميم ، و غلظتك عليهم ، و إنّ بني تميم لم يغب لهم نجم (3422) إلاّ طلع لهم آخر (3423) ، و إنّهم لم يسبقوا بوغم (3424) في جاهليّة و لا إسلام ، و إنّ لهم بنا رحما ماسّة ،

و قرابة خاصّة ، نحن مأجورون على صلتها ، و مأزورون على قطيعتها .

فاربع (3425) أبا العبّاس ، رحمك اللّه ، فيما جرى على لسانك و يدك من خير و شرّ فإنّا شريكان في ذلك ، و كن عند صالح ظنّي بك ،

و لا يفيلنّ (3426) رأيي فيك ، و السّلام .

تبيين

قال ابن ميثم رحمه اللّه : روي أنّ ابن عبّاس كان قد أضرّببني تميم حين ولّي أمر البصرة من قبل عليّ عليه السلام للّذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لأنّهم كانوا من شيعة طلحة و الزبير و عايشة ، فحمل عليهم ابن عبّاس فأقصاهم و تنكّر عليهم و عيّرهم بالجمل حتّى كان يسمّيهم شيعة الجمل و أنصار عسكر و هو اسم جمل عائشة و حزب الشيطان . فاشتدّ ذلك على نفر من شيعة عليّ عليه السلام من بني تميم منهم حارثة ابن قدامة و غيره . فكتب بذلك حارثة إلى عليّ عليه السلام يشكو اليه ابن عبّاس فكتب عليه السلام إلى ابن عبّاس :

أمّا بعد ، فإنّ خير الناس عند اللّه غدا أعملهم بطاعته فيما عليه و له ، و أقواهم بالحقّ و إن كان مرّا . ألا بالحقّ قامت السماوات و الأرض فيما بين العباد ، فلتكن سريرتك فعلا و ليكن حكمك واحدا و طريقتك مستقيمة . و اعلم أنّ البصرة مهبط إبليس و مغرس الفتن . . . 85 إلى آخر ما مرّ . قوله عليه السلام « فيما بين العباد » حال عن الحقّ أو ظرف للقيام لكونه عبارة عمّا ينفع العباد و يصير سببا لانتظام أمورهم . « فلتكن سريرتك فعلا » أي لا تضمر خلاف ما تفعل و لا تخدع الناس .

قوله عليه السلام « و مغرس الفتن » ، قال ابن أبي الحديد : أي موضع غرسها ، و يروى بالعين المهملة و هو الموضع الّذي ينزل فيه القوم آخر الليل . « فحادث أهلها » أي تعهدهم بالإحسان . 86 قال في النهاية فيه : « حادثوا هذه القلوب بذكر اللّه » أي أجلوها و اغسلوا الدرن عنها و تعاهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال .

و في الصحاح قال الأصمعي : « تنمّر له » أي تنكّر له و تغيّر و أوعده لأنّ النمر لا تلقاه أبدا إلاّ متنكّرا غضبان . و « تنمّروا » تشبّهوا بالنمر . « لم يغب لهم نجم » أي لم يمت لهم سيّد إلاّ قام آخر مقامه .

و قال ابن ميثم [87] : « الوغم » الترة و « الأوغام » الترات ، أي لم يهدر لهم دم في جاهلية و لا في إسلام ، يصفهم بالشجاعة و الحميّة 88 . فالمضاف محذوف أي لم يسبقوا بشفاه حقد من عدوّ . و يحتمل أن يكون المعنى أنّهم لم يسبقهم أحد إلى الترات و الأحقاد لشرف نفوسهم بقلّة احتمالهم للأذى و ذلك لأنّ المهين الحقير في نفسه

----

(85) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 395 .

----

(86) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 125 ، ط بيروت .

[87] إنّ هذا القول لابن أبي الحديد ، و قد ورد هنا سهوا من قبل المصنّف رحمه اللّه . و أمّا كلام ابن ميثم يكون من جملة « لم يسبقوا بشفاه . . . » إلى جملة « . . . بن مضر . »

----

(88) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 126 ، ط بيروت .

لا يكاد يغضب و يحقد بما يفعل به من الأذى و إن غضب في الحال إلاّ أنّه لا يدوم ذلك الغضب و لا يصير حقدا أو لم يسبقهم أحد و لم يغلب عليهم بالقهر و البطش و في وصفهم بذلك إشارة إلى وجه المصلحة في الإحسان إليهم مع نوع من المدح و الاستمالة لهم .

« الرحم الماسّة » لاتّصالهم عند اليأس بن مضر . 89 و قال ابن أبي الحديد : « مأزورون » أصله موزورون و لكنّه جاء بالهمزة ليحاذى بها همزة مأجورون . 90 قوله عليه السلام « فاربع » أي توقّف و تثبّت فيما تفعل . و المراد بالشرّ الضرر لا الظلم و إن احتمله . قوله عليه السلام « فإنّا شريكان » هو كالتعليل لحسن أمره بالتثبّت لأنّه لمّا كان واليا من قبله فكلّ حسنة أو سيّئة يحدثها في ولايته فله عليه السلام شركة في احداثها إذ هو السبب البعيد . و أبو العبّاس كنية ابن عبّاس .

و بعد كلام قال الجوهري : « قال الرأي يفيل فيولة » و « رجل فال » أي ضعيف الرأي ، مخطئ الفراسة . 91

19 و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أمّا بعد ، فإنّ دهاقين (3427) أهل بلدك شكوا منك غلظة و قسوة ،

و احتقارا و جفوة ، و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا (3428) لشركهم ،

----

(89) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 397 .

----

(90) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 126 ، ط بيروت .

----

(91) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 633 ، ط كمپاني و ص 584 ، ط تبريز .

[55]

و لا أن يقصوا (3429) و يجفوا (3430) لعهدهم ، فالبس لهم جلبابا من اللّين تشوبه (3431) بطرف من الشّدّة ، و داول (3432) لهم بين القسوة و الرّأفة ، و امزج لهم بين التّقريب و الإدناء ، و الإبعاد و الإقصاء .

إن شاء اللّه .

بيان

« الدهقان » بالضم و الكسر ، رئيس القرية و هو معرّب . و « القسوة » الصلابة . و « الجفوة » نقيض الصّلة .

قوله عليه السلام « فلم أرهم » أي لا تقربهم إليك قربا كاملا لشركهم و لا تبعد هم عنك بعدا كاملا لأنّهم معاهدون و أهل الذمّة فعاملهم بين المعاملتين . و « الجلباب » الإزار و الرداء أو الملحفة أو المقنعة . و « الطرف » بالتحريك ، الطائفة من الشيء . و « المداولة » المنادبة ، أي كن قاسيا مرّة ، ليّنا أخرى . 92

20 و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه و هو خليفة عامله عبد اللّه بن عباس على البصرة ،

و عبد اللّه عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها و على كور الأهواز (3433) و فارس و كرمان و غيرها :

و إنّي أقسم باللّه قسما صادقا ، لئن بلغني أنّك خنت من فيء (3434) المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا ، لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر (3435) ، ثقيل الظّهر (3436) ، ضئيل الأمر (3437) ، و السّلام .

----

(92) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 583 ، ط تبريز .

[56]

إيضاح

قال ابن ميثم : « زياد » هو ابن سمية أمّ أبي بكرة دعيّ أبي سفيان .

و روي أنّ أول من دعاه « ابن أبيه » عائشة حين سئلت لمن يدعى و كان كاتب المغيرة بن شعبة ثمّ كتب لأبي موسى ، ثمّ كتب لابن عامر ، ثمّ كتب لابن عباس و كان مع عليّ عليه السلام فولاّه فارس ، و كتب إليه معاوية يهدّده . فكتب إليه :

« أتوعّدني و بيني و بينك ابن أبي طالب ، أما و اللّه لئن وصلت إليّ لتجدني أحمز ضرابا بالسيف . » ثمّ ادّعاه معاوية أخا له و ولاّه بعد أمير المؤمنين عليه السّلام البصرة و أعمالها و جمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين . 93 و كان أوّل من جمعا له .

و قال الجوهري : « الكورة » المدينة و الصقع ، و الجمع « كور » . و قال :

« الفارس » الفرس و بلادهم . و قال : « الشّدّة » بالفتح ، الحملة الواحدة . و قال :

« الوفر » المال الكثير ، أي تفقرك بأخذ ما أخذت من أموال المسلمين ثقيل الظهر بالأوزار و التبعات . و قيل : كناية عن الضعف و عدم النهوض لما يحتاج إليه .

« و الضئيل » الحقير ، أي تسلب جاهك بسلب مالك . 94

21 و من كتاب له عليه السلام إلى زياد أيضا

فدع الإسراف مقتصدا ، و اذكر في اليوم غدا ، و أمسك من لمال بقدر ضرورتك ، و قدّم الفضل (3438) ليوم حاجتك .

----

(93) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 399 .

----

(94) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 633 ، ط كمپانى و ص 583 ، ط تبريز .

[57]

أترجو أن يعطيك اللّه أجر المتواضعين و أنت عنده من المتكبّرين و تطمع و أنت متمرّغ في النّعيم (3439) ، تمنعه الضّعيف و الأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدّقين ؟ و إنّما المرء مجزيّ بما أسلف (3440) و قادم على ما قدّم ، و السّلام .

بيان

« الإسراف » التبذير ، و قيل : ما أنفق في غير طاعة ، و قيل : مجاورة القصد و الاقتصاد . و « القصد » التوسط في الأمور .

و في النهاية : « التمرّغ » في التراب . و قال : « الأرامل » المساكين من نساء و رجال و يقال لكلّ واحد من الفريقين على انفراده « أرامل » و هو بالنساء أخصّ و أكثر استعمالا ، الواحدة « أرمل و أرملة » . فالأرمل الّذي ماتت زوجته و الأرملة الّتي مات زوجها سواء كانا غنيّين أو فقيرين . انتهى . و « أن يوجب » مفعول تطمع . 95

22 و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن العباس رحمه اللّه تعالى ، و كان عبد اللّه يقول : « ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، كانتفاعي بهذا الكلام »

أمّا بعد ، فإنّ المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته (3441) ، و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه (3442) ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، و ليكن أسفك على ما فاتك منها ، و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا ، و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا ، و ليكن

----

(95) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 633 ، ط كمپانى و ص 584 ، ط تبريز .

همّك فيما بعد الموت .

بيان

أول الكلام إشارة إلى قوله تعالى : مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّه يَسِيرٌ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَيكُمْ وَ اللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . 96 و « الدرك » محرّكة لحاق الشيء و الوصول إليه بعد طلبه . و اسم « لم يكن » ضمير المرء ، و الغرض عدم الإكثار في الفرح بالنعم بحيث يؤدّي إلى الاغترار بالدنيا و الغفلة عن العقبى و عدم الحزن المفرط في المصيبة بحيث يفضي إلى عدم الرضا بالقضاء و ترك ما يجب أو يستحبّ فعله . قوله عليه السلام « بما نلت من آخرتك » أي من أسباب آخرتك ، و الطاعات الّتي توجب حصول الدرجات الأخروية . و « لا تأس » أي لا تحزن . 97

23 و من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه :

وصيّتي لكم : أن لا تشركوا باللّه شيئا ، و محمّد صلّى اللّه عليه و آله فلا تضيّعوا سنّته . أقيموا هذين العمودين ، و أوقدوا هذين المصباحين ، و خلاكم ذمّ (3443) أنا بالأمس صاحبكم ، و اليوم عبرة لكم ، و غدا مفارقكم . إن

----

(96) الحديد : 22 و 23 .

----

(97) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 634 ، ط كمپانى و ص 585 ، ط تبريز .

أبق فأنا وليّ دمي ، و إن أفن فالفناء ميعادي ، و إن أعف فالعفو لي قربة ، و هو لكم حسنة ، فاعفوا : « ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم » .

و اللّه ما فجأني من الموت وارد كرهته ، و لا طالع أنكرته ، و ما كنت إلاّ كقارب (3444) ورد ، و طالب وجد ، « و ما عند اللّه خير للأبرار » . قال السيد الشريف رضي اللّه عنه : أقول : « و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب ، إلا أن فيه ها هنا زيادة أوجبت تكريره » .

بيان

قال الجزري في حديث عليّ عليه السلام : « خلاكم ذمّ ما لم تشردوا » يقال : « افعل ذلك و خلاك ذمّ » أي أعذرت و سقط عنك الذّم .

قال ابن أبي الحديد : لقائل أن يقول : إذا أوصاهم بالتوحيد و اتّباع سنّة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فقد دخل فيهما جميع ما يجب أن يفعل ، ففي أيّ شيء يقول : « و خلاكم ذمّ » ؟ و الجواب أنّ كثيرا من الصحابة و التابعين كانوا قد كلّفوا أنفسهم أمورا شاقّة جدّا ، فمنهم من كان يقوم الليل كلّه ، و منهم من كان يصوم الدهر كلّه ، و منهم تارك النكاح ، و منهم تارك المطاعم و الملابس ، و كانوا يتفاخرون بذلك و يتنافسون ،

فأراد [عليّ] عليه السلام أنّ المهمّ الأعظم القيام بالتوحيد و السنن المؤكّدة المعلومة من دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و لا عليكم بالاخلال بما عدا ذلك .

و قال الخليل : « القارب » طالب الماء ليلا . 98

----

(98) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 42 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 255 256 . و راجع أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 142 143 ، ط بيروت .

24 و من وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين :

هذا ما أمر به عبد اللّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله ،

ابتغاء وجه اللّه ، ليولجه (3445) به الجنّة ، و يعطيه به الأمنة (3446) .

منها : فإنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف ،

و ينفق منه بالمعروف ، فإن حدث بحسن حدث (3447) و حسين حيّ ،

قام بالأمر بعده ، و أصدره (3448) مصدره .

و إنّ لابني فاطمة من صدقة عليّ مثل الّذي لبني عليّ ، و إنّي إنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه اللّه ، و قربة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، و تكريما لحرمته ، و تشريفا لوصلته (3449) .

و يشترط على الّذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله (3450) ،

و ينفق من ثمره حيث أمر به و هدي له ، و ألاّ يبيع من أولاد نخيل هذه القرى وديّة (3451) حتّى تشكل أرضها غراسا .

و من كان من إمائي اللاّتي أطوف عليهنّ (3452) لها ولد ، أو هي حامل ، فتمسك على ولدها و هي من حظّه ، فإن مات ولدها و هي حيّة فهي عتيقة ، قد أفرج عنها الرّق ، و حرّرها العتق .

قال الشريف ، قوله عليه السلام في هذه الوصية : « و ألا يبيع من نخلها ودية » ،

الوديّة : الفسيلة ، و جمعها وديّ . و قوله عليه السلام : « حتى تشكل أرضها غراسا » هو من أفصح الكلام ، و المراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها .

بيان

قوله عليه السلام « بالمعروف » أي من غير إسراف و تقتير . قوله « في المعروف » أي في وجوه البرّ . و الضمير في قوله « مصدره » إمّا راجع إلى الأمر أو إلى الحسن عليه السلام . قوله « أن يترك المال على أصوله » كناية عن عدم إخراجه ببيع أو هبة أو غيرهما من وجوه الاملاك . و « الوديّة » النخلة الصغيرة . 99

25 و من وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

قال الشريف : و إنما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ، و يشرع أمثلة العدل ، في صغير الأمور و كبيرها و دقيقها و جليلها . انطلق على تقوى اللّه وحده لا شريك له ، و لا تروّعنّ (3453) مسلما و لا تجتازنّ (3454) عليه كارها ، و لا تأخذنّ منه أكثر من حقّ اللّه في ماله ، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ،

ثمّ امض إليهم بالسّكينة و الوقار ، حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم ،

و لا تخدج بالتّحيّة لهم (3455) ، ثمّ تقول : عباد اللّه ، أرسلني إليكم

----

(99) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 42 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 256 .

[62]

وليّ اللّه و خليفته ، لآخذ منكم حقّ اللّه في أموالكم ، فهل للّه في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه . فإن قال قائل : لا ، فلا تراجعه ،

و إن أنعم (3456) لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه (3457) أو ترهقه (3458) فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة ، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه ، فإنّ أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلّط عليه و لا عنيف به . و لا تنفّرنّ بهيمة و لا تفزعنّها ، و لا تسوءنّ صاحبها فيها ، و اصدع (3459) المال صدعين ثمّ خيّره (3460) ، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره . ثمّ اصدع الباقي صدعين ، ثمّ خيّره ، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره . فلا تزال كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللّه في ماله ، فاقبض حقّ اللّه منه . فإن استقالك فأقله (3461) ، ثمّ اخلطهما ثمّ اصنع مثل الّذي صنعت أوّلا حتّى تأخذ حقّ اللّه في ماله . و لا تأخذنّ عودا (3462) و لا هرمة (3463) و لا مكسورة و لا مهلوسة (3464) ، و لا ذات عوار (3465) ، و لا تأمننّ عليها إلاّ من تثق بدينه ، رافقا بمال المسلمين حتّى يوصّله إلى وليّهم فيقسمه بينهم ، و لا توكّل بها إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا ، غير معنف و لا مجحف (3466) ، و لا ملغب (3467) و لا متعب . ثمّ احدر (3468) إلينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر اللّه به ، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألاّ يحول بين ناقة و بين فصيلها (3469) ، و لا يمصر (3470) لبنها

[63]

فيضرّ ذلك بولدها ، و لا يجهدنّها ركوبا ، و ليعدل بين صواحباتها في ذلك و بينها ، و ليرفّه على اللاّغب (3471) ، و ليستأن (3472) بالنّقب (3473) و الظّالع (3474) ، و ليوردها ما تمرّ به من الغدر (3475) ،

و لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق (3476) ، و ليروّحها في السّاعات ، و ليمهلها عند النّطاف (3477) و الأعشاب ، حتّى تأتينا بإذن اللّه بدّنا (3478) منقيات (3479) ، غير متعبات و لا مجهودات (3480) ،

لنقسمها على كتاب اللّه و سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله فإنّ ذلك أعظم لأجرك ، و أقرب لرشدك ، إن شاء اللّه .

بيان

« على تقوى اللّه » حال ، أي مواظبا على التقوى و معتمدا عليها .

« و لا تروّعنّ » بالتخفيف و في بعض النسخ بالتشديد و « الروع » الخوف أو شدّته ،

يقال : « رعت فلانا كقتلت و روعته فارتاع » . قوله « و لا تجتازنّ » أي لا تمرّنّ ببيوت المسلمين و هم يكرهون مروركِ عليها و روي بالخاء المعجمة و الراء المهملة أي لا تقسم ماله و تختار أحد القسمين بدون رضاه و الضمير في « عليه » راجع إلى مسلما .

و « الحيّ » القبيلة . و من عادة العرب أن تكون مياههم بارزة عن بيوتهم .

قوله عليه السلام « و لا تخدج بالتحية » الباء زائدة و في بعض النسخ بدونها اي لا تنقصها من قولهم خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه . و « أنعم له » أي قال : نعم . قوله « أو تعسفه » أي لا تطلب منه الصدقة عسفا أي جبرا و ظلما و أصله الأخذ على غير الطريق . و قال الجوهري : يقال : « لا ترهقني لا أرهقك اللّه » أي لا تعسرني لا أعسرك اللّه من ذهب أو فضّة إذا وجبت عليه زكوة أحد النقدين أوخذ من زكوة الغلاّت نقدا إذا أعطاك القيمة . و المراد بالماشية هنا الغنم و البقر . و

[64]

« سؤت الرجل » أي ساءه ما رأى منّي . و « الصدع » الشقّ . و « العود » بالفتح ، المسنّ من الإبل . و « الهرمة » أيضا المسنّة لكنّها أكبر من العود . و « المكسورة » الّتي انكسرت إحدى قوائمها أو ظهرها . و « المهلوسة » المريضة الّتي قد هلسها المرض و أفنى لحمها و « الهلاس » السلّ . و « العوار » بفتح العين و قد يضمّ ، العيب .

قوله عليه السلام « و لا مجحف » أي الّذي يسوق المال سوقا عنيقا فيجحف به أي يهلكه أو يذهب بكثير من لحمه ، و يحتمل أن يكون المراد من يخون فيه و يستلبه . و « اللغوب » التعب و الإعياء . و « لغبت على القوم ألغب » بالفتح فيهما ،

أفسدت عليهم « و احدره » أرسله . و « أوعزت إليه في كذا و كذا » أي تقدّمت و « الفصيل » ولد النّاقة إذا فصل عن أمّه . « و المصر » حلب ما في الضرع جميعه ، و الفعل كنصر . و « الجهد » المشقّة يقال : « جهد دابّته أو جهدها » إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها . قوله عليه السلام « و ليعدل » أي لا يخصّ بالركوب واحدة بعينها ليكون ذلك أروح لهنّ . و قال الجوهري : « استأنى به » أي انتظر به و قال : « نقب البعير » بالكسر ، إذا دقّت أخفافه . و قال الجزري في حديث عليّ عليه السلام « و ليستأن بذات النقب و الظالع » أي بذات الجرب و العرجاء و « الظلع » بالسكون العرج . و « الغدر » جمع « غدير » الماء . « و ليروّحها » أي يتركها حتّى تستريح في الأوقات المناسبة لذلك أو من الرواح ضد الغدو ، أي يسيّرها في ساعات الرواح و يتركها في حرّ الشمس حتّى تستريح . و « النطاف » جمع النطفة و هي الماء الصافي القليل . و « البدّن » بالتشديد ، السمان ، واحدها « بادن » . و « النقى » مخّ العظم و شحم العين من السمن . « و أنقت الإبل » أي سمنت و صار فيه نقى و كذلك غيرها ذكره الجوهري .

أقول : أخرجته من الكافي 100 في كتاب احواله عليه السلام بتغيير ما . و رواه في كتاب الغارات 101 عن يحيى بن صالح عن الوليد بن عمرو عن عبد الرحمن بن سليمان عن

----

(100) فروع الكافي ، ج 3 ، كتاب الزكاة ، باب أدب المصدّق ، ص 536 538 .

----

(101) الغارات للثّقفي ، ج 1 ، ص 126 130 .

جعفر بن محمد عليه السلام قال : بعث عليّ عليه السلام مصدّقا من الكوفة إلى ناديتها ، فقال : « عليك يا عبد اللّه بتقوى اللّه و لا تؤثرنّ دنياك على آخرتك و كن حافظا لما ائتمنتك عليه ، راعيا لحقّ اللّه حتّى تأتي نادى بني فلان ، فاذا قدمت عليهم فانزل بفنائهم من غير أن تخالط أبياتهم . » ثم ساق الحديث نحوا ممّا مرّ إلى قوله عليه السلام « و أقرب لرشدك فينظر اللّه إليها و إليك و إلى جهدك و نصيحتك لمن بعثك و بعثت في حاجته ، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال : ما نظر اللّه إلى وليّ يجهد نفسه لإمامه بالطاعة و النصيحة إلاّ كان معنا في الرفيق الأعلى » . 102

26 و من عهد له عليه السلام إلى بعض عماله و قد بعثه على الصدقة

أمره بتقوى اللّه في سرائر أمره و خفيّات عمله ، حيث لا شهيد غيره ، و لا وكيل دونه . و أمره ألاّ يعمل بشيء من طاعة اللّه فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ ، و من لم يختلف سرّه و علانيته ،

و فعله و مقالته ، فقد أدّى الأمانة ، و أخلص العبادة .

و أمره ألاّ يجبههم (3481) و لا يعضهم (3482) ، و لا يرغب عنهم (3483) تفضّلا بالإمارة عليهم ، فإنّهم الإخوان في الدّين ، و الأعوان على استخراج الحقوق .

----

(102) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 641 ، ط كمپانى و ص 591 ، ط تبريز .

و إنّ لك في هذه الصّدقة نصيبا مفروضا ، و حقّا معلوما ، و شركاء أهل مسكنة ، و ضعفاء ذوي فاقة ، و إنّا موفّوك حقّك ، فوفّهم حقوقهم ، و إلاّ تفعل فإنّك من أكثر النّاس خصوما يوم القيامة ،

و بؤسى (3484) لمن خصمه عند اللّه الفقراء و المساكين و السّائلون و المدفوعون ، و الغارمون و ابن السّبيل و من استهان بالأمانة ، و رتع في الخيانة ، و لم ينزّه نفسه و دينه عنها ، فقد أحلّ بنفسه الذّلّ و الخزي (3485) في الدّنيا ، و هو في الآخرة أذلّ و أخزى . و إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمّة ، و أفظع الغشّ غشّ الأئمّة ، و السّلام .

بيان

قوله عليه السلام « حيث لا شهيد » كأنّه اشارة إلى موضع أسرار العمل و إخفاء الأمور ، و قيل : يعني يوم القيامة . و « الشهيد » الشاهد و الحاضر . و « الوكيل » من يفوض إليه الأمور أو الشاهد و الحفيظ كما فسّر به قوله تعالى : وَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ 103 .

« فقد أدّى الأمانة » أي أمانة اللّه الّتي أخذها على العباد في عبادته .

« أن لا يجبههم » قال في النهاية : أي لا يواجههم بما يكرهونه ، و أصل الجبه لقاء الجبهة أو ضربها ، فلمّا كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبهته به ، سمّى ذلك جبها .

و قال الجوهري « عضهه عضها » رماه بالبهتان ، أي و قد أعضهت أي جئت بالبهتان . و « لا يرغب عنهم » أي عن مخالطتهم و معاشرتهم تحقيرا لهم . و قوله « أهل مسكنة » منصوب بكونه صفة (شركاء) و قيل : بدل . و « بؤسا » قال ابن أبي الحديد :

----

(103) القصص : 28 .

هو « بؤسى » على وزن « فعلى » ، و « البؤس » الخضوع و شدة الحاجة ، و النسخ بالتنوين . و كذا صحّحه الراوندي فيكون انتصابه على المصدر كما يقال : « سحقا لك و بعدا لك » .

و يقال : « خصمه » أي غلبه في الخصومة . و « السائلون » قيل : المراد بهم هنا الرقاب و هم المكاتبون يتعذّر عليهم مال الكتابة فيسألون . و قيل : هم الأسارى و قيل العبيد تحت الشدّة . و « المدفوعون » هم الّذين عناهم اللّه بقوله « في سبيل اللّه » و هم فقراء الغزاة و المدفوع الفقير لأنّ كل أحد يكرهه و يدفعه عن نفسه . و قيل : هم الحجيج المنقطع بهم لأنهم دفعوا عن إتمام حجّهم أو دفعوا عن العود إلى أهلهم و في بعض النسخ المدقعون بالقاف .

قال في القاموس : المدفع كمحسن الملصق بالدقعاء و هو التراب . و أما سهم العاملين فقد ذكره عليه السلام بقوله « و إنّا موفّوك حقّك » ، مع أنّ العامل لا يخاصم نفسه .

و أقول : هذه التكلّفات إنّما نحتاج إليها إذا حملنا الكلام على استيفاء الأقسام ،

و لا ضرورة فيه . فيمكن أن يكون المراد بالسائلين و المدفوعين الموصوفين بتلك الصفات من أصناف المستحقّين المصداقات . و « رتع » كمنع أي أكل و شرب ما شآء في خصب وسعة .

قوله عليه السلام « فقد أحلّ بنفسه » قال ابن أبي الحديد : أي جعل نفسه محلا للذلّ و الخزي ، و يروي « فقد أخلّ بنفسه » بالخاء المعجمة و لم يذكر الذلّ و الخزي ،

و معناه : جعل نفسه فقيرا ، يقال : « خلّ الرجل » إذا افتقر و « أخلّ به و بغيره » أي جعله فقيرا . و يروى « أحلّ بنفسه » بالحاء المهملة و لم يذكر الذلّ و الخزي ، أي أباح دمه .

و الرواية الأولى أصحّ لقوله عليه السلام بعدها : « و هو في الآخرة أذلّ و أخزى » .

قوله عليه السلام « خيانة الأمّة » مصدر مضاف إلى المفعول لأنّ الساعي إذا خاف فقد خان الأمّة كلّها ، و كذا إذا غشّ في الصدقة فقد غشّ الإمام . 104 و جوّز بعضهم أن

----

(104) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 162 ، ط بيروت .

يكون مضافا إلى الفاعل ، فالمراد حينئذ أنّ إغماض الأئمّة و ترك النهي عن مثل تلك الخيانة أفظع الغشّ ، فلا يطيع العاملون في الإغماض فيها . 105

27 و من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي اللّه عنه حين قلده مصر :

فاخفض لهم جناحك ، و ألن لهم جانبك ، و ابسط لهم وجهك ،

و آس (3486) بينهم في اللّحظة و النّظرة ، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم (3487) ، و لا ييأس الضّعفاء من عدلك عليهم ، فإنّ اللّه تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصّغيرة من أعمالكم و الكبيرة ،

و الظّاهرة و المستورة ، فإن يعذّب فأنتم أظلم ، و إن يعف فهو أكرم .

و اعلموا عباد اللّه أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدّنيا و آجل الآخرة ،

فشاركوا أهل الدّنيا في دنياهم ، و لم يشاركوا أهل الدّنيا في آخرتهم ، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت ، و أكلوها بأفضل ما أكلت ، فحظوا من الدّنيا بما حظي به المترفون (3488) ، و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون ، ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ ،

و المتجر الرّابح . أصابوا لذّة زهد الدّنيا في دنياهم ، و تيقّنوا أنّهم

----

(105) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 592 ، ط تبريز .

[69]

جيران اللّه غدا في آخرتهم . لا تردّ لهم دعوة ، و لا ينقص لهم نصيب من لذّة . فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه ، و أعدّوا له عدّته ،

فإنّه يأتي بأمر عظيم ، و خطب جليل ، بخير لا يكون معه شرّ أبدا ، أو شرّ لا يكون معه خير أبدا . فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها و من أقرب إلى النّار من عاملها و أنتم طرداء الموت ، إن أقمتم له أخذكم ، و إن فررتم منه أدرككم ، و هو ألزم لكم من ظلّكم .

الموت معقود بنواصيكم (3489) ، و الدّنيا تطوى من خلفكم . فاحذروا نارا قعرها بعيد ، و حرّها شديد ، و عذابها جديد . دار ليس فيها رحمة ، و لا تسمع فيها دعوة ، و لا تفرّج فيها كربة . و إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه ، و أن يحسن ظنّكم به ، فاجمعوا بينهما ،

فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه ، و إنّ أحسن النّاس ظنّا باللّه أشدّهم خوفا للّه .

و اعلم يا محمّد بن أبي بكر أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر ، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك (3490) ، و أن تنافح (3491) عن دينك ، و لو لم يكن لك إلاّ ساعة من الدّهر ، و لا تسخط اللّه برضى أحد من خلقه ، فإنّ في اللّه خلفا من غيره (3492) ، و ليس من اللّه خلف في غيره .

[70]

صلّ الصّلاة لوقتها المؤقّت لها ، و لا تعجّل وقتها لفراغ ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال . و اعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك .

و منه : فإنّه لا سواء ، إمام الهدى و إمام الرّدى ، و وليّ النّبيّ ،

و عدوّ النّبيّ . و لقد قال لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : « إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمنا و لا مشركا ، أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه ،

و أمّا المشرك فيقمعه (3493) اللّه بشركه . و لكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان (3494) . عالم اللّسان (3495) ، يقول ما تعرفون ، و يفعل ما تنكرون » .

بيان

قوله عليه السلام « و آس بينهم » قال في النهاية : « الأسوة و المواساة » المساهمة و المشاركة في المعاش و الرزق ، و أصلها الهمزة فقلبت واوا تخفيفا . و منه قوله عليه السلام « آس بينهم في اللحظة النظرة » أي اجعل كلّ واحد منهم أسوة خصمه .

و قال ابن أبي الحديد : نبّه بذلك على وجوب أن يجعلهم أسوة في جميع ما عدا ذلك من العطاء و الإنعام و التقريب كقوله تعالى : وَ لاَ تَقُلْ لَهُمَا : أُفٍّ 106 . و قال في قوله عليه السلام « في حيفك لهم » الضمير في لهم راجع إلى الرعيّة لا إلى العظماء ، و قد كان سبق ذكرهم في أوّل الخطبة ، أي حتّى لا يطمع العظماء في أن تتحيّف الرعيّة و تظلمهم و تدفع أموالهم إليهم ، و يجوز أن يرجع الضمير إلى العظماء ،

----

(106) الإسراء : 23 .

[71]

أي حتّى لا يطمع العظماء في جودك في القسم الّذي إنّما تفعله لهم و لأجلهم . 107 انتهى .

و « الحيف » يكون بمعنى الميل عن القصد و بمعنى الظلم و الثاني بالأوّل و الأوّل بالثاني أنسب .

قوله عليه السلام « فأنتم أظلم » أي من أن لا تعذبوا أولا تستحقّوا العقاب . « و إن يعف فهو أكرم » من أن لا يعفو أو يستغرب منه العفو ، أو المعنى أنّه سبحانه إن عذب فظلمكم أكثر من عذابه و لا يعاقبكم بمقدار الذنب ، و إن يعف فكرمه أكثر من ذلك العفو و يقدر على أكثر منه و ربّما يفعل أعظم منه . و قال ابن أبي الحديد : أي أنتم الظالمون كقوله تعالى : وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ 108 او كقولهم : « اللّه أكبر » . 109 و قال ابن ميثم : و يحتمل أن يكون قد سمّي ما يجازيهم من العذاب ظلما مجازا لمشابهة الظلم في الصورة كما في قوله تعالى : فَاعْتَدُوا بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ [110] فصدق إذن اسم التفضيل لابتدائهم بالمعصية . 111 انتهى .

و قوله « سكنوا الدنيا » بيان لقوله « ذهبوا » و قال ابن ميثم : و إنّما كان ما فعلوا أفضل لأنّهم استعملوها على الوجه الّذي ينبغي لهم و أمروا باستعمالها عليه . و ظاهر أنّ ذلك أفضل الوجوه ، و هو الأخذ من لذّات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم و حاجتهم ، بل نقول : إنّ لذّتهم بما استعملوا منها أتمّ و أكمل . و ذلك أنّ كلّ ما استعملوه من مأكول و مشروب و منكوح و مركوب إنّما كان عند الحاجة و الضرورة . و كلّما كانت الحاجة إلى الملذّ أتمّ كانت اللذّة أقوى و أعظم 112 .

----

(107) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 164 165 ، ط بيروت .

----

(108) الروم : 27 .

----

(109) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 165 ، ط بيروت .

[110] البقرة : 194 ، و أصل الآية : فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ .

----

(111) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 422 و 423 .

----

(112) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 422 و 423 .

[72]

أقول : و يحتمل أن تكون الأفضليّة باعتبار أنّ المتّقين لمّا كان مصروفهم من الحلال لا يخافون عليه عقابا و غيرهم لمّا كان ما ينتفعون به حراما أو مخلوطا يخشون العقوبة عليه و هذا ممّا يكدر عيشهم . و « عامل الجنّة » من يعمل الأعمال المؤدّية إليها و كذا « عامل النار » . و « الطرداء » بضمّ الطاء و فتح الراء جمع « طريد » أي يطردكم عن أوطانكم و يخرجكم منها . و قال في النهاية فيه : « كنت أطارد حيّة » أي أخادعها لأصيدها . و منه : « طراد الصيد » . قوله عليه السلام « معقود بنواصيكم » أي ملازم لكم . قوله عليه السلام « و إن أحسن الناس ظنّا » التلازم بينهما لكونهما لازمين للمعرفة ، فكلّما صارت المعرفة أكمل و العلم بجلالته سبحانه أتمّ ، كان حسن الظنّ و الخوف أبلغ . قوله عليه السلام أعظم أجنادي أو عساكري و أعواني أو أقاليمي و بلداني .

قال ابن أبي الحديد : يقال للأقاليم و الأطراف « أجناد » . 113 و قال الجوهري :

« الجند » الأعوان و الأنصار . و الشام خمسة أجناد : دمشق و حمّص و قنسرين و أردن و فلسطين ، يقال لكلّ مدينة منها جند . و الظاهر هو الأوّل لقوله « أهل مصر فأنت محقوق » أي حقيق و جدير . و قال في النهاية : « المنافحة » و المكافحة ، المدافعة و المضاربة ، و منه حديث عليّ عليه السلام « نافحوا بالظبي » أي قاتلوا بالسيف ، و أصله أن يقرب أحد المتقابلين من الآخر بحيث يصل نفح كلّ واحد منهما إلى صاحبه و هي ريحه و نفسه . و قال « اللّهم أعط كلّ منفق خلفا » أي عوضا . و المراد ب « إمام الرّدى » معاوية كقوله تعالى : وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ 114 و كذا هو المراد بعدوّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله . قال ابن أبي الحديد : لأنّ عدوّه عليه السلام عدوّ النبيّ لقوله صلّى اللّه عليه و آله « و عدوّك عدوّي و عدوّي عدوّ اللّه » . و لأنّ دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من أفعاله و فلتات لسانه كما عرفت . 115

----

(113) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 167 ، ط بيروت .

----

(114) القصص : 41 .

----

(115) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 655 ، ط كمپاني و ص 605 ، ط تبريز .

28 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا ، قال الشريف : و هو من محاسن الكتب

أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء اللّه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله لدينه ، و تأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه ، فلقد خبّأ لنا الدّهر منك عجبا (3496) ، إذ طفقت (3497) تخبرنا ببلاء اللّه (3498) تعالى عندنا ، و نعمته علينا في نبيّنا ، فكنت في ذلك كناقل التّمر إلى هجر (3499) ، أو داعي مسدّده (3500) إلى النّضال (3501) . و زعمت أنّ أفضل النّاس في الإسلام فلان و فلان ، فذكرت أمرا إن تمّ اعتزلك (3502) كلّه ، و إن نقص لم يلحقك ثلمه (3503) . و ما أنت و الفاضل و المفضول ، و السّائس و المسوس و ما للطّلقاء (3504) و أبناء الطّلقاء ،

و التّمييز بين المهاجرين الأوّلين ، و ترتيب درجاتهم ، و تعريف طبقاتهم هيهات لقد حنّ (3505) قدح ليس منها ، و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ألا تربع أيّها الإنسان على ظلعك (3506) ، و تعرف قصور ذرعك (3507) ، و تتأخّر حيث أخّرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ،

و لا ظفر الظّافر و إنّك لذهّاب (3508) في التّيه (3509) ، روّاغ (3510) عن القصد (3511)

ألا ترى غير مخبر لك ، و لكن بنعمة اللّه أحدّث أنّ قوما استشهدوا في سبيل اللّه تعالى من المهاجرين و الأنصار ، و لكلّ فضل ، حتّى إذا استشهد شهيدنا (3512) قيل : سيّد الشّهداء ، و خصّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه أ و لا ترى أنّ قوما قطّعت أيديهم في سبيل اللّه و لكلّ فضل حتّى إذا فعل بواحدنا (3513) ما فعل بواحدهم ، قيل : « الطّيّار في الجنّة و ذو الجناحين » و لولا ما نهى اللّه عنه من تزكية المرء نفسه ، لذكر ذاكر فضائل جمّة (3514) ، تعرفها قلوب المؤمنين ، و لا تمجّها (3515) آذان السّامعين .

فدع عنك من مالت به الرّميّة (3516) فإنّا صنائع ربّنا (3517) ، و النّاس بعد صنائع لنا . لم يمنعنا قديم عزّنا و لا عاديّ طولنا (3518) على قومك أن خلطناكم بأنفسنا ، فنكحنا و أنكحنا ، فعل الأكفاء (3519) ، و لستم هناك و أنّى يكون ذلك و منّا النّبيّ و منكم المكذّب (3520) ، و منّا أسد اللّه (3521) و منكم أسد الأحلاف (3522) ، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّة (3523) و منكم صبية النّار (3524) ، و منّا خير نساء العالمين (3525) ، و منكم حمّالة الحطب (3526) ، في كثير ممّا لنا و عليكم فإسلامنا قد سمع ، و جاهليّتنا لا تدفع (3527) ، و كتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا ، و هو قوله سبحانه و تعالى وَ أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

[75]

أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ و قوله تعالى : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ، فنحن مرّةً أولى بالقرابة ، و تارة أولى بالطّاعة . و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفة (3528) برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلجوا (3529) عليهم ، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم ، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم .

و زعمت أنّي لكلّ الخلفاء حسدت ، و على كلّهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فيكون العذر إليك .

و تلك شكاة (3530) ظاهر عنك عارها (3531) و قلت : إنّي كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش (3532) حتّى أبايع ،

و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت ، و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة (3533) في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا في دينه ، و لا مرتابا بيقينه و هذه حجّتي إلى غيرك قصدها ، و لكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح (3534) من ذكرها .

ثمّ ذكرت ما كان من أمري و أمر عثمان ، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه (3535) ، فأيّنا كان أعدى له (3536) ، و أهدى إلى

[76]

مقاتله (3537) أمن بذل له نصرته فاستقعده (3538) و استكفّه (3539) ، أم من استنصره فتراخى عنه و بثّ المنون إليه (3540) ، حتّى أتى قدره عليه . كلاّ و اللّه ل قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ (3541) مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً .

و ما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم (3542) عليه أحداثا (3543) ، فإن كان الذّنب إليه إرشادي و هدايتي له ، فربّ ملوم لا ذنب له .

و قد يستفيد الظّنّة (3544) المتنصّح (3545) و ما أردت « إلاّ الإصلاح ما استطعت ، و ما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكّلت و إليه أنيب » .

و ذكرت أنّه ليس لي و لأصحابي عندك إلاّ السّيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار (3546) متى ألفيت (3547) بني عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين (3548) ، و بالسّيف مخوّفين ؟ ف لبّث (3549) قليلا يلحق الهيجا (3550) حمل (3551) فسيطلبك من تطلب ، و يقرب منك ما تستبعد ، و أنا مرقل (3552) نحوك في جحفل (3553) من المهاجرين و الأنصار ، و التّابعين لهم

[77]

بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطع (3554) قتامهم (3555) ، متسربلين (3556) سرابيل الموت ، أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم ، و قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة (3557) ، و سيوف هاشميّة ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك و خالك و جدّك و أهلك (3558) « و ما هي من الظّالمين ببعيد » .

تبيين

قال ابن أبي الحديد بعد إيراد هذا الكتاب : سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد قلت [116] : أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني الى علي عليه السلام ، فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الّذي ذكره أرباب السيرة و أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين إذن غير صحيح و إن كان ذاك الجواب ، فهذا الجواب اذن غير صحيح و لا ثابت . فقال لي : بل كلاهما ثابت مرويّ و كلاهما كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و ألفاظه . ثمّ أمرني أن أكتب ما يمليه عليّ فكتبته . قال رحمه اللّه كان معاوية يتسقّط عليّا عليه السلام و يبغي [117] ما عساه يذكره من حال أبي بكر و عمرو إنّهما غصباه حقّه و لا يزال يكيده بالكتاب يكتبه و الرسالة يبعثها يطلب غرته لينفث بما في صدره من حال

ابي بكر و عمر إمّا مكاتبة أو مراسلة فيجعل ذلك حجّة عليه عند أهل الشام و يضيفه إلى ما قدره [118] في أنفسهم من ذنوبه [119] زعم فكان غمصه عندهم بأنّه قتل عثمان ، أو [120] مالأ على قتله و أنّه قتل طلحة و الزبير و آسر عايشة و أراق دماء أهل البصرة و بقيت خصلة واحدة و هو أن يثبت عندهم أنّه يبرأ [121] من أبي بكر و عمر ، و ينسبهما إلى الظلم و مخالفة الرسول في أمر الخلافة ، و أنّهما وثبا عليها غلبة و غصباه إيّاها . فكانت هذه تكون الطامة الكبرى و ليست مقتصرة على إفساد أهل الشام عليه ، بل و أهل العراق

[116] في المصدر : فقلت .

[117] في المصدر : ينعى عليه .

[118] في المصدر : قرّره .

[119] في المصدر : من ذنوبه كما زعم .

[120] في المصدر : و .

[121] في المصدر : تتبرّأ .

الّذين هم جنده و بطانته و أنصاره لأنّهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلاّ القليل الشاذّ من خواصّ الشيعة . فلمّا كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب عليّا و يخرجه [122] و يحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر و أنّه أفضل المسلمين إلى أن يرهن [123] خطّه في الجواب بكلمة تقتضي طعنا في أبي بكر ، فكان [124] مجمجما غير بيّن ليس فيه تصريح بالتظليم لهما و لا التصريح ببراءتهما ، و تارة يترحّم عليها ، و تارة يقول : أخذا [125] حقّي و قد تركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأوّل ليستفزّا فيه عليّا عليه السلام و يستخفّاه و يحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلّقان به في تقبيح حاله و تهجين مذهبه . و قال له عمرو : إنّ عليّا عليه السلام رجل نزق طيّاه [126] ، ما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر و عمر فاكتب . فكتب كتابا أنفذه إليه مع أبي إمامة الباهلي و هو من الصحابة بعد أن عزم على بعثه [127] مع أبي الدرداء . و نسخة الكتاب :

من عبد اللّه معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمّا بعد ، فإنّ اللّه تعالى جدّه اصطفى محمدا صلّى اللّه عليه و آله لرسالته و اختصّه بوحيه و تأدية شريعته فأنقذ به من العماية و هدى به من الغواية ثم قبضه إليه رشيدا خميدا قد بلّغ الشرع و محق الشرك و أخمد نار الإفك فأحسن اللّه جزاءه و ضاعف عليه نعمه و آلاءه ثمّ انّ اللّه سبحانه اختصّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله بأصحاب أيّدوه و آزروه و نصروه و كانوا كما قال اللّه سبحانه لهم : أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ 128 . فكان أفضلهم مرتبة و أعلاهم عند اللّه و المسلمين منزلة الخليفة الأوّل الّذي جمع الكلمة و لمّ الدعوة و قاتل أهل

[122] في المصدر : يحرجه .

[123] في المصدر : يخلط .

[124] في المصدر : فكان الجواب .

[125] في المصدر : أخذ .

[126] في المصدر : تيّاه .

[127] في المصدر : بعثته .

----

(128) الفتح : 29 .

الردة ثمّ الخليفة الثاني الّذي فتح الفتوح و مصر الأمصار و أذلّ رقاب المشركين . ثمّ الخليفة الثالث المظلوم الّذي نشر الملّة و طبق الآفاق بالكلمة الحنيفيّة ، فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه ، عدوت عليه فبغيته الغوائل و نصبت له المكائد و ضربت له بطن الأمر و ظهره و دسست عليه و أغربت به و قعدت حيث استنصرك عن نصرته و سألك أن تدركه قبل أن يمزّق ، فما أدركته و ما يوم المسلمين منك بواحد .

لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه و رمت إفساد أمره و قعدت في بيتك عنه و استغويت عصابة من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته ثمّ كرهت خلافة عمر و حسدته و استطلت مدّته و سررت بقتله و أظهرت الشماتة بمصابه ، حتّى أنّك حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه ثمّ لم تكن أشدّ حسدا منك لابن عمّك عثمان . نشرت مقابحه و طويت محاسنه ، و طعنت في فقهه ثمّ في دينه ثمّ في سيرته ثمّ في عقله و أغريت به السفهاء من أصحابك و شيعتك حتّى قتلوه بمحضر منك .

لا تدفع عنه بلسان و لا يد ، و ما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه و تلكأت في بيعته حتّى حملت إليه قهرا تساق بحزائم الإقتسار كما يساق الفحل المخشوش ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة و قتلة عثمان خلصاؤك و سمراءك (سجراءك خ ل) و المحدقون بك و تلك من أمانيّ النفوس و ضلالات الأهواء ، فدع اللّجاج و العنت 130 جانبا و ادفع إلينا قتلة عثمان 129 ، و أعدّ الأمر شورى بين المسلمين ليتّفقوا على من هو للّه رضا . فلا بيعة لك في أعناقنا و لا طاعة لك علينا و لا عتبى لك عندنا و ليس لك و لأصحابك عندي إلاّ السيف . و الّذي لا اله إلاّ هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا و حيث كانوا حتّى أقتلهم أو تلتحق روحي باللّه . فأمّا ما لا تزال تمنّ به من سابقتك و جهادك فإنّي وجدت اللّه سبحانه يقول : يَمُنُّونَ عَلَيْكَ اَنْ اَسْلَمُوا قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ اِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيكُمْ لِلْإِيمانِ اِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ 131 . و لو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتنانا على اللّه بعملها و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان

[129] في المصدر : شجراؤك .

[130] في المصدر : العبث .

----

(131) الحجرات : 17 .

على اللّه يبطل أجر الجهاد و يجعله ك صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ، وَ اللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . 132 قال النقيب أبو جعفر : فلمّا وصل هذا الكتاب إلى [عليّ] عليه السلام مع أبي امامة الباهلي ، كلّم أبا إمامة بنحو ممّا كلّم به أبا مسلم الخولاني و كتب معه هذا الجواب .

قال النقيب : و في كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم و ليس في ذلك هذه اللفظة . و إنّما فيه :

« حسدت الخلفاء و بغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشزر و قولك الهجر و تنفسك الصعداء إبطائك عن الخلفاء » .

قال : و إنّما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين و المشهور عندهم كتاب أبي مسلم ، فيجعلون هذه اللفظة فيه . و الصحيح أنّها في كتاب أبي إمامة ، إلاّ تراها عادت في الجواب و لو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه . انتهى كلام النقيب أبي جعفر . 133 أقول : إنما أوردت هذا الكتاب على كاتبه و ممليه أشدّ العذاب ليتّضح الجواب و ليظهر لكلّ عاقل كفر هذا المنافق المرتاب .

قوله عليه السلام « فلقد خبّأ لنا الدهر » قال في النهاية : « خبأت الشيء خبأ » إذا أخفيته . و « الخبأ » كلّ شيء غائب مستور . و لعلّ المعنى أن الدهر أخفى لنا من أحوالك شيئا عجبا لم نكن نظنّ ذلك حتّى ظهر منك . و يحتمل أن يكون على سبيل التجريد ، أي أنت أعجب الأشياء في الدهر كنت مخفيّا فظهرت ، من قبيل « لقيني منه أسد » . و قال ابن ميثم : و وجه العجب أنّه أخبر أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه و

----
(132) *البقرة : 264 .*

----
(133) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 184 188 ، ط بيروت .*

[81]

آله بحاله و ما أنعم اللّه به عليه مع علمهم البالغ بحاله و كونهم أولى بالأخبار عنها و ضرب له في ذلك مثلين . و أصل المثل الأوّل أنّ رجلا قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئا للربح فلم يجد فيها أكسد من التمر ، فاشترى بماله تمرا و حمله إلى هجر و ادّخره في البيوت ينتظر به السّعر . فلم يزدد الا رخصا حتّى فسد جميعه و تلف ماله ، فضرب مثلا لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه . و « هجر » معروفة بكثرة التمر حتّى أنّه ربّما يبلغ سعر خمسين جلّة بدينار . و وزن الجلّة مائة رطل ، فذلك خمسة آلاف رطل ، و لم يسمع ذلك في غيرها من البلاد . و الثاني أنه شبهه بداعي مسدّده و أستاده في الرّمي إلى المراماة و مسدّده أولى بأن يدعوه إلى ذلك . قوله عليه السلام « إن تمّ اعتزلك كلّه » أي تباعد عنك . و المعنى : ذكرت أمرا إن تمّ لم ينفعك و ان نقص لم يضرّك ، بل لا تعلّق له بك أصلا . « الثلمة » الخلل في الحائط و غيره . و « السياسة » القيام على الشيء بما يصلحه و ليس في هذا الكلام شهادة منه عليه السلام على فضل الخلفاء لما عرفت من المصلحة في هذا الإجمال .

و قال في النهاية : أصل « الحنين » ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها ، و منه كتاب عليّ عليه السلام إلى معاوية : « حنّ قدح ليس منها » هو مثل يضرب لرجل ينتمي إلى نسب ليس منه أو يدعى ما ليس منه في شيء . و « القدح » بالكسر ، أحد سهام الميسر ، فإذا كان من غير جوهر إخوانه ثمّ حرّكها المفيض بها خرج له صوت يخالف أصواتها يعرف به . و قال الزمخشري في المستقصى : القداح الّتي يضرب بها تكون من نبع ، فربّما ضاع منها قدح فينحت على مثاله من غرب أو غيره آخر بالعجلة فإذا احتكّ معها صوت صوتا لا يشابه أصواتها فيقال ذلك . ثم ضربه عمر لعقبة بن أبي معيط حين أمر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بضرب عنقه يوم بدر فقال : أأقتل من بين قريش ؟

أراد عمر أنّك لست من قريش . و قيل في بني الحنان و هم بطن من بلحرث ، إنّ جدّهم ألقى قدحا في قداح قوم يضربون بالميسر و كان يضرب لهم رجل أعمى . فلما وقع قدحه في يده قال : « حنّ قدح ليس منها » فلقب الحنان لذلك يضرب لمنتحل نسبا أو فضلا انتهى .

[82]

قوله عليه السلام « يحكم فيها » أي في هذه القصّة أو القضيّة من كان الحكم لها عليه لاله ، و يجوز إرجاع الضمير إلى الطبقات .

و قال ابن ميثم : يضرب لمن يحكم على قوم و فيهم ، و هو من أراذلهم و ليس للحكم باهل بل هم أولى منه به . 134 و قال الجوهري : يقال : « اربع على نفسك و اربع على ظلعك » أي ارفق بنفسك و كفّ . يقال : « ظلعت الأرض بأهلها » أي ضاقت بهم من كثرتهم . و يقال : « ارق على ظلعك » أي اربع على نفسك و لا تحمل عليها أكثر ممّا تطيق .

و قال في النهاية فيه : إنّه لا يربع على ظلعك . « الظلع » بالسكون ، العرج .

و المعنى : لا يقيم عليك في حال ضعفك . و « ربع في المكان » إذا أقام به . و في الصحاح :

أصل « الذراع » إنّما هو بسط اليد و يقال : « ضقت بالأمر ذرعا » إذا لم تطقه و لم تقو عليه .

و قال ابن ميثم : « حيث أخّره القدر » إشارة إلى مرتبته النازلة الّتي جرى القدر بها أن تكون نازلة عن مراتب السابقين و قد أمر بالتأخّر فيها و الوقوف عندها . 135 قوله عليه السلام « في التّيه » أي في الضلال و التحيّر أو في التكبّر .

قال في النهاية : « تاه يتيه تيها » إذا تحيّر و ضلّ و إذا تكبّر . و « الروّاغ » الميّال « القصد » المعتدل الّذي لا يميل إلى طرفي الإفراط و التفريط . قوله عليه السلام « غير مخبر » أي أتكلّم بكلامي هذا لا لإخباري إيّاك ، بل للتحدّث بنعمته سبحانه إمّا لأنّ معاوية غير قابل للخطاب و الإخبار بهذا الكلام و المقام مقام تحقيره ،

أو لأنّه كان عالما به ، أو لأنّه يتراءى من مثل هذا الكلام و إخبار الخصم به المفاخرة بذكر تلك الفضائل ، فدفع ذلك التوهّم بقوله « لكن بنعمة الله أحدث » و ما بعد لكن بهذا الاحتمال أنسب و ان كان قوله عليه السلام « لك » بالأوّل ألصق .

قوله عليه السلام « قيل : سيّد الشهداء » قال ابن أبي الحديد : أي في حياة النبيّ صلّى الله عليه و آله لأنّ عليّا عليه السلام مات شهيدا و لا خلاف في

----

(134) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 437 438 .

----

(135) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 437 438 .

أنّه أفضل من حمزة و جعفر و غيرهما بل هو سيّد المسلمين .

قوله عليه السلام « بسبعين تكبيرة » قال ابن ميثم : أي في أربع عشرة صلوة و ذلك أنّ كلّما كبّر عليه خمسا حضرت جماعة من الملائكة فصلّى بهم عليه أيضا و ذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه . 136 قوله عليه السلام « لذكر ذاكر » يعني نفسه و إنّما نكره و لم يأت بالألف و اللاّم و لم ينسبه إلى نفسه لئلاّ يصرّح بتزكية نفسه . و استعار لفظ (المجّ) لكراهية النفس لبعض ما يكرّر سماعه و إعراضها عنه ، فإنّها تصير كالقاذف له من الأذن كما يقذف الماجّ الماء من فيه كذا قيل ، و الظاهر أنّه كناية عن أنّها لوضوحها لا يمكن لأحد إنكارها ، فغير المؤمنين و ان ثقل عليهم سماعها فلا يمكنهم إنكارها .

قوله عليه السلام « فدع عنك الخ » ، « الرمية » الصيد يرمى ، يقال :

« بئس الرميّة الأرنب » أي بئس الشيء ممّا يرمي الأرنب . و المعنى : ذكر من مال إلى الدنيا و مالت به و أمالته إليها و أمالته عن الطريق المستقيم . فإنّ شأن الصيد الخروج عن الطريق ، هي إشارة إلى الخلفاء و الكلام في بيان التفاضل سابقا و لا حقا .

و قال ابن أبي الحديد : هذه إشارة إلى عثمان لا إلى أبي بكر و عمر ، و هذا ممّا لا يسمن و لا يغني من جوع مع أنّ المذكور في كتاب معاوية لم يكن عثمان وحده كما عرفت . 137 و قال ابن ميثم رحمه الله : أي فدع عنك أصحاب الأغراض الفاسدة و لا تلتفت إلى ما يقولون في حقّنا كعمرو بن العاص و يحتمل أن يكون الإشارة إلى نفسه على طريقة قولهم : « إيّاك أعنى و اسمعى ياجاره » . و استعار لفظ الرميّة و كنى بها عن الأمور الّتي تقصدها النفوس و ترميها بقصودها . 138 انتهى .

----

(136) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 438 .

----

(137) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 194 ، ط بيروت .

----

(138) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 439 .

و لا يخفى بعده ، و أبعد منه ما ذكره الكيدري حيث قال : أراد أنّه مطعون في نسبه و حسبه و أنّه أزاله عن مقام التفاخر و التنافر مطاعن شهرت فيه ، انتهى و كأنّه حمل الرميّة على السهام المرميّة .

قوله عليه السلام « فإنّا صنائع ربّنا » هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم الّتي تعجز عنها العقول و لنتكلّم على ما يمكننا إظهاره و الخوض فيه .

فنقول : « صنيعة الملك » من يصطنعه و يرفع قدره و منه قوله تعالى : و اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي أي اخترتك و أخذتك صنيعتي لتنصرف على إرادتي و محبّتي .

فالمعنى أنّه ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل اللّه تعالى أنعم علينا فليس بيننا و بينه واسطة و الناس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم و بين اللّه سبحانه . و يحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس نصطنعه و نرفع قدره .

و قال ابن أبي الحديد : هذا مقام جليل ظاهره ما سمعت ، و باطنه أنّهم عبيد اللّه و الناس عبيدهم . 139 و قال ابن ميثم : لفظ « الصنايع » في الموضعين مجاز من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل و الحال على المحلّ يقال : « فلان صنيعة فلان » إذا اختصّه لموضع نعمته . و النعمة الجزيلة الّتي اختصّهم اللّه بها هي نعمة الرسالة و ما يستلزمه من الشرف و الفضل حتّى كان الناس عيالاتهم فيها . 140 قوله عليه السلام « و عاديّ طولنا » قال الجوهري : عاد قبيلة و هم قوم هود عليه السلام و شيء عاديّ أي قديم كأنّه منسوب إلى عاد .

و قال ابن أبي الحديد : « الطول » الفضل و قال : الأفعال الجميلة كما تكون عادية بطول المدّة تكون عادية بكثرة المناقب و المآثر و المفاخر و إن كانت المدّة قصيرة و لايراد بالقديم قديم الزمان ، بل من قولهم : « لفلان قديم أثر » أي سابقة حسنة ، و إنّما جعلنا اللفظ مجازا لأنّ بني هاشم و بني أمية لم يفترقا في الشرف إلاّ منذ نشأ هاشم بن

----

(139) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 194 ، ط بيروت .

----

(140) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 440 .

عبد مناف ، ثمّ لم تكن المدة بين نشئ هاشم و إظهار محمد صلّى اللّه عليه و آله إلاّ نحو تسعين سنة . 141 انتهى . و أقول : قد ظهر لك ممّا سبق انّ بني اميّة لم يكن لهم نسب صحيح ليشاركوا في الحسب آباءه عليهم السلام مع أنّ قديم عزّهم لم ينحصر في النسب بل أنوارهم عليهم السلام أوّل المخلوقات و من بدء خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم و ظهور آثارهم كانوا معروفين بالعزّ و الشرف و الكمالات في الأرضين و السموات . يخبر بفضلهم كلّ سلف خلفا و رفع اللّه ذكرهم في كلّ أمّة عزّا و شرفا .

و قوله عليه السلام « فعل الأكفاء » منصوب على المصدر بفعل مقدّر . و « المكذّب » أبو سفيان و قيل : أبو جهل . و « أسد اللّه » حمزة رضى اللّه عنه و أرضاه .

و « أسد الأحلاف » هو أسد بن عبد الغرى .

و قال في القاموس : الحلف بالكسر ، العهد بين القوم و الصداقة و الصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به ، و الجمع أحلاف . و الأحلاف في قول زهير أسد و غطفان ، لأنّهم تحالفوا على التناصر و الأحلاف قوم من ثقيف و في قريش ستّ قبائل : عبد الدار و كعب و جح و سهم و مخزوم و عدى ، لأنّهم لمّا أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة و السقاية و أبت عبد الدار عقد كلّ قوم على أمرهم حلفا مؤكّدا على أن لا يتخاذلوا . فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعتها لأحلافهم و هم أسد و زهرة و تميم عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها و تعاهدوا و تعاقدت بنو عبد الدار و حلفاؤها حلفا آخر مؤكّدا فسمّوا الأحلاف . انتهى .

و نحوه قال في النهاية إلاّ أنه قال بعد قوله : فغمسوا أيديهم فيها و تعاقدوا فسمّوا المطيّبين . « صبية النار » إشارة إلى الكلمة الّتي قالها النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبرا يوم بدر ، و قال كالمستعطف له صلّى اللّه عليه و آله من للصبية يا محمّد قال : « النار » . و « حمّالة الحطب » هي أمّ جميل بنت حرب بن أميّة امرأة أبي لهب . و قوله عليه السلام « في كثير » متعلّق بمحذوف أي

----
(141) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 15 ، ص 194 195 ، ط بيروت .

[86]

هذا الّذي ذكرنا داخل في كثير يتضمّن ما ينفعنا و يضرّكم . قوله عليه السلام « و جاهليّتنا » أي شرفنا و فضلنا في الجاهليّة لا يدفعه أحد و في بعض النسخ : و جاهليّتكم و لعلّه أظهر . و وجه الاستدلال بالآية الأولى ظاهر لأنّه عليه السلام كان أخصّ اولي الأرحام برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أقربهم إليه ، و كذا الثانية لأنّه عليه السلام كان أقرب الخلق إلى اتّباع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أوّل من آمن به و صدّقه . و قال الجوهري : « الفلج » الظفر و الفوز و « قد فلج الرجل على خصمه يفلج فلجا » و الاسم « الفلج » بالضمّ .

قوله عليه السلام « و تلك شكاة » قال الجوهري : يقال : « هذا أمر ظاهر عنك عاره » أي زائل . قال الشاعر :

و عيّرها الواشون إني أحبّها
و تلك شكاة ظاهر عنك عارها

و قال : شكوت فلأنّا شكاة إذا أخبرت بسوء فعله .

و قال ابن ميثم : البيت لأبي ذويب و هو مثل يضرب لمن ينكر أمرا ليس منه في شيء و لا يلزمه دفعه . « الخشاش » بالكسر ، الّذي يدخل في عظم أنف البعير ، و « خششت البعير » إذا جعلت في أنفه الخشاش . و « الغضاضة » بالفتح ، المذلّة و المنقصة . قوله عليه السلام و « هذه حجّتي إلى غيرك » لعلّ المعنى لست أنت المقصود بها لحقارتك كقوله عليه السلام « غير مخبر لك » ، أو لعلمي بأنّك لا تقبل حججي و لا تؤمن بها ، أو لأنّك عالم بها و لا فائدة في إخبار العالم بل قصدي بذكرها إلى غيرك من السامعين لعلّه يؤمن بها من أنكرها و يطمئنّ بها قلبها من آمن بها .

و قال ابن ميثم : أي لست أنت المقصود بها إذ لست من هذا الأمر في شيء بل القصد منها غيرك ، أي الّذين ظلموا أو إنّما ذكرت منها بقدر ما دعت الحاجة إليه و سنح لي أن أذكره في جوابك . قوله عليه السلام « فلك أن تجاب » أي هذه ليست مثل السابقة الّتي لم يكن لك السؤال فيها ، لأنّك من بني أميّة و بينك و بينه رحم . و قوله عليه السلام « فأيّنا » ابتداء تقرير الجواب . « و الأعدى » من العداوة أو من العدوان و الأوّل أصوب . و « أهدى إلى مقاتله » أي لوجوه قتله و مواضعه و من الآراء و الحيل .

[87]

« أمن بذل » أراد به نفسه المقدّسة فإنّه لمّا اشتدّ الحصار على عثمان بعث [عليّ] عليه السلام إليه و عرض عليه نصرته فقال عثمان : « لا أحتاج إلى نصرتك و لكن اقعد و كفّ شرّك » . و ذلك لأنّ عثمان كان متّهما له عليه السلام بالدخول في أمره . و أراد [عليّ] عليه السلام بقوله « من استنصره » معاوية ، و ذلك أنّه بعث عثمان حال حصاره إلى الشام مستصرخا بمعاوية فلم يزل يتراخى عنه و يؤخّر الخروج إلى أن قتل لطمعه في الأمر و ذكر القدر و نسبة القتل إليه هيهنا مناسب لتبرّيه من دمه .

و « البثّ » النشر . و « المنون » الدهر و المنيّة . أي نشر إليه نوائب الدهر و أسباب المنيّة .

و قوله عليه السلام « و اللّه لقد علم اللّه » اقتباس من قوله تعالى : قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ . 142 قال الطبرسي رحمه اللّه : هم الّذين يعوّقون غيرهم عن الجهاد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . و « التعويق » التثبيط و « القائلين لإخوانهم » يعني اليهود ، قالوا لإخوانهم المنافقين : « هلمّ إلينا » أي تعالوا و أقبلوا إلينا و دعوا محمّدا صلّى اللّه عليه و آله فإنّا نخاف عليكم الهلاك . و « لا يأتون البأس » أي لا يحضرون القتال . و « البأس » الحرب ، و أصله الشدّة . « إلاّ قليلا » إلاّ كارهين يكون قلوبهم مع المشركين ، و لعلّ الغرض من الإقتباس أنّه سبحانه عاب المعوّقين و القائلين فالمتراخي مقصّر على تقدير وجوب الحضور كما زعمته . و يحتمل أن يكون غرضه واقعا تعويقه عن نصره عليه السلام و إن أوهم ظاهره نصر عثمان .

و قال الجوهري : « نقمت على الرجل أنقم » بالكسر ، إذا عتبت عليه .

و قال ابن ميثم في قوله عليه السلام « فربّ ملوم و لا ذنب له » و أنا ذلك الملوم و هو مثل لأكثم بن صيفي يضرب لمن قد ظهر للناس منه امر أنكروه عليه و هم لا يعرفون حجّته و عذره فيه . و قوله « و قد يستفيد الخ » يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتّى يتّهم أنّه غاش . و صدر البيت : و كم سقت في آثاركم من نصيحة .

----

(142) 14 الأحزاب : 18 . تمام الآية موجود في الكتاب نفسه .

[88]

و قال في الصحاح و القاموس : « المتنصّح » من تشبّه بالنصحاء . و هذا المعنى و إن كان محتملا في كلامه عليه السلام على وجه بعيد ، لكنّ الظاهر أنّه ليس غرضا للشاعر . و الظاهر ما ذكره الخليل في العين حيث قال : « التنصّح » كثرة النصيحة . قال أكثم بن صيفي : إيّاكم و كثرة التنصّح فإنّه يورث التهمة . انتهى . « الظنّة » التهمة .

قوله عليه السلام « فلقد أضحكت بعد استعبار » قال الجوهري : « عبرت عينه و استعبرت » أي دمعت ، و « العبران » الباكي .

و قال ابن ميثم : أي أتيت بشيء عجيب بالغ في الغرابة ، فإنّ الضحك بعد البكاء إنّما يكون لتعجّب بالغ . و ذلك كالمثل في معرض الاستهزاء و قيل معناه :

لقد أضحكت من سمع منك هذا تعجّبا بعد بكائه على الدين لتصرّفك فيه . و « ألفيت الشيء » وجدته .

قوله عليه السلام « فألبث قليلا » [143] قال ابن ميثم : مثل يضرب للوعيد بالحرب . و أصله أنّ حمل بن بدر رجل من قشير اغير على إبل له في الجاهليّة في حرب داحس و الغبراء [144] فاستنقذها و قال :

لبّث قليلا تلحق الهيجا حمل
ما احسن الموت إذا الموت نزل

فأرسل مثلا . ثم أتى و قتل مالكا فظفر أخوه قيس بن زهير به و بأخيه حذيفة فقتلهما و قال :

شعر :

شفيت النفس من حمل بن بدر
و سيفي من حذيفة قد شفاني 145

انتهى .

[143] هذا أيضا سهو ورد إمّا في قلم المصنّف أو في قلم الكاتب ، لأنّ صحيحه يكون « فلبّث قليلا » كما قد جاء في نفس الكتاب (المصحّح) .

[144] في المصدر : و أغار .

----

(145) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 445 446 .

[89]

و قال الزمخشري في المستقصى : تمام البيت : « ما أحسن الموت إذا حان الأجل . » و قال : قالوا في جمل هو اسم رجل شجاع كان يستظهر به في الحرب ، و لا يبعد أن يراد به جمل بن بدر صاحب لغبراء يضربه من ناصره وراءه . انتهى .

ثمّ اعلم أنّ حملا في بعض النسخ بالحاء المهملة و في بعضها بالجيم .

و قال الفيروزآبادي : « أرقل » أسرع ، « الإرقال » ضرب من الجيب . و « الجحفل » بتقديم الجيم على المهملة ، الجيش . و « القتام » الغبار . و « سطع الغبار و الرائحة و الصبح » ارتفع . و « السربال » القميص . و « سرابيل الموت » إمّا كناية عن الدروع أو الأحوال و الهيئات الّتي كنتم قدرتم على القتل فيها ، فكأنّها أكفانهم . و قوله عليه السلام « ذريّة بذريّة » أي أولاد البدريّين . و قد مرّ أنّ أخاه حنظلة و خاله الوليد و جدّه عتبة أبو أمّه . 146

29 و من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة

و قد كان من انتشار حبلكم (3559) و شقاقكم ما لم تغبوا عنه (3560) ،

فعفوت عن مجرمكم ، و رفعت السّيف عن مدبركم ، و قبلت من مقبلكم . فإن خطت (3561) بكم الأمور المردية (3562) ، و سفه (3563) الآراء الجائرة (3564) ، إلى منابذتي (3565) و خلافي ، فهأنذا قد قرّبت جيادي (3566) ، و رحلت (3567) ركابي (3568) و لئن ألجأتموني إلى المسير

----

(146) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 534 ، ط كمپانى و ص 495 ، ط تبريز .

إليكم لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلاّ كلعقة (3569) لاعق ، مع أنّي عارف لذي الطّاعة منكم فضله ، و لذي النّصيحة حقّه ،

غير متجاوز متّهما إلى بريّ ، و لا ناكثا (3570) إلى وفيّ .

إيضاح

« الحبل » العهد و الميثاق و الأمان و كل ما يتوصّل به إلى شيء ، و انتشاره كناية عن تشتّت الآراء ، أو عدم الثبات على العهود . و قيل : أي نشركم حبل الجماعة .

قال الجوهري : « غبيت عن الشي و غبيته أيضا أغبى غباوة » إذا لم تفطن له .

و « غبى على الشيء » كذلك إذا لم تعرفه . قوله عليه السلام و « قبلت من مقبلكم » أي الّذي لم يفرّوجاء معتذرا .

و قال ابن أبي الحديد : « خطا فلان خطوة يخطو » و هو مقدار ما بين القدمين ،

فهذا لازم ، فإن عدّيته قلت « أخطيت بفلان و خطوت به » . و قد عدّاه عليه السلام بالباء . 147 أقول : المعنى : إن ذهبت بكم الأمور المهلكة . و « السفه » محركة ، خفّة الحلم . و « الآراء » في بعض النسخ على زنة آجال على القلب و في بعضها على الأصل . و « الجور » العدول عن القصد .

و قال الجوهري : « جاد الفرس » أي [صار] رائعا ، يجود جودة بالضمّ فهو جواد للذكر و الأنثى ، من خيل جياد و أجياد و أجاويد . و « الركاب » الإبل الّتي يركب عليها ، و الواحدة « راحلة » . و « رحلت البعير أرحله رحلا » إذا شددت على ظهره الرجل و هو أصغر من القتب و في بعض النسخ بالتشديد و « أوقعت بهم » أي بالغت في قتالهم . و « الوقعة » بالحرب الصدمة بعد الصدمة .

قوله « إلاّ كلعقة لاعق » قال ابن أبي الحديد : هو مثل يضرب للشيء الحقير

----

(147) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 4 ، ط بيروت .

التافه ، و روي بضمّ اللام و هي ما تأخذه اللعقة .

و في النهاية : « لعق الأصابع و الصحفة » لطع ما عليها من أثر الطعام . قوله عليه السلام « غير متجاوز متّهما » أي لا أجاوز في العقوبة من المتّهم أي الّذي ثبت عليه الذنب . « إلى بريّ » بأن لا أعاقبه و أعاقب البريّ . و « الناكث » من نقض البيعة . « و الوفيّ » من وفى بها . و إنّما قال عليه السلام ذلك لئلاّ ينفروا عنه يأسا من عدله و رأفته . 148

30 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

فاتّق اللّه فيما لديك ، و انظر في حقّه عليك ، و ارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته ، فإنّ للطّاعة أعلاما واضحة ، و سبلا نيّرة ،

و محجّة (3571) نهجة (3572) ، و غاية مطّلبة (3573) ، يردها الأكياس (3574) ،

و يخالفها الأنكاس (3575) ، من نكب (3576) عنها جار (3577) عن الحقّ ،

و خبط (3578) في التّيه (3579) ، و غيّر اللّه نعمته ، و أحلّ به نقمته . فنفسك نفسك فقد بيّن اللّه لك سبيلك ، و حيث تناهت بك أمورك ،

فقد أجريت إلى غاية خسر (3580) ، و محلّة كفر ، فإنّ نفسك قد أولجتك (3581) شرّا ، و أقحمتك (3582) غيّا (3583) ، و أوردتك المهالك ،

و أوعرت (3584) عليك المسالك .

----

(148) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 634 ، ط كمپاني و ص 585 ، ط تبريز .

[قد روى العلاّمة هذا الكتاب في البحار كما يلي :] و قال ابن ميثم : كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى معاوية :

فقد بلغني كتابك تذكر مشاغبتي و تستقبح مواريثي و تزعمني متجبّرا و عن حقّ اللّه مقصّرا ، فسبحان اللّه كيف تستجيز الغيبة و تستحسن العضيهة ؟ إنّي لم أشاغب إلاّ في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، و لم أتجبّر إلاّ على باغ مارق ، أو ملحد منافق ،

و لم آخذ في ذلك إلاّ بقول اللّه سبحانه : لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانوا آباءَهُمْ وَ أَبْنَاءَهُمْ 149 .

و أمّا التقصير في حقّ اللّه ، فمعاذ اللّه . و إنّما المقصّر في حقّ اللّه جلّ ثناؤه من عطّل الحقوق المؤكّدة و ركن إلى الأهواء المبتدعة و أخلد إلى الضلالة المحيّرة . [150] و من العجب أن تصف يا معاوية الإحسان و تخالف البرهان و تنكث الوثائق الّتي هي للّه عزّ و جلّ مطلبة [151] و على عباده حجّة مع نبذ الإسلام و تضييع الأحكام و طمس الأعلام ، و المجرى في الهوى و الهوس في الرّدى . [152] فاتّق اللّه فيما لديك ، و انظر في حقّه عليك ، و ارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته ، فإنّ للطاعة أعلاما واضحة و سبلا نيّرة و محجّة نهجة و غاية مطلّبة [153] ، يردها الأكياس و يخالفها الأنكاس . من نكب عنها جار عن الحقّ و خبط في التيه و غيّر اللّه نعمته و أحلّ به نقمته .

----

(149) المجادلة : 22 .

[150] في المصدر : و أمّا التقصير في حقّ اللّه ، فمعاذ اللّه جلّ ثناؤه من أن أعطّل الحقوق المؤكّدة و أركن إلى الأهواء المبتدعة و اخلد إلى الضلالة المحيّرة .

[151] في المصدر : طلبة .

[152] في المصدر : و الجري في الهوى و التهوّس في الرّدى .

[153] في المصدر : مطلوبة .

فنفسك نفسك فقد بيّن اللّه لك سبيلك ، و حيث تناهت به [154] أمورك . فقد أجريت إلى غاية خسرو محلّة كفر ، و إنّ نفسك قد أوحلتك [155] شرّا و أقحمتك غيّا و أوردتك المهالك و أوعرت عليك المسالك .

و من ذلك الكتاب :

و إنّ للنّاس جماعة ، يد اللّه عليها و غضب اللّه على من خالفها . فنفسك نفسك قبل حلول رمسك ، فإنّك إلى اللّه راجع و إلى حشره مهطع ، و سيبهضك كربة [156] و تحلّ بك غمّة [157] في يوم لا يغني النادم ندمه ، و لا يقبل من المعتذر عذره . يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَ لاَ هُمْ يُنْصَرُونَ (الدخان : 41) . [158]

توضيح :

قال الفيروزآبادي : « الشغب » تهييج الشرّ كالتشغيب ، و « شغبهم و بهم و عليهم » كمنع و فرح هيّج الشرّ عليهم ، و « شاغبه » شارّه . و قال : « المواربة » المداهاة و المخاتلة ، و في أكثر النسخ موارزتي ، أي موارزتي عليك . و « العضيهة » الإفك و البهتان . و « ركن إليه » كعلم مال . و « أخلدت إلى فلان » أي ركنت إليه ، و « أخلد بالمكان » أقام . و « الطمس » اخفاء الأثر .

و قال الجوهري : « الهوس » الطوفان بالليل و شدّة الأكل و السوق اللّين ،

يقال : « هست الإبل فهاست » أي ترعى و تسير . و « الهوس » بالتحريك طرف من الجنون .

قوله عليه السلام « فيما لديك » أي من مال المسلمين أوفيئهم أو في نعمه عليك . و « معرفة مالا يعذر بجهالته » معرفة الإمام و طاعته . و « الأعلام » الأئمّة أو الأدلّة و « النهج » الطريق الواضح . و « المطّلبة » النسخ المصحّحة متّفقة على تشديد

[154] هكذا روي في البحار و لكن في المصدر يكون : تناهت بك أولجتك .

[155] هكذا روي في البحار و لكن في المصدر يكون : تناهت بك أولجتك .

[156] في المصدر : كربه .

[157] في المصدر : غمّه .

----

(158) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 448 449 .

الطآء قال الجوهري : « طلبت الشيء طلبا و كذا طلّبته على افتعلته و التطلّب » الطلب مرّة بعد أخرى . انتهى .

و المعنى : غاية من شأنها أن تطلب و يطلبها العقلاء و يكشف عنه قوله عليه السلام « يردها الأكياس » ، قرأ ابن أبي الحديد بتخفيف الطآء و قال : أي مساعفة لطالبها ، يقال : « طلب فلان منّي كذا فاطّلبته » أي أسعفته به . 159 « الانكاس

» جمع « نكس » بالكسر ، و هو الرجل الضعيف ، ذكره الجوهري و الجزري ، و قال ابن أبي الحديد و ابن ميثم : الدنيّ من الرجال . 160 و « نكب عن الطريق » عدل .

و « الخبط » المشي على غير استقامة . قوله عليه السلام « تناهت بك » يقال :

« تناهى » أي بلغ و الباء للتعدية ، أي بيّن اللّه لك سبيلك و غايتك الّتي توصلك اليها أعمالك ، أو المعنى : قف حيث تناهت بك أمورك ، كقولهم « حيث أنت » و قولهم « مكانك » ، فلا يكون معطوفا و لا متّصلا بقوله « فقد بيّن اللّه لك سبيلك » . قوله عليه السلام « فقد أجريت » هو من إجراء الخيل للمسابقة . و قال في الصحاح :

« أوحل الرجل » وقع في الوحل ، و أوحله غيره . و « الاقتحام » الدخول في الأمر بشدّة .

و يقال : « جبل وعر » و « مطلب وعر » أي صعب حزن .

و « الرمس » بالفتح ، القبر . و « المهطع » المسرع . و « بهظه الأمر » أثقله . 161

----

(159) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 6 ، ط بيروت .

----

(160) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 449 .

----

(161) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 500 ، ط تبريز .

[95]

31 و من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام ، كتبها إليه « بحاضرين » (3585) عند انصرافه من صفّين :

من الوالد الفان ، المقرّ للزّمان (3586) ، المدبر العمر ، المستسلم للدّنيا ، السّاكن مساكن الموتى ، و الظّاعن عنها غدا ، إلى المولود المؤمّل ما لا يدرك ، السّالك سبيل من قد هلك ، غرض (3587) الأسقام ،

و رهينة (3588) الأيّام ، و رميّة (3589) المصائب ، و عبد الدّنيا ، و تاجر الغرور ، و غريم المنايا ، و أسير الموت ، و حليف الهموم ، و قرين الأحزان ، و نصب الآفات (3590) ، و صريع (3591) الشّهوات ، و خليفة الأموات .

أمّا بعد ، فإنّ فيما تبيّنت من إدبار الدّنيا عنّي ، و جموح الدّهر (3592) عليّ ، و إقبال الآخرة إليّ ، ما يزعني (3593) عن ذكر من سواي ، و الاهتمام بما ورائي (3594) ، غير أنّي حيث تفرّد بي دون هموم النّاس همّ نفسي ، فصدفني (3595) رأيي ، و صرفني عن هواي ،

و صرّح لي محض أمري (3596) ، فأفضى بي إلى جدّ لا يكون فيه لعب ،

و صدق لا يشوبه كذب . و وجدتك بعضي ، بل وجدتك كلّي ، حتّى كأنّ شيئا لو أصابك أصابني ، و كأنّ الموت لو أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت إليك كتابي مستظهرا به (3597) إن أنا بقيت لك أو فنيت .

[96]

فإنّي أوصيك بتقوى اللّه أي بنيّ و لزوم أمره ، و عمارة قلبك بذكره ، و الاعتصام بحبله . و أيّ سبب أوثق من سبب بينك و بين اللّه إن أنت أخذت به أحي قلبك بالموعظة ، و أمته بالزّهادة ، و قوّه باليقين ، و نوّره بالحكمة ، و ذلّله بذكر الموت ، و قرّره بالفناء (3598) ، و بصّره (3599) فجائع (3600) الدّنيا ، و حذّره صولة الدّهر و فحش تقلّب اللّيالي و

الأيّام ، و اعرض عليه أخبار الماضين ، و ذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأوّلين ، و سر في ديارهم و آثارهم ، فانظر فيما فعلوا و عمّا انتقلوا ، و أين حلّوا و نزلوا فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة ، و حلّوا ديار الغربة ، و كأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم .

فأصلح مثواك ، و لا تبع آخرتك بدنياك ، و دع القول فيما لا تعرف ، و الخطاب فيما لم تكلّف . و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته ، فإنّ الكفّ عند حيرة الضّلال خير من ركوب الأهوال .

و أمر بالمعروف تكن من أهله ، و أنكر المنكر بيدك و لسانك ، و باين (3601) من فعله بجهدك ، و جاهد في الله حقّ جهاده ، و لا تأخذك في الله لومة لائم . و خض الغمرات (3602) للحقّ حيث كان ، و تفقّه في

الدّين ، و عوّد نفسك التّصبّر على المكروه ، و نعم الخلق التّصبّر في الحقّ و ألجىء نفسك في أمورك كلّها إلى إلهك ، فإنّك تلجئها إلى كهف (3603) حريز (3604) ، و مانع عزيز . و أخلص في المسألة لربّك ،

فإنّ بيده العطاء و الحرمان ، و أكثر الاستخارة (3605) ، و تفهّم وصيّتي ،

و لا تذهبنّ عنك صفحا (3606) ، فإنّ خير القول ما نفع . و اعلم أنّه لا خير في علم لا ينفع ، و لا ينتفع بعلم لا يحقّ (3607) تعلّمه .

أي بنيّ ، إنّي لمّا رأيتني قد بلغت سنّا (3608) ، و رأيتني أزداد وهنا (3609) ، بادرت بوصيّتي إليك ، و أوردت خصالا منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي (3610) إليك بما في نفسي ، أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي ، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى و فتن الدّنيا ، فتكون كالصّعب (3611) النّفور (3612) . و إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته . فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، و يشتغل لبّك ، لتستقبل بجدّ رأيك (3613) من الأمر ما قد كفاك أهل التّجارب بغيته (3614) و تجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطّلب ، و عوفيت من علاج التّجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه ، و استبان (3615) لك ما ربّما أظلم علينا منه .

أي بنيّ ، إنّي و إن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت

في أعمالهم ، و فكّرت في أخبارهم ، و سرت في آثارهم ، حتّى عدت كأحدهم ، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، و نفعه من ضرره ،

فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله (3616) ، و توخّيت (3617) لك جميله ،

و صرفت عنك مجهوله ، و رأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشّفيق ، و أجمعت عليه (3618) من أدبك أن يكون ذلك و أنت مقبل العمر و مقتبل (3619) الدّهر ، ذو نيّة سليمة ، و نفس صافية ، و أن أبتدئك بتعليم كتاب الله عزّ و جلّ و تأويله ، و شرائع الإسلام و أحكامه ،

و حلاله و حرامه ، لا أجاوز (3620) ذلك بك إلى غيره . ثمّ أشفقت (3621) أن يلتبس عليك ما اختلف النّاس فيه من أهوائهم و آرائهم مثل الّذي التبس (3622) عليهم ، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة (3623) ،

و رجوت أن يوفّقك الله فيه لرشدك ، و أن يهديك لقصدك ، فعهدت إليك وصيّتي هذه .

و اعلم يا بنيّ أنّ أحبّ ما أنت آخذ به إليّ من وصيّتي تقوى الله و الاقتصار على ما فرضه الله عليك ، و الأخذ بما مضى عليه الأوّلون من آبائك ، و الصّالحون من أهل بيتك ، فإنّهم لم يدعوا (3624) أن

نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، و فكّروا كما أنت مفكّر ، ثمّ ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا ، و الإمساك عمّا لم يكلّفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم و تعلّم ، لا بتورّط الشّبهات ، و علق الخصومات . و ابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك ، و الرّغبة إليه في توفيقك ،

و ترك كلّ شائبة (3625) أولجتك (3626) في شبهة ، أو أسلمتك إلى ضلالة . فإن أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، و تمّ رأيك فاجتمع ،

و كان همّك في ذلك همّا واحدا ، فانظر فيما فسّرت لك ، و إن لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك ، و فراغ نظرك و فكرك ، فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء (3627) ، و تتورّط (3628) الظّلماء . و ليس طالب الدّين من خبط أو خلط ، و الإمساك (3629) عن ذلك أمثل (3630) .

فتفهّم يا بنيّ وصيّتي ، و اعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة ،

و أنّ الخالق هو المميت ، و أنّ المفني هو المعيد ، و أنّ المبتلي هو المعافي ، و أنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلاّ على ما جعلها الله عليه من النّعماء ، و الابتلاء ، و الجزاء في المعاد ، أو ما شاء ممّا لا تعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك ، فإنّك أوّل ما

[100]

خلقت به جاهلا ثمّ علّمت ، و ما أكثر ما تجهل من الأمر ، و يتحيّر فيه رأيك ، و يضلّ فيه بصرك ثمّ تبصره بعد ذلك فاعتصم بالّذي خلقك و رزقك و سوّاك ، و ليكن له تعبّدك ، و إليه رغبتك ، و منه شفقتك (3631) .

و اعلم يا بنيّ أنّ أحدا لم ينبىء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرّسول صلّى الله عليه و آله فارض به رائدا (3632) ، و إلى النّجاة قائدا ، فإنّي لم آلك (3633) نصيحة . و إنّك لن تبلغ في النّظر لنفسك و إن اجتهدت مبلغ نظري لك .

و اعلم يا بنيّ أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله ، و لرأيت آثار ملكه و سلطانه ، و لعرفت أفعاله و صفاته ، و لكنّه إله واحد كما وصف نفسه ، لا يضادّه في ملكه أحد ، و لا يزول أبدا و لم يزل .

أوّل قبل الأشياء بلا أوّليّة ، و آخر بعد الأشياء بلا نهاية . عظم عن أن تثبت ربوبيّته بإحاطة قلب أو بصر . فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره (3634) ، و قلّة مقدرته ، و كثرة عجزه ، و عظيم حاجته إلى ربّه ، في طلب طاعته ، و الخشية من عقوبته ، و الشّفقة من سخطه : فإنّه لم يأمرك إلاّ بحسن ، و لم

[101]

ينهك إلاّ عن قبيح .

يا بنيّ إنّي قد أنبأتك عن الدّنيا و حالها ، و زوالها و انتقالها ،

و أنبأتك عن الآخرة و ما أعدّ لأهلها فيها ، و ضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها ، و تحذو عليها . إنّما مثل من خبر (3635) الدّنيا كمثل قوم سفر (3636) نبا (3637) بهم منزل جديب (3638) ، فأمّوا (3639) منزلا خصيبا و جنابا (3640) مريعا (3641) ، فاحتملوا و عثاء (3642) الطّريق ،

و فراق الصّديق ، و خشونة السّفر ، و جشوبة (3643) المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، و منزل قرارهم ، فليس يجدون لشيء من ذلك ألما ،

و لا يرون نفقة فيه مغرما . و لا شيء أحبّ إليهم ممّا قرّبهم من منزلهم ،

و أدناهم من محلّتهم .

و مثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبا بهم إلى منزل جديب ، فليس شيء أكره إليهم و لا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه ، إلى ما يهجمون عليه (3644) ، و يصيرون إليه .

يا بنيّ اجعل نفسك ميزانا فيما بينك و بين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك ، و اكره له ما تكره لها ، و لا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم ، و أحسن كما تحبّ أن يحسن إليك ، و استقبح

[102]

من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، و ارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك ، و لا تقل ما لا تعلم و إن قلّ ما تعلم ، و لا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك .

و اعلم أنّ الإعجاب (3645) ضدّ الصّواب ، و آفة الألباب (3646) . فاسع في كدحك (3647) ، و لا تكن خازنا لغيرك (3648) ، و إذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربّك .

و اعلم أنّ أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ، و مشقّة شديدة ، و أنّه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد (3649) ، و قدر بلاغك (3650) من الزّاد ، مع خفّة الظّهر ، فلا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك ، فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، و إذا وجدت من أهل الفاقة (3651) من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة ، فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاغتنمه و حمّله إيّاه ، و أكثر من تزويده و أنت قادر عليه ، فلعلّك تطلبه فلا تجده . و اغتنم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك .

و اعلم أنّ أمامك عقبة كؤودا (3652) ، المخفّ (3653) فيها أحسن حالا من المثقل (3654) ، و المبطىء عليها أقبح حالا من المسرع ، و أنّ

[103]

مهبطك بها لا محالة إمّا على جنّة أو على نار ، فارتد (3655) لنفسك قبل نزولك ، و وطّىء المنزل قبل حلولك ، « فليس بعد الموت مستعتب (3656) » ، و لا إلى الدّنيا منصرف (3657) .

و اعلم أنّ الّذي بيده خزائن السّموات و الأرض قد أذن لك في الدّعاء ،

و تكفّل لك بالإجابة ، و أمرك أن تسأله ليعطيك ، و تسترحمه ليرحمك ،

و لم يجعل بينك و بينه من يحجبك عنه ، و لم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، و لم يمنعك إن أسأت من التّوبة ، و لم يعاجلك بالنّقمة ، و لم يعيّرك بالإنابة (3658) ، و لم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى ، و لم يشدّد عليك في قبول الإنابة ، و لم يناقشك بالجريمة و لم يؤيسك من الرّحمة ، بل جعل نزوعك (3659) عن الذّنب حسنة ،

و حسب سيّئتك واحدة ، و حسب حسنتك عشرا ، و فتح لك باب المتاب ، و باب الاستعتاب ، فإذا ناديته سمع نداك ، و إذا ناجيته علم نجواك (3660) ، فأفضيت (3661) إليه بحاجتك ، و أبثثته (3662) ذات نفسك (3663) ، و شكوت إليه همومك ، و استكشفته كروبك (3664) ، و استعنته على أمورك ، و سألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره ،

من زيادة الأعمار ، و صحّة الأبدان ، و سعة الأرزاق . ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته ، فمتى شئت

[104]

استفتحت بالدّعاء أبواب نعمته ، و استمطرت شآبيب (3665) رحمته ،

فلا يقنّطنّك (3666) إبطاء إجابته ، فإنّ العطيّة على قدر النّيّة .

و ربّما أخّرت عنك الإجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السّائل ،

و أجزل لعطاء الآمل . و ربّما سألت الشّيء فلا تؤتاه ، و أوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، و ينفى عنك وباله ، فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له .

و اعلم يا بنيّ أنّك إنّما خلقت للآخرة لا للدّنيا ، و للفناء لا للبقاء ، و للموت لا للحياة ، و أنّك في قلعة (3667) و دار بلغة (3668) ،

و طريق إلى الآخرة ، و أنّك طريد الموت الّذي لا ينجو منه هاربه ، و لا يفوته طالبه ، و لا بدّ أنّه مدركه ، فكن منه على حذر أن يدركك و أنت على حال سيّئة ، قد كنت تحدّث نفسك منها بالتّوبة ، فيحول بينك و بين ذلك ، فإذا أنت قد أهلكت نفسك .

ذكر الموت

يا بنيّ أكثر من ذكر الموت ، و ذكر ما تهجم عليه ، و تفضي بعد الموت إليه ، حتّى يأتيك و قد أخذت منه حذرك (3669) ، و شددت

[105]

له أزرك (3670) ، و لا يأتيك بغتة فيبهرك (3671) . و إيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد (3672) أهل الدّنيا إليها ، و تكالبهم (3673) عليها ، فقد نبّأك اللّه عنها ، و نعت (3674) هي لك عن نفسها ، و تكشّفت لك عن مساويها ، فإنّما أهلها كلاب عاوية ، و سباع ضارية (3675) ، يهرّ (3676) بعضها على بعض ، و يأكل عزيزها ذليلها ، و يقهر كبيرها صغيرها .

نعم (3677) معقّلة (3678) ، و أخرى مهملة ، قد أضلّت (3679) عقولها ،

و ركبت مجهولها (3680) . سروح (3681) عاهة (3682) بواد وعث (3683) ،

ليس لها راع يقيمها ، و لا مسيم (3684) يسيمها . سلكت بهم الدّنيا طريق العمى ، و أخذت بأبصارهم عن منار الهدى ، فتاهوا في حيرتها ،

و غرقوا في نعمتها ، و اتّخذوها ربّا ، فلعبت بهم و لعبوا بها ، و نسوا ما وراءها .

الترفق في الطلب

رويدا يسفر (3685) الظّلام ، كأن قد وردت الأظعان (3686) ، يوشك من أسرع أن يلحق و اعلم يا بنيّ أنّ من كانت مطيّته اللّيل و النّهار ، فإنّه يسار به و إن كان واقفا ، و يقطع المسافة و إن كان مقيما وادعا (3687) و اعلم يقينا أنّك لن تبلغ أملك ، و لن تعدو أجلك ، و أنّك في

[106]

سبيل من كان قبلك . فخفّض (3688) في الطّلب ، و أجمل (3689) في المكتسب ،

فإنّه ربّ طلب قد جرّ إلى حرب (3690) ، فليس كلّ طالب بمرزوق ،

و لا كلّ مجمل بمحروم . و أكرم نفسك عن كلّ دنيّة (3691) و إن ساقتك إلى الرّغائب (3692) ، فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا (3693) . و لا تكن عبد غيرك و قد جعلك اللّه حرّا . و ما خير خير لا ينال إلاّ بشرّ ، و يسر (

3694) لا ينال إلاّ بعسر (3695) ؟ و إيّاك أن توجف (3696) بك مطايا (3697) الطّمع ، فتوردك مناهل (3698) الهلكة (3699) . و إن استطعت ألاّ يكون بينك و بين اللّه ذو نعمة فافعل ،

فإنّك مدرك قسمك ، و آخذ سهمك ، و إنّ اليسير من اللّه سبحانه أعظم و أكرم من الكثير من خلقه و إن كان كلّ منه .

وصايا شتى

و تلافيك (3700) ما فرط (3701) من صمتك أيسر من إدراكك ما فات (3702) من منطقك ، و حفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء (3703) ، و حفظ ما في يديك أحبّ إليّ من طلب ما في يدي غيرك . و مرارة اليأس خير من الطّلب إلى النّاس ، و الحرفة مع العفّة خير من الغنى مع الفجور ،

و المرء أحفظ لسرّه (3704) ، و ربّ ساع فيما يضرّه من أكثر أهجر (3705) ،

[107]

و من تفكّر أبصر . قارن أهل الخير تكن منهم ، و باين أهل الشّرّ تبن عنهم . بئس الطّعام الحرام و ظلم الضّعيف أفحش الظّلم إذا كان الرّفق خرقا (3706) كان الخرق رفقا . ربّما كان الدّواء داء ، و الدّاء دواء . و ربّما نصح غير النّاصح ، و غشّ المستنصح (3707) . و إيّاك و الاتّكال على المنى (3708) فإنّها بضائع النّوكى (3709) ، و العقل حفظ التّجارب ، و خير ما جرّبت ما وعظك . بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة . ليس كلّ طالب يصيب ، و لا كلّ غائب يؤوب . و من الفساد إضاعة الزّاد ، و مفسدة المعاد . و لكلّ أمر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدّر لك . التّاجر مخاطر ، و ربّ يسير أنمى من كثير لا خير في معين مهين (3710) ، و لا في صديق ظنين (3711) . ساهل الدّهر (3712) ما ذلّ لك قعوده (3713) ، و لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ، و إيّاك أن تجمح بك مطيّة اللّجاج (3714) .

احمل نفسك من أخيك عند صرمه (3715) على الصّلة (3716) ، و عند صدوده (3717) على اللّطف (3718) و المقاربة ، و عند جموده (3719) على البذل (3720) ، و عند تباعده على الدّنوّ ، و عند شدّته على اللّين ، و عند جرمه على العذر ، حتّى كأنّك له عبد ، و كأنّه ذو نعمة عليك .

و إيّاك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله .

[108]

لا تتّخذنّ عدوّ صديقك صديقا فتعادي صديقك ، و امحض أخاك النّصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، و تجرّع الغيظ (3721) فإنّي لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، و لا ألذّ مغبّة (3722) . و لن (3723) لمن غالظك (3724) ،

فإنّه يوشك أن يلين لك ، و خذ على عدوّك بالفضل فإنّه أحلى الظّفرين .

و إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيّة يرجع إليها إن بدا له ذلك يوما مّا . و من ظنّ بك خيرا فصدّق ظنّه ، و لا تضيعنّ حقّ أخيك اتّكالا على ما بينك و بينه ، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه . و لا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، و لا ترغبنّ فيمن زهد عنك ، و لا يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ،

و لا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان . و لا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك ، فإنّه يسعى في مضرّته و نفعك ، و ليس جزاء من سرّك أن تسوءه .

و اعلم يا بنيّ أنّ الرّزق رزقان : رزق تطلبه ، و رزق يطلبك ،

فإن أنت لم تأته أتاك . ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، و الجفاء عند الغنى إنّما لك من دنياك ، ما أصلحت به مثواك (3725) ، و إن كنت جازعا على ما تفلّت (3726) من يديك ، فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك .

استدلّ على ما لم يكن بما قد كان ، فإنّ الأمور أشباه ، و لا تكوننّ

[109]

ممن لا تنفعه العظة إلاّ إذا بالغت في إيلامه ، فإنّ العاقل يتّعظ بالآداب ، و البهائم لا تتّعظ إلاّ بالضّرب . اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر و حسن اليقين . من ترك القصد (3727) جار (3728) ،

و الصّاحب مناسب (3729) ، و الصّديق من صدق غيبه (3730) . و الهوى (3731) شريك العمى ، و ربّ بعيد أقرب من قريب ، و قريب أبعد من بعيد ،

و الغريب من لم يكن له حبيب . من تعدّى الحقّ ضاق مذهبه ، و من اقتصر على قدره كان أبقى له . و أوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله سبحانه . و من لم يبالك (3732) فهو عدوّك . قد يكون اليأس إدراكا ، إذا كان الطّمع هلاكا . ليس كلّ عورة تظهر ، و لا كلّ فرصة تصاب ، و ربّما أخطأ البصير قصده ، و أصاب الأعمى رشده .

أخّر الشّرّ فإنّك إذا شئت تعجّلته (3733) ، و قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل . من أمن الزّمان خانه ، و من أعظمه (3734) أهانه . ليس كلّ من رمى أصاب . إذا تغيّر السّلطان تغيّر الزّمان . سل عن الرّفيق قبل الطّريق ، و عن الجار قبل الدّار . إيّاك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا ، و إن حكيت ذلك عن غيرك .

الراي في المرأة

و إيّاك و مشاورة النّساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن (3735) ، و عزمهنّ إلى

[110]

وهن (3736) . و اكفف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إيّاهنّ ، فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ ، و ليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك من لا يوثق به عليهنّ ، و إن استطعت ألاّ يعرفن غيرك فافعل . و لا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فإنّ المرأة ريحانة ، و ليست بقهرمانة (3737) .

و لا تعد (3738) بكرامتها نفسها ، و لا تطمعها في أن تشفع لغيرها . و إيّاك و التّغاير (3739) في غير موضع غيرة ، فإنّ ذلك يدعو الصّحيحة إلى السّقم ، و البريئة إلى الرّيب . و اجعل لكلّ إنسان من خدمك عملا تأخذه به ، فإنّه أحرى ألاّ يتواكلوا في خدمتك (3740) . و أكرم عشيرتك ، فإنّهم جناحك الّذي به تطير ، و أصلك الّذي إليه تصير ،

و يدك الّتي بها تصول .

دعاء

استودع الله دينك و دنياك ، و اسأله خير القضاء لك في العاجلة و الآجلة ، و الدّنيا و الآخرة ، و السّلام .

32 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

و أرديت (3741) جيلا من النّاس كثيرا ، خدعتهم بغيّك (3742) ،

[111]

و ألقيتهم في موج بحرك ، تغشاهم الظّلمات ، و تتلاطم بهم الشّبهات ، فجازوا (3743) عن وجهتهم (3744) ، و نكصوا (3745) على أعقابهم ، و تولّوا على أدبارهم ، و عوّلوا (3746) على أحسابهم ،

إلاّ من فاء (3747) من أهل البصائر ، فإنّهم فارقوك بعد معرفتك ، و هربوا إلى الله من موازرتك (3748) ، إذ حملتهم على الصّعب ، و عدلت بهم عن القصد . فاتّق الله يا معاوية في نفسك ، و جاذب (3749) الشّيطان قيادك (3750) ، فإنّ الدّنيا منقطعة عنك ، و الآخرة قريبة منك ، و السّلام .

بيان

و روى ابن أبي الحديد و ابن ميثم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كتب إلى معاوية بن أبي سفيان عليهما اللعنة :

أمّا بعد ، فإنّ الدنيا دار تجارة ، ربحها أو خسرها الآخرة [162] ، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ، و من رأى الدنيا بعينها و قدّرها بقدرها .

و إنّي لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه ، و لكنّ الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا [163] الأمانة ، و أن ينصحوا الغويّ و الرشيد ،

فاتّق الله و لا تكن ممّن لا يرجو لله وقارا ، و من حقّت عليه [164] كلمة العذاب ،

فإنّ الله بالمرصاد ، و إنّ دنياك ستدبر عنك ، و ستعود حسرة عليك ، فانتبه [165] من الغيّ و الضلال على كبر سنّك و فناء عمرك ، فإنّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الّذي لا يصلح من جانب إلاّ فسد من آخر .

و قد أرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيّك و ألقيتهم في موج بحرك ،

تغشاهم الظلمات ، و تتلاطم بهم الشبهات ، فحاروا [166] عن وجهتهم ، و نكصوا على

[162] في النهج لابن ميثم : ربحها الآخرة .

[163] في النهج لابن ميثم : يردّوا .

[164] في النهج لابن ميثم : عليهم .

[165] في النهج لابن ميثم : فاقلع عمّا أنت عليه .

[166] هكذا في البحار .

أعقابهم ، و تولّوا على أدبارهم ، و عوّلوا على أحسابهم ، إلاّ من فآء من أهل البصائر ،

فإنّهم فارقوك بعد معرفتك ، و هربوا إلى الله من موازرتك ، إذ حملتهم على الصّعب ،

و عدلت بهم عن القصد . فاتّق الله يا معاوية في نفسك ، و جاذب الشيطان قيادك ،

فإنّ الدّنيا منقطعة عنك ، و الآخرة قريبة منك ، و السلام . 167 قال ابن أبي الحديد : قال أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائنى : فكتب إليه معاوية :

من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب أمّا بعد ، فقد وقفت على كتابك ، و قد أبيت على الغبن [168] الاّ تماديا ، و إنّي لعالم أنّ الّذي يدعوك إلى ذاك مصرعك الّذي لا بدّ لك منه ، و إن كنت موائلا فازدد غيّا إلى غيّك ، فطالما خفّ عقلك ، و منيت نفسك ما ليس لك ، التويت على من هو خير منك ثمّ كانت العافية [169] لغيرك ، و احتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك ، و السلام .

قال : فكتب عليّ عليه السلام :

أمّا بعد ، فإن ما اتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك و قومك الّذين حملهم الكفر و تمنّي الأباطيل على حسد محمّد صلّى الله عليه و آله حتّى صرعوا مصارعهم حيث علمت ، لم يمنعوا حريما ، و لم يدفعوا عظيما ، و أنا

صاحبهم في تلك المواطن الصّالي بحربهم و الفالّ لحدّهم و القاتل لرؤوسهم رؤوس الضلالة ، و المتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلف اتّبع سلفا و محلّه محطّه [170] النّار ، و السلام .

فكتب إليه معاوية لعنه الله :

أمّا بعد ، فقد طال في الغيّ ما استمررت أدراجك كما طال ما تمادى عن الهرب نكوصك و إبطاؤك ، تتوعّد [171] وعيد الأسد و تروّغ روغان الثعلب ، فحتام تحيد

[167] شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 68 ، و شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 133 ، ط بيروت .

[168] في المصدر : الفتن .

[169] في المصدر : العاقبة .

[170] في المصدر : فبئس الخلف خلف اتّبع سلفا محلّه و محطّه .

[171] في المصدر : فتوعّد .

[113]

عن اللّقاء و مباشرة [172] الليوث الضّارية و الأفاعي المقاتلة [173] ، فلا تستبعدنّها ،

فكلّ ما هو آت قريب إن شاء الله ، و السّلام .

قال : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

أمّا بعد ، فما أعجب ما يأتيني منك و ما أعلمني بما أنت صائر إليه و ليس إبطائي عنك إلاّ ترقّبا لما أنت له مكذّب و أنا له مصدّق ، و كأنّي بك غدا تضجّ و أنت من الحرب [174] ضجيج الجمال من الأثقال و ستدعوني أنت و أصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم و تجحدونه بقلوبكم ، و السّلام .

قال : فكتب إليه معاوية :

أمّا بعد ، فدعني من أساطيرك ، و اكفف عنّي من أحاديثك و اقصر عن تقوّلك على رسول الله صلّى الله عليه و آله و افترائك من الكذب ما لم يقل و غرور من معك و الخداع لهم ، فقد استغويتهم و يوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك و يعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحلّ ، و السّلام .

قال : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

أمّا بعد ، فطالما دعوت أنت و أولياؤك ، و أولياء الشيطان الرّجيم الحق أساطير الأوّلين و نبذتموه وراء ظهوركم و جهدتم في إطفاء [175] نور الله بأيديكم و أفواهكم وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ 176 و لعمري ليتمّنّ النّور على كرهك و ليفنذنّ العلم بصغارك ، و لتجازينّ بعملك ، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك فكأنّك بأجلك قد انقضى و عملك قد هوى [177] ثمّ تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ . 178

[172] في المصدر : فحتام تحيد عن لقاء مباشرة .

[173] في المصدر : القاتلة .

[174] في المصدر : و كأنّي بك غدا و أنت تضجّ من الحرب .

[175] في المصدر : بإطفاء .

----

(176) الصفّ : 8 .

[177] في المصدر : فكأنّك بباطلك و قد انقضى و بعملك و قد هوى . . .

----

(178) فصّلت : 46 .

قال : فكتب إليه معاوية :

أمّا بعد ، فما أعظم الرّين على قلبك و الغطاء على بصرك الشره من شيمتك . . .

إلى آخر ما مرّ برواية أخرى .

قال : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

أمّا بعد ، فإنّ مساويك مع علم اللّه فيك حالت بينك و بين أن يصلح [179] أمرك أو [180] أن يرعوى قلبك يا ابن الصخر اللّعين زعمت أن يزن الجبال حلمك و يفصل بين أهل الشكّ علمك و أنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل ، فإن كنت صادقا فيما تسطر و يعينك عليه أخوبني سهم ، فدع النّاس جانبا و أبرز [181] لما دعوتني إليه من الحرب و الصبر على الضرب ، و اعف الفريقين من القتال لنعلم [182] أيّنا المرين على قلبه المغطّى على بصره ، فأنا أبو الحسن قاتل جدّك و أخيك و خالك و ما أنت منهم ببعيد ، و السّلام . 183

ايضاح :

أقول : روى السيّد رضي اللّه عنه في النهج الكتاب الأوّل من قوله عليه السلام « و أرديت جيلا » إلى آخر هذا الكتاب . قوله عليه السلام « و من رأى » عطف على « من كانت » أي السعيد من « يرى الدنيا بعينها » أي يعرفها بحقيقتها ، أو يراها بالعين الّتي بها تعرف و هي عين البصيرة و يعلم ما هي عليه من التغيّر و الزّوال ، و إنّها خلقت لغيرها ليقدرها بمقدارها و يجعلها في نظره لما خلقت له . قوله عليه السلام « ممّن لا يرجو للّه وقارا » أي لا يتوقّع للّه عظمة فيعبده و يطيعه . و « الوقار » الاسم من « التوقير » و هو التعظيم . و قيل : « الرجاء » هيهنا بمعنى الخوف . و « المهيل » المتداعى في التمزّق ، و منه : « رمل مهيل » أي ينهال و يسيل . « و أرديت » أي أهلكت . و « الجيل » الصنف و روي بالباء الموحّدة و هو الخلق . و « تغشاهم » أي تأتيهم و تحيط بهم . و « حاروا » عدلوا ، أو تحيّروا . و « نكصوا » أي رجعوا . و « عوّلوا على أحسابهم » أي اعتمدوا على نخوة الجاهليّة و تعصّبهم و رجعوا عن الدّين . « إلاّ

[179] في المصدر : يصلح لك .

[180] في المصدر : و .

[181] في المصدر : تيسّر .

[182] في المصدر : ليعلم .

----

(183) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 133 138 ، ط بيروت .

من فآء » أي رجع . و « الموازرة » المعاونة . و « الصعب » مقابل الذلول كناية عن الباطل لاقتحامه بصاحبه في المهالك . و « القياد » بالكسر ، حبل يقاد به الدّابّة .

و « واءل منه » على فاعل طلب النجاة ، ذكره الجوهري .

و قال [الجوهري] : « صليت اللّحم و غيره أصليه صليا » إذا شويته و يقال أيضا : « صليت الرجل نارا » إذا أدخلته النار و جعلته يصلاها . و « صلي فلان النّار » بالكسر ، احترق ، و « صلي بالأمر » قاسي حرّه و شدّته . و قال : « فللت الجيش » هزمته ، و يقال : « فلّه فانفلّ » أي كسره فانكسر . قوله عليه السلام « و محلّه محطّه » ، الضمير الأوّل راجع إلى الخلف و الثاني إلى السلف . « و النّار » بدل أو عطف بيان ل (محطّه) ، و لعلّ الأصوب « محلّه و محطّه » فالضميران للسّلف .

و « درج الرجل » مشى ، و « أدرجت الكتاب » طويته ، و قولهم : « خلّ درج الصّبّ » أي طريقه ، و الجمع « الأدراج » . و « راغ » مال .

قوله عليه السلام « لما أنت به مكذّب » أي ما أخبرني به النبيّ صلّى الله عليه و آله من وقت الحرب و شرائطه ، أو إتمام الحجّة و اتّباع أمره تعالى في ذلك ، أو نزول الملائكة للنّصرة ، و بكلّ ذلك كان لعنه الله مكذّبا .

قوله عليه السلام « فعث » من (عاث يعيث) إذا أفسد ، و في بعض النسخ « فعش » . 184

----

(184) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 541 ، ط كمپاني و ص 500 ، ط تبريز .

[116]

33 و من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة

أمّا بعد ، فإنّ عيني (3751) بالمغرب (3752) كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه إلى الموسم (3753) أناس من أهل الشّام العمي القلوب ، الصّمّ الأسماع ، الكمه (3754) الأبصار ، الّذين يلبسون (3755) الحق بالباطل ،

و يطيعون المخلوق في معصية الخالق ، و يحتلبون (3756) الدّنيا درّها (3757) بالدّين ، و يشترون عاجلها بآجل الأبرار المتّقين ، و لن يفوز بالخير إلاّ عامله ، و لا يجزى جزاء الشّرّ إلاّ فاعله . فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصّليب (3758) ، و النّاصح اللّبيب ، التّابع لسلطانه ،

المطيع لإمامه . و إيّاك و ما يعتذر منه ، و لا تكن عند النّعماء (3759) بطرا (3760) ، و لا عند البأساء (3761) فشلا (3762) ، و السّلام .

بيان

قال ابن ميثم : كان معاوية قد بعث إلى مكّة دعاة في السرّ يدعون إلى طاعته و يثبّطون العرب عن نصرة أمير المؤمنين عليه السّلام بأنّه إمّا قاتل لعثمان أو خاذل له ، و ينشرون عندهم محاسن معاوية بن عمّهم ، فكتب أمير المؤمنين عليه السّلام هذا الكتاب ، و قثم ابن العبّاس بن عبد المطّلب لم يزل واليا لعليّ

[117]

عليه السلام على مكّة حتّى قتل [عليّ] عليه السلام و استشهد قثم بسمرقند في زمن معاوية . و قيل : إنّ الّذين بعثهم بعض السرايا الّتي كان يبعثها للإغارة على أعمال عليّ عليه السلام . 185 و « العين » الجاسوس أي أصحاب إخباره عند معاوية ، و يسمّى الشام مغربا لأنّه من الأقاليم المغربية . و « الموسم » كمجلس الوقت الّذي يجتمع فيه الحاجّ كلّ سنة . « الأكمه » الذي يولد أعمى .

« الّذين يلتمسون الحقّ بالباطل » قال ابن أبي الحديد : أي يطلبون الحقّ بمتابعة معاوية فإنّهم كانوا يظهرون ناموس العبادة . و في بعض النسخ « يلبسون الحقّ » أي يخلطونه . و قوله عليه السلام « درّها » منصوب بدلا من الدّنيا . و « شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الأبرار » كناية عن استعاضتهم الآخرة بالدّنيا . و « الحازم » ذو الحزم الراسخ في الدّين . و « الصليب » الشديد . « ما يعتذر منه » المعصية و الزلّة . و قال في النهاية : « البطر » الطغيان عند النعمة و طول الغناء . و قال : « الفشل » الفزع و الجبن و الضعف . 186

----

(185) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 72 .

----

(186) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 633 ، ط كمپانى و ص 584 ، ط تبريز . فراجع أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ،

ج 16 ، ص 139 ، ط بيروت .

[118]

34 و من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ، لما بلغه توجده (3763) من عزله بالأشتر عن مصر ،

ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها

أمّا بعد ، فقد بلغني موجدتك (3764) من تسريح (3765) الأشتر إلى عملك (3766) ، و إنّي لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ، و لا ازديادا لك في الجدّ ، و لو نزعت ما تحت يدك من سلطانك ، لولّيتك ما هو أيسر عليك مؤونة ، و أعجب إليك ولاية .

إنّ الرّجل الّذي كنت ولّيته أمر مصر كان رجلا لنا ناصحا ، و على عدوّنا شديدا ناقما (3767) ، فرحمه اللّه فلقد استكمل أيّامه ، و لاقى حمامه (3768) ، و نحن عنه راضون ، أولاه اللّه رضوانه ، و ضاعف الثّواب له . فأصحر (3769) لعدوّك ، و امض على بصيرتك ، و شمّر لحرب من حاربك ، و ادع إلى سبيل ربّك ، و أكثر الاستعانة باللّه يكفك ما أهمّك ، و يعنك على ما ينزل بك ، إن شاء اللّه .

توضيح

« التوجد » الحزن . و « الموجدة » الغضب ، لعلّ المراد بها أيضا هنا الحزن . و « التسريح » الإرسال . و « الاستبطاء » عدّ الشيء بطيئا . و « الجهد » بالضمّ ،

الوسع و الطاقة و بالفتح ، المشقّة . و « المؤونة » الثقل . و « الإعجاب بالشيء » عدّه حسنا . و « الولاية » بالكسر ، السلطنة . و تقول : « نقمت عليه أمره و نقمت منه كضربت و علمت » إذا عتبته و كرهته أشدّ الكراهة لسوء فعله . و « استكمل

[119]

أيّامه » أي أتمّ عمره . و « الحمام » ككتاب الموت و قيل : قضاء الموت و قدره من قوله « حمّ كذا » أي قدر . « أولاه اللّه رضوانه » أي أوصله إليه و قرّبه منه ، و قيل : أي أعطاه .

قوله عليه السلام « فأصحر لعدوّك » قال في النهاية : أي كن من أمره على أمر واضح منكشف من « أصحر الرجل » إذا خرج إلى الصحراء ، و قال ابن أبي الحديد : أي أبرز له و لا تستقرّ في المدينة الّتي أنت فيها . 187 و قال ابن ميثم 188 : السبب في إرسال هذا الكتاب أنّ محمد بن أبي بكر رضي اللّه عنه كان يضعف عن لقاء العدوّ و لم يكن في أصحاب عليّ

عليه السلام أقوى بأسا في الحرب من الأشتر رحمه اللّه ، و كان معاوية بعد وقايع صفّين قد تجرد للإغارة على أطراف بلاد المسلمين و قد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص . و علم [عليّ] عليه السلام أنّها لا تتحفّظ إلاّ بالأشتر ، فكتب عليه السلام له العهد الذي يأتي ذكره و وجّهه إليها فبلّغه أنّ محمّدا تألّم من ذلك .

ثمّ إنّ الأشتر مات قبل وصوله إليها ، فكتب عليه السلام إلى محمّد هذا الكتاب و هو يؤذن بإقراره على عمله و استرضائه و تعريفه وجه عذره في تولية الأشتر لعمله و أنّه لم يكن ذلك لموجدة عليه و لا تقصير منه . 189

35 و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن العباس ، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أمّا بعد ، فإنّ مصر قد افتتحت ، و محمّد بن أبي بكر رحمه اللّه

----

(187) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 144 ، ط بيروت .

----

(188) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 74 .

----

(189) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 658 ، ط كمپانى و ص 607 ، ط تبريز .

قد استشهد ، فعند اللّه نحتسبه (3770) ولدا ناصحا ، و عاملا كادحا (3771) ،

و سيفا قاطعا ، و ركنا دافعا . و قد كنت حثثت النّاس على لحاقه ،

و أمرتهم بغياثه قبل الوقعة ، و دعوتهم سرّا و جهرا ، و عودا و بدءا ، فمنهم الآتي كارها ، و منهم المعتلّ كاذبا ، و منهم القاعد خاذلا . أسأل اللّه تعالى أن يجعل لي منهم فرجا عاجلا ، فو اللّه لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشّهادة ، و توطيني نفسي على المنيّة ،

لأحببت ألاّ ألقى مع هؤلاء يوما واحدا ، و لا ألتقي بهم أبدا .

إيضاح

« استشهد » على بناء المجهول ، أي قتل في سبيل اللّه .

و قال في النهاية : « الاحتساب » من الحسب كالاعتداد من العدد . و إنّما قيل لمن ينوي بعمله وجه اللّه احتسبه ، لأنّ له حينئذ أن يعتدّ بعمله فجعل في حال مباشرة الفعل ، كأنّه معتدّ به . و الاحتساب في الأعمال الصالحات ، و عند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر و تحصيله بالصبر و التسليم أو باستعمال أنواع البرّ و القيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبا للثواب المرجوّ منها . و منه الحديث : « من مات له ولد فاحتسبه » أي احتسب الأجر على مصيبته . يقال : « احتسب فلان ابنالَه » إذا مات كبيرا و « افترطه » إذا مات صغيرا . و معناه : اعتدّ مصيبته في حملة بلا يا اللّه الّتي يثاب على الصبر عليها .

انتهى .

و « الكدح » العمل و السعي ، قاله الجوهري . و قال : ركن الشيء : مجانبه الأقوى ، و « هو يأوي إلى ركن شديد » أي عزّ و منعة ، و قال : « لحقه و لحق به لحاقا » بالفتح ، أي أدركه . و قال : « استغاثني فأغثته » و الاسم « الغياث » صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها . قوله عليه السلام « و منهم المعتلّ » أي قعد و اعتلّ بعلّة كاذبة . قوله عليه السلام « و لا ألتقي » معطوف على « أحببت » أو « لا أبقى » كما أنّ في بعض

[121]

النسخ بالنصب و في بعضها بالرفع . 190

36 و من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب ، في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء ،

و هو جواب كتاب كتبه إليه عقيل

فسرّحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين ، فلمّا بلغه ذلك شمّر هاربا ، و نكص نادما ، فلحقوه ببعض الطّريق ، و قد طفّلت (3772) الشّمس للإياب (3773) ، فاقتتلوا شيئا كلا و لا (3774) ، فما كان إلاّ كموقف ساعة حتّى نجا جريضا (3775) بعد ما أخذ منه بالمخنّق (3776) ،

و لم يبق منه غير الرّمق (3777) ، فلأيا بلأي (3778) ما نجا . فدع عنك قريشا و تركاضهم (3779) في الضّلال ، و تجوالهم (3780) في الشّقاق (3781) ،

و جماحهم (3782) في التّيه (3783) ، فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبلي ، فجزت قريشا عنّي الجوازي (3784) فقد قطعوا رحمي ، و سلبوني سلطان ابن أمّي (3785) .

----

(190) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 658 ، ط كمپانى و ص 607 ، ط تبريز .

[122]

و أمّا ما سألت عنه من رأيي في القتال ، فإنّ رأيي قتال المحلّين (3786) حتّى ألقى اللّه ، لا يزيدني كثرة النّاس حولي عزّة ، و لا تفرّقهم عنّي وحشة ، و لا تحسبنّ ابن أبيك و لو أسلمه النّاس متضرّعا متخشّعا ،

و لا مقرّا للضّيم (3787) واهنا (3788) ، و لا سلس (3789) الزّمام (3790) للقائد ، و لا وطيء (3791) الظّهر للرّاكب المتقعّد (3792) ، و لكنّه كما قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني
صبور على ريب الزّمان صليب (3793)

يعزّ عليّ (3794) أن ترى بي كآبة (3795)
فيشمت عاد (3796) أو يساء حبيب

و قال ابن أبي الحديد : كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ عليه السلام حين بلغه خذلان أهل الكوفة و تقاعدهم به لعبد اللّه عليّ أمير المؤمنين :

من عقيل ابن أبي طالب سلام اللّه عليك ، فإنّي أحمد إليك اللّه الّذي لا إله إلاّ هو .

أمّا بعد ، فإنّ اللّه جارك [191] من كلّ سوء و عاصمك من كلّ مكروه ، و على كلّ حال إنّي خرجت إلى مكّة معتمرا فلقيت عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح في نحو من

[191] في المصدر : حارسك .

[123]

أربعين شابّا من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر في وجوههم فقلت : إلى أين يا أبناء الشانئين ؟ أبمعاوية تلحقون عداوة ؟ و الله منكم قديما غير مستنكر تريدون بها إطفاء نور الله و تبديل أمره . فأسمعني القوم و أسمعتهم ، فلمّا قدمت مكّة ، سمعت أهلها يتحدّثون أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموالها ما شاء ، ثمّ انكفأ راجعا سالما ، فإنّ الحياة [192] في دهر جرأ عليك الضحّاك ، و ما الضحّاك ؟ فقع بقرقر . و قد توهّمت حيث بلغني ذلك أنّ شيعتك و أنصارك خذلوك ، فاكتب إليّ يا ابن أمّي برأيك فإن كنت الموت تريد ، تحمّلت إليك ببني أخيك و ولد أبيك ، فعشنا معك ما عشت ، و متنا معك إذا متّ ، فو الله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقا ، و أقسم بالأعزّ الأجلّ إنّ عيشا نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيء و لامريء و لا نجيع ، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السّلام :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب سلام [193] عليك ، فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو .

أمّا بعد ، كلأنا الله و إيّاك كلاءة من يخشاه بالغيب ، إنّه حميد مجيد . قد وصل إليّ كتابك مع عبد الرّحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنّك لقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلا من قدير في نحو من أربعين فارسا من أبناء الطلقاء متوجّهين إلى جهة الغرب ، و إنّ ابن أبي سرح طالما كاد الله و رسوله و كتابه و صدّ عن سبيله و بغاها عوجا ، فدع ابن أبي سرح و دع عنك قريشا و خلّهم و تركاضهم في الضلال

[192] في المصدر : فأفّ لحياة . و هذا صحيح و مناسب لسياق الجملة (المصحّح) .

[193] في المصدر : سلام الله عليك .

و تجوالهم في الشقاق . ألا و إنّ العرب قد اجتمعت [194] على حرب أخيك اليوم اجتماعها [195] على حرب النبيّ صلّى الله عليه و آله قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه و جحدوا فضله و بادروه العداوة و نصبوا له الحرب و جهدوا عليه كلّ الجهد و جروا إليه جيش الأحزاب . اللّهمّ فاجز قريشا عنّي الجوازي فقد قطعت رحمي و تظاهرت عليّ و دفعتني عن حقّي و سلبتني سلطان ابن أمّي و سلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول و سابقتي في الإسلام إلاّ أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه و لا أظنّ الله يعرف [196] و الحمد لله على كلّ حال .

و أمّا ما ذكرت من إغارة الضحّاك على أهل الحيرة ، فهو أقلّ و أذلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها و لكنّه قد كان أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتّى مرّ بواقصة و شراف و القطقطانة فما [197] و الى ذلك إلى [198] الصقع ، فوجّهت اليه جندا كثيفا من المسلمين فلمّا بلغه ذلك فرّ هاربا ، فاتّبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن ، و كان ذلك حين طفّلت الشمس للإياب ، فتناوش [199] القتال قليلا كلا و لا ، فلم يصبر لوقع المشرفيّة ، و ولّى هاربا و قتل من أصحابه بضعة عشر رجلا و نجا جريضا بعد ما أخذ منه بالمخنّق ، فلأيا بلأي ما نجا .

و أمّا ما سألتني أن أكتب إليك رأيي [200] فيما أنا فيه ، فإنّ رأيي جهاد المحلّين حتّى ألقى الله ، لا يزيدني كثرة النّاس معي عزّة ، و لا تفرّقهم عنّي وحشة ، لأنّي محقّ و الله مع المحقّ . و والله ما أكره الموت على الحقّ ، و ما الخير كلّه إلاّ بعد الموت لمن كان محقّا .

و أمّا ما عرضت به من سيرك إليّ ببنيك و بني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأقم راشدا محمودا ، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت ، و لا تحسبنّ ابن أمّك

[194] في المصدر : أجمعت . و المعنى واحد (المصحّح) .

[195] في المصدر : إجماعها . و المعنى واحد (المصحّح) .

[196] في المصدر : يعرفه .

[197] في المصدر : ممّا .

[198] في المصدر : بدون كلمة « إلى » .

[199] في المصدر : فتناوشوا .

[200] في المصدر : أن أكتب لك برأيي .

[125]

و إن [201] أسلمه الناس متخشّعا و لا متضرّعا ، إنّه لكما قال أخو بني سليم :

شعر :

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني
صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة
فيشمت عاد أو يسآء حبيب

بيان

و روى السيّد رضي اللّه عنه في النهج بعض هذا الكتاب هكذا :

فسرّحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين . . .

بيان : قوله « فقع بقرقر » لعلّه خبر (إنّ) و قوله « و ما الضحّاك » معترضة . و قال الجوهري : « الفقع » ضرب من الكماة ، و كذلك « الفقع » بالكسر . و يشبّه به الرجل الذليل ، فيقال : « هو فقع قرقر » لأنّ الدوابّ تبخله بأرجلها .

قال النابغة : يهجو النعمان بن المنذر :

حدّثوني بني الشقيقة ما
يمنع فقعا بقرقر أن يزولا

و قال : « القرقر » القاع الأملس . و « الفواق » بالفتح و الضم ، ما بين الحلبتين من الوقت . « و التركاض » و « التجوال » بفتح التاء فيهما مبالغتان في الركض و الجولان . و « الركض » تحريك الرجل ، و « ركضت الفرس برجلي » حثثته ليعدو ، ثمّ كثر حتّى قيل : « ركض الفرس » إذا عدا ، و الواو فيهما يشبه أن يكون بمعنى مع ، و يحتمل العاطفة .

و استعار لفظ الجماح باعتبار كثرة خلافهم للحقّ و حركاتهم في تيه الجهل و الخروج عن طريق العدل ، من قولهم : « جمح الفرس » إذا اعتزّ راكبه و غلبه ، و يحتمل أن يكون من « جمح » بمعنى أسرع كما ذكره الجوهري .

[201] في المصدر : و لو .

[126]

و قوله عليه السلام « فجزت قريشا عنّي اجوازي » جمع « جازية » أي جزت قريشا عنّي بما صنعت كلّ خصلة من تكبّة أو شدة أو مصيبة ، أي جعل اللّه هذه الدواهي كلّها جزاء قريش بما صنعت كلّ خصلة .

و قال ابن أبي الحديد : « سلطان ابن أمّي » يعني به الخلافة . و « ابن أمّه » هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران [202] بن مخزوم أمّ عبد اللّه و أبي طالب . و لم يقل « سلطان ابن أبي » لأنّ غير أبي طالب من الأعمام تشركه [203] في النسبة [204] إلى عبد المطّلب . و قال الراوندي : يعني نفسه لأنّه ابن أمّ نفسه .

205 و لا يخفى ما فيه . و قيل : لأنّ فاطمة بنت أسد كانت تربّي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين كفّله أبو طالب ، فهي كالأمّ له . و يحتمل أن يكون المراد سلطان أخي مجازا و مبالغة في تأكّد الأخوّة الّتي جرت بينه و بين النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و إشارة إلى حديث المنزلة و قوله تعالى حكاية عن هارون : يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي 206 . و قد مرّ بعض ما يؤيّد هذا الوجه . و « واقصة » موضع بطريق الكوفة و اسم مواضع أخرى . و « شراف » كقطام موضع و ماءة لبني أسد ، أو جبل عال ، و كغراب ماء . و « القطاقط و القطقط و القطقطانة » بضمّها ، موضع الإصرة بالكوفة كانت سجن النعمان بن المنذر . « فما والى ذلك » أي قاربه ، و يقال :

« أمعن الفرس » أي تباعد في عدوه .

و قال الجوهري : « تطفيل الشمس » ميلها للغروب ، و « الطفل » بالتحريك ،

[202] في المصدر : عمران بن عائذ بن مخزوم .

[203] في المصدر : يشركه .

[204] في المصدر : النسب .

----
(205) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 151 152 ، ط بيروت .

----
(206) الأعراف : 150 .

[127]

بعد العصر إذا طفّلت الشمس للغروب . و « الإياب » الرجوع أي الرجوع إلى ما كانت عليه في اللّيلة الّتي قبلها . و قال الجوهري : « آبت الشمس » لغة في غابت . و تفسير الراوندي بالزوال بعيد . و قال الجوهري : المناوشة في القتال و ذلك إذا تدانى الفريقان .

و « التناوش » التناول . قوله عليه السلام « شيئا كلا و لا » قال ابن أبي الحديد :

أي شيئا قليلا كلا شيء [207] ، و موضع « كلا و لا » نصب لأنّه صفة « شيئا » و هي كلمة تقال لما يستقصر جدّا . و المعروف عند أهل اللغة « كلا و ذا » . قال ابن هاني المغربي :

و أسرع في العين من لحظة
و أقصر في السمع من لا و ذا

و في شعر الكميت « كلا و كذا » . و قد رويت في نهج البلاغة كذلك إلاّ أنّ [208] أكثر النسخ « كلا و لا » .

و من الناس من يرويها « كلا ولات » ، و هي حرف أجرى مجرى « ليس » و لا يجيء إلاّ مع « حين » ، إلاّ أن تحذف في شعر . و من الرواة من يرويها « كلا » . 209 و قال ابن ميثم : قوله عليه السلام « كلا و لا » تشبيه بالقليل السريع الفناء و ذلك لأنّ « لا و لا » لفظان قصيران قليلان في المسموع و استشهد بقول ابن هاني . 210 أقول : و يحتمل أن يكون المعنى شيئا كلا شيء و ليس بلا شيء ، أو يكون العطف للتأكيد . و « الموقف » هنا مصدر و « المشرفية » بالفتح ، سيوف نسبت إلى مشارف و هي قرى من أرض العرب .

و في النهاية : « الجرض » بالتحريك أن تبلغ الروح الحلق و الانسان جريض . و في الصحاح : « الجرض » بالتحريك ، الريق يغصّ به يقال : « جرض بريقه » ابتلع ريقه على همّ و حزن بالجهد . و « الجريض » الغصّة . و « مات فلان جريضا » أي مغموما . و

[207] في المصدر : بدون « كلا شيء » .

[208] في المصدر : إلاّ أنّ في أكثر . . .

----

(209) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 149 ، ط بيروت .

----

(210) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 79 .

[128]

قال : « خنقه و خنّقه » و موضعه من العنق « مخنق » يقال : « بلغ منه المخنّق و أخذ بمخنّقه و خناقه » أي حلقه .

و قال ابن ميثم : « لأيا » مصدر و العامل محذوف . و « ما » مصدرية في موضع الفاعل ، و التقدير : « فلأى لأيا نجاؤه » أي عسر و أبطأ . و قوله « بلأي » أي مقرونا بلأي ، أي شدّة بعد شدّة . 211 و قال الكيدري : « ما » زائدة و تقدير الكلام : « فنجا لأيا » أي صاحب لأي في حال كونه صاحب جهد و مشقة متلبّسة بمثلها ، أي نجا في حال تضاعف الشدائد .

و قال الراوندي : نصب « لأيا » على الظرف و تفيد (ما) الزائدة في الكلام ابهاما أي بعد شدّة و إبطاء نجا . قوله عليه السلام « قتال المحلّين » أي البغاة .

قال الجوهري : « أحلّ » أي خرج إلى الحلّ أو من ميثاق كان عليه و منه قول زهير :

و كم بالقتال من محلّ و محرم و قال : « أسلمه » أي أخذ له . قوله عليه السلام « و لا مقرّا للضيم » أي راضيا بالظلم صابرا عليه . و « السلس » السهل اللّين المنقاد . « و لا وطئ الظهر » أي متهيّئا للركوب . و « متقعّد البعير » راكبه . « و الصليب » الشديد . 212

37 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

فسبحان اللّه ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة ، و الحيرة المتّبعة (3797) ،

مع تضييع الحقائق و اطّراح الوثائق ، الّتي هي للّه طلبة (3798)

----

(211) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 79 ، ط بيروت .

----

(212) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 673 ، ط كمپاني و ص 621 ، ط تبريز .

[129]

و على عباده حجّة . فأمّا إكثارك الحجاج (3799) على عثمان و قتلته ،

فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النّصر لك ، و خذلته حيث كان النّصر له ، و السّلام .

38 و من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر ، لما ولى عليهم الأشتر

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين ، إلى القوم الّذين غضبوا للّه حين عصي في أرضه ، و ذهب بحقّه ، فضرب الجور (3800) سرادقه (3801) على البرّ (3802) و الفاجر ، و المقيم و الظّاعن (3803) ، فلا معروف يستراح إليه (3804) ، و لا منكر يتناهى عنه .

أمّا بعد ، فقد بعثت إليكم عبدا من عباد اللّه ، لا ينام أيّام الخوف ، و لا ينكل (3805) عن الأعداء ساعات الرّوع (3806) ، أشدّ على الفجّار من حريق النّار ، و هو مالك بن الحارث أخو مذحج (3807) ،

فاسمعوا له و أطيعوا أمره فيما طابق الحقّ ، فإنّه سيف من سيوف اللّه ،

لا كليل (3808) الظّبة (3809) ، و لا نابي (3810) الضّريبة (3811) : فإن أمركم أن تنفروا فانفروا ، و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنّه لا يقدم و لا يحجم ، و لا يؤخّر و لا يقدّم إلاّ عن أمري ، و قد آثرتكم

به (3812) على نفسي لنصيحته لكم ، و شدّة شكيمته (3813) على عدوّكم .

بيان

قوله عليه السلام « إلى القوم الذين غضبوا للّه » قال ابن أبي الحديد :

هذا الفصل يشكل تأويله عليّ [213] لأنّ أهل مصرهم الّذين قتلوا عثمان و إذا شهد أمير المؤمنين عليه السّلام بأنّهم [214] غضبوا للّه حين عصي اللّه في أرضه . [215] فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان و إتيان المنكر . 216 ثمّ أجاب بتأويلات ركيكة لا تقبل الجواب .

و قال الجوهري : كل بيت من كرسف فهو « سرادق » .

و في القاموس : « استراح إليه » سكن و اطمأنّ .

و في النهاية : « ضبط السيف » حدّه و ظرفه .

و في القاموس : « الضريبة » السيف وحده .

و في الصحاح : « نبا السيف » إذا لم يعمل في الضريبة . و قال : « فلان شديد الشكيمة » إذا كان شديد النفس أنفا أبيّا . و « فلان ذو شكيمة » إذا كان لا ينقاد . 217

39 و من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص

فإنّك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرىء ظاهر غيّه ، مهتوك ستره ،

[213] في المصدر : يشكل عليّ تأويله . و هذا صحيح (المصحّح) .

[214] في المصدر : أنّهم .

[215] في المصدر : حين عصي في أرضه .

----

(216) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 156 ، ط بيروت .

----

(217) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 659 ، ط كمپاني و ص 608 ، ط تبريز .

يشين الكريم بمجلسه ، و يسفّه الحليم بخلطته ، فاتّبعت أثره ،

و طلبت فضله ، اتّباع الكلب للضّرغام (3814) يلوذ بمخالبه ، و ينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته ، فأذهبت دنياك و آخرتك و لو بالحقّ أخذت أدركت ما طلبت . فإن يمكّنّي اللّه منك و من ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما ، و إن تعجزا (3815) و تبقيا فما أمامكما شرّ لكما ، و السّلام . أقول : قال ابن ميثم رحمه اللّه : كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عمرو بن العاص :

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الأبتر بن الأبتر ، عمرو بن العاص ، شانئ محمّد و آل محمّد في الجاهليّة و الإسلام . سلام على من اتّبع الهدى .

أمّا بعد ، فإنّك تركت مروّتك لامرئ فاسق مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه و يسفّه الحليم بخلطته ، فصار قلبك لقلبه تبعا كما (وافق شن طبقة) . فسلبك دينك و أمانتك و دنياك و آخرتك ، و كان علم اللّه بالغا فيك . فصرت كالذّئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا أو الصبح أنا ، يلتمس فاضل سؤره و حوايا فريسته ، و لكن لا نجاة من القدر ، و لو بالحقّ أخذت لأدركت ما رجوت . و قد رشد من كان الحقّ قائده ، [218] فإن يمكّني اللّه منك و من ابن آكلة الأكباد ، ألحقكما بمن قتله اللّه من ظلمة قريش على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . و إن تعجزا أو تبقيا بعدي فاللّه حسبكما ، و كفى بانتقامه انتقاما و بعقابه عقابا ،

و السّلام . 219

[218] في المصدر : إذا ما اللّيل رجا ، يلتمس أن يداوسه . و كيف تنجو من القدر ، و لو بالحقّ طلبت أدركت ما رجوت ، و قد يرشد من كان قائده .

----

(219) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 85 .

[132]

و روى ابن أبي الحديد مثله عن نصر بن مزاحم من كتاب صفين .

ج . نهج : من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

فإنّك جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيّه ، مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه و يسفّه الحليم بخلطته ، فاتّبعت أثره و طلبت فضله اتّباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه و ينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته ، فأذهبت دنياك و آخرتك . و لو بالحقّ أخذت ، أدركت ما طلبت . فإن يمكّن اللّه منك و من ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما و إن تعجزا و تبقيا فما أمامكما شرّ لكما ، و السّلام . 220

بيان

« إلى الأبتر » إشارة إلى قوله تعالى : إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ 221 فانّه نزل فيه . قال ابن أبي الحديد : أمّا غيّ معاوية [222] فلا ريب في ظهور ضلاله و بغيه . [223] و أمّا « مهتوك سرّه » فإنّه كان كثير الهزل و الخداعة [224] صاحب جلساء و سمار . و معاوية لم يتوقّر و لم يلزم قانون الرئاسة إلاّ منذ خرج على أمير المؤمنين و احتاج إلى الناموس و السكينة ، و إلاّ فقد كان في أيام عثمان شديد التّهتّك موسوما بكلّ قبيح و كان في أيّام عمر يستر نفسه قليلا [225] منه إلاّ أنّه كان يلبس الحرير [226] و يشرب في آنية الذهب و الفضّة و يركب البغلات ذوات السروج المحلاّة بها و عليها [227] جلال الديباج و الوشى .

و كان حينئذ شابّا عنده برق الصبّي [228] و أثر الشبيبة و سكر السلطان و الإمرة . و نقل

----

(220) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 163 ، ط بيروت .

----
(221) الكوثر : 4 .

[222] في المصدر : فأمّا قوله عليه السلام في معاوية « ظاهر غيّه » .

[223] في المصدر : و بغيه و كلّ باغ غاو .

[224] في المصدر : الخلاعة .

[225] في المصدر : خوفا منه .

[226] في المصدر : يلبس الحرير و الديباج .

[227] في المصدر : بهما و عليهما .

[228] في المصدر : نزق الصبا .

الناس عنه في كتب السيرة أنّه كان يشرب الخمر في أيّام عثمان بالشام ، فأمّا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السّلام و استقرار الأمر له فقد اختلف فيه . فقيل : إنّه شرب الخمر في ستروقيل : لم يشرب . و لا خلاف في أنّه سمع الغناء و طرب عليه و أعطى و وصل عليه أيضا . 230 و أمّا قوله « يشين الكريم بمجلسه و يسفّه الحليم بخلطته » فالأمر كذلك لأنّه لم يكن في مجلسه إلاّ شتم بني هاشم و قذفهم و التعرّض بذكر الإسلام و الطعن عليه و إن أظهر الانتماء إليه . 231 قوله عليه السلام « كما وافق شن » . قال في مجمع الأمثال : قال الشرفي بن القطامي : كان رجل من دهاة العرب و عقلائهم يقال له : « شن » فقال : و اللّه لأطوفنّ حتّى أجد امرأة مثلي فأتزوجّها . فبينما هو في بعض مسيره إذا رافقه رجل في الطريق فسأله « شن » : أين تريد ؟

فقال : موضع كذا و كذا يريد القرية الّتي يقصدها « شن » .

فرافقه حتّى إذا أخذا في مسيرهما ، قال « شن » : أتحملني أم أحملك ؟

فقال له الرجل : يا جاهل أنا راكب و أنت راكب فقال : أحملك أم تحملني ؟

فسكت عنه « شن » ، فسارا حتّى إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد فقال : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟

فقال له الرجل : يا جاهل ترى بنتا مستحصدا فتقول أكل أم لا ؟

فسكت عنه « شن » ، حتّى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة فقال « شن » : أترى صاحب هذا النعش حيّا أو ميّتا ؟

فقال الرجل : ما رأيت أجهل منك ، ترى جنازة تسأل عنها أميّت صاحبها أم حيّ .

فسكت عنه « شن » ، فأراد مفارقته فأبى الرجل أن يتركه حتّى يسير به إلى

----
(230) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 160 162 .

----
(231) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 160 162 .

منزله فمضى معه و كان للرجل بنت يقال لها طبقة ، فلمّا دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه . فأخبرها بمرافقته إيّاه و شكى إليها جهله و حدّثها بحديثه .

فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل . أمّا قوله « أتحملني أم أحملك ؟ » ، فأراد « أتحدّثني أم أحدّثك حتّى نقطع طريقنا ؟ » . و أمّا قوله « أ ترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ » ، فإنّما أراد « هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ » . و أمّا قوله في الجنازة فأراد « هل ترك عقبا يحيى بهم ذكره أم لا ؟ » . فخرج الرجل فقعد مع « شن » فحادثه ساعة ثمّ قال : أتحبّ أن أفسّر لك ما سألتني عنه ؟

قال : نعم .

ففسّره ، فقال « شن » : ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه .

فقال : ابنة لي .

فخطبها إليه فزوّجه و حملها إلى أهله فلمّا رأوها قالوا : « وافق شن طبقة » فذهبت مثلا يضرب للمتوافقين .

و قال الأصمعي : هم قوم كان لهم وعاء أدم فتشنن فجعلوا له طبقا فوافقه فقيل : « وافق شن طبقة » . و هكذا رواه أبو عبيدة في كتابه و فسّره .

و قال ابن الكلبي : طبقة قبيلة من « أياد » كانت لا تطاق فوقعت بها شن ابن أقصى بن عبد القيس فانتصفت منها و أصابت فيها فضربتا مثلا للمتّفقين في الشدّة و غيرها .

قال الشاعر :

لقيت شن أياد بالقنا
طبقا وافق شن طبقة

فزاد المتأخّرون فيه : وافقه فاعتنقه . انتهى .

و قال الجوهري : « أنا يأني أنا » أي حان ، و « أنى » أيضا « أدرك » . و في بعض النسخ بالتآء .

و « الحوايا » الامعاء ، جمع « حويّة » . قوله عليه السلام « أدركت » أي

من الدنيا بقدر كفايتك أو من الآخرة . قوله عليه السلام « فإن يمكّن الله » المفعول محذوف أي يمكّنني . قوله عليه السلام « و إن تعجزا » أي غلبتما عليّ ، فالمفعول محذوف أيضا . و لنذكر هنا نسب هذا الأبتر لعنه الله و صاحبه الأكفر و بعض مثالبه و مثالب أبيه . [232]

40 و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك ، و عصيت إمامك ، و أخزيت أمانتك (3816) .

بلغني أنّك جرّدت (3817) الأرض فأخذت ما تحت قدميك ، و أكلت ما تحت يديك ، فارفع إليّ حسابك ، و اعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب النّاس ، و السّلام .

بيان

« و أخزيت أمانتك » أي ذللتها و أهنتها . « أنّك جرّدت الأرض » أي أخزيت الضياع و أخذت حاصلها لنفسك ، يقال : « جردت الشيء » كنصرت أي أقشرته و أزلت ما عليه . و منه سمّي « الجراد » لأنّه يجرد الأرض . 233

[232] بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 572 ، ط كمپانى و ص 527 ، ط تبريز . و لم نذكر هنا نسبه حذرا من إطالة الكلام و عدم فائدتها لغير المحقّقين . فمن كان يريد أن يعلمها و يداقّ في هذا المطلب بالتفصيل ، فليرجع إلى الكتاب نفسه (المصحّح) .

----

(233) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 639 ، ط كمپانى و ص 589 ، ط تبريز .

[136]

41 و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أمّا بعد ، فإنّي كنت أشركتك في أمانتي (3818) ، و جعلتك شعاري و بطانتي ، و لم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي (3819) و موازرتي (3820) و أداء الأمانة إليّ ، فلمّا رأيت الزّمان على ابن عمّك قد كلب (3821) ، و العدوّ قد حرب (3822) ، و أمانة النّاس قد خزيت (3823) ،

و هذه الأمّة قد فنكت (3824) و شغرت (3825) ، قلبت لابن عمّك ظهر المجنّ (3826) ففارقته مع المفارقين ، و خذلته مع الخاذلين ، و خنته مع الخائنين ، فلا ابن عمّك آسيت (3827) ، و لا الأمانة أدّيت . و كأنّك لم تكن اللّه تريد بجهادك ، و كأنّك لم تكن على بيّنة من ربّك ،

و كأنّك إنّما كنت تكيد (3828) هذه الأمّة عن دنياهم ، و تنوي غرّتهم (3829) عن فيئهم (3830) ، فلمّا أمكنتك الشّدّة في خيانة الأمّة أسرعت الكرّة ،

و عاجلت الوثبة ، و اختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم و أيتامهم اختطاف الذّئب الأزلّ (3831) دامية (3832) المعزى (3833) الكسيرة (3834) ، فحملته إلى الحجاز رحيب الصّدر بحمله ، غير متأثّم (3835) من أخذه ، كأنّك لا أبا لغيرك (3836) حدرت (3837) إلى أهلك تراثك (3838) من أبيك و أمّك ، فسبحان اللّه أما تؤمن

[137]

بالمعاد ؟ أو ما تخاف نقاش (3839) الحساب أيّها المعدود كان عندنا من أولي الألباب ، كيف تسيغ (3840) شرابا و طعاما ، و أنت تعلم أنّك تأكل حراما ، و تشرب حراما ، و تبتاع الإماء و تنكح النّساء من أموال اليتامى و المساكين و المؤمنين و المجاهدين ، الّذين أفاء اللّه عليهم هذه الأموال ، و أحرز بهم هذه البلاد فاتّق اللّه و اردد إلى هؤلاء القوم أموالهم ، فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني اللّه منك لأعذرنّ إلى اللّه فيك (3841) ، و لأضربنّك بسيفي الّذي ما ضربت به أحدا إلاّ دخل النّار و واللّه لو أنّ الحسن و الحسين فعلا مثل الّذي فعلت ، ما كانت لهما عندي هوادة (3842) ، و لا ظفرا منّي بإرادة ، حتّى آخذ الحقّ منهما ، و أزيح الباطل عن مظلمتهما ، و أقسم باللّه ربّ العالمين ما يسرّني أنّ ما أخذته من أموالهم حلال لي ، أتركه ميراثا لمن بعدي ،

فضحّ رويدا (3843) ، فكأنّك قد بلغت المدى (3844) ، و دفنت تحت الثّرى (3845) ، و عرضت عليك أعمالك بالمحلّ الّذي ينادي الظّالم فيه بالحسرة ، و يتمنّى المضيّع فيه الرّجعة ، « و لات حين مناص (3846) »

توضيح

قوله عليه السلام « و كنت أشركتك في أمانتي » أي في الخلافة الّتي ائتمنني الله عليها حيث جعلتك واليا . و « بطانة الرجل » صاحب سرّه الّذي يشاوره في أحواله . و « المواساة » المشاركة و المساهمة . قوله « قد كلب » بكسر اللام ، أي اشتدّ ،

[138]

يقال : « كلب الدهر على أهله » إذا ألحّ عليهم و اشتدّ ، قاله الجزري . 234 و قال :

« قد حرب » أي غضب . 235 و « الفتك » أن يأتي الرجل صاحبه و هو غار غافل حتّى يشدّ عليه فيقتله . قوله عليه السلام « و شغرت » أي خلت من الخير ، قال الجوهريّ :

« شغر البلد » أي خلا من الناس . 236 قوله عليه السلام « قلّبت لابن عمّك » أي كنت معه فصرت عليه ، و أصل ذلك أنّ الجيش إذا لقوا العدوّ كانت ظهور مجانّهم إلى وجه العدوّ و بطونها إلى عسكرهم ،

فإذا فارقوا رئيسهم عكسوا . قوله عليه السلام « فلمّا أمكنتك الشدّة » من قولهم « شدّ عليه في الحرب » إذا حمل .

و قال الجزريّ : « الأزلّ » في الأصل ، الصغير العجز و هو في صفات الذئب ،

الخفيف ، و قيل : هو من قولهم « زلّ زليلا » إذا عدا ، و خصّ الدامية لأنّ من طبع الذئب محبّة الدم حتّى أنّه يرى ذئبا داميا فيثب عليه ليأكله . 237 و « تأثّم » أي تحرّج عنه و كفّ . قوله عليه السلام « لا أبا لغيرك » استعمل ذلك في مقام « لا أبالك » تكرمة له و شفقة عليه ، و ما قيل من أنّ « لا أبا لك » لمّا كان يستعمل كثيرا في معرض المدح أي لا كافي لك غير نفسك ، فيحتمل أن يكون ذمّا له بمدح غيره فلا يخفى بعده ، و يقال : « حدرت السفينة » إذا أرسلتها إلى أسفل .

و قال الجزريّ فيه : « من نوقش في الحساب عذّب » أي من استقصي في محاسبته و حوقق ، و منه حديث عليّ عليه السلام « لنقاش الحساب » [238] و هو مصدر منه ، و أصل « المناقشة » من « نقش الشوكة » إذا استخرجها من جسمه . 239

----

(234) النهاية ، ج 3 ، ص 30 31 .

----

(235) النهاية ، ج 1 ، ص 212 .

----

(236) الصحاح ، ص 700 .

----

(237) النهاية ، ج 2 ، ص 130 .

[238] أصل الحديث : يوم يجمع الله فيه الأوّلين و الآخرين لنقاش الحساب .

----

(239) النهاية ، ج 4 ، ص 170 .

قوله عليه السلام « أيّها المعدود كان عندنا » أدخل عليه [السلام] لفظة « كان » تنبيها على أنّه لم يبق كذلك ، قيل : و لعلّه عدل عن أن يقول : « يا من كان عندنا من ذوي الألباب » إشعارا بأنّه معدود في الحال أيضا عند الناس منهم . و « أعذر » أبدى عذرا . و « الهوادة » الرخصة و السكون و المحاباة . قوله « بارادة » أي بمراد . و « الازاحة » الإزالة و الإبعاد .

و قال الجزريّ : إنّ العرب كان يسيرون في ظعنهم ، فإذا مرّوا ببقعة من الأرض فيه كلأ و عشب قال قائلهم : ألا ضحّوا رويدا ، أي ارفقوا بالابل حتّى تتضحّى أي تنال من هذا المرعى ، و منه كتاب عليّ عليه السلام إلى ابن عبّاس « ألا ضحّ رويدا فقد بلغت المدى » أي اصبر قليلا . 240 و قال البيضاويّ في قوله تعالى : وَ لاَتَ حِينَ مَنَاصٍ أي ليس الحين حين مناص و « لا » هي المشبّهة بليس ، زيدت عليه تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على ربّ و ثمّ ، و خصّت بلزوم الأحيان و حذف أحد المعمولين ، و قيل : هي النافية للجنس ، أي « و لا حين مناص لهم » ، و قيل : للفعل و النصب بإضماره ، أي « و لا أرى حين مناص » إلى آخر ما حقّق في ذلك . 241 و « المناص » المنجى .

أقول : قال عبد الحميد بن أبي الحديد : اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب ، فقال الأكثرون : إنّه عبد اللّه بن العبّاس كما تدلّ عليه عبارات الكتاب ،

و قد روى أرباب هذا القول أنّ عبد اللّه بن العبّاس كتب إلى عليّ عليه السلام جوابا عن هذا الكتاب ، قالوا : و كان جوابه :

أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تعظّم عليّ ما أصبت من بين مال البصرة ، و لعمري إنّ حقّي في بيت المال لأكثر ممّا أخذت ، و السّلام .

قالوا : فكتب إليه عليّ عليه السلام :

----

(240) *النهاية* ، ج 3 ، ص 13 14 .

----

(241) *تفسير البيضاوي* ، ج 2 ، ص 137 .

[140]

أمّا بعد ، فإنّ من العجب أن تزيّن لك نفسك أنّ لك في بيت مال المسلمين من الحقّ أكثر ممّا لرجل [242] من المسلمين فقد أفلحت لقد كان [243] تمنّيك الباطل و ادّعاؤك ما لا يكون ينجيك عن المآثم و يحلّ لك المحرّم ، إنّك لأنت المهتدي السعيد إذا . و قد بلغني أنّك اتّخذت مكّة وطنا و ضربت بها عطنا ، تشتري بها مولّدات مكّة و المدينة و الطائف ، تختارهنّ على عينك و تعطي فيهنّ مال غيرك ،

فارجع هداك اللّه إلى رشدك و تب إلى اللّه ربّك ، و اخرج إلى المسلمين من أموالهم . فعمّا قليل تفارق من ألفت و تترك ما جمعت ، و تغيّب في صدع من الأرض غير موسّد و لا ممهّد . قد فارقت الأحباب و سكنت التراب و واجهت الحساب غنيّا عمّا خلّفت فقيرا إلى ما قدّمت ، و السلام .

قالوا : فكتب إليه عبد اللّه بن العبّاس :

أمّا بعد ، فانّك قد أكثرت عليّ ، و واللّه لئن ألقى اللّه قد احتويت على كنوز الأرض كلّها من ذهبها و عقيانها و لجينها أحبّ إليّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم ،

و السلام . 244

إيضاح

قال ابن ابي الحديد : قد اختلف الناس في المكتوب إليه هذا الكتاب . فقال الأكثرون : إنّه عبد الله بن العبّاس رحمه الله و رووا في ذلك روايات و استدلّوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب ، كقوله « أشركتك في أمانتي و جعلتك بطانتي و شعاري و أنّه لم يكن في أهلي رجل أوثق منك » ، و قوله « على ابن عمّك قد كلب » ، ثمّ قال ثانيا : « قلبت لابن عمّك ظهر المجنّ » ، ثمّ قال ثالثا : « فلا

[242] في المصدر : لرجل واحدا ه .

[243] في المصدر : إن كان .

----

(244) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 42 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 182 185 . فراجع أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ،

ج 16 ، ص 169 171 ، ط بيروت .

ابن عمّك آسيت » ، و قوله « لا أبا لغيرك » . و هذه كلمة لا تقال إلاّ لمثله ، فأمّا غيره من أفناء الناس فإنّ عليّا عليه السلام كان يقول له : « لا أبالك » ، و قوله « أيّها المعدود كان عندنا من أولي الألباب » ، و قوله « و الله لو أنّ الحسن و الحسين عليهما السلام » . و هذا يدلّ على أنّ المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجراهما عنده . و قد روى أرباب القول أنّ عبد الله بن عبّاس كتب إلى عليّ عليه السلام جوابا عن هذا الكتاب .

قالوا : و كان جوابه :

أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تعظّم عليّ ما أصبت من بيت مال البصرة و لعمري إنّ حقّي في بيت المال لأكثر ممّا أخذت ، و السلام .

قالوا : فكتب إليه عليّ عليه السلام أمّا بعد ، فإنّ من العجب أن تزيّن لك نفسك أنّ لك في بيت مال المسلمين من الحقّ أكثر ممّا لرجل [245] من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنّيك الباطل و ادّعاؤك مالا يكون ينجيك من المآثم و يحلّ لك المحرم ، إنّك لأنت المهتدي السعيد إذا . و قد بلغني أنك اتّخذت مكّة وطنا و ضربت بها عطنا ، تشتري بها مولدات مكّة و المدينة و الطائف ، تختارهنّ على عينك و تعطي فيهنّ مال غيرك ، فارجع هداك الله إلى رشدك و تب إلى الله ربّك ، و اخرج إلى المسلمين من أموالهم . فعمّا قليل تفارق من ألفت ، و تترك ما جمعت ، و تغيب في صدع من الأرض غير موسّد و لا ممهّد . قد فارقت و سكنت التراب [246] و أوجهت الحساب غنيّا عمّا خلفت فقيرا إلى ما قدّمت ، و السلام .

[245] في المصدر : لرجل واحد .

[246] في المصدر : قد فارقت الأحباب و سكنت له التراب .

قالوا : فكتب إليه عبد الله بن عبّاس :

أمّا بعد ، فإنّك قد أكثرت عليّ و والله لئن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلّها من ذهبها و عقيانها و لجينها أحبّ إليّ من أن ألقاه بدم امرئ مسلم ،

و السلام .

و قال آخرون ، و هم الأقلّون : هذا لم يكن و لا فارق عبد اللّه بن عبّاس عليّا عليه السلام و لا باينه و لا خالفه و لم يزل أمير على البصرة إلى أن قتل عليّ عليه السلام . قالوا : و يدلّ على ذلك ما رواه أبو الفرج علي بن الحسين الإصبهاني من كتابه الّذي كتبه إلى معاوية من البصرة لمّا قتل علي عليه السلام ، و قد ذكرناه من قبل ، قالوا : و كيف يكون ذلك و لم يختدعه [247] معاوية و يجرّه إلى جهته . فقد علمتم كيف اختدع كثيرا من عمّال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام و استمالهم إليه بالأموال فمالوا و تركوا أمير المؤمنين عليه السّلام ، فما باله و قد علم النبوّة الّتي حدثت بينهما لم يستمل ابن عبّاس و لا اجتذبه إلى نفسه . و كلّ من قرأ السير و عرف التواريخ ،

يعرف مشاقة ابن عبّاس لمعاوية بعد وفاة عليّ عليه السلام و ما كان يلقاه به من قوارع الكلام و شديد الخصام و ما كان يثني به على أمير المؤمنين عليه السّلام و يذكر خصائصه و فضائله و يصدع به من مناقبه و مآثره فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان به الأمر [248] كذلك ، بل كانت الحال تكون بالضدّ ممّا [249] اشتهر من أمرهما ، و هذا عندي هو الأمثل و الأصوب . و قد قال الراوندي : المكتوب إليه هذا الكتاب ، هو عبيد اللّه بن العبّاس لا عبد اللّه . و ليس ذلك بصحيح ، فإنّ عبيد اللّه كان عامل عليّ عليه السلام على اليمن و قد ذكرنا قصّته مع بشر بن أرطاة فيما تقدّم ، و لم ينقل عنه أنّه أخذ مالا و لا فارق طاعة .

[247] في المصدر : و لم يخدعه .

[248] في المصدر : لما كان الأمر .

[249] في المصدر : لما .

و قد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب فإن أنا كذبت النقل و قلت هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السّلام خالفت الرواة فإنّهم قد أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه و قد ذكر في أكثر كتب السيرة . و إن صرفته إلى عبد اللّه بن عبّاس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين في حياته و بعد وفاته . و إن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى من أصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السّلام . و الكلام يشرع [250] بأنّ الرجل المخاطب من أهله و من بني عمّه ، فأنا في هذا الموضع من المتوقّفين .

انتهى . 251 و قال ابن ميثم : هذا مجرّد استبعاد ، و معلوم أنّ ابن عباس لم يكن معصوما و على عليّ عليه السلام لم يكن ليراقب في الحقّ أحدا و لو كان أعزّ أولاده ، بل يجب أن تكون الغلظة على الأقرباء في هذا الأمر أشدّ ثمّ إنّ غلظته عليه و عتابه لا يوجب مفارقته إيّاه . 252 و لنرجع إلى الشرح .

قوله عليه السلام « كنت أشركتك في أمانتي » أي جعلتك شريكا في الخلافة الّتي ائتمنني اللّه عليها . و « الأمانة الثانية » ما تعارفه الناس .

و قال في النهاية : « بطانة الرجل » صاحب سرّه و داخلة أمر الّذي يشاوره في أحواله . و « المواساة » المشاركة و المساهمة ، و أصله الهمزة قلبت تخفيفا . و « الموازرة » المشاركة في حمل الأثقال و المعاونة في إمضاء الأمور .

و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : كتب إلى ابن عباس حين أخذ مال البصرة : « فلمّا رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب » أي اشتدّ ، يقال :

« كلب الدهر على أهله » إذا ألحّ عليهم و اشتدّ و قال : « و العدوّ قد حرب » أي غضب ،

يقال : منه « حرب يحرب حربا » بالتحريك . انتهى .

[250] في المصدر : يشعر . و هذا صحيح (المصحّح) .

----

(251) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 169 172 ، ط بيروت .

----
(252) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 90 .

[144]

« قد خزيت » أي هانت و ذلت . و المراد عدم اهتمام الناس بحفظها .

و قال الجوهري : « الفتك » [253] أن يأتي الرجل صاحبه و هو غارّ حتّى يشدّ عليه فيقتله . و قد فتك به يفتك و يفتك ، و « الفاتك » الجريء .

و قال : « شغر البلد » أي خلا من الناس . و في القاموس : « شغرت الأرض » لم يبق بها أحد يحميها و يضبطها . و « الشغر » البعد و التفرقة .

و قال ابن أبي الحديد : أي خلت من الخير . و قال في قوله عليه السلام « قلبت لابن عمّك » أي كنت معه فصرت عليه و أصل ذلك أنّ الجيش إذا لقوا العدوّ كانت ظهور مجانّهم إلى وجه العدوّ و بطونها إلى عسكرهم ، فإذا فارقوا رئيسهم عكسوا .

« على بيّنة من ربّك » أي لم يكن إيمانك عن حجّة و برهان .

و قال الجوهري : شيء شديد بين الشدّة . و « الشدة » بالفتح ، الحملة الواحدة ، و قد شدّ عليه في الحرب . انتهى . و « الكرّة » الحملة و العود إلى القتال . و قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام : « اختطاف الذئب الأزلّ » . « الأزلّ » في الأصل ، الصغير العجز و هو في صفات الذئب الخفيف ، و قيل : هو من « زلّ زليلا » إذا عدى و خصّ الدامية ، لأنّ من طبع الذئب محبّة الدم حتّى أنّه يرى ذئبا داميا فيثب عليه ليأكله . و في الصحاح : المعز من الغنم خلاف الضّأن و هو اسم جنس و كذلك المعزى .

قوله « رحيب الصدر » أي واسعة طيب النفس . و قال الجوهري : « الإثم » الذنب و « تأثّم » أي تخرّج عنه و كفّ . و قال : « حدرت السفينة » أي أرسلتها إلى أسفل . انتهى .

و أمّا قوله عليه السلام « لا أبا لغيرك » فقال في النهاية : « لا أبالك » أكثر ما يستعمل في معرض المدح ، أي لا كافي لك غير نفسك . و قد يذكر في معرض الذّم كما يقال : « لا أم لك » . و قد يذكر في معرض العجب دفعا للعين . انتهى . فعلى الأوّل يكون « لا أبا لغيرك » ذمّا له بمدح غيره ، و على الثاني مدحا له و تلطّفا مع إشعار بالذّم .

[253] في البحار روي « فتكت » .

[145]

و على الثالث يكون إبعادا عن التعجّب من سوء فعله تلطّفا أو ذمّا له بالتعجّب من حسن فعل غيره دون فعله . و الأنسب بالمقام أن يكون الغرض « لا أبالك » للذمّ فعبّر هكذا لنوع ملاطفة . و قد يقال مثله في الفارسية ، يقال : « إن مات عدوّك » ، و الغرض « إن متّ » .

و في النهاية فيه : « من نوقش في الحساب عذب » أي من استقصى في محاسبته و حوقق ، و منه حديث عليّ عليه السلام « نقاش الحساب » و هو مصدر منه ، و أصله المناقشة من « نقش الشوكة » إذا استخرجها من جسمه . قوله عليه السلام « أيّها المعدود كان عندنا » أدخل عليه السلام بلفظة « كان » تنبيها على أنّه لم يبق كذلك ، فإنّ الظاهر من المعدود ، المعدود في الحال و قيل : لعلّه عليه السلام لم يقل : « يا من كان عندنا من ذوي الألباب » إشعارا بأنّه معدود في الحال أيضا عند الناس منهم . و في التعبير بالمعدود إشعار بأنّه لم يكن قبل ذلك أيضا منهم .

و في الصحاح : « مكّنه الله من الشيء و أمكنه منه » بمعنى . و في القاموس :

« أعذر » أبدى عذرا و أحدث و ثبت له عذر و بالغ . و في النهاية « الهوادة » الرخصة و السكون و المحاباة ، و في الصحاح : « الهوادة » الصلح و الميل . قوله عليه السلام « بإرادة » أي بمراد .

و قال الجوهري : « زاح » أي ذهب و بعد و أزاحه غيره . قال : « الظلامة و المظلمة » ما تطلبه عند الظالم ، و هو اسم ما أخذ منك .

و قال الزمخشري في المستقصى : « ضحّ رويدا » أي ترفّق في الأمر و لا تعجل ،

و الاصله [254] أنّ الأعراب في باديتها تسير بالظعن فإذا عثرت على لمع من العشب قالت ذلك ، و غرضها أن ترعى الابل الضحّاء قليلا قليلا و هي سائرة حتّى إذا بلغت مقصدها شبعت فلمّا كان من الترفّق في هذا توسّعوا فقالوا في كلّ موضع : « ضحّ » بمعنى

[254] في معتقدي هذا غلط و سهو واضح لا يحتاج إلى بيان ، لأنّ المعرّف باللاّم لا يقبل الضمير و لا بالعكس ، و الصحيح هنا إمّا « الأصل » أو « أصله » ، و الثاني أفصح و أوفق بالمقام (المصحّح) .

[146]

« ارفق » و الأصل ذاك . و قال الجوهري : قوله تعالى وَ لاَتَ حِينَ مَناصٍ 255 قال الأخفش : شبّهوا لات بليس و أضمروا فيها اسم الفاعل و قال : لا تكون « لات » إلاّ مع « حين » و قد جآء حذف « حين » في الشعر و قرأ بعضهم : « و لات حين مناص » برفع حين و أضمر الخبر . قال أبو عبيد : هي « لا » و التآء إنّما زيدت في « حين » ، و كذلك في تلوّن ؟ ؟ ؟ واوان و إن كتبت مفردة . و قال المورّج : زيدت التآء في « لات » كما زيدت في تمّة و ربّة . 256

42 و من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي ، و كان عامله على البحرين ،

فعزله ، و استعمل نعمان بن عجلان الزّرقي مكانه

أمّا بعد ، فإنّي قد ولّيت نعمان بن عجلان الزّرقيّ على البحرين ،

و نزعت يدك بلا ذمّ لك ، و لا تثريب (3847) عليك ، فلقد أحسنت الولاية ، و أدّيت الأمانة ، فأقبل غير ظنين (3848) ، و لا ملوم ، و لا متّهم ، و لا مأثوم ، فلقد أردت المسير إلى ظلمة (3849) أهل الشّام ،

و أحببت أن تشهد معي ، فإنّك ممّن أستظهر به (3850) على جهاد العدوّ ،

و إقامة عمود الدّين ، إن شاء اللّه .

----

(255) ص : 3 .

----

(256) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 635 ، ط كمپانى و ص 585 ، ط تبريز .

[147]

بيان

« عمر » هو ربيب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله . أمّه أمّ سلمة . و « النعمان » هو من الأنصار .

و قال في الاستيعاب : كان لسان الأنصار و شاعرهم . و « الزرقيّ » كجهنيّ نسبة إلى زريق . و « التثريب » التعيير و الاستقصاء في اللّوم . و « الظنين » المتّهم . و في القاموس : أثمه اللّه في كذا كمنعه و نصره عدّه عليه إثما فهو مأثوم . و « الاستظهار » الاستعانة . 257

43 و من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، و هو عامله على أردشير خرّة (3851)

بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك ، و عصيت إمامك : أنّك تقسم فيء (3852) المسلمين الّذي حازته رماحهم و خيولهم ، و أريقت عليه دماؤهم ، فيمن اعتامك (3853) من أعراب قومك . فوالّذي فلق الحبّة ، و برأ النّسمة (3854) ، لئن كان ذلك حقّا لتجدنّ لك عليّ هوانا ، و لتخفّنّ عندي ميزانا ، فلا تستهن بحقّ ربّك ،

و لا تصلح دنياك بمحق دينك ، فتكون من الأخسرين أعمالا .

ألاّ و إنّ حقّ من قبلك (3855) و قبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء : يردون عندي عليه ، و يصدرون عنه .

----

(257) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 639 ، ط كمپانى و ص 589 ، ط تبريز .

بيان

« أردشير خرّة » بضمّ الخآء و تشديد الرآء المفتوحة ، كورة من كور فارس . « أنّك تقسم » في بعض النسخ بفتح الهمزة بدلا من أمر و في بعضها بالكسر بتقدير حرف الاستفهام ليلائم قوله عليه السلام « إن كنت فعلته » و قوله « لئن كان ذلك حقّا » .

و قال في النهاية : « اعتام الشيىء يعتامه » إذا اختاره . و « عيمة الشيء » بالكسر خياره .

و قال ابن أبي الحديد : و روي : « فيمن اعتمال » على القلب . [258] و المشهور الصحيح الأوّل . 259 و المعنى : قسّمت الفىء فيمن اختاروك سيّدا لهم . « لتجدنّ بك » أي لك أو بسبب فعلك . و « ميزانا » منصوب على التمييز ، و هو كناية عن صغر منزلته . و يقال « صدرت عن الماء » أي رجعت . و الاسم « الصدر » بالتحريك ، خلاف الورد . و فيه تشبيه للفيء بالماء الّذي تتعاوره الإبل العطاش . 260

44 و من كتاب له عليه السلام

إلى زياد بن أبيه ، و قد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه و قد عرفت أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ (3856) لبّك (3857) ،

و يستفلّ (3858) غربك (3859) ، فاحذره ، فإنّما هو الشّيطان : يأتي المرء من بين يديه و من خلفه ، و عن يمينه و عن شماله ، ليقتحم

[258] في المصدر : و قد روى « فيمن اعتامك بالقلب » .

----

(259) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 175 ، ط بيروت .

----

(260) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 639 ، ط كمپانى و ص 589 ، ط تبريز .

غفلته (3860) ، و يستلب غرّته (3861) .

و قد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطّاب فلتة (3862) من حديث النّفس ، و نزغة من نزغات الشّيطان : لا يثبت بها نسب ،

و لا يستحقّ بها إرث ، و المتعلّق بها كالواغل المدفّع ، و النّوط المذبذب . فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها و ربّ الكعبة ، و لم تزل في نفسه حتّى ادّعاه معاوية .

قال الرضي : قوله عليه السلام « الواغل » : هو الذي يهجم على الشّرب ليشرب معهم ،

و ليس منهم ، فلا يزال مدفّعا محاجزا . و « النّوط المذبذب » : هو ما يناط برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك ، فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره و استعجل سيره .

تبيين

قال ابن أبي الحديد : أمّا زياد فهو زياد بن عبيد ، فمن الناس من يقول :

« عبيد بن فلان » و ينسبه إلى ثقيف . و الأكثرون يقولون : إنّ عبيدا كان عبدا و إنّه بقي إلى أيّام زياد فابتاعه و أعتقه و نسب زياد إلى غير أبيه لخمول أبيه و للدعوة الّتي استلحق بها ، فقيل تارة : زياد بن سميّة و هي كانت أمّه للحارث بن كلدة الثقفي و كانت تحت عبيد و قيل تارة زياد بن أبيه و تارة زياد بن أمّه . و لما استلحق قال له الأكثر : « زياد بن أبي سفيان لأنّ الناس مع الملوك » .

ثم روي عن ابن عبد البر و البلاذري و الواقدي عن ابن عباس و غيره أنّ عمر بعث زيادا في إصلاح فساد وقع باليمن ، فلمّا رجع خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها ،

و أبو سفيان حاضر و عليّ عليه السلام و عمرو بن العاص ، فقال عمرو : للّه أبو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه .

فقال أبو سفيان : إنه لقرشيّ و إنّي لأعرف الّذي وضعه في رحم أمّه .

فقال علي عليه السلام : و من هو ؟

قال : أنا .

فقال : مهلا يا أبا سفيان فقال أبو سفيان :

أما و اللّه لو لا خوف شخص
يراني يا علي من الأعادي

لاظهر أمره صخر بن حرب
و لم يخف المقالة في زياد

و قد طالت مجاملتي ثقيفا
و تركي فيهم ثمر الفؤاد

عنى بقوله « لو لا خوف شخص » عمر بن الخطّاب .

و في رواية أخرى : قال : أتيت أمّه في الجاهليّة سفاحا .

فقال عليّ عليه السلام : يا أبا سفيان فانّ عمر إلى المساءة سريع .

قال : و عرف زياد ما دار بينهما فكانت في نفسه . و في أخرى : قال له عمرو بن العاص : فهلاّ تستلحقه ؟

قال : أخاف هذا الغير الجالس أن يخرق على إهابي .

قال : و روى المدائني أنّه لمّا كان زمن عليّ ولّى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا وجبى خراجها و حماها و عرف ذلك معاوية ، فكتب اليه .

أمّا بعد ، فإنه غرّتك قلاع تأوي إليها ليلا كما يأوي الطير إلى و كرها و أيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك منّي ما قاله العبد الصالح : فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَ هُمْ صَاغِرُونَ . 261 و كتب في أسفل الكتاب شعرا من جملته :

تنسى أباك و قد شالت نعامته
إذ تخطب [262] الناس الوالي لهم عمر

فلمّا ورد الكتاب على زياد ، قام فخطب الناس و قال : العجب من ابن آكلة الأكباد و رأس النفاق يتهدّدني و بيني و بينه ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله

----

(261) النمل : 37 .

[262] في المصدر : يخطب .

و زوج سيدة نساء العالمين و أبو السبطين و صاحب الولاء و المنزلة و الإخآء في مائة ألف من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان ، أما و الله لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني أحمر محشا جرّابا بالسيف . ثمّ كتب إلى عليّ عليه السلام و بعث بكتاب معاوية في كتابه ، فكتب إليه عليّ عليه السلام :

أمّا بعد ، فإنّي قد ولّيتك ما ولّيتك و أنا أراك لذلك أهلا ، و إنّه قد كانت من أبي سفيان فلتة أيّام عمر من أمانيّ التيه و كذب النفس لم تستوجب بها ميراثا و لم تستحقّ بها نسبا و إنّ معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فاحذره ثمّ احذره ، و السلام .

قال : و روى أبو جعفر محمد بن حبيب رحمه الله قال : كان عليّ عليه السلام قد ولّى زيادا قطعة من أعمال فارس و اصطنعه لنفسه فلمّا قتل عليّ عليه السلام ، بقي زياد في عمله و خاف معاوية جانبه و أشفق من ممالاته الحسن بن علي عليهما السلام . فكتب إليه كتابا يهدّده و يوعّده و يدعوه إلى بيعته .

فأجابه زياد بكتاب أغلظ منه . فشاور معاوية في ذلك المغيرة بن شعبة ، فأشار عليه بأن يكتب إليه كتابا يستعطفه فيه . و يذهب المغيرة بالكتاب إليه فلمّا أتاه ، أرضاه و أخذ منه كتابا يظهر فيه الطاعة بشروط . فأعطاه معاوية جميع ما سأله و كتب إليه بخطّ يده ما وثق به ، فدخل إليه الشّام و قرّبه و أدناه و أقرّه على ولايته ، ثمّ استعمله على العراق .

و قال المدائني : لمّا أراد معاوية استلحاق زياد و قد قدّم عليه الشام ،

جمع الناس و صعد المنبر و أصعد زيادا معه على مرقاة تحت مرقاته و حمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : أيّها النّاس إنّي قد عرفت شبهنا أهل البيت في زياد ، فمن كانت عنده شهادة فليقم بها . فقام ناس فشهدوا أنّه ابن أبي سفيان و أنّهم سمعوه أقربه قبل موته .

فقام أبو مريم السلولي و كان خمارا في الجاهليّة فقال : أشهد يا أمير المؤمنين أنّ أبا سفيان قدّم علينا بالطّائف فأتاني ، فاشتريت له لحما و خمرا و طعاما . فلمّا أكل قال : يا أبا مريم أصب لي بغيا . فخرجت ، فأتيت بسميّة فقلت لها : إنّ أبا سفيان من قد

[152]

عرفت شرفه وجوده ، و قد أمرني أن أصيب له بغيّا فهل لك ؟ فقالت : نعم يجيء الآن عبيد بغنمه و كان راعيا . فاذا تعشّى و وضع رأسه ، أتيت فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته فلم يلبث أن جاءت تجرّ ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتّى أصبحت ،

فقلت له : لما انصرفت ، كيف رأيت صاحبتك ؟

فقال خير صاحبة لو لا طفر في إبطيها .

فقال زياد من فوق المنبر : يا أبا مريم لا تشتّم أمّهات الرجال فشتّم أمّك .

فلمّا انقضى كلام معاوية و مناشدته ، قام زياد فحمد اللّه و أثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس إنّ معاوية و الشهود قد قالوا ما سمعتم و لست أدري حقّ هذا من باطله و هو و الشهود أعلم بما قالوا ، و إنّما عبيد أب مبرور و وال مشكور ثمّ نزل . 263 انتهى كلام ابن أبي الحديد .

و أقول : إنّما أوردت تلك القصص لتعلم أنّ ما صدر من زياد و ولده لعنة اللّه عليهما إنّما نشأ من تلك الأنساب الخبيثة و تزيد إيمانا و يقينا بأنّه لا يبغضهم إلاّ من ولد من الزنا كما تواتر عن أئمة الهدى .

و لنرجع إلى شرح الكتاب :

قال في النهاية : « الغرب » الحدة و منه : غرب السيف . و « الفلّ » الكسر و « الفلّة » الثلمة في السيف ، و منه حديث عليّ عليه السلام « يستفلّ غربك » هو يستفعل من « الفلّ » الكسر . قوله عليه السلام « ليقتحم غفلته » أي ليلج و يهجم عليه و هو غافل جعل اقتحامه إيّاه اقتحاما للغفلة نفسها . كذا ذكره ابن أبي الحديد و قال : ليس المراد باستلاب الغرّة أن يأخذ الغرّة ، لأنّه لو كان كذلك لصار ذلك الغافل لبيبا عاقلا ، و إنّما المعنى ما يعنيه الناس بقولهم « أخذ فلان غفلتي و فعل كذا »

----

(263) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 179 187 ، ط بيروت . و العلاّمة قد خلّص عبارات الشرح كثيرا و هو واضح .

[153]

أي أخذ ما يستدلّ به على غفلتي كذا . 264 انتهى .

و أقول : لو كان الإسناد مجازيا كما حمل عليه الفقرة الأولى لم يفد هذا المعنى لأنّه يكون حينئذ من قبيل إسناد الشيء إلى الحالة الّتي المفعول عليها كما يسند إلى الزمان و المكان فيكون المفاد الاستلاب وقت الغرّة و الاقتحام وقت الغفلة . و إنّما نسب إليهما مبالغة لبيان أنّ علّة الاستلاب و الاقتحام لم يكن إلاّ الغرّة و الغفلة فكأنّهما وقعا عليهما . و يمكن أن يكون المفعول محذوفا و يكون الغرّة و الغفلة منصوبتين بنزع الخافض ،

أي تقتحم عليه في حال غفلته و يستلب لبّه في حال غرّته . و « الفلتة » الأمر الّذي يصدر فجأة من غير تدبّر و رويّة . و « نزغ الشيطان بينهم » أفسد ، و عدم ثبوت النسب بها لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله الولد للفراش و للعاهر الحجر . و في النهاية :

« الشرب » بفتح الشين و سكون الرآء ، الجماعة يشربون الخمر . و قال في حديث عليّ عليه السلام : « المتعلّق بها كالنّوط المذبذب » أراد ما يناط برحل الراكب من قعب أو غيره ، فهو أبدا يتحرّك إذا حثّ ظهره ، أي دابّته . و قال في

المستقصى : « شالت نعامتهم » أي تفرّقوا و ذهبوا لأنّ النعامة موصوفة بالخفّة و سرعة الذهاب و الهرب . و قيل : « النعامة » جماعة القوم .

و قال الجوهري : « النعامة » الخشبة المعترضة على الزرنوقين . و يقال للقوم إذا ارتحلوا عن متهاهم أو تفرّقوا : « قد شالت نعامتهم » . و « النعامة » ما تحت القدم . 265

45 و من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصرة و قد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها ، فمضى إليها قوله :

----

(264) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 179 ، ط بيروت .

----

(265) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 639 ، ط كمپانى و ص 589 ، ط تبريز .

[154]

أمّا بعد ، يابن حنيف : فقد بلغني أنّ رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة (3863) فأسرعت إليها تستطاب (3864) لك الألوان (3865) ،

و تنقل إليك الجفان (3866) . و ما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم ،

عائلهم (3867) مجفوّ (3868) ، و غنيّهم مدعوّ . فانظر إلى ما تقضمه (3869) من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه (3870) ، و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا و إنّ لكلّ مأموم إماما ، يقتدي به و يستضيء بنور علمه ، ألا و إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (3871) ، و من طعمه (3872) بقرصيه (3873) . ألا و إنّكم لا تقدرون على ذلك ، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد ، و عفّة و سداد (3874) . فو اللّه ما كنزت من دنياكم تبرا (3875) ، و لا ادّخرت من غنائمها وفرا (3876) ، و لا أعددت لبالي ثوبي طمرا (3877) ، و لا حزت من أرضها شبرا ، و لا أخذت منه إلاّ كقوت أتان دبرة (3878) ، و لهي في عيني أوهى و أهون من عفصة مقرة (3879) .

بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّماء ، فشحّت عليها نفوس قوم ، و سخت عنها نفوس قوم آخرين ، و نعم الحكم اللّه .

و ما أصنع بفدك (3880) و غير فدك ، و النّفس مظانّها (3881) في غد جدث (3882) تنقطع في ظلمته آثارها ، و تغيب أخبارها ، و حفرة لو

[155]

زيد في فسحتها ، و أوسعت يدا حافرها ، لأضغطها (3883) الحجر و المدر (3884) ، و سدّ فرجها (3885) التّراب المتراكم ، و إنّما هي نفسي أروضها (3886) بالتّقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، و تثبت على جوانب المزلق (3887) . و لو شئت لاهتديت الطّريق ، إلى مصفّى هذا العسل ، و لباب هذا القمح ، و نسائج هذا القز (3888) . و لكن هيهات أن يغلبني هواي ، و يقودني جشعي (3889) إلى تخيّر الأطعمة و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص (3890) ، و لا عهد له بالشّبع أو أبيت مبطانا و حولي بطون غرثى (3891) و أكباد حرّى (3892) ،

أو أكون كما قال القائل :

و حسبك داء أن تبيت ببطنة (3893)
و حولك أكباد تحنّ إلى القدّ (3894)

أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، و لا أشاركهم في مكاره الدّهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة (3895) العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطّيّبات ، كالبهيمة المربوطة ، همّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها (3896) ، تكترش (3897) من أعلافها (3898) ، و تلهو عمّا يراد بها ، أو أترك سدى ، أو أهمل عابثا ، أو أجرّ حبل الضّلالة ،

أو أعتسف (3899) طريق المتاهة (3900) و كأنّي بقائلكم يقول : « إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب ، فقد قعد به الضّعف عن قتال الأقران ،

[156]

و منازلة الشّجعان » . ألا و إنّ الشّجرة البرّيّة (3901) أصلب عودا ،

و الرّواتع الخضرة (3902) أرقّ جلودا ، و النّابتات العذية (3903) أقوى و قودا (3904) ، و أبطأ خمودا . و أنا من رسول اللّه كالضّوء من الضّوء (3905) ،

و الذّراع من العضد (3906) . و اللّه لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ، و لو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها . و سأجهد (3907) في أن أطهّر الأرض من هذا الشّخص المعكوس ، و الجسم المركوس (3908) ،

حتّى تخرج المدرة (3909) من بين حبّ الحصيد (3910) . و من هذا الكتاب ، و هو آخره :

إليك عنّي (3911) يا دنيا ، فحبلك على غاربك (3912) ، قد انسللت من مخالبك (3913) ، و أفلتّ من حبائلك (3914) ، و اجتنبت الذّهاب في مداحضك (3915) . أين القرون الّذين غررتهم بمداعبك (3916) أين الأمم الّذين فتنتهم بزخارفك فها هم رهائن القبور ، و مضامين اللّحود (3917) . و اللّه لو كنت شخصا مرئيّا ، و قالبا حسّيّا ، لأقمت عليك حدود اللّه في عباد غررتهم بالأماني ، و أمم ألقيتهم في المهاوي (3918) ، و ملوك أسلمتهم إلى التّلف ، و أوردتهم موارد البلاء ، إذ لا ورد (3919) و لا صدر (3920) هيهات من وطىء دحضك (3921) زلق (3922) ، و من ركب لججك غرق ، و من ازورّ (3923) عن حبائلك

[157]

وفّق ، و السّالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه (3924) ، و الدّنيا عنده كيوم حان (3925) انسلاخه (3926) اعزبي (3927) عنّي فو اللّه لا أذلّ لك فتستذلّيني ، و لا أسلس (3928) لك فتقوديني . و ايم اللّه يمينا أستثني فيها بمشيئة اللّه لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ (3929) معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما ،

و تقنع بالملح مأدوما (3930) ، و لأدعنّ (3931) مقلتي (3932) كعين ماء ،

نضب (3933) معينها (3934) ، مستفرغة دموعها . أ تمتلئ السّائمة (3935) من رعيها (3936) فتبرك ؟ و تشبع الرّبيضة (3937) من عشبها فتربض (3938) ؟

و يأكل عليّ من زاده فيهجع (3939) قرّت إذا عينه (3940) إذا اقتدى بعد السّنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة (3941) ، و السّائمة المرعيّة طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها ، و عركت بجنبها بؤسها (3942) ،

و هجرت في اللّيل غمضها (3943) ، حتّى إذا غلب الكرى (3944) عليها افترشت أرضها (3945) ، و توسّدت كفّها (3946) ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، و تجافت (3947) عن مضاجعهم (3948) جنوبهم ،

و همهمت (3949) بذكر ربّهم شفاههم ، و تقشّعت (3950) بطول استغفارهم ذنوبهم ، « أولئك حزب اللّه ، ألا إنّ حزب اللّه هم المفلحون » .

فاتّق اللّه يابن حنيف ، و لتكفف أقراصك (3951) ، ليكون من النّار

[158]

خلاصك .

ايضاح

« المأدبة » بضمّ الدال ، الطعام يدعى إليه القوم . و « العائل » الفقير .

و « الجفاء » نقيض الصلة . و « القضم » الأكل بأطراف الأسنان ، و ظاهر كلامه عليه السلام أنّ النهي عن إجابة مثل هذه الدعوة من وجهين : أحدهما أنه من طعام قوم عائلهم مجفوّ و غنيّهم مدعوّ ، فهم من أهل الرئاء و السمعة ، فالأحرى عدم إجابتهم ،

و ثانيهما أنّه مظنّة المحرّمات ، فيمكن أن يكون النهي عامّا على الكراهة أو خاصّا بالولاء فيحتمل أن يكون النهي للتحريم ، و يمكن أن يستفاد من قوله « تستطاب لك الألوان » وجه آخر من النهي ، و هو المنع من إجابة دعوة المسرفين و المبذّرين و يحتمل أيضا الكراهة و التحريم و العموم و الخصوص .

« و الطمر » بالكسر ، الثوب الخلق ، و « الطمران » الازار و الرداء . و « القرصان » للغداء و العشاء . و « التبر من الذهب » ما كان غير مضروب ، و بعضهم يقول للفضّة أيضا . و « القمح » البرّ . و « الجشع » أشدّ الحرص . و « المبطان » الّذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل . و « الغرث » الجوع . و « الحرّى » [266] العطش ،

و الهمزة في قوله « أو أكون » للاستفهام ، و الواو للعطف . و « البطنة » أن يمتلئ من الطعام امتلاء شديدا . و « القدّ » بالكسر سير يقدّ من جلد غير مدبوغ .

قوله عليه السلام « و لا أشاركهم » معطوف على « أقنع » أو « يقال » أو الواو للحال . و « طعام جشيب » أي غليظ . قوله « كالبهيمة » هذا تشبيه للأغنياء لاهتمامهم بالتلذّذ بما يحضر عندهم . قوله « أو المرسلة » تشبيه للفقراء الّذين يحصّلون من كلّ وجه ما يتلذّذون به ، و ليس همّتهم إلاّ ذلك . و « التقمّم » أكل الشاة ما بين يديها بمقمّتها أي بشفتيها . قوله عليه السلام « تكترش » أي تملأ بها كرشه ، و هو لكلّ مجترّ [267] بمنزلة المعدة للانسان . قوله عليه السلام « عمّا يراد بها » أي من الذبح

[266] ما ذكر في العبارة « حرّى » و هو الّذي به عطش شديد . فالأولى أن يقال : « الحرّ » العطش .

[267] « المجترّ » كلّ حيوان يعيد الأكل من بطنه فيمضغه ثانية .

و الاستخدام . و « المتاهة » محلّ التيه و هو الضلال . و الباء في « قعد به » للتعدية .

و قال الفيروزآبادي : « النزال » بالكسر ، أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيضاربوا . 268 قوله عليه السلام « و الرواتع » أي الأشجار الراتعة ، من قولهم : « رتع رتوعا » أكل و شرب ما شاء في خصب . و « العذي » بالكسر ، الزرع لا يسقيه إلاّ ماء المطر . « الصنو » بالكسر ، المثل ، و أصله أن تطلع النخلتان من عرق واحد ، و في بعض النسخ « كالضوء من الضوء » أي كالضوء المنعكس من ضوء آخر ، كنور القمر المستفاد من ضوء الشمس . قوله عليه السلام « و الذراع من العضد » وجه التشبيه أنّ العضد أصل للذراع ، و الذراع وسيلة إلى التصرّف و البطش بالعضد . و « الركس » ردّ الشيء مقلوبا .

و قال ابن ميثم : سمّي معاوية معكوسا لانعكاس عضديه ، و مركوسا لكونه تاركا للفطرة الأصليّة ، و يحتمل أن يكون تشبيها له بالبهائم . قوله عليه السلام « حتى يخرج » [269] أي حتّى يخرج معاوية أو جميع المنافقين من بين المؤمنين ، و يخلّصهم من وجودهم كما يفعل من يصفي الغلّة .

و قال الجوهريّ : « الغارب » ما بين السنام و العنق ، و منه قولهم : « حبلك على قاربك » أي اذهبي حيث شئت ، و أصله أنّ الناقة إذا رعت و عليها الخطام ألقي على غاربها ، لأنّها إذا رأت الخطام لا يهنئها شيء . 270 انتهى .

و « المداحض » المزالق . و « الحبائل » المصائد . و « المداعب » من الدعابة و هي المزاح . و « الزخرف » الذهب و كمال حسن الشيء . و « المهوى » و « المهواة » ما بين الجبلين . و « الصدر » بالتحريك ، الرجوع عن الماء خلاف الورود . و « ازورّ عنه » عدل و انحرف . و « ضيق المناخ » كناية عن شدائد الدنيا كالفقر و المرض و الحبوس

----

(268) القاموس ، ج 4 ، ص 56 .

[269] المذكور في العبارة : « حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد » .

----

(270) الصحاح ، ص 193 .

و السجون . و « حان » أي قرب . و « رجل سلس » أي منقاد ليّن . و « هشّ » أي فرح و استبشر . و « نضب الماء » غار و نفد . و « ماء معين » أي ظاهر على وجه الأرض .

و « الربيضة » جماعة من البقر و الغنم . و ربوض الغنم و البقر و الفرس و الكلب مثل بروك الابل . « و الهجوع » النوم ليلا . و « الهمل » بالتحريك ، الابل بلا راع ، يقال : « إبل همل و هاملة » . قوله « و عركت بجنبها » يقال : يعرك الأذى بجنبه أي يحتمله ، و يقال :

« ما اكتحلت غمضا » أي ما نمت . و « الكرى » النعاس . قوله عليه السلام « و تقشّعت » أي زالت و ذهبت كما يتقشّع السحاب . 271 [هذا بيان آخر في شرح الكتاب :] إيضاح : « عثمان بن حنيف » هو الّذي أخرجه طلحة و الزبير من البصرة حين قدماها .

من فتية أهل البصرة » قال ابن أبي الحديد : أي من شبابها أو أسخيائها . [272] و يروى أنّ رجلا من قطان البصرة أي سكّانها . 273 و قال في النهاية : « المأدبة » بضمّ الدال ، الطعام يدعى إليه القوم و قد جاءت بفتح الدال أيضا . يقال : « أدب فلان القوم يأدبهم بالكسر » أي دعاهم إلى طعامه و الأدب الداعي . « يستطاب لك الألوان » أي يطلب لك طيّبها و لذيذها . و قال الجوهري : « الجفنة » كالقصعة و الجمع « الجفان » . « و العائل » الفقير . « و الجفاء » نقيض الصلة ، « و المجفوّ » المبعد .

ثمّ اعلم أنّ ظاهر كلامه عليه السلام النهي عن إجابة مثل هذه الدعوة من وجهين :

أحدهما أنّه طعام قوم عائلهم مجفوّ و غنيّهم مدعوّ ، فهم من أهل الرّياء ، و عدم إجابة دعوتهم أولى .

و ثانيهما أنّه ممّا يظنّ تحريمه فالأولى الاحتراز عن أكله .

----

(271) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 343 344 .

[272] في المصدر : أي من شبابها أو من أسخيائها .

----

(273) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 206 ، ط بيروت .

فيمكن أن يكون النهي عامّا و مثل تلك الإجابة مكروها خاصّا بالولاة كما يشعر به قوله عليه السلام في كلامه لعاصم بن زياد حيث قال عليه السلام :

« إنّي لست كأنت ، إنّ اللّه افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره . » و حينئذ يكون المخاطب بقوله عليه السلام « ألا و إنّ إمامكم » و قوله « و أعينوني » ، هم الولاة . فالنهي إمّا للتحريم أو للتنزيه ، و لا ينافي الأوّل قوله « ألا و إنّكم لا تقدرون على ذلك » . فإنّ الظاهر أنّه إشارة إلى الاكتفاء من الثوب بالطمرين و من الطعام بالقرصين .

و على الثاني تكون الكراهة بالنظر إلى الولاة أشدّ . و يحتمل أن يكون للأعمّ من الحرمة و الكراهة و يكون لكلّ من الولاة و غيرهم حكمه ، فالخطاب عامّ . و يمكن أن يستفاد من قوله عليه السلام « يستطاب لك الألوان » وجه آخر من النهي و هو المنع من إجابة دعوة المسرفين و المبذّرين إمّا تحريما مع عموم الخطاب أو خصوصه . و نظيره النهي للولاة عن أخذ الهدايا ، و لعلّه يشعر بذلك قوله « يستطاب لك » و « تنقل إليك » ، أو تنزيها فيكون بالنظر إليهم أشدّ أو الأعمّ منهما كما ذكر .

و الاحتمالات الأخيرة مبنيّة على انقسام الإسراف مطلقا إلى المحرّم و المكروه .

و « القضم » الأكل بأطراف الأسنان . و « الطمر » بالكسر ، الثوب الخلق . و « الطمران » الإزار و الرداء . و « القرصان » للغداء و العشاء . قوله عليه السلام « بورع و اجتهاد » ، « الورع » اجتناب المحرّمات و « الاجتهاد » أداء الواجبات . أو « الورع » يشمل ترك المكروهات أيضا ، و « الإجتهاد » الإتيان بالسنن الأكيدة أيضا . و يمكن أن يكون التنوين فيها للتقليل ، أي بما تستطيعون منهما و الإعانة على الشفاعة أو على إجراء الأحكام و الآداب بين الناس ، و الأوّل أظهر . و قال الجوهري : « التبر من الذهب » ما كان غير مضروب فإذا ضرب دنانير فهو عين . و لا يقال : « تبر » إلاّ للذهب و بعضهم يقول أيضا . انتهى .

و « الوفر » المال الكثير . و المراد ب « البالي » المندرس و ب « الطمر » ما لم يبلغ ذلك ، و في نسخة الراوندي بعد ذلك : « و لا ادّخرت من أقطارها شبرا . و « فدك »

[162]

ينصرف بتأويل الموضع و لا ينصرف بتأويل البلدة أو القرية . و « النفوس الشاحّة » أبو بكر و عمر و أتباعهم عليهم اللعنة . و « الساخية » نفوس أهل البيت عليهم السلام أو من لم يرغب في هذا الغصب و لم يرض به و الأوّل أظهر .

و في الصحاح : « مظنّة الشيء » موضعه و مألفه الذي يظنّ كونه فيه ، و الجمع « المظانّ » . و قال : « الجدث » القبر . قال : « ضغطه يضغطه ضغطا » زحمه إلى حائط و نحوه ، و منه : ضغطة القبر . و في بعض النسخ « لأضغطها » .

قال ابن أبي الحديد : أي جعلها ضاغطة و الهمزة للتعدية . و يروى « لضغطها » . [274] و « التراكم » المجتمع . و « إنّما هي نفسي » كان الضمير راجعا إلى النفس . و قيل : أي إنّما همّتي و حاجتي رياضة نفسي ، و يقال : رضت الدابّة كفلت أي ذللتها و أدّبتها . و المراد ب « المزلق » الصراط أو طريق الحقّ .

« و لو شئت لاهتديت » ، قال ابن أبي الحديد : و قد روي « و لو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفّى و لباب هذا البرّ المنقّى ، فضربت هذا بذاك حتّى ينضج وقودا و يستحكم معقودا » . و « القمح » البرّ ، قاله الجوهري و قال : « القزّ » من الإبريسم معرّب . و قال : « الجشع » أشدّ الحرص . و قال : « الاختيار » الإصطفاء و كذلك « التخيّر » . و قال : « المبطان » الّذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل . و قال :

« الغرث » الجوع و « قد غرث بالكسر يغرث » . و قال : « الحرّة » بالكسر ، العطش ، و منه : قولهم « أشدّ العطش حرّه على قرّه » إذا عطش في يوم بارد . و « الحرّان » العطشان و الأنثى « حرّى » مثل عطشى . قوله عليه السلام « أو أكون » الهمزة للاستفهام و الواو للعطف و البيت للحاتم الطائي المشهور . « و البطنة » بالكسر ، هو أن يمتلأ من الطعام امتلاء شديدا . « و القدّ » بالكسر ، سير يقدّ من جلد غير مدبوغ و الاشتياق إلى القدّ لشدّة الجوع . قوله عليه السلام « و لا أشاركهم » الواو للحال أو العطف على أقنع

[274] في المصدر : و أضغطها .

[163]

أو يقال ، فيحتمل الرفع و النصب . و قوله « أو أكون » معطوف على « أشاركهم » أو على « أقنع » .

و قال الجوهري : « طعام جشب و مجشوب » أي غليظ أو يقال : هو الّذي لا ادم معه . قوله عليه السلام « كالبهيمة المربوطة الخ » .

قال ابن ميثم : فإنّ الاشتغال بها إن كان غنيا اشبه المعلوفة في اهتمامه بما يعتلفه من طعامه الحاضر ، و إن كان فقيرا كان اهتمامه بما يكتسبه كالسائمة . و « التقمّم » أكل الشاة ما بين يديها . « تقمّمتها » أي شفتها . و قيل : تتبّع القمامة . قوله عليه السلام « تكترش » أي تملأ بها كرشه ، « و الكرش » بالكسر ، و ككتف لكلّ مجترّ بمنزلة المعدة للإنسان . « و تلهو عمّا يراد بها » أي من ذبح و استخدام . و « أترك » في بعض النسخ بالضمّ عطفا على « أقنع » و بالنصب عطفا على « يقال » أو « يشغله » . كذا « أهمل » و « أجرّ » و « اعتسف » . و « أجرّ حبل الضلالة » أي أجرّ أتباعي إليها . و يحتمل التشبيه بالبهيمة الّتي انقطع مقودها و تركت سدى . و « الاعتساف » العدول عن الطريق . و « المتاهة » محلّ التيه و الضلال و الحيرة . و البآء في « قعد به » للتعدية .

و في القاموس : « النزال » بالكسر ، أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا و قد تنازلوا . و « الرتع » الاتساع في الخصب و كلّ خصب مرتع . و يظهر من بعض الشرّاح أنّه قرأ « الروايع » بالياء المثنّاة التحتانيّة من « راعه » بمعنى أعجبه . و فيما رأينا من النسخ بالتآء . « و العذي » بكسر العين و سكون الذال ، الزرع لا تسقيه إلاّ ماء المطر . « كالصنومن الصنو » الصنو المثل ، و أصله أن تطلع النخلتان من عرق واحد ، و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله : « أنا و عليّ من نور واحد » . و في كثير من النسخ « كالضوء من الضوء » أي كالضوء الحاصل أو المنعكس من الضوء لكون علمه و كمالاته من النبيّ صلّى اللّه عليه و آله . و لذا كنى اللّه عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في القرآن بالشمس و عنه عليه السلام بالقمر . و التشبيه بالذراع من العضد لأنّ العضد أصل للذّراع و الذّراع وسيلة إلى التصرّف و البطش بالعضد . و سمّى معاوية « معكوسا » لانعكاس عقيدته ، و مركوسا لكونه تاركا للفطرة الأصليّة . و

[164]

يحتمل أن يكون تشبيها له بالبهائم ، و إنّما قال [عليّ] عليه السلام : الشخص و الجسم ترجيحا لجانب البدن ، أو لكونه تابعا لشهواته البدنيّة تاركا لمقتضيات روحه و عقله فكأنّه ليس إلاّ هذا الجسم المحسوس .

و قال الجوهري : « الركس » ردّ الشيء مقلوبا ، « و اللّه أركسهم بما كسبوا » أي ردّهم إلى كفرهم . قوله عليه السلام « حتّى تخرج » قال ابن ميثم : أي حتّى يخرج معاوية من بين المؤمنين و يخلّصهم من وجوده بينهم كما يفعل من يصفّي الغلّة .

و قال ابن أبي الحديد : كما أنّ الزرّاع يجتهدون في إخراج الحجر و المدر و الشوك و نحوه من بين الزّرع كيلا يفسد مبانيه فيفسد ثمرته . 275 و فيه نظر لأنّه لا معنى لإخراج الطين من الزرع و لأنّ لفظ حبّ الحصيد لا يفهم منه ذلك . [276] و قال الجوهري : « الغارب » ما بين السّنام و العنق ، و منه قولهم : « حبلك على غاربك » أي اذهبي حيث شئت ، و أصله أنّ الناقة إذا رعت و عليها الخطام ألقى على غاربها لأنّها إذا رأت الخطام لا يهنأها شي « و الانسلال » الانطلاق في استخفاء .

و « المخلب » كمنبر ظفر كلّ سبع . « و فلت الطائر و غيره » تخلّص و أفلته غيره . و « الحبائل » جمع « حبالة » بالكسر و هي ما يصاد بها من أيّ شيء كان . و « المداحض » المزالق ، و المراد هنا مواضع الشبهة و كلّ ما يؤدّي إلى الحرام . و « المداعب » من الدعابة ،

و هي المزاح .

و في النهاية : الزخرف في الأصل ، الذهب و كمال حسن الشيء ، و قال :

« المضامين » جمع « مضمون » و مضون الشيء ما احتوى و اشتمل ذلك الشيء عليه . و

----

(275) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 16 ، ص 292 ، ط بيروت .

[276] في المصدر : و ذلك لأنّ الزّرّاع يجتهدون في إخراج المدر و الحجر و الشوك و العوسج و نحو ذلك من بين الزرع كي لا تفسد منابته فيفسد الحبّ الّذي يخرج منه ، فشبّه معاوية بالمدر و نحوه من مفسدات الحبّ و شبّه الدين بالحبّ الّذي هو ثمرة الزرع .

[165]

« القالب » بالفتح ، قالب الخفّ و نحوه و ما يفرغ فيه الجواهر ، و بالكسر ، البسر الأحمر .

« حسّيّا » أي مدركا بالحسّ ، و في بعض النسخ « جنسيّا » أي منسوبا إلى جنس من الأجناس الموجودة المشاهدة .

و قال الجوهري : « هوى بالفتح يهوي » سقط إلى أسفل ، و « المهوى » و « المهواة » ما بين الجبلين . و « الصدر » بالتحريك ، الرجوع من الماء خلاف الورد ،

و المعنى : أوردتهم مهالك ليست من محالّ الصدور و الورود و لا يرجى النجاة منها . و « دحضت رجله » زلقت . و لجّة الماء و لجّة معظمه . و « ركوبها » كناية عن ركوب أهوالها و فتنها أو طلب العلوّ فيها . و « ازور عنه » عدل و انحرف .

و قال ابن أبي الحديد : « ضيق المناخ » كناية شدائد عن الدّنيا كالفقر و المرض و الحبوس و السجون ، « و لا يبالي » بها لأنّ كلّ ذلك حقير في جنب السّلامة من فتنة الدنيا . « كيوم حان انسلاخه » أي قرب انقضاءه . « و لا أسلس لك » أي لا أنقاد . و « الاستثناء في اليمين بمشيّة اللّه » تعليقها بالمشيّة بقول « إن شاء اللّه » و هو مستحبّ في سائر الأمور .

و قال في النهاية : « هشّ لهذا الامر يهشّ هشاشة » إذا فرح بذلك و استبشر و ارتاح له و خفّ . و قال : « نضب الماء » غار و نفد .

و قال الجوهري : « مآء معين » أي جارّ أي أبكي حتّى لا يبقى في عيني مآء .

و قال ابن أبي الحديد : « الرعي » بكسر الرآء الكلاء . و قال الجوهري :

« ربض الغنم » مأواها و ربوض الغنم و البقر و الفرس و الكلب مثل بروك الإبل .

و « الربيض » الغنم برعاتها المجتمعة في مربضها . و قال : « الهجوع » النوم ليلا . و قال :

« الهمل » بالتحريك الإبل بلا راع ، يقال : « إبل همل و هاملة » .

و يقال : فلان يعرك الأذى بجنبه ، أي يحتمله . ذكره الفيروزآبادي و قال :

« ما اكتحلت غمضا » أي ما نمت . « و الكرى » النّعاس ، « افترشت أرضها » أي اكتفت بها فراشا . و « توسّدت كفّها » أي جعلتها و سادة و اكتفت بها مع أنّه مستحبّ . و « الهمهمة » الصوت الخفيّ ، و يدلّ على استحباب إخفاء الذكر . و

[166]

« تقشّعت » أي تفرّقت و زالت و ذهبت كما يتقشّع السّحاب . 277

46 و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أمّا بعد ، فإنّك ممّن أستظهر (3952) به على إقامة الدّين ، و أقمع (3953) به نخوة (3954) الأثيم (3955) ، و أسدّ به لهاة (3956) الثّغر (3957) المخوف (3958) .

فاستعن باللّه على ما أهمّك ، و اخلط الشّدّة بضغث (3959) من اللّين ،

و ارفق ما كان الرّفق أرفق ، و اعتزم بالشّدّة حين لا تغني عنك إلاّ الشّدّة ، و اخفض للرّعيّة جناحك ، و ابسط لهم وجهك ، و ألن لهم جانبك ، و آس (3960) بينهم في اللّحظة و النّظرة ، و الإشارة و التّحيّة ،

حتّى لا يطمع العظماء في حيفك (3961) ، و لا ييأس الضّعفاء من عدلك ،

و السّلام .

بيان

« الاستظهار » الاستعانة . و « القمع » القهر و التذليل . و « النخوة » الكبر . و « الأثيم » المذنب . و قال في النهاية : « اللهوات » جمع « لها » و هي اللحمات في سقف أقصى الفم . انتهى . و لعلّه أريد بها هنا الفم مجازا . و « الضغث » بالكسر ، قطعة حشيش مختلطة الرطب باليابس ، و في تشبيه اللين بالضغث لطف فإنّه لا يكون إلاّ ليّنا .

و قال ابن أبي الحديد : المراد : امزج الشدّة بشيء من اللين فاجعلهما

----

(277) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 629 ، ط كمپانی و ص 580 ، ط تبریز .

كالضغث . 278 و فيه بعد .

و قال الجوهري : « اعتزمت على كذا و عزمت » بمعنى و « الاعتزام » لزوم القصد في المشي . انتهى .

و لعلّ المراد هنا المعنى الثاني إشارة إلى أنّه مع الاضطرار إلى الشدّة ينبغي عدم الإفراط فيه . و « خفض الجناح » كناية عن الرفق أو الحراسة . و « إلانة الجانب » ترك الغلظة و العنف في المعاشرة . « و آس بينهم » أي اجعلهم أسوة ، و روي « و ساو بينهم » و المعنى واحد . و « اللحظة » المراقبة . و قيل : « النظرة » مؤخّر العين . 279

47 و من وصية له عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

أوصيكما بتقوى اللّه ، و ألاّ تبغيا الدّنيا و إن بغتكما (3962) ، و لا تأسفا على شيء منها زوي (3963) عنكما ، و قولا بالحقّ ، و اعملا للأجر ،

و كونا للظّالم خصما ، و للمظلوم عونا .

أوصيكما ، و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي ، بتقوى اللّه ،

و نظم أمركم ، و صلاح ذات بينكم ، فإنّي سمعت جدّكما صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول : « صلاح ذات البين أفضل من عامّة

----

(278) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 4 ، ط بيروت .

----

(279) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 633 ، ط كمپانی و ص 582 ، ط تبریز .

الصّلاة و الصّيام » .

الله الله في الأيتام ، فلا تغبّوا (3964) أفواههم ، و لا يضيعوا بحضرتكم .

و الله الله في جيرانكم ، فإنّهم وصيّة نبيّكم . ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم (3965) .

و الله الله في القرآن ، لا يسبقكم بالعمل به غيركم .

و الله الله في الصّلاة ، فإنّها عمود دينكم .

و الله الله في بيت ربّكم ، لا تخلّوه ما بقيتم ، فإنّه إن ترك لم تناظروا (3966) .

و الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل الله .

و عليكم بالتّواصل و التّباذل (3967) ، و إيّاكم و التّدابر و التّقاطع .

لا تتركوا الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ،

ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم .

ثم قال :

يا بني عبد المطّلب ، لا ألفينّكم (3968) تخوضون (3969) دماء المسلمين

[169]

خوضا ، تقولون : « قتل أمير المؤمنين » . ألا لا تقتلنّ بي إلاّ قاتلي .

انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، و لا تمثّلوا (3970) بالرّجل ، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول : « إيّاكم و المثلة (3971) و لو بالكلب العقور » .

بيان

« بغاه » طلبه . و « زواه عنه » قبضه و صرفه . قوله عليه السلام « الله الله » أي اتّقوا الله و اذكروا الله . قوله عليه السلام « فلا تغبّوا أفواههم » أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم يوما و تتركوهم يوما . و روي « فلا تغيّروا أفواههم » و المعنى واحد ، فإنّ الجائع يتغيّر فمه . قوله عليه السلام « فانّه وصيّة نبيّكم » الحمل للمبالغة ، أي أوصاكم فيهم . و « ألفاه » وجده .

و قال الجزريّ : يقال : « مثلت بالحيوان » إذا قطعت أطرافه و شوّهت به ، و « مثلت بالقتيل » إذا جدعت أنفه و اذنه و مذاكيره أو شيئا من أطرافه ، فأمّا « مثّل » بالتشديد ، للمبالغة . 280 تذنيب : سئل الشيخ المفيد قدّس الله روحه في المسائل العكبريّة : الامام عندنا مجمع على أنّه يعلم ما يكون ، فما بال أمير المؤمنين عليه السّلام خرج إلى المسجد و هو يعلم أنّه مقتول و قد عرف قاتله و الوقت و الزمان ؟ و ما بال الحسين بن علي عليهما السلام سار إلى الكوفة و قد علم أنّهم يخذلونه و لا ينصرونه و أنّه مقتول في سفرته تيك ؟ و لم لمّا حصروا و عرف أنّ الماء قد منع منه و أنّه إن حفر أذرعا قريبة نبع الماء و لم يحفر و أعان على نفسه حتّى تلف عطشا ؟ و الحسن عليه السلام و ادع معاوية و هادنه و هو يعلم أنّه ينكث و لا يفي و يقتل شيعة أبيه عليه السلام ، فأجاب الشيخ رحمه الله عنها بقوله :

----

(280) النهاية ، ج 4 ، ص 77 .

[170]

و أمّا الجواب عن قوله « إنّ الإمام يعلم ما يكون » فإجماعنا أنّ الأمر على خلاف ما قال ، و ما أجمعت الشيعة على هذا القول . و إنّما إجماعهم ثابت على أنّ الإمام يعلم الحكم في كلّ ما يكون دون أن يكون عالما بأعيان ما يحدث و يكون على التفصيل و التمييز ، و هذا يسقط الأصل الّذي بنى عليه الأسولة بأجمعها . و لسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث و يكون 281 باعلام اللّه تعالى [له] ذلك ، فأمّا القول بأنّه يعلم كلّ ما يكون ، فلسنا نطلقه و لا نصوّب قائله ، لدعواه فيه من غير حجّة و لا بيان . و القول بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يعلم قاتله و الوقت الّذي كان يقتل فيه فقد جاء الخبر متظاهرا أنّه كان يعلم في الجملة أنّه مقتول ، و جاء أيضا بأنّه يعلم قاتله على التفصيل ،

فأمّا علمه بوقت قتله ، فلم يأت عليه أثر على التحصيل و لو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنّه المعترضون ، إذ كان لا يمتنع أن يتعبّده اللّه تعالى بالصبر على الشهادة و الاستسلام للقتل ، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات ما لا يبلغه إلاّ به ، و لعلمه بأنّه يطيعه في ذلك طاعة لو كلّفها سواه لم يردها . و لا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السّلام ملقيا بيده إلى التهلكة ، و لا معينا على نفسه معونة تستقبح في العقول .

و أمّا علم الحسين عليه السلام بأنّ أهل الكوفة خاذلوه ، فلسنا نقطع على ذلك ، إذ لا حجّة عليه من عقل و لا سمع ، و لو كان عالما بذلك لكان الجواب عنه ما قدّمناه في الجواب عن علم أمير المؤمنين عليه السّلام بوقت قتله و معرفة قاتله كما ذكرناه . و أمّا دعواه علينا أنّا نقول : إنّ الحسين عليه السلام كان عالما بموضع الماء قادرا عليه ، فلسنا نقول ذلك ، و لا جاء به خبر ، على أنّ طلب الماء و الاجتهاد فيه يقضي بخلاف ذلك . و لو ثبت أنّه كان عالما بموضع الماء لم يمتنع في العقول أن يكون متعبّدا بترك السعي في طلب الماء من حيث كان ممنوعا منه حسب ما ذكرناه في أمير المؤمنين عليه السّلام غير أن ظاهر الحال بخلاف ذلك على ما قدّمناه .

و الكلام في علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعته معاوية بخلاف

----

(281) أي يكون علمه .

[171]

ما تقدّم ، و قد جاء الخبر بعلمه بذلك ، و كان شاهد الحال له يقضي به ، غير أنّه دفع به عن تعجيل قتله و تسليم أصحابه له إلى معاوية ، و كان في ذلك لطف في بقائه إلى حال مضيّه و لطف لبقاء كثير من شيعته و أهله و ولده ، و دفع فساد في الدين هو أعظم من الفساد الّذي حصل عند هدنته . و كان عليه السلام أعلم بما صنع لما ذكرناه و بيّنّا الوجوه فيه . انتهى كلامه رفع اللّه مقامه .

أقول : و سأل السيّد مهنّا بن سنان العلاّمة الحلّي نوّر اللّه ضريحه عن مثل ذلك في أمير المؤمنين عليه السّلام فأجاب بأنّه يحتمل أن يكون عليه السلام اخبر بوقوع القتل في تلك الليلة ، و لم يعلم في أيّ وقت من تلك الليلة أو أيّ مكان يقتل ،

و أنّ تكليفه عليه السلام مغاير لتكليفنا ، فجاز أن يكون بذل مهجته الشريفة في ذات اللّه تعالى ، كما يجب على المجاهد الثبات ، و إن كان ثباته يفضي إلى القتل .

تذييل : رأينا في بعض الكتب القديمة رواية في كيفيّة شهادته عليه السلام .

أوردنا منه شيئا ممّا يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار . قال : روى أبو الحسن عليّ بن عبد اللّه بن محمّد البكريّ ، عن لوط بن يحيى ، عن أشياخه و أسلافه قالوا : لمّا توفّي عثمان و بايع الناس أمير المؤمنين عليه السّلام كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب واليا على بعض أطراف اليمن من قبل عثمان ، فأقرّه عليّ عليه السلام على عمله ، و كتب إليه كتابا يقول فيه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم من عبد اللّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى حبيب ابن المنتجب .

سلام عليك .

أمّا بعد ، فإنّي أحمد الله الّذي لا إله إلاّ هو ، و أصلّي على محمّد عبده و رسوله ،

و بعد ، فإنّي ولّيتك ما كنت عليه لمن كان من قبل ، فأمسك 282 على عملك ،

----

(282) في (خ) و (م) : فامكث .

[172]

و إنّي اوصيك بالعدل في رعيّتك ، و الإحسان إلى أهل مملكتك . و اعلم أنّ من ولّي على رقاب عشرة من المسلمين و لم يعدل بينهم ، حشره الله يوم القيامة و يداه مغلولتان إلى عنقه ، لا يفكّها إلاّ عدله في دار الدنيا ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على من قبلك من أهل اليمن ، و خذ لي البيعة على من حضرك من المسلمين فإذا بايع القوم مثل بيعة الرضوان فامكث في عملك ، و أنفذ إليّ منهم عشرة يكونون من عقلائهم و فصحائهم و ثقاتهم ، ممّن يكون أشدّهم عونا من أهل الفهم و الشجاعة عارفين بالله ، عالمين بأديانهم ، و ما لهم و ما عليهم ، و أجودهم رأيا ، و عليك و عليهم السلام .

و طوى الكتاب و ختمه و أرسله مع أعرابيّ ، فلمّا وصل إليه ، قبّله و وضعه على عينيه و رأسه ، فلمّا قرأه صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ، و صلّى على محمّد و آله ثمّ قال : أيّها الناس اعلموا أنّ عثمان قد قضى نحبه ، و قد بايع الناس من بعده العبد الصالح و الامام الناصح أخا رسول الله صلّى الله عليه و آله و خليفته ، و هو أحقّ بالخلافة و هو أخو رسول الله صلّى الله عليه و آله و ابن عمّه ، و كاشف الكرب عن وجهه ، و زوج ابنته و وصيّه ، و أبو سبطيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فما تقولون في بيعته و الدخول في طاعته ؟ قال : فضجّ الناس بالبكاء و النحيب ، و قالوا : سمعا و طاعة و حبّا و كرامة لله و لرسوله و لأخي رسوله ، فأخذ له البيعة عليهم عامّة ، فلمّا بايعوا قال لهم : اريد منكم عشرة من رؤسائكم و شجعانكم انفذهم إليه كما أمرني به ، فقالوا : سمعا و طاعة . فاختار منهم مائة ثمّ من المائة سبعين ،

ثمّ من السبعين ثلاثين ، ثمّ من الثلاثين عشرة ، فيهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله . و خرجوا من ساعتهم ، فلمّا أتوه عليه السلام سلّموا عليه و هنّؤوه بالخلافة ، فردّ عليهم السلام و رحّب بهم ، فتقدّم ابن ملجم و قام بين يديه و قال : السلام عليك أيّها الإمام العادل و البدر التمام ، و الليث الهمام ، و البطل الضرغام ، و الفارس القمقام ، و من فضّله الله على سائر الأنام ، صلّى الله عليك و على آلك الكرام ، أشهد أنّك

[173]

أمير المؤمنين صدقا و حقّا ، و أنّك وصيّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و الخليفة من بعده ، و وارث علمه ، لعن الله من جحد حقّك و مقامك . أصبحت أميرها و عميدها ،

لقد اشتهر بين البريّة عدلك ، و هطلت شآبيب [283] فضلك و سحائب رحمتك و رأفتك عليهم ، و لقد أنهضنا الأمير إليك ، فسررنا بالقدوم عليك ، فبوركت بهذه الطلعة المرضيّة ،

و هنّئت بالخلافة في الرعيّة .

ففتح أمير المؤمنين عليه السّلام عينيه في وجهه ، و نظر إلى الوفد فقرّبهم و أدناهم فلمّا جلسوا دفعوا إليه الكتاب ، ففضّه و قرأه و سرّ بما فيه ، فأمر لكلّ واحد منهم بحلّة يمانيّة و رداء عدنيّة و فرس عربية ، و أمر أن يفتقدوا و يكرموا ، فلمّا نهضوا قام ابن ملجم و وقف بين يديه و أنشد :

أنت المهيمن و المهذّب ذو النّدى
و ابن الضراغم في الطراز الأوّل

الله خصّك يا وصيّ محمّد
و حباك فضلا في الكتاب المنزل

و حباك بالزّهراء بنت محمّد
حوريّة بنت النبيّ المرسل

ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ارم بنا حيث شئت لترى منّا ما يسرّك ، فوالله ما فينا إلاّ كلّ بطل أهيس ، و حازم أكيس ، و شجاع أشوس [284] ، ورثنا ذلك عن الآباء و الأجداد ، و كذلك نورثه صالح الأولاد .

قال : فاستحسن أمير المؤمنين عليه السّلام كلامه من بين الوفد فقال له :

ما اسمك يا غلام ؟

قال : اسمي عبد الرحمن .

قال : ابن من ؟

قال : ابن ملجم المراديّ .

[283] « هطل » أي نزل متتابعا . و « الشآبيب » جمع « الشؤبوب » بمعنى الدفعة من المطر و أوّل ما يظهر من الحسن .

[284] « الاهيس » الشجاع . « الاشوس » الشديد الجريء في القتال .

[174]

قال له : أمرادي أنت ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام : إنّا لله و إنّا إليه راجعون ، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

قال : و جعل أمير المؤمنين عليه السّلام يكرّر النظر إليه و يضرب إحدى يديه على الاخرى و يسترجع ، ثمّ قال له : ويحك أمرادي أنت ؟

قال : نعم .

فعندها تمثّل عليه السلام يقول :

أنا أنصحك منّي بالوداد
مكاشفة و أنت من الأعادي

أريد حياته و يريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد

قال الأصبغ بن نباتة : لمّا دخل الوفد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام بايعوه و بايعه ابن ملجم ، فلمّا أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين عليه السّلام ثانيا ، فتوثق منه بالعهود و المواثيق أن لا يغدر و لا ينكث ، ففعل ، ثمّ سار عنه . ثمّ استدعاه ثالثا ، ثمّ توثّق منه فقال ابن ملجم : يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري .

فقال : امض لشأنك فما أدراك تفي بما بايعت عليه .

فقال له ابن ملجم : كأنّك تكره و فودي عليك لما سمعته من اسمي و إنّي و الله لاحبّ الإقامة معك و الجهاد بين يديك ، و إنّ قلبي محبّ لك ، و إنّي و الله اوالي وليّك و اعادي عدوّك .

قال : فتبسّم عليه السلام و قال له : بالله يا أخا مراد إن سألتك عن شيء تصدّقني فيه ؟

قال : إي و عيشك يا أمير المؤمنين فقال له : هل كان لك داية يهوديّة فكانت إذا بكيت تضربك و تلطم جبينك و تقول لك : اسكت فإنّك أشقى من عاقر ناقة صالح و إنّك ستجني في كبرك جناية عظيمة يغضب الله بها عليك و يكون مصيرك إلى النار ؟

[175]

فقال : قد كان ذلك ، و لكنّك و الله يا أمير المؤمنين أحبّ إليّ من كلّ أحد .

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : و الله ما كذبت و لا كذبت ، و لقد نطقت حقّا و قلت صدقا ، و أنت و الله قاتلي لا محالة ، و ستخضب هذه من هذه و أشار إلى لحيته و رأسه و لقد قرب وقتك و حان زمانك .

فقال ابن ملجم : و الله يا أمير المؤمنين إنّك أحبّ إليّ من كلّ ما طلعت عليه الشمس ، و لكن إذا عرفت ذلك منّي فسيّرني إلى مكان تكون ديارك من دياري بعيدة .

فقال عليه السّلام : كن مع أصحابك حتّى آذن لكم بالرجوع إلى بلادكم ثمّ أمرهم بالنزول في بني تميم ، فأقاموا ثلاثة أيّام ، ثم أمرهم بالرجوع إلى اليمن ، فلمّا عزموا علي الخروج مرض ابن ملجم مرضا شديدا ، فذهبوا و تركوه . فلمّا بري ، أتى أمير المؤمنين عليه السّلام و كان لا يفارقه ليلا و لا نهارا ، و يسارع في قضاء حوائجه ، و كان عليه السّلام يكرمه و يدعوه إلى منزله و يقرّبه ، و كان مع ذلك يقول له : أنت قاتلي ، و يكرّر عليه الشعر :

أريد حياته و يريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد

فيقول له : يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك منّي فاقتلني .

فيقول : إنّه لا يحلّ ذلك أن أقتل رجلا قبل أن يفعل بي شيئا .

و في خبر آخر قال : إذا قتلتك فمن يقتلني ؟

قال : فسمعت الشيعة ذلك ، فوثب مالك الأشتر و الحارث بن الأعور و عيرهما من الشيعة ، فجرّدوا سيوفهم و قالوا : يا أمير المؤمنين من هذا الكلب الّذي تخاطبه بمثل هذا الخطاب مرارا ؟ و أنت إمامنا و وليّنا و ابن عمّ نبيّنا ، فمرنا بقتله .

فقال لهم : اغمدوا سيوفكم بارك الله فيكم و لا تشقّوا عصا هذه الأمّة . أترون أنّي أقتل رجلا لم يصنع بي شيئا ؟

فلما انصرف عليه السّلام إلى منزله اجتمعت الشيعة و أخبر بعضهم بعضا

[176]

بما سمعوا و قالوا : إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام يغلس إلى الجامع [285] و قد سمعتم خطابه لهذا المراديّ و هو ما يقول إلاّ حقّا ، و قد علمتم عدله و إشفاقه علينا ، و نخاف أن يغتاله هذا المراديّ ، فتعالوا نقترع على أن نحوطه كلّ ليلة منّا قبيلة . فوقعت القرعة في الليلة الأولى و الثانية و الثالثة على أهل الكناس ، فتقلّدوا سيوفهم و أقبلوا في ليلتهم إلى الجامع ، فلمّا خرج عليه السّلام رآهم على تلك الحالة ، فقال : ما شأنكم ؟

فأخبروه ، فدعا لهم و تبسّم ضاحكا و قال : جئتم تحفظوني من أهل السماء أم من أهل الأرض ؟

قالوا : من أهل الأرض .

قال : ما يكون شيء في السماء إلاّ هو في الأرض ، و ما يكون من شيء في الأرض إلاّ هو في السماء ، ثمّ تلا « قُل : لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا » 286 ، ثمّ أمرهم أن يأتوا منازلهم و لا يعودوا لمثلها .

ثمّ إنّه صعد المأذنة و كان إذا تنحنح يقول السامع : ما أشبهه بصوت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتأهّبّ الناس لصلاة الفجر ، و كان إذا أذّن يصل صوته إلى نواحي الكوفة كلّها ، ثمّ نزل فصلّى ، و كانت هذه عادته .

قال : و أقام ابن ملجم بالكوفة إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه السّلام إلى غزاة النهروان ، فخرج ابن ملجم معه و قاتل بين يديه قتالا شديدا ، فلمّا رجع إلى الكوفة و قد فتح اللّه على يديه ، قال ابن ملجم لعنه اللّه : يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أتقدّمك إلى المصر لا بشّر أهله بما فتح اللّه عليك من النصر ؟

فقال له : ما ترجو بذلك ؟

قال : الثواب من اللّه و الشكر من الناس ، و افرّح الأولياء و اكمد الأعداء .

فقال له : شأنك .

[285] « الغلس » ظلمة آخر الليل ، أي يذهب إلى الجامع أخر الليل للعبادة التهجّد .

----

(286) التوبة : 51 .

ثمّ أمر له بخلعة سنيّة و عمامتين و فرسين و سيفين و رمحين . فسار ابن ملجم و دخل الكوفة ، و جعل يخترق أزقّتها و شوارعها و هو يبشّر الناس بما فتح اللّه على أمير المؤمنين عليه السّلام و قد دخله [287] العجب في نفسه ، فانتهى به الطريق إلى محلّة بني تميم فمرّ على دار تعرف بالقبيلة و هي أعلى دار بها و كانت لقطام بنت سخينة بن عوف بن تيم اللاّت ، و كانت موصوفة بالحسن و الجمال و البهاء و الكمال ، فلمّا سمعت كلامه بعثت إليه [و] سألته النزول عندها ساعة لتسأله عن أهلها ، فلمّا قرب من منزلها و أراد النزول عن فرسه خرجت إليه ، ثمّ كشفت له عن وجهها و أظهرت له محاسنها ، فلمّا رآها أعجبته و هواها من وقته ، فنزل عن فرسه و دخل إليها ، و جلس في دهليز الدار و قد أخذت بمجامع قلبه ، فبسطت له بساطا و وضعت له متّكأ و أمرت خادمها أن تنزع أخفافه ، و أمرت له بماء فغسل وجهه و يديه ، و قدّمت إليه طعاما ،

فأكل و شرب ، و أقبلت عليه تروّحه من الحرّ . فجعل لا يملّ من النظر إليها ، و هي مع ذلك متبسّمة في وجهه ، سافرة له عن نقابها ، بارزة له عن جميع محاسنها ما ظهر منه و ما بطن فقال لها : أيّتها الكريمة لقد فعلت اليوم بي ما وجب به بل ببعضه عليّ مدحك و شكرك دهري كلّه ، فهل من حاجة أتشرّف بها و أسعى في قضائها ؟

قال : فسألته عن الحرب و من قتل فيه .

فجعل يخبرها و يقول : فلان قتله الحسن و فلان قتله الحسين ، إلى أن بلغ قومها و عشيرتها ، و كانت قطام لعنها اللّه على رأي الخوارج و قد قتل أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا الحرب من قومها جماعة كثيرة ، منهم أبوها و أخوها و عمّها .

فلمّا سمعت منه ذلك صرحت باكية ، ثمّ لطمت خدّها و قامت من عنده ، و دخلت البيت و هي تندبهم طويلا .

قال : فندم ابن ملجم ، فلمّا خرجت إليه قالت : يعزّ عليّ فراقهم ، من لي

[287] في (خ) و (م) : و قد دخل .

بعدهم ؟ أفلا ناصر ينصرني و يأخذ لي بثاري و يكشف عن عاري ؟ فكنت أهب له نفسي و أمكّنه منها و من مالي و جمالي .

فرقّ لها ابن ملجم و قال لها : غضّي صوتك و ارفقي بنفسك فإنّك تعطين مرادك .

قال : فسكتت من بكائها و طمعت في قوله ، ثمّ أقبلت عليه بكلامها و هي كاشفة عن صدرها و مسبلة شعرها .

فلمّا تمكّن هواها من قلبه ، مال إليها بكلّيّته ، ثمّ جذبها إليه و قال لها : كان أبوك صديقا لي ، و قد خطبتك منه فأنعم لي بذلك ، فسبق إليه الموت فزوّجيني نفسك لآخذ لك بثارك .

قال : ففرحت بكلامه و قالت : قد خطبني الأشراف من قومي و سادات عشيرتي فما أنعمت إلاّ لمن يأخذ لي بثاري ، و لمّا سمعت عنك أنّك تقاوم الأقران و تقتل الشجعان فأحببت أن تكون لي بعلا و أكون لك أهلا .

فقال لها : فأنا و الله كفو كريم ، فاقترحي عليّ ما شئت من مال و فعال .

فقالت له : إن قدمت على العطيّة و الشرط فها أنا بين يديك فتحكّم كيف شئت .

فقال لها : و ما العطيّة و الشرط ؟ فقالت له : أمّا العطيّة فثلاثة آلاف دينار و عبد وقينة . [288] فقال : هذا أنا مليّ به ، فما الشرط المذكور ؟ قالت : نم على فراشك حتّى أعود إليك .

ثمّ إنّها دخلت خدرها فلبست أفخر ثيابها ، و لبست قميصا رقيقا يرى صدرها و حليّها ، و زادت في الحليّ و الطيب و خرجت في معصفرها ، فجعلت تباشره بمحاسنها ليرى حسنها و جمالها ، و أرخت عشرة ذوائب من شعرها منظومة بالدرّ و الجوهر ، فلمّا

[288] « القينة » الأمة المغنية الماشطة .

[179]

وصلت إليه أرخت لثامها عن وجهها ، و رفعت معصفرها و كشفت عن صدرها و أعكانها [289] و قالت : إن قدمت على الشرط المشروط ظفرت بها جميعها [290] و أنت مسرور مغبوط .

قال : فمدّ ابن ملجم عينيه إليها فحار عقله و هوى لحينه مغشيّا عليه ساعة ، فلمّا أفاق قال : يا منية النفس ما شرطك فاذكريه لي ؟ فإنّي سأفعله و لو كان دونه قطع القفار و خوض البحار و قطع الرؤوس و اختلاس النفوس .

قالت له الملعونة : شرطي عليك أن تقتل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بضربة واحدة بهذا السيف في مفرق رأسه ، يأخذ منه ما يأخذ و يبقى ما يبقى .

فلمّا سمع ابن ملجم كلامها استرجع و رجع إلى عقله و أغاظه و أفلقه ، ثمّ صاح بأعلى صوته : ويحك ما هذا الّذي و اجهتني به ؟ بئس ما حدّثتك به نفسك من المحال ، ثمّ طأطأ رأسه يسيل عرقا و هو متفكّر [291] في أمره ، ثمّ رفع رأسه إليها و قال لها :

ويلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ؟ المجاب الدعاء ، المنصور من السماء ، و الأرض ترجف من هيبته ، و الملائكة تسرع إلى خدمته ، يا ويلك و من يقدر على قتل عليّ بن أبي طالب و هو مؤيّد من السماء ؟ و الملائكة تحوطه بكرة و عشيّة ، و لقد كان في أيّام رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت بين يديه . فمن هو هكذا لا طاقة لأحد بقتله ، و لا سبيل لمخلوق على اغتياله ، و مع ذلك إنّه قد أعزّني و أكرمني و أحبّني و رفعني و آثرني على غيري ، فلا يكون ذلك جزاؤه منّي أبدا ، فإن كان غيره قتلته لك شرّ قتلة و لو كان أفرس أهل زمانه ، و أمّا أمير المؤمنين فلا سبيل لي عليه .

قال : فصبرت عنه حتّى سكن غيظه و دخلت معه في الملاعبة [292] و الملاطفة ، و

[289] « الاعكان » جمع « العكنة » بمعنى ما انطوى و تثنّى من لحم البطن .

[290] في (خ) و (م) : بهذا جميعه .

[291] في (خ) و (م) : مفتكر .

[292] كذا في (ك) . و في غيره من النسخ : المداعبة .

علمت أنّه قد نسي ذلك القول ، ثمّ قالت : يا هذا ما يمنعك من قتل عليّ بن أبي طالب و ترغب في هذا المال و تتنعّم بهذا الجمال ؟ و ما أنت بأعفّ و أزهد من الّذين قاتلوه و قتلهم ، و كانوا من الصوّامين و القوّامين ، فلمّا نظروا إليه و قد قتل المسلمين ظلما و عدوانا اعتزلوه و حاربوه ، و مع ذلك فإنّه قد قتل المسلمين و حكم بغير حكم الله و خلع نفسه من الخلافة و إمرة المؤمنين ، فلمّا رأوه قومي على ذلك اعتزلوه ، فقتلهم بغير حجّة له عليهم .

فقال لها ابن ملجم : يا هذه كفّي عنّي ، فقد أفسدت عليّ ديني ، و أدخلت الشكّ في قلبي ، و ما أدري ما أقول لك و قد عزمت على رأي ثمّ أنشد :

ثلاثة آلاف و عبد وقينة
و ضرب عليّ بالحسام المصمّم

فلا مهر أغلا من عليّ و إن غلا
و لا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم

فأقسمت بالبيت الحرام و من أتى
إليه جهارا من محلّ و محرم

لقد أفسدت عقلي قطام و إنّني
لمنها على شكّ عظيم مذمّم

لقتل عليّ خير من وطيء الثرى
أخي العلم الهادي النبيّ المكرّم

ثمّ أمسك ساعة و قال :

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة
كمهر قطام من فصيح و أعجم

ثلاثة آلاف و عبد وقينة
و ضرب عليّ بالحسام المصمّم

فلا مهر أغلا من عليّ و إن غلا
و لا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم

فأقسم بالبيت الحرام و من أتى
إليه جهارا من محلّ و محرم

لقد خاب من يسعى بقتل إمامه
و ويل له من حرّ نار جهنّم

إلى آخر ما أنشد من الأبيات . ثمّ قال لها : أجّليني ليلتي هذه حتّى أنظر في أمري و آتيك غدا بما يقوى عليه عزمي ، فلمّا همّ بالخروج أقبلت إليه و ضمّته إلى صدرها ، و قبّلت ما بين عينيه و أمرته بالاستعجال في أمرها ، و سايرته إلى باب الدار و هي بشجّعه ، و أنشدت له أبياتا . فخرج الملعون من عندها و قد سلبت فؤاده و أذهبت رقاده و رشاده ، فبات ليلته قلقا متفكّرا ، فمرّة يعاتب نفسه و مرّة يفكّر في دنياه و

آخرته . فلمّا كان وقت السحر أتاه طارق فطرق الباب ، فلمّا فتحه إذا برجل من بني عمّه على نجيب ، و إذا هو رسول من إخوته إليه يعزّونه في أبيه و عمّه و يعرّفونه أنّه خلّف مالا جزيلا ، و أنّهم دعوه سريعا ليحوز ذلك المال ، فلمّا سمع ذلك بقي متحيّرا في أمره ،

إذ جاءه ما يشغله عمّا عظم عليه من أمر قطام ، فلم يزل مفكّرا في أمره حتّى عزم على الخروج ، و كان له أخوان لأبيه و أمّه ، و أمّه كانت من زبيد يقال لها عدنيّة ، و هي ابنة أبي عليّ بن ماشوج ، و كان أبوه مراديّا و كانوا يسكنون عجران صنعاء . فلمّا وصل إلى النجف ، ذكر قطام و منزلتها في قلبه و رجع إليها ، فلمّا طرق الباب أطلعت عليه و قالت : من الطارق ؟ فعرفته على حالة السفر ، فنزلت إليه و سلّمت عليه و سألته عن حاله ، فأخبرها بخبره و وعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره ، و تملّكها جميع ما يجيء به من المال ، فعدلت عنه مغضبة فدنا منها و قبّلها و ودّعها ، و حلف لها أنّه يبلغها مأمولها في جميع ما سألته . فخرج و جاء إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و أخبره بما جاؤوا إليه لأجله ، و سأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتابا ليعينه على استخلاص حقّه ، فأمر كاتبه فكتب له ما أراد ، ثمّ أعطاه فرسا من جياد خيله ، فخرج و سار سيرا حثيثا حتّى وصل إلى بعض أودية اليمن ، فأظلم عليه الليل ، فبات في بعضها ،

فلمّا مضى من الليل نصفه و إذا هو بزعقة عظيمة من صدر الوادي ، و دخان يفور و نار مضرمة ، فانزعج لذلك و تغيّر لونه ، و نظر إلى صدر الوادي و إذا بالدخان قد أقبل كالجبل العظيم و هو واقع عليه ، و النار تخرج من جوانبه ، فخرّ مغشيّا عليه ، فلمّا أفاق و إذا بهاتف يسمع صوته و لا يرى شخصه و هو يقول :

اسمع وع القول يا ابن ملجم
إنّك في أمر مهول معظم

تضمر قتل الفارس المكرّم
أكرم من طاف و لبّى و أحرم

ذاك عليّ ذو التقاء الأقدم
فارجع إلى اللّه لكيلا تندم

فلمّا سمع توهّم أنّه من طوارق الجنّ ، و إذا بالهاتف يقول :

يا شقيّ ابن الشقيّ أمّا ما أضمرت من قتل الزاهد العابد العادل الراكع الساجد إمام الهدى و علم التقى و العروة الوثقى فإنّا علمنا بما تريد أن تفعله بأمير

[182]

المؤمنين ، و نحن من الجنّ الّذين أسلمنا على يديه ، و نحن نازلون بهذا الوادي ، فإنّا لا ندعك تبيت فيه ، فإنّك ميشوم على نفسك ، ثمّ جعلوا يرمونه بقطع الجنادل ، فصعد فوق شاهق فبات بقيّة ليله . فلمّا أصبح سار ليلا و نهارا حتّى وصل اليمن ، و أقام عندهم شهرين و قلبه على حرّ الجمر من أجل قطام ، ثمّ إنّه أخذ الّذي أصابه من المال و المتاع و الأثاث و الجواهر و خرج . فبينا هو في بعض الطريق إذ خرجت عليه حراميّة فسايرهم و سايروه ،

فلمّا قربوا من الكوفة حاربوه و أخذوا جميع ما كان معه ، و نجا بنفسه و فرسه و قليل من الذهب على وسطه و ما كان تحته ، فهرب على وجهه حتّى كاد أن يهلك عطشا ، و أقبل سائرا في الفلاة مهموما جائعا عطشانا . فلاح له شبح فقصده ، فإذا بيوت من أبيات الحرب ، فقصد منها بيتا فنزل عندهم ، و استسقاهم شربة ماء فسقوه ، و طلب لبنا فأتوه به ، فنام ساعة . فلمّا استيقظ أتاه رجلان و قدّما إليه طعاما فأكل و أكلا معه ، و جعلا يسألانه عن الطريق فأخبرهما ، ثمّ قالا له : ممّن الرجل ؟

قال : من [بني] مراد .

قالا : أين تقصد ؟

قال : الكوفة .

فقالا له : كأنّك من أصحاب أبي تراب ؟

قال : نعم .

فاحمرّت أعينهما غيظا ، و عزما على قتله ليلا ، و أسرّا ذلك و نهضا .

فتبيّن له ما عزما عليه و ندم على كلامه ، فبينما هو متحيّر إذ أقبل كلبهم و نام قريبا منهم ، فأقبل اللعين يمسح بيده على الكلب و يشفق عليه و يقول : مرحبا بكلب قوم أكرموني .

فاستحسنا ذلك و سألاه : ما اسمك ؟ قال : عبد الرحمن بن ملجم .

فقالا له : ما أردت بصنعك هذا في كلبنا ؟

فقال : أكرمته لأجلكم حيث أكرمتموني ، فوجب عليّ شكركم . و كان هذا منه خديعة و مكرا .

[183]

فقالا : الله أكبر الآن و الله وجب حقّك علينا ، و نحن نكشف لك عمّا في ضمائرنا ، نحن قوم نرى رأي الخوارج ، و قد قتل أعمامنا و أخوالنا و أهالينا كما علمت ، فلمّا أخبرتنا أنّك من أصحابه عزمنا على قتلك في هذه الليلة ، فلمّا رأينا صنعك هذا بكلبنا صفحنا عنك . و نحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه ، فسألهما عن أسمائهما .

فقال أحدهما : أنا البرك بن عبد الله التميميّ و هذا عبد الله بن عثمان العنبري صهري و قد نظرنا إلى ما نحن عليه في مذهبنا [293] فرأينا أنّ فساد الأرض و الأمّة كلّها من ثلاثة نفر ، أبو تراب و معاوية و عمرو بن العاص ، فأمّا أبو تراب فإنّه قتل رجالنا كما رأيت ، و افتكرنا أيضا في الرجلين معاوية و ابن العاص و قد ولّيا علينا هذا الظالم الغشوم بشر بن أرطاة ، يطرقنا في كلّ وقت و يأخذ أموالنا ، و قد عزمنا على قتل هؤلاء الثلاثة ، فإذا قتلناهم توطّأت الأرض ، و أقعد الناس لهم إماما يرضونه .

فلمّا سمع ابن ملجم كلامهما صفق بإحدى يديه على الأخرى و قال : و الّذي فلق الحبّة و برأ النسمة و تردّى بالعظمة إنّي لثالثكما ، و إنّي مرافقكما على رأيكما و إنّي [294] أكفيكما أمر عليّ بن أبي طالب .

فنظرا إليه متعجّبين من كلامه .

قال : و الله ما أقول لكما إلاّ حقّا ، ثمّ ذكر لهما قصّته .

فلمّا سمعا كلامه عرفا صحّته و قالا : إنّ قطام من قومنا ، و أهله كانوا من عشيرتنا ، فنحن نحمد الله على اتّفاقنا ، فهذا لا يتمّ إلاّ بالأيمان المغلّظة ، فنركب الآن مطايانا و نأتي الكعبة و نتعاقد عندها على الوفاء .

فلمّا أصبحوا و ركبوا ، حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم و قالوا :

لا تفعلوا ذلك فما منكم أحد إلاّ و يندم ندامة عظيمة . فلم يقبلوا و ساروا جميعا حتّى

[293] في (خ) و (م) : من مذهبنا .

[294] في (خ) و (م) : و أنا .

[184]

أتوا البيت و تعاهدوا عنده .

فقال البرك : أنا لعمرو بن العاص .

و قال العنبريّ : أنا لمعاوية .

و قال ابن ملجم لعنه الله : أنا لعليّ .

فتحالفوا على ذلك [295] بالأيمان المغلّظة ، و دخلوا المدينة و حلفوا عند قبر النبيّ صلّى الله عليه و آله على ذلك ، ثمّ افترقوا و قد عيّنوا يوما معلوما يقتلون فيه الجميع .

ثمّ سار كلّ منهم على طريقه .

فأمّا البرك فأتى مصر و دخل الجامع و أقام فيه أيّاما ، فخرج عمرو بن العاص ذات يوم إلى الجامع و جلس فيه بعد صلاته ، فجاء البرك إليه و سلّم عليه ، ثمّ حادثه في فنون الأخبار و طرف الكلام و الأشعار ، فشعف به عمرو بن العاص و قرّبه و أدناه ، و صار يأكل معه على مائدة واحدة فأقام إلى اللّيلة الّتي تواعدوا فيها . فخرج إلى نيل مصر و جلس مفكّرا ، فلمّا غربت الشمس أتى الجامع و جلس فيه فلمّا كان وقت الافطار افتقده عمرو بن العاص فلم يره . فقال لولده : ما فعل صاحبنا و أين مضى فإنّي لا أراه ؟ فبعثه إليه يدعوه فقال : قل له : إنّ هذه اللّيلة ليست كاللّيالي ، و قد أحببت أن أقيم ليلتي هذه في الجامع رغبة فيما عند الله ، و احبّ أن أشرك الأمير في ذلك ، فلمّا رجع إليه و أخبره بذلك سرّه سرورا عظيما و بعث إليه مائدة فأكل و بات ليلته ينتظر قدوم عمرو و كان هو الّذي يصلّي بهم ، فلمّا كان عند طلوع الفجر أقبل المؤذّن إلى باب عمرو ، و أذّن و قال : الصلاة يرحمك الله الصلاة ، فانتبه فاتي بالماء و توضّأ و تطيّب و ذهب ليخرج إلى الصلاة فزلق [296] فوقع على جنبه فاعتوره عرق النساء فأشغلته عن الخروج ، فقال : قدّموا خارجة بن تميم القاضي يصلّي بالناس ، فأتى القاضي و دخل المحراب في غلس فجاء البرك فوقف خلفه و سيفه تحت ثيابه ، و هو لا يشكّ أنّه

[295] في (ك) : في ذلك .

[296] « زلفت القدم » زلّت و لم تثبت .

عمرو ، فأمهله حتّى سجد و جلس من سجوده ، فسلّ سيفه و نادى : لا حكم إلاّ للّه و لا طاعة لمن عصى الله ، ثمّ ضربه بالسيف على امّ رأسه ، فقضى نحبه لوقته .

فبادر الناس و قبضوا عليه و أخذوا سيفه من يده و أوجعوه ضربا [شديدا] و قالوا له : يا عدوّ الله قتلت رجلا مسلما ساجدا في محرابه .

فقال : يا حمير أهل مصر إنّه يستحقّ القتل .

قالوا : بما ذا ويلك ؟

قال : لسعيه في الفتنة ، لأنّه الداهية الدهماء الّذي أثار الفتنة و نبذها و قوّاها ،

و زيّن لمعاوية محاربة عليّ .

فقالوا له : يا ويلك من تعني ؟

قال : الطاغي الباغي الكافر الزّنديق عمرو بن العاص الّذي شقّ عصا المسلمين ، و هتك حرمة الدين .

قالوا : لقد خاب ظنّك و طاش سهمك ، إنّ الّذي قتلته ما هو ، إنّما هو خارجة .

فقال : يا قوم المعذرة إلى الله و إليكم ، فو الله ما أردت خارجة و إنّما أردت قتل عمرو ، فأوثقوه كتافا و أتوا به إلى عمرو .

فلمّا رآه قال : أليس هذا هو صاحبنا الحجازيّ ؟

قالوا له : نعم .

قال : ما باله ؟

قالوا : إنّه قد قتل خارجة .

فدهش عمرو لذلك و قال : إنّا للّه و إنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم . ثمّ التفت إليه و قال : يا هذا لم فعلت ذلك ؟

فقال له : و اللّه يا فاسق ما طلبت غيرك و لا أردت سواك .

قال : و لم ذلك ؟

قال : إنّا ثلاثة تعاهدنا بمكّة على قتلك و قتل عليّ بن أبي طالب و معاوية في هذه اللّيلة ، فإن صدقا صاحباي فقد قتل عليّ بالكوفة و معاوية بالشام ، و أمّا أنت

فقد سلمت .

فقال عمرو : يا غلام احبسه حتّى نكتب إلى معاوية فحبسه حتّى أمره معاوية بقتله فقتله .

و أمّا عبد اللّه العنبريّ ، فقصد دمشق و استخبر عن معاوية فأرشد إليه ، فجعل يتردّد إلى داره فلا يتمكّن من الدخول إليه ، إلى أن أذن معاوية يوما للناس إذنا عامّا ،

فدخل إليه مع الناس و سلّم عليه ، و حادثه ساعة و ذكر له ملوك بني قحطان و من له كلام مصيب حتّى ذكر له بني عمّه و هم أوّل ملوك قحطان و شيئا من أخبارهم ،

فلمّا تفرّقوا بقي عنده مع خواصّه ، و كان فصيحا خبيرا بأنساب العرب و أشعارهم ،

فأحبّه معاوية حبّا شديدا ، فقال : قد أذنت لك في كلّ وقت نجلس فيه أن تدخل علينا من غير مانع و لا دافع . فكان يتردّد إليه إلى ليلة تسع عشرة و كان قد عرف المكان الّذي يصلّي فيه معاوية ، فلمّا أذّن المؤذّن للفجر و أتى معاوية المسجد و دخل محرابه ثار إليه بالسيف و ضربه ، فراغ عنه ، فأراد ضرب عنقه فانصاع عنه [297] فوقع السيف في إليته ، و كانت ضربته ضربة جبان .

فقال معاوية : لا يفوتنّكم الرجل ، فاستخلف بعض أصحابه للصلاة ، و نهض إلى داره .

و أمّا العنبريّ فأخذه الناس و أوثقوه و أتوا به إلى معاوية و كان مغشيّا عليه ،

فلمّا أفاق قال له : و يلك يا لكع لقد خاب ظنّي فيك ، ما الّذي حملك على هذا ؟

فقال له : دعني من كلامك ، اعلم أنّنا ثلاثة تحالفنا على قتلك و قتل عمرو بن العاص و عليّ بن أبي طالب فإن صدق صاحباي فقد قتل عليّ و عمرو ، و أمّا أنت فقد روغ أجلك كروغك الثعلب [298] فقال له معاوية : على رغم أنفك

[297] أي رجع مسرعا .

[298] « راغ الصيد » ذهب ههنا و ههنا . « راغ عن الطريق » حاد عنه .

فأمر به إلى الحبس .

فأتاه الساعديّ و كان طبيبا فلمّا نظر إليه قال له : اختر إحدى الخصلتين :

إمّا أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف ، و إمّا أن أسقيك شربة تقطع منك الولد و تبرأ منها ، لأنّ ضربتك مسمومة .

فقال معاوية : أمّا النار فلا صبر لي عليها ، و أمّا انقطاع الولد فإنّ في يزيد و عبد اللّه ما تقرّبه عيني فسقاه الشربة فبريء و لم يولد له بعدها .

و أمّا ابن ملجم لعنه اللّه فانّه سار حتّى دخل الكوفة ، و اجتاز على الجامع ،

و كان أمير المؤمنين عليه السّلام جالسا على باب كندة ، فلم يدخله و لم يسلّم عليه ،

و كان إلى جانبه الحسن و الحسين عليهما السلام و معه جماعة من أصحابه . فلمّا نظروا إلى ابن ملجم و عبوره قالوا : ألا ترى إلى ابن ملجم عبر و لم يسلّم عليك ؟

قال : دعوه فإنّ له شأنا من الشأن ، و اللّه ليخضبنّ هذه من هذه و أشار إلى لحيته و هامته ثمّ قال :

ما من الموت لانسان نجاء
كلّ امريء لا بدّ يأتيه الفناء

تبارك اللّه و سبحانه
لكلّ شيء مدّة و انتهاء

يقدّر الانسان في نفسه
أمرا و يأتيه عليه القضاء

لا تأمننّ الدهر في أهله
لكلّ عيش آخر و انقضاء

بينا ترى الانسان في غبطة
يمسي و قد حلّ عليه القضاء

ثمّ جعل يطيل النظر إليه حتّى غاب عن عينه ، و أطرق إلى الأرض يقول : إنّا للّه و إنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم .

قال : و سار ابن ملجم حتّى وصل إلى دار قطام ، و كانت قد أيست من رجوعه إليها ، و عرضت نفسها على بني عمّها و عشيرتها و شرطت عليهم قتل أمير المؤمنين عليه السلام فلم يقدم أحد على ذلك ، فلمّا طرق الباب قالت : من الطارق ؟ قال :

أنا عبد الرحمن ففرحت قطام به و خرجت إليه و اعتنقته و أدخلته دارها ، و فرشت له فرش الديباج و أحضرت له الطعام و المدام ، فأكل و شرب حتّى سكر ، و سألته عن

حاله فحدّثها بجميع ما جرى له في طريقه ، ثمّ أمرته بالاغتسال و تغيير ثيابه ، ففعل ذلك ،

و أمرت جارية لها ففرشت الدار بأنواع الفرش ، و أحضرت له شرابا و جواري ، فشرب مع الجوار و هنّ يلعبن له بالعيدان و المزامير و المعازف و الدفوف . فلمّا أخذ الشراب منه أقبل عليها و قال : ما بالك لا تجالسيني و لا تحادثيني يا قرّة عيني و لا تمازحيني فقالت له : بلى سمعا و طاعة ، ثمّ إنّها نهضت و دخلت إلى خدرها ، و لبست أفخر ثيابها و

تزيّنت و تطيّبت و خرجت إليه ، و قد كشفت له عن رأسها و صدرها و نهودها [299] و أبرزت له عن فخذيها ، و هي في طاق غلالة [300] روميّ يبيّن له منها جميع جسدها و هي تتبختر في مشيتها ، و الجوار حولها يلعبن ، فقام الملعون و اعتنقها و ترشّفها و حملها حتّى أجلسها مجلسها ، و قد بهت و تحيّر ، و استحوذ عليه الشيطان ، فضربت بيدها على زرّ قميصها فحلّته ، و كان في حلقها عقد جوهر ليست له قيمة ، فلمّا أراد مجامعتها لم تمكّنه من ذلك .

فقال : لم تما نعيني عن نفسك و أنا و أنت على العهد الّذي عاهدتك عليه من قتل عليّ ؟ و لو أحببت لقتلت معه شبليه الحسن و الحسين ثمّ ضرب يده على هميانه فحلّه من وسطه و رماه إليها ، و قال : خذيه فإنّ فيه أكثر من ثلاثة آلاف دينار و عبد وقينة .

فقالت له : و اللّه لا أمكّنك من نفسي حتّى تحلف لي بالأيمان المغلّظة أنّك تقتله .

فحملته القساوة على ذلك ، و باع آخرته بدنياه و تحكّم الشيطان فيه بالإيمان المغلّظة أنّه يقتله و لو قطعوه إربا إربا .

فمالت إليه عند ذلك و قبّلته و قبّلها ، فأراد وطيها فمانعته ، و بات عندها تلك الليلة من غير نكاح ، فلمّا كان من الغد تزوّج بها سرّا و طاب قلبه . فلمّا أفاق من سكرته

[299] جمع « النهد » بمعنى الثدي .

[300] « الطاق » ضرب من الثياب . و « الغلالة » بالكسر ، شعار يلبس تحت الثوب .

ندم على ما كان منه ، و عاتب نفسه و لعنها . فلم تزل تراوغه [301] في كلّ ليلة و تعده بوصالها .

فلمّا دنت الليلة الموعودة مدّ يده إليها ليضاجعها و يجامعها فأبت عليه و قالت :

ما يكون ذلك إلاّ أن تفي بوعدك .

و كان الملعون اعتلّ علّة شديدة فبريء منها ، و كانت الملعونة لا تمكّنه من نفسها مخافة أن تبرد ناره فيخلّ بقضاء حاجتها .

فقال لها : يا قطام في هذه الليلة أقتل لك عليّ بن أبي طالب .

و أخذ سيفه و مضى به إلى الصيقل فأجاد صقاله ، و جاء به إليها ، فقالت :

إنّي أريد أن أعمل فيه سمّا .

قال : و ما تصنع بالسمّ ؟ لو وقع على جبل لهدّه .

فقالت : دعني أعمل فيه السمّ فإنّك لو رأيت عليّا لطاش عقلك و ارتعشت يداك ، و ربّما ضربته ضربة لا تعمل فيه شيئا ، فإذا كان مسموما فإن لم تعمل الضربة عمل السمّ .

فقال لها : يا ويلك أتخوّفيني من عليّ ؟ فواللّه لا أرهب عليّا و لا غيره فقالت له : دعني من قولك هذا و إنّ عليّا ليس كمن لاقيت من الشجعان ،

فأطرت [302] في مدحه و ذكرت شجاعته ، و كان غرضها أن يحمل الملعون على الغضب ،

و يحرّضه على الأمر ، فأخذت السيف و أنفذته إلى الصيقل ، فسقاه السمّ و ردّه إلى غمده .

و كان ابن ملجم قد خرج في ذلك اليوم يمشي في أزقّة الكوفة ، فلقيه صديق له و هو عبد اللّه بن جابر الحارثيّ ، فسلّم عليه و هنّأه بزواج قطام ، ثمّ تحادثا ساعة فحدّثه

[301] أي تخادعه .

[302] « أطراه » أحسن الثناء عليه و بالغ في مدحه .

[190]

بحديثه من أوّله إلى آخره ، فسرّ بذلك سرورا عظيما ، فقال له : أنا أعاونك .

فقال ابن ملجم : دعني من هذا الحديث ، فإنّ عليّا أروغ من الثعلب و أشدّ من الأسد .

ثمّ مضى ابن ملجم لعنه اللّه يدور في شوارع الكوفة ، فاجتاز على أمير المؤمنين عليه السّلام و هو جالس عند ميثم التمّار ، فخطف عنه كيلا يراه ،

ففطن به فبعث خلفه رسولا فلمّا أتاه وقف بين يديه و سلّم عليه و تضرّع لديه ، فقال عليه السلام له : ما تعمل ههنا ؟

قال : أطوف في أسواق الكوفة و أنظر إليها .

فقال عليه السلام : عليك بالمساجد فإنّها خير لك من البقاع كلّها ، و شرّها الأسواق ما لم يذكر اسم اللّه فيها . ثمّ حادثه ساعة و انصرف .

فلمّا ولّى جعل أمير المؤمنين عليه السّلام يطيل النظر إليه و يقول : يا لك من عدوّ لي من مراد ، ثمّ قال عليه السلام :

اريد حياته و يريد قتلي
و يأبى اللّه إلاّ أن يشاء

ثمّ قال عليه السلام : يا ميثم هذا و اللّه قاتلي لا محالة ، أخبرني به حبيبي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله .

فقال ميثم : يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله أنت قبل ذلك ؟

فقال : يا ميثم لا يحلّ القصاص قبل الفعل .

فقال ميثم : يا مولاي إذا لم تقتله فاطرده .

فقال : يا ميثم لو لا آية في كتاب اللّه يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ 303 و أيضا إنّه بعد ما جنى جناية فيؤخذ بها ، و لا يجوز أن يعاقب قبل الفعل .

فقال ميثم : جعل [اللّه] يومنا قبل يومك ، و لا أرانا اللّه فيك سوء أبدا ، و متى يكون ذلك يا أمير المؤمنين ؟

----

(303) الرعد : 39 .

[191]

فقال عليه السلام : إنّ اللّه تفرّد بخمسة أشياء لا يطّلع عليها نبيّ مرسل و لا ملك مقرّب ، فقال عزّ من قائل : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الآية 304 . يا ميثم هذه خمسة لا يطّلع عليها إلاّ اللّه تعالى ، و ما اطّلع عليها نبيّ و لا وصيّ و لا ملك مقرّب . يا ميثم لا حذر من قدر . يا ميثم إذا جاء القضاء فلا مفرّ .

فرجع ابن ملجم و دخل على قطام لعنهما الله ، و كانت تلك الليلة ليلة تسع عشرة من شهر رمضان .

قالت امّ كلثوم بنت أمير المؤمنين صلوات الله عليه : لمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدّمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من خبز الشعير و قصعة فيها لبن و ملح جريش [305] ، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره ، فلمّا نظر إليه و تأمّله حرّك رأسه و بكى بكاء شديدا عاليا ، و قال : يا بنيّة ما ظننت أنّ بنتا تسوء أباها كما قد أسأت أنت إليّ .

قال : و ماذا يا أباه ؟

قال : يا بنيّة أتقدّمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد ؟ أتريدين أن يطول وقوفي غدا بين يدي الله عزّ و جلّ يوم القيامة ؟ أنا أريد أن أتبّع أخي و ابن عمّي رسول الله صلّى الله عليه و آله ما قدّم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله ، يا بنيّة ما من رجل طاب مطعمه و مشربه و ملبسه إلاّ طال وقوفه بين يدي الله عزّ و جلّ يوم القيامة . يا بنيّة إنّ الدنيا في حلالها حساب و في حرامها عقاب و قد أخبرني حبيبي رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّ جبرئيل عليه السلام نزل إليه و معه مفاتيح كنوز الأرض و قال : يا محمّد السلام يقرؤك السلام و يقول لك : إن شئت صيّرت معك جبال تهامة ذهبا و فضّة ، و خذ هذه مفاتيح كنوز الأرض و لا ينقص ذلك من حظّك يوم القيامة .

----

(304) لقمان : 34 .

[305] « الجريش » ما طحنته غير ناعم .

[192]

قال : يا جبرئيل و ما يكون بعد ذلك ؟

قال : الموت .

فقال : إذا لا حاجة لي في الدنيا ، دعني أجوع يوما و أشبع يوما . فاليوم الّذي أجوع فيه أتضرّع إلى ربّي و أسأله ، و اليوم الّذي أشبع فيه أشكر ربّي و أحمده .

فقال له جبرئيل : وفّقت لكلّ خير يا محمّد ثمّ قال عليه السلام : يا بنيّة الدنيا دار غرور و دار هوان ، فمن قدّم شيئا وجده . يا بنيّة و الله لا آكل شيئا حتّى ترفعين أحد الادامين ، فلمّا رفعته تقدّم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش ، ثمّ حمد الله و أثنى عليه ، ثمّ قال إلى صلاته ،

فصلّى و لم يزل راكعا و ساجدا و مبتهلا و متضرّعا إلى الله سبحانه و يكثر الدخول و الخروج و هو ينظر إلى السماء و هو قلق يتململ . ثمّ قرأ سورة « يس » حتّى ختمها . ثمّ رقد هنيئة و انتبه مرعوبا ، و جعل يمسح وجهه بثوبه ، و نهض قائما على قدميه و هو يقول :

« اللّهمّ بارك لنا في لقائك » و يكثر من قول « لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم » . ثمّ صلّى حتّى ذهب بعض الليل ، ثمّ جلس للتعقيب ، ثمّ نامت عيناه و هو جالس ، ثمّ انتبه من نومته مرعوبا .

قالت امّ كلثوم : كأنّي به و قد جمع أولاده و أهله و قال لهم : في هذا الشهر تفقدوني . إنّي رأيت في هذه الليلة رؤيا هالتني و أريد أن أقصّها عليكم .

قالوا : و ما هي ؟

قال : إنّي رأيت الساعة رسول الله صلّى الله عليه و آله في منامي و هو يقول لي : يا أبا الحسن إنّك قادم إلينا عن قريب . يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك . و أنا و الله مشتاق إليك ، و إنّك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان ، فهلمّ إلينا فما عندنا خير لك و أبقى .

قال : فلمّا سمعوا كلامه ، ضجّوا بالبكاء و النحيب و أبدوا العويل ، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا . ثمّ أقبل يوصيهم و يأمرهم بالخير و ينهاهم عن الشرّ .

قالت امّ كلثوم : و لم يزل تلك الليلة قائما و قاعدا و راكعا و ساجدا ، ثمّ يخرج

[193]

ساعة بعد ساعة يقلّب طرفه في السماء و ينظر في الكواكب و هو يقول : و الله ما كذبت و لا كذبت ، و إنّها الليلة الّتي وعدت بها ، ثمّ يعود إلى مصلاّه و يقول : « اللّهمّ بارك لي في الموت » و يكثر من قول « إنّا للّه و إنّا إليه راجعون » « و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم » ، و يصلّي على النبيّ و آله ، و يستغفر الله كثيرا .

قالت امّ كلثوم : فلمّا رأيته في تلك الليلة قلقا متململا كثير الذكر و الاستغفار أرقت معه ليلتي و قلت : يا أبتاه مالي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد ؟

قال : يا بنيّة إنّ أباك قتل الأبطال و خاض الأهوال و ما دخل الخوف له جوف [306] ، و ما دخل في قلبي رعب أكثر ممّا دخل في هذه الليلة ثمّ قال : إنّا للّه و إنّا إليه راجعون .

فقلت : يا أباه مالك تنعي نفسك منذ الليلة ؟

قال : يا بنيّة قد قرب الأجل و انقطع الأمل .

قالت امّ كلثوم : فبكيت .

فقال لي : يا بنيّة لا تبكين ، فإنّي لم أقل ذلك إلاّ بما عهد إليّ النبيّ صلّى الله عليه و آله ثمّ إنّه نعس و طوى ساعة ، استيقظ من نومه و قال : يا بنيّة إذا قرب وقت الأذان فأعلميني . ثمّ رجع إلى ما كان عليه أوّل الليل من الصلاة و الدعاء و التضرّع إلى الله سبحانه و تعالى .

قالت امّ كلثوم : فجعلت أرقّب وقت الأذان ، فلمّا لاح الوقت أتيته و معي إناء فيه ماء ، ثمّ أيقظته ، فأسبغ الوضوء و قام و لبس ثيابه و فتح بابه ، ثمّ نزل إلى الدار و كان في الدار إوزّ قد أهدي إلى أخي الحسين عليه السلام فلمّا نزل خرجن وراءه و رفرفن و صحن في وجهه ، و كان قبل تلك الليلة لم يصحن ، فقال عليه السلام :

لا إله إلاّ الله صوارخ تتبعها نوائح ، و في غداة غد يظهر القضاء .

فقلت له : يا أباه هكذا تتطيّر ؟

[306] الظاهر كما في (ت) و هامش (ك) : و ما دخل له خوف .

[194]

فقال : يا بنيّة ما منّا أهل البيت من يتطيّر و لا يتطيّر به ، و لكن قول جرى على لساني ، ثمّ قال : يا بنيّة بحقّي عليك إلاّ ما أطلقتيه ، فقد حبست ما ليس له لسان و لا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش ، فأطعميه و اسقيه و إلاّ خلّي سبيله يأكل من حشائش الأرض ، فلمّا وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلّق الباب بمئزره فانحلّ مئزره حتّى سقط ، فأخذه و شدّه و هو يقول :

اشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا
و لا تجزع من الموت إذا حلّ بناديكا

و لا تغترّ بالدهر و إن كان يواتيكا
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا

ثمّ قال : « اللّهمّ بارك لنا في الموت ، اللّهمّ بارك لي في لقائك » .

قالت امّ كلثوم : و كنت أمشي خلفه ، فلمّا سمعته يقول ذلك . قلت : و اغوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ الليلة .

قال : يا بنيّة ما هو بنعاء و لكنّها دلالات و علامات للموت تتبع بعضها بعضها فأمسكي عن الجواب ، ثمّ فتح الباب و خرج .

قالت امّ كلثوم : فجئت إلى أخي الحسن عليه السلام فقلت يا أخي :

قد كان من أمر أبيك الليلة كذا و كذا ، و هو قد خرج في هذا الليل الغلس فألحقه ،

فقام الحسن بن عليّ عليه السلام و تبعه ، فلحق به قبل أن يدخل الجامع فقال يا أباه : ما أخرجك في هذه الساعة و قد بقى من الليل ثلثه ؟

فقال : يا حبيبي و يا قرّة عيني خرجت لرؤيا رأيتها في هذه الليلة أهالتني و أزعجتني و أقلقتني ، فقال له : خيرا رأيت و خيرا يكون فقصّها عليّ ، فقال عليه السلام :

يا بنيّ رأيت كأنّ جبرئيل عليه السلام قد نزل عن السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين و مضى بهما إلى الكعبة و تركهما على ظهرها ، و ضرب أحدهما على الآخر فصارت كالرميم ، ثمّ ذرّهما في الريح ، فما بقي بمكّة و لا بالمدينة بيت إلاّ و دخله من ذلك الرماد .

[195]

فقال له : يا أبت و ما تأويلها ؟

فقال : يا بنيّ إن صدقت رؤياي فإنّ أباك مقتول ، و لا يبقى بمكّة حينئذ و لا بالمدينة بيت إلاّ و يدخله من ذلك غمّ و مصيبة من أجلي .

فقال الحسن عليه السلام : و هل تدري متى يكون ذلك يا أبت ؟

قال : يا بنيّ إنّ الله يقول : وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ 307 . و لكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان ، يقتلني ابن ملجم المراديّ .

فقلت له : يا أبتاه إذا علمت منه ذلك فاقتله .

قال : يا بنيّ لا يجوز القصاص إلاّ بعد الجناية و الجناية لم تحصل منه . يا بنيّ لو اجتمع الثقلان الإنس و الجنّ على أن يدفعوا ذلك لما قدروا . يا بنيّ ارجع إلى فراشك .

فقال الحسن عليه السلام : يا أبتاه أريد أمضي معك إلى موضع صلاتك .

فقال له : أقسمت بحقّي عليك إلاّ ما رجعت إلى فراشك لئلاّ يتنغّص عليك نومك ، و لا تعصني في ذلك .

قال : فرجع الحسن عليه السلام فوجد اخته امّ كلثوم قائمة خلف الباب تنتظره ، فدخل فأخبرها بذلك ، و جلسا يتحادثان و هما محزونان حتّى غلب عليهما النعاس ، فقاما و دخلا إلى فراشهما و ناما .

قال أبو مخنف و غيره : و سار أمير المؤمنين عليه السّلام حتّى دخل المسجد ، و القناديل قد خمد ضوؤها ، فصلّى في المسجد ورده و عقّب ساعة ، ثمّ إنّه قام و صلّى ركعتين ، ثمّ علا المأذنة و وضع سبّابتيه في أذنيه و تنحنح ثمّ أذّن ، و كان عليه السلام إذا أذّن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلاّ اخترقه صوته .

----

(307) لقمان : 34 .

[196]

قال الراوي : و أمّا ابن ملجم ، فبات في تلك الليلة يفكّر في نفسه ، و لا يدري ما يصنع ، فتارة يعاتب نفسه و يوبخها و يخاف من عقبى فعله ، فيهمّ أن يرجع عن ذلك ،

و تارة يذكر قطام لعنها الله و حسنها و جمالها و كثرة مالها فتميل نفسه إليها ، فبقي عامّة ليله يتقلّب على فراشه و هو يترنّم بشعره ذلك إذا أتته الملعونة و نامت معه في فراشه ، و قالت له : يا هذا من يكون على هذا العزم يرقد ؟

فقال لها : و الله إنّي أقتله لك الساعة .

فقالت : اقتله و ارجع إليّ قرير العين مسرورا ، و افعل ما تريد فإنّي منتظرة لك .

فقال لها : بل أقتله و أرجع إليك سخين العين محزونا منحوسا محسورا .

فقالت : أعوذ بالله من تطيّرك الوحش .

قال : فوثب الملعون كأنّه الفحل من الإبل ، قال : هلمّي إليّ بالسيف ، ثمّ إنّه اتّزر بمئزر و اتّشح بإزار ، و جعل السيف تحت الإزار مع بطنه ، و قال : افتحي لي الباب ففي هذه الساعة أقتل لك عليّا .

فقامت فرحة مسرورة و قبّلت صدره ، و بقي يقبّلها و يترشّفها ساعة ، ثمّ راودها عن نفسها . فقالت له : هذا عليّ أقبل إلى الجامع و أذّن ، فقم إليه فاقتله ثمّ عد إليّ فها أنا منتظرة رجوعك .

فخرج من الباب و هي خلفه تحرّضه بهذه الأبيات :

أقول إذا ماحيّة أعيت الرقّا
و كان ذعاف الموت منه شرابها [308]

رسسنا [309] إليها في الظلام ابن ملجم
همام إذا ما الحرب شبّ لها بها

فخذها عليّ فوق رأسك ضربة
بكفّ سعيد سوف يلقى ثوابها

قال الراوي : فالتفت إليها و قال لها : أفسدت و الله الشعر في هذا البيت الآخر .

[308] « الذعاف » السمّ الّذي يقتل من ساعته .

[309] في (خ) و (م) : دسسنا .

[197]

قالت : و لم داك ؟

قال لها : هلاّ قلت : « بكفّ شقيّ سوف يلقى عقابها » .

قال مصنّف هذا الكتاب قدّس روحه : هذا الخبر غير صحيح ، بل إنّا كتبناه كما وجدناه . و الرواية الصحيحة أنّه بات في المسجد و معه رجلان : أحدهما شبيب بن بحيرة [310] و الآخر وردان بن مجالد ، يساعدانه على قتل عليّ عليه السلام

فلمّا أذّن عليه السلام و نزل من المأذنة و جعل يسبّح اللّه و يقدّسه و يكبّره و يكثر من الصلاة على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ، قال الراوي : و كان من كرم أخلاقه عليه السلام أنّه يتفقّد النائمين في المسجد و يقول للنائم : الصلاة يرحمك اللّه الصلاة ، قم إلى الصلاة المكتوبة عليك ، ثمّ يتلو عليه السلام : إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ 311 ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد ، حتّى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائما على وجهه قال له : يا هذا قم من نومك هذا فإنّها نومة يمقتها اللّه ، و هي نومة الشيطان و نومة أهل النار ، بل نم على يمينك فإنّها نومة العلماء أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء و لا تنم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء .

قال : فتحرّك الملعون كأنّه يريد أن يقوم و هو من مكانه لا يبرح ، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام : لقد هممت بشيء تكاد السماوات يتفطّرن منه و تنشقّ الأرض و تخرّ الجبال هدّا ، و لو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك . ثمّ تركه و عدل عنه إلى محرابه ، و قام قائما يصلّي ، و كان عليه السلام يطيل الركوع و السجود في الصلاة كعادته في الفرائض و النوافل حاضرا قلبه . فلمّا أحسّ به فنهض الملعون مسرعا و أقبل يمشي حتّى وقف بإزاء الأسطوانة الّتي كان الامام عليه السلام يصلّي عليها ،

فأمهله حتّى صلّى الركعة الأولى و ركع و سجد السجدة الأولى منها و رفع رأسه ، فعند ذلك أخذ السيف و هزّه ، ثمّ ضربه على رأسه المكرّم الشريف ، فوقعت الضربة على

[310] في (ت) : بجرة .

----

(311) العنكبوت : 45 .

الضربة الّتي ضربه عمرو بن عبدودّ العامريّ ، ثمّ أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود ، فلمّا أحسّ الإمام بالضرب لم يتأوّه و صبر و احتسب ، و وقع علي وجهه و ليس عنده أحد قائلا : « بسم اللّه و باللّه و على ملّة رسول اللّه » ثمّ صاح و قال : « قتلني ابن ملجم ، قتلني اللعين ابن اليهوديّة و ربّ الكعبة ، أيّها النّاس لا يفوتنّكم ابن ملجم » . و سار السمّ في رأسه و بدنه و ثار جميع من في المسجد في طلب الملعون ،

و ما جوابا لسلاح فما كنت أرى إلاّ صفق الأيدي على الهامات و علوّ الصرخات ، و كان ابن ملجم ضربه ضربة خائفا مرعوبا ، ثمّ ولّى هاربا و خرج من المسجد ، و أحاط الناس بأمير المؤمنين عليه السّلام و هو في محرابه يشدّ الضربة و يأخذ التراب و يضعه عليها . ثمّ تلا قوله تعالى : مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى 312 ثمّ قال عليه السلام : جاء أمر اللّه و صدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، ثمّ إنّه لمّا ضربه الملعون ارتجّت الأرض و ماجت البحار و السماوات ، و اصطفقت أبواب الجامع ، قال : و ضربه اللعين شبيب بن بجرة فأخطأه و وقعت الضربة في الطاق .

قال الراوي : فلمّا سمع الناس الضجّة ثار إليه كلّ من كان في المسجد ، و صاروا يدورون و لا يدرون أين يذهبون من شدّة الصدمة و الدهشة ، ثمّ أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السّلام و هو يشدّ رأسه بمئزره ، و الدم يجري على وجهه و لحيته ، و قد خضبت بدمائه و هو يقول : « هذا ما وعد اللّه و رسوله و صدق اللّه و رسوله » .

قال الراوي : فاصطفقت أبواب الجامع ، و ضجّت الملائكة في السماء بالدعاء ،

و هبّت ريح عاصف سوداء مظلمة ، و نادى جبرئيل عليه السلام بين السماء و الأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ : « تهدّمت و اللّه أركان الهدى ، و انطمست و اللّه نجوم السماء و أعلام التقى ، و انفصمت و اللّه العروة الوثقى ، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى ،

قتل الوصيّ المجتبى ، قتل عليّ المرتضى ، قتل و اللّه سيّد الأوصياء ، قتله أشقى

----

(312) طه : 55 .

الأشقياء » . قال : فلمّا سمعت أمّ كلثوم نعي جبرئيل فلطمت على وجهها و خدّها و شقّت جيبها و صاحت : وا أبتاه وا عليّاه وا محمّداه وا سيّداه ، ثمّ أقبلت إلى أخويها الحسن و الحسين فأيقظتهما و قالت لهما : لقد قتل أبوكما : فقاما يبكيان ، فقال لها الحسن عليه السلام : يا أختاه كفّي عن البكاء حتّى نعرف صحّة الخبر كيلا تشمت الأعداء فخرجا فإذا الناس ينوحون و ينادون : وا إماماه وا أمير المؤمنيناه ، قتل و الله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم ، كان أشبه الناس برسول الله صلّى الله عليه و آله فلمّا سمع الحسن و الحسين عليهما السلام صرخات الناس ناديا : وا أبتاه وا عليّاه ليت الموت أعدمنا الحياة ، فلمّا وصلا الجامع و دخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة و معه جماعة من الناس ، و هم يجتهدون أن يقيموا الامام في المحراب ليصلّي بالناس ، فلم يطق على النهوض و تأخّر عن الصفّ و تقدّم الحسن عليه السلام فصلّى بالناس ، و أمير المؤمنين عليه السّلام يصلّي إيماءا من جلوس ، و هو يمسح الدم عن وجهه و كريمه الشريف ، يميل تارة و يسكن أخرى ، و الحسن عليه السلام ينادي : وا انقطاع ظهراه يعزّ و الله عليّ أن أراك هكذا . ففتح عينه و قال : يا بنيّ لا جزع على أبيك بعد اليوم ، هذا جدّك محمّد المصطفى و جدّتك خديجة الكبرى و أمّك فاطمة الزهراء و الحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك ، فطب نفسا وقرّ عينا و كفّ عن البكاء فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

قال : ثمّ إنّ الخبر شاع في جوانب الكوفة و انحشر الناس حتّى المخدّرات خرجن من خدرهنّ إلى الجامع ينظرن إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن و رأس أبيه في حجره ، و قد غسل الدم عنه و شدّ الضربة و هي بعدها تشخب دما ، و وجهه قد زاد بياضا بصفرة ، و هو يرمق السماء بطرفه و لسانه يسبّح الله و يوحّده ، و هو يقول : « أسألك يا ربّ الرفيع الأعلى » .

فأخذ الحسن عليه السلام رأسه في حجره فوجده مغشيّا عليه ، فعندها بكى بكاء شديدا و جعل يقبّل وجه أبيه و ما بين عينيه و موضع سجوده ، فسقط من دموعه قطرات على وجه أمير المؤمنين عليه السّلام ، ففتح عينيه فرآه باكيا .

[200]

فقال له : يا بنيّ يا حسن ما هذا البكاء ؟ يا بنيّ لا روع على أبيك بعد اليوم ،

هذا جدّك محمّد المصطفى و خديجة و فاطمة و الحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك ،

فطب نفسا و قرّ عينا ، و اكفف عن البكاء فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء . يا بنيّ أتجزع على أبيك و غدا تقتل بعدي مسموما مظلوما ؟ و يقتل أخوك بالسيف هكذا ، و تلحقان بجدّكما و أبيكما و أمّكما .

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبتاه ما تعرّفنا من قتلك و من فعل بك هذا ؟

قال : قتلني ابن اليهوديّة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ .

فقال : يا أباه من أيّ طريق مضى ؟

قال : لا يمضي أحد في طلبه فإنّه سيطلع عليكم من هذا الباب و أشار بيده الشريفة إلى باب كندة .

قال : و لم يزل السمّ يسري في رأسه و بدنه ، ثمّ أغمي عليه ساعة و الناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كندة ، فاشتغل الناس بالنظر إلى الباب ، و يرتقبون قدوم الملعون . و قد غصّ المسجد بالعالم ما بين باك و محزون ، فما كان إلاّ ساعة و إذا بالصيحة قد ارتفعت و زمرة من الناس و قد جاؤوا بعدوّ الله ابن ملجم مكتوفا ، و هذا يلعنه و هذا يضربه .

قال : فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه ، فأقبلوا باللعين مكتوفا و هذا يلعنه و هذا يضربه ، و هم ينهشون لحمه بأسنانهم و يقولون له : يا عدوّ الله ما فعلت ؟ أهلكت أمّة محمّد و قتلت خير الناس ، و إنّه لصامت و بين يديه رجل يقال له حذيفة النخعيّ ، بيده سيف مشهور ، و هو يردّ الناس عن قتله ، و هو يقول : هذا قاتل الإمام عليّ عليه السلام حتّى أدخلوه المسجد .

قال الشعبيّ : كأنّي أنظر إليه و عيناه قد طارتا في أمّ رأسه كأنّهما قطعتا علق ، و قد وقعت في وجهه ضربة قد هشمت وجهه و أنفه ، و الدم يسيل على لحيته و على صدره ، و هو ينظر يمينا و شمالا و عيناه قد طارتا في أمّ رأسه ، و هو أسمر اللون حسن

[201]

الوجه ، و في وجهه أثر السجود و كان على رأسه شعر أسود منشورا على وجهه كأنّه الشيطان الرجيم ، فلمّا حاذاني سمعته يترنّم بهذه الأبيات :

أقول لنفسي بعد ما كنت أنهاها
و قد كنت أسناها و كنت أكيدها

أيا نفس كفّي عن طلابك و اصبري
و لا تطلبي همّا عليك يبيدها

فما قبلت نصحي و قد كنت ناصحا
كنصح و لو دغاب عنها وليدها

فما طلبت إلاّ عنائي و شقوتي
فياطول مكثي في الجحيم بعيدها

فلمّا جاؤوا به أوقفوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السّلام فلمّا نظر إليه الحسن عليه السلام قال له : يا ويلك يا لعين يا عدوّ الله أنت قاتل أمير المؤمنين و مثكلنا إمام المسلمين هذا جزاؤه منك حيث آواك و قرّبك و أدناك و آثرك على غيرك ؟ و هل كان بئس الإمام لك حتّى جازيته هذا الجزاء يا شقيّ ؟

قال : فلم يتكلّم بل دمعت عيناه فانكبّ الحسن عليه السلام على أبيه يقبّله ، و قال له : هذا قاتلك يا أباه قد أمكن الله منه ، فلم يجبه و كان نائما ، فكره أن يوقظه من نومه ، ثمّ التفت إلى ابن ملجم و قال له : يا عدوّ الله هذا كان جزاؤه منك بوّأك و أدناك و قرّبك و حباك و فضّلك على غيرك ؟ هل كان بئس الإمام لك حتّى جازيته بهذا الجزاء يا شقيّ الأشقياء ؟

فقال له الملعون : يا أبا محمّد أفأنت تنقذ من في النار ؟

فعند ذلك ضجّت الناس بالبكاء و النحيب ، فأمرهم الحسن عليه السلام بالسكوت .

ثمّ التفت الحسن عليه السلام إلى الّذي جاء به حذيفة رضي الله عنه ، فقال له : كيف ظفرت بعدوّ الله و أين لقيته ؟

فقال : يا مولاي إنّ حديثي معه لعجيب ، و ذلك أنّي كنت البارحة نائما في داري و زوجتي إلى جانبي و هي من غطفان ، و أنا راقد و هي مستيقظة ، إذ سمعت هي الزعقة و ناعيا ينعي أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يقول : « تهدّمت و الله أركان الهدى ، و انطمست و الله أعلام التقى ، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى ، قتل عليّ

[202]

المرتضى ، قتله أشقى الأشقياء » .

فأيقظتني و قالت لي : أنت نائم و قد قتل إمامك عليّ بن أبي طالب ؟ فانتبهت من كلامها فزعا مرعوبا و قلت لها : يا ويلك ما هذا الكلام ،

رضّ الله [313] فاك ، لعلّ الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أو حلم ألقي عليك ، يا ويلك إنّ أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعة و لا ظلامة ، و إنّه لليتيم كالأب الرحيم ، و للأرملة كالزوج العطوف ، و بعد ذلك فمن ذا الّذي يقدر على قتل أمير المؤمنين و هو الأسد الضرغام و البطل الهمام و الفارس القمقام ؟

فأكثرت عليّ و قالت : إنّي سمعت ما لم تسمع و علمت ما لم تعلم .

فقلت لها : و ما سمعت ؟

فأخبرتني بالصوت فقالت لي : سمعت ناعيا ينادي بأعلى صوته « تهدّمت و الله أركان الهدى ، و انطمست و الله أعلام التقى ، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى ، قتل عليّ المرتضي ، قتله أشقى الأشقياء » ثمّ قالت : ما أظنّ بيتا في الكوفة إلاّ و قد دخله هذا الصوت .

قال : فبينما أنا و هي في مراجعة الكلام و إذا بصيحة عظيمة و جلبة و ضجّة عظيمة و قائل يقول : « قتل أمير المؤمنين » فحسّ قلبي بالشرّ ، فمددت يدي إلي سيفي و سللته من غمده و أخذته ، و نزلت مسرعا و فتحت باب داري و خرجت ، فلمّا صرت في وسط الجادّة فنظرت يمينا و شمالا و إذا بعدوّ الله يجول فيها يطلب مهربا فلم يجد ، و إذا قد انسدّت الطرقات في وجهه فلمّا نظرت إليه و هو كذلك رابني أمره ، فناديته : يا ويلك من أنت ؟ و ما تريد لا أمّ لك في وسط هذا الدرب تمرّ و تجيء ؟ فتسمّى بغير اسمه ،

و انتمى إلى غير كنيته .

فقلت له : من أين أقبلت ؟

قال : من منزلي .

[313] في (خ) : فضّ الله .

قلت : و إلى أين تريد تمضي في هذا الوقت ؟

قال : إلى الحيرة .

فقلت : و لم لا تقعد حتّى تصلّي مع أمير المؤمنين عليه السّلام صلاة الغداة و تمضي في حاجتك ؟

فقال : أخشى أن أقعد للصلاة فتفوتني حاجتي .

فقلت : يا ويلك إنّي سمعت صيحة و قائلا يقول : قتل أمير المؤمنين عليه السّلام فهل عندك من ذلك خبر ؟

قال : لا علم لي بذلك .

فقلت له : و لم لا تمضي معي حتّى تحقّق الخبر و تمضي في حاجتك ؟

فقال : أنا ماض في حاجتي و هي أهمّ من ذلك .

فلمّا قال لي مثل ذلك القول قلت : يا لكع الرجال حاجتك أحبّ إليك من التجسّس لأمير المؤمنين عليه السّلام و إمام المسلمين ؟ و إذا و الله يا لكع مالك عند الله من خلاق . و حملت عليه بسيفي و هممت أن أعلوبه فراغ عنّي ، فبينما أنا أخاطبه و هو يخاطبني إذهبّت ريح فكشفت إزاره ، و إذا بسيفه يلمع تحت الإزار كأنّه مرآة مصقولة فلمّا رأيت بريقه تحت ثيابه قلت : يا ويلك ، ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك ؟ لعلّك أنت قاتل أمير المؤمنين ؟ فأراد أن يقول : « لا » ، فأنطق الله لسانه بالحقّ فقال :

« نعم » . فرفعت سيفي و ضربته ، فرفع هو سيفه و همّ أن يعلوني به ، فانحرفت عنه فضربته على ساقيه ، فأوقفته و وقع لحينه ، و وقعت عليه و صرخت صرخة شديدة و أردت آخذ سيفه فما نعني عنه ، فخرج أهل الحيرة فأعانوني عليه حتّى أوثقته كتافا و جئتك به ، فها هو بين يديك ، جعلني الله فداك فاصنع ما شئت .

فقال الحسن عليه السلام : الحمد للّه الّذي نصر وليّه و خذل عدوّه ، ثمّ انكبّ الحسن عليه السلام على أبيه يقبلّه و قال له : يا أباه هذا عدوّ الله و عدوّك قد أمكن الله منه ، فلم يجبه و كان نائما ، فكره أن يوقظه من نومه ، فرقد ساعة ثمّ فتح عليه السلام عينيه و هو يقول : ارفقوا بي يا ملائكة ربّي . فقال له الحسن

[204]

عليه السلام : هذا عدوّ الله و عدوّك ابن ملجم قد أمكن الله منه و قد حضر بين يديك .

قال : ففتح أمير المؤمنين عليه السّلام عينيه و نظر إليه و هو مكتوف و سيفه معلّق في عنقه ، فقال له بضعف و انكسار صوت و رأفة و رحمة : يا هذا لقد جئت عظيما و ارتكبت أمرا عظيما و خطبا جسيما أبئس الإمام كنت لك حتّى جازيتي بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شفيقا عليك و آثرتك على غيرك و أحسنت إليك وزدت في إعطائك ؟ ألم يكن يقال لي فيك كذا و كذا فخلّيت لك السبيل و منحتك عطائي و قد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة ؟ و لكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع و علّ أن ترجع عن غيّك ، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقيّ الأشقياء .

قال : فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله (تعالى) و قال : يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار ؟

قال له : صدقت ، ثمّ التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام و قال له : ارفق يا ولدي بأسيرك و ارحمه ، و أحسن إليه و أشفق عليه ، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أمّ رأسه و قلبه يرجف خوفا و رعبا و فزعا . فقال له الحسن عليه السلام : يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر و أفجعنا فيك و أنت تأمرنا بالرفق به ؟ فقال له : نعم يا بنيّ نحن أهل بيت لانزداد على المذنب إلينا إلاّ كرما و عفوا ، و الرحمة و الشفقة من شيمتنا لا من شيمته ، بحقّي عليك فأطعمه يا بنيّ ممّا تأكله ، واسقه ممّا تشرب ، و لا تقيّد له قدما ، و لا تغلّ له يدا ، فإن أنا متّ فاقتصّ منه بأن تقتله و تضربه ضربة واحدة و تحرقه بالنار ، و لا تمثّل بالرجل فإنّي سمعت جدّك رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : « إيّاكم و المثلة و لو بالكلب العقور » . و إن أنا عشت فأنا أولى بالعفو عنه ، و أنا أعلم بما أفعل به ، فإن عفوت فنحن أهل بيت لانزداد على المذنب إلينا إلاّ عفوا و كرما .

قال مخنف بن حنيف : إنّي و الله ليلة تسع عشرة في الجامع في رجال نصلّي

[205]

قريبا من السدّة الّتي يدخل منها أمير المؤمنين عليه السّلام فبينا نحن نصلّي إذ دخل أمير المؤمنين عليه السّلام من السدّة و هو ينادي : الصلاة ، ثمّ صعد المأذنة فأذّن ،

ثمّ نزل فعبر على قوم نيام في المسجد فناداهم : الصلاة . ثمّ قصد المحراب ، فما أدري دخل في الصلاة أم لا إذ سمعت قائلا يقول : الحكم لله لا لك يا عليّ ، قال : فسمعت عند ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام يقول : لا يفوتنّكم الرجل ، قال : فشدّ الناس عليه و أنا معهم ، و إذا هو وردان بن مجالد ، و أمّا ابن ملجم لعنه الله فإنّه هرب من ساعته و دخل الكوفة و رأينا أمير المؤمنين عليه السّلام مجروحا في رأسه .

قال محمّد بن الحنفيّة : ثمّ إنّ أبي عليه السلام قال : احملوني إلى موضع مصلاّي في منزلي ، قال : فحملناه إليه و هو مدنف و الناس حوله ، و هم في أمر عظيم باكين محزونين ، قد أشرفوا على الهلاك من شدّة البكاء و النحيب .

ثمّ التفت إليه الحسين عليه السلام و هو يبكي ، فقال له : يا أبتاه من لنا بعدك ؟ لا كيومك إلاّ يوم رسول الله صلّى الله عليه و آله من أجلك تعلّمت البكاء يعزّ و الله عليّ أن أراك هكذا . فناداه عليه السلام فقال : يا حسين يا أبا عبد الله آدن منّي ، فدنا منه و قد قرحت أجفان عينيه من البكاء فمسح الدموع من عينيه و وضع يده على قلبه و قال له : يا بنيّ ربط الله قلبك بالصبر ، و أجزل لك و لإخوتك عظيم الأجر ، فكسّن روعتك و اهدأ من بكائك فإنّ الله قد آجرك على عظيم مصابك ، ثمّ أدخل عليه السلام إلى حجرته و جلس في محرابه .

قال الراوي : و أقبلت زينب و أمّ كلثوم حتّى جلستا معه على فراشه ، و أقبلتا تندبانه و تقولان : يا أبتاه من للصغير حتّى يكبر ؟ و من للكبير بين الملأ ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل ، و عبرتنا لا ترقأ [314] .

قال : فضجّ الناس من وراء الحجرة بالبكاء و النحيب ، و فاضت دموع أمير المؤمنين عليه السّلام عند ذلك ، و جعل يقلّب طرفه و ينظر إلى أهل بيته و

[314] « رقأ الدمع » جفّ و انقطع .

[206]

أولاده ، ثمّ دعا الحسن و الحسين عليهما السلام و جعل يحضّنهما و يقبّلهما ، ثمّ اغمي عليه ساعة طويلة و أفاق ، و كذلك كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يغمى عليه ساعة طويلة و يفيق أخرى ، لأنّه صلّى اللّه عليه و آله كان مسموما ، فلمّا أفاق ناوله الحسن عليه السلام قعبا من لبن ، فشرب منه قليلا ثم نحّاه عن فيه و قال :

احملوه إلى أسيركم ، ثمّ قال للحسن عليه السلام : بحقّي عليك يا بنيّ إلاّ ما طيّبتم مطعمه و مشربه ، و ارفقوا به إلى حين موتي ، و تطعمه ممّا تأكل و تسقيه ممّا تشرب حتّى تكون أكرم منه ، فعند ذلك حملوا إليه اللبن و أخبروه بما قال أمير المؤمنين عليه السّلام في حقّه ، فأخذ اللعين و شربه .

قال : و لمّا حمل أمير المؤمنين عليه السّلام إلى منزله جاؤوا باللعين مكتوفا إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه .

فقالت له أمّ كلثوم و هي تبكي : يا ويلك أمّا أبي ، فإنّه لا بأس عليه ، و إنّ اللّه مخزيك في الدنيا و الآخرة ، و إنّ مصيرك إلى النار خالدا فيها .

فقال لها ابن ملجم لعنه اللّه : أبي إن كنت باكية ، فو اللّه لقد اشتريت سيفي هذا بألف و سممته بألف ، و لو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد . و في ذلك يقول الفرزدق :

فلا غرو للأشراف إن ظفرت بها [315]
ذئاب الأعادي من فصيح و أعجميّ

فحربة وحشيّ سقت حمزة الردى
و حتف عليّ من حسام ابن ملجم

قال محمّد بن الحنفية رضي اللّه عنه : و بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي و قد نزل السمّ إلى قدميه ، و كان يصلّي تلك اللّيلة من جلوس ، و لم يزل يوصينا بوصاياه و يعزّينا عن نفسه و يخبرنا بأمره و تبيانه إلى حين طلوع الفجر ، فلمّا أصبح استأذن الناس عليه ، فأذن لهم بالدخول ، فدخلوا عليه و أقبلوا يسلّمون عليه ، و هو يردّ عليهم السلام .

[315] كذا في النسخ ، و الظاهر : فلا عز للاشراف .

[207]

ثمّ قال : أيّها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني و خفّفوا سؤالكم لمصيبة إمامكم . قال : فبكى الناس عند ذلك بكاء شديدا ، و أشفقوا أن يسألوه تخفيفا عنه ،

فقام إليه حجر بن عديّ الطائيّ و قال :

فيا أسفى على المولى التقيّ
أبو الأطهار حيدرة الزكيّ

قتله كافر حنث زنيم
لعين فاسق نغل [316] شقيّ

فيلعن ربّنا من حاد عنكم
و يبرء منكم لعنا و بيّ

لأنّكم بيوم الحشر ذخري
و أنتم عترة الهادي النّبيّ

فلمّا بصر به و سمع شعره قال له : كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة منّي ، فما عساك أن تقول ؟

فقال : و اللّه يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إربا إربا و أضرم لي النار و ألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك .

فقال : وفّقت لكلّ خير يا حجر ، جزاك اللّه خيرا عن أهل بيت نبيّك . ثمّ قال :

هل من شربة من لبن ؟

فأتوه بلبن في قعب ، فأخذه و شربه كلّه ، فذكر الملعون ابن ملجم و أنّه لم يخلّف له شيئا ، فقال عليه السلام : « و كان أمر اللّه قدرا مقدورا » اعلموا أنّي شربت الجميع و لم أبق لأسيركم شيئا من هذا ، ألا و إنّه آخر رزقي من الدنيا ، فباللّه عليك يا بنيّ إلاّ ما أسقيته مثل ما شربت ، فحمل إليه ذلك فشربه .

قال محمّد بن الحنفيّة رضي اللّه عنه : لمّا كانت ليلة إحدى و عشرين و أظلم الليل و هي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده و أهل بيته و ودّعهم ، ثمّ قال لهم : اللّه خليفتي عليكم و هو حسبي و نعم الوكيل ، و أوصاهم الجميع منهم بلزوم الإيمان و الإديان و الأحكام الّتي أوصاه بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فمن ذلك ما نقل عنه عليه السلام أنّه أوصى به الحسن و الحسين عليهما السلام لمّا ضربه

[316] « النغل » المفسد في الأرض .

[208]

الملعون ابن ملجم و هي هذه : « أوصيكما بتقوى اللّه » ، و ساقها إلى آخر ما مرّ برواية السيّد الرضيّ .

قال : ثمّ تزايد و لوج السمّ في جسده الشريف ، حتّى نظرنا إلى قديمه و قد احمرّتا جميعا ، فكبر ذلك علينا و أيسنا منه ، ثمّ أصبح ثقيلا ، فدخل الناس عليه ، فأمرهم و نهاهم و أوصاهم ، ثمّ عرضنا عليه المأكول و المشروب فأبى أن يشرب ، فنظرنا إلى شفتيه و هما يختلجان بذكر اللّه تعالى و جعل جبينه يرشح عرقا و هو يمسحه بيده قلت : يا أبت أراك تمسح جبينك .

فقال : يا بنيّ إنّي سمعت جدّك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول :

« إنّ المؤمن إذا نزل به الموت و دنت وفاته عرق جبينه و صار كاللؤلؤ الرطب و سكن أنينه » . ثمّ قال : يا أبا عبد اللّه و ياعون ثمّ نادى أولاده كلّهم بأسمائهم صغيرا و كبيرا واحدا بعد واحد ، و جعل يودّعهم و يقول : اللّه خليفتي عليكم أستودعكم اللّه و هم يبكون .

فقال له الحسن عليه السلام : يا أبه ما دعاك إلى هذا ؟

فقال له : يا بنيّ إنّي رأيت جدّك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة ، فكشوت إليه ما أنا فيه من التذلّل و الأذى من هذه الأمّة ،

فقال لي : ادع عليهم ، فقتل : اللّهمّ أبدلهم بي شرّا منّي و أبدلني بهم خيرا منهم ، فقال لي : قد استجاب اللّه دعاك ، سينقلك إلينا بعد ثلاث ، و قد مضت الثلاث ، يا أبا محمّد أوصيك و يا أبا عبد اللّه خيرا ، فأنتما منّي و أنا منكما . ثمّ التفت إلى أولاده الّذين من غير فاطمة عليها السلام و أوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن و الحسين عليهما السلام .

ثمّ قال : أحسن اللّه لكم العزاء ، ألا و إنّي منصرف عنكم ، و راحل في ليلتي هذه ، و لا حق بحبيبي محمّد صلّى اللّه عليه و آله كما وعدني ، فإذا أنا متّ يا أبا محمّد فغسّلني و كفّني و حنّطني ببقيّة حنوط جدّك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فإنّه من كافور الجنّة جاء به جبرئيل

[209]

عليه السلام إليه ، ثمّ ضعني على سريري ، و لا يتقدّم أحد منكم مقدّم السرير ،

و احملوا مؤخّره و اتّبعوا مقدّمه ، فأيّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر ، فحيث قام سريري فهو موضع قبري . ثمّ تقدّم يا أبا محمّد و صلّ عليّ يا بنيّ يا حسن و كبرّ عليّ سبعا ، و اعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهديّ ،

من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحقّ ، فإذا أنت صلّيت عليّ يا حسن فنحّ السرير عن موضعه ، ثمّ اكشف التراب عنه فترى قبرا محفورا و لحدا مثقوبا و ساجة منقوبة ،

فأضجعني فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنّك لا تجدني ، و إنّي لا حق بجدّك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اعلم يا بنيّ ما من نبيّ يموت و إن كان مدفونا بالمشرق و يموت وصيّه بالمغرب إلاّ و يجمع اللّه عزّ و جلّ بين روحيهما و جسديهما ، ثمّ يفترقان فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضع قبره و إلى موضعه الّذي حطّ فيه . ثمّ اشرج [317] اللحد باللبن و أهلّ التراب عليّ ثمّ غيّب قبري ، و كان غرضه عليه السلام بذلك لئلاّ يعلم بموضع قبره أحد من بني اميّة ، فإنّهم لو علموا بموضع قبره لحفروه و أخرجوه و أحرقوه كما فعلوا بزيد ابن عليّ بن الحسين عليه السلام .

ثمّ يا بنيّ بعد ذلك إذا أصبح الصباح ، أخرجوا تابوتا إلى ظهر الكوفة [318] على ناقة ، و أمر بمن يسيّرها بما عليها كأنّها تريد المدينة ، بحيث يخفى على العامّة موضع قبري الّذي تضعني فيه ، و كأنّي بكم و قد خرجت عليكم الفتن من ههنا و ههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة .

ثمّ قال : يا أبا محمّد و يا أبا عبد اللّه كأنّي بكما و قد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ههنا ، فاصبرا حتّى يحكم اللّه و هو خير الحاكمين . ثمّ قال : يا أبا عبد اللّه أنت شهيد هذه الأمّة ، فعليك بتقوى اللّه و الصبر على بلائه ، ثمّ أغمي عليه ساعة ،

و أفاق و قال : هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عمّي حمزة و أخي جعفر و أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كلّهم يقولون : عجّل قدومك علينا فإنّا

[317] « شرح الحجارة » نضدها و ضمّ بعضها إلى بعض .

[318] في (خ) و (ت) : ظاهر الكوفة .)

إليك مشتاقون ، ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم و قال : أستودعكم اللّه جميعا ،

سدّدكم اللّه جميعا ، حفظكم اللّه جميعا ، خليفتي عليكم اللّه و كفى باللّه خليفة . ثمّ قال :

و عليكم السلام يا رسل ربّي ، ثمّ قال : لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ 319 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ 320 . و عرق جبينه و هو يذكر اللّه كثيرا ، و ما زال يذكر اللّه كثيرا و يتشهّد الشهادتين ، ثمّ استقبل القبلة و غمض عينيه و مدّ رجليه و يديه و قال : أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ، ثمّ قضى نحبه عليه السلام و كانت وفاته في ليلة إحدى و عشرين من شهر رمضان ، و كانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة .

قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت عليّ عليه السلام و أمّ كلثوم و جميع نسائه ، و قد شقّوا الجيوب و لطموا الخدود ، و ارتفعت الصيحة في القصر ، فعلم أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد قبض ، فأقبل النساء و الرجال يهرعون أفواجا أفواجا ، و صاحوا صيحة عظيمة ، فارتجّت الكوفة بأهلها و كثر البكاء و النحيب ، و كثر الضجيج بالكوفة و قبائلها و دورها و جميع أقطارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ، فلمّا أظلم الليل تغيّر أفق السماء و ارتجّت الأرض و جميع من عليها بكوه و كنّا نسمع جلبة و تسبيحا في الهواء ، فعلمنا أنّها من أصوات الملائكة ، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ، ثمّ ارتفعت الأصوات و سمعنا هاتفا بصوت يسمعه الحاضرون و لا يرون شخصه يقول :

بنفسي و مالي ثمّ أهلي و أسرتي
فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم

عليّ رقى فوق الخلائق في الوغى
فهدّت به أركان بيت المحرّم

عليّ أمير المؤمنين و من بكت
لمقتله البطحا و أكناف زمزم

يكاد الصفا و المشعر ان كلاهما
يهدّا و بان النقص في ماء زمزم

----
(319) *الصافّات : 61 .*

----
(320) *النحل : 128 .*

[211]

و أصبحت الشمس المنير ضياؤها
لقتل عليّ لونها لون دلهم [321]

و ظلّ له أفق السماء كآبة
كشقّة ثوب لونها لون عندهم [322]
و ناحت عليه الجنّ إذ فجعت به
حنينا كثكلى نوحها بترنّم

و أضحى إليها الجود و النبل مقتما [323] و كان التقى في قبره المتهدّم

و أضحى التقى و الخير و الحلم و النهى
و بات العلى في قبره المتهدّم

يكاد الصفا و المستجار كلاهما
يهدّا و بان النقص في ماء زمزم

لفقد عليّ خبر من وطىء الحصى
أخا العالم الهادي النّبيّ المعظّم

فالمعنى عند ذلك أنّ السماوات و الأرض و الملائكة و الجنّ و الإنس قد بكت و رثته في تلك الليلة ، و سمعنا في الهواء جلبة عظيمة و تسبيحا و تقديسا ، فعلمنا أنّها أصوات الملائكة ، فلم تزل كذلك حتّى بدا الصباح ، فارتفعت الأصوات فخرجنا و إذا بصائح في الهواء و هو يقول :

يا للرجال لعظم هول مصيبة
قدحت فليس مصابها بالهازل

و الشمس كاسفة لفقد إمامنا
خير الخلائق و الإمام العادل

يا خير من ركب المطيّ و من مشى
فوق الثرى من حافي أو ناعل

يا سيّدي و لقد هددت قواءنا
و الحقّ أصبح خاضعا للباطل

قال محمّد بن الحنفيّة : ثم أخذنا في جهازه ليلا و كان الحسن عليه السلام يغسّله و الحسين عليه السلام يصبّ الماء عليه ، و كان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقلّبه ، بل كان يتقلّب كما يريد الغاسل يمينا و شمالا ، و كانت رائحته أطيب من رائحة المسك و العنبر ، ثمّ نادى الحسن عليه السلام بأخته زينب و أمّ كلثوم و قال : يا أختاه هلمّي بحنوط جدّي رسول الله صلّى الله عليه و آله ، فبادرت زينب

[321] « الدلهم » المظلم .

[322] « العندم » خشب نبات يصبغ به .

[323] « قتم وجهه » تغيّر و اسودّ .

[212]

مسرعة حتّى أتته به . قال الراوي : فلمّا فتحته فاحت الدار و جميع الكوفة و شوارعها لشدّة رائحة ذلك الطيب ، ثمّ لفّوه بخمسة أثواب كما أمر عليه السلام ثمّ وضعوه على السرير ، و تقدّم الحسن و الحسين عليهما السلام إلى السرير من مؤخّره و إذا مقدّمه قد ارتفع و لا يرى حامله ، و كان حاملاه من مقدّمه جبرئيل و ميكائيل ، فما مرّ بشيء على وجه الأرض إلاّ انحنى له ساجدا و خرج السرير من مايل باب كندة ،

فحملا مؤخّره و سارا يتّبعان مقدّمه .

قال ابن الحنفيّة رضي الله عنه : و الله لقد نظرت إلى السرير و إنّه ليمرّ بالحيطان و النخل فتنحني له خشوعا ، و مضى مستقيما إلى النجف إلى موضع قبره الآن ، قال : و ضجّت الكوفة بالبكاء و النحيب ، و خرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات ، فمنعهم الحسن عليه السلام و نهاهم عن البكاء و العويل ، و ردّهنّ إلى أماكنهنّ و الحسين عليه السلام يقول : لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، إنّا لله و إنّا إليه راجعون . يا أباه وا انقطاع ظهراه ، من أجلك تعلّمت البكاء ، إلى الله المشتكى .

فلمّا انتهيا إلى قبره و إذا مقدّم السرير قد وضع ، فوضع الحسن عليه السلام مؤخّره ثمّ قام الحسن عليه السلام و صلّى عليه و الجماعة خلفه ، فكبّر سبعا كما أمره به أبوه عليه السلام ثمّ زحزحنا سريره و كشفنا التراب و إذا نحن بقبر محفور و لحد مشقوق و ساجة منقورة مكتوب عليها : « هذا ما ادّخره له جدّه نوح النبيّ للعبد الصالح الطاهر المطهّر » . فلمّا أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول : أنزلوه إلى التربة الطاهرة ، فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب ، فدهش الناس عند ذلك و تحيّروا ، و ألحد أمير المؤمنين عليه السّلام قبل طلوع الفجر .

قال الراوي : لمّا ألحد أمير المؤمنين عليه السّلام وقف صعصعة بن صوحان العبديّ رضي الله عنه على القبر ، و وضع إحدى يديه على فؤاده و الأخرى قد أخذ بها التراب و يضرب به رأسه ، ثمّ قال : بأبي أنت و أمّي يا أمير المؤمنين ، ثمّ قال : هنيئا لك يا أبا الحسن ، فلقد طاب مولدك ، و قوي صبرك ، و عظم جهادك ، و ظفرت برأيك ،

[213]

و ربحت تجارتك ، و قدمت على خالقك ، فتلقّاك الله ببشارته ، و حفّتك ملائكته ، و استقررت في جوار المصطفى ، فأكرمك الله بجواره ، و لحقت بدرجة أخيك المصطفى ، و شربت بكأسه الأوفى ، فأسأل الله أن يمنّ علينا باقتفائنا أثرك و العمل بسيرتك ،

و الموالاة لأوليائك ، و المعاداة لأعدائك ، و أن يحشرنا في زمرة أوليائك ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، و أدركت ما لم يدركه أحد ، و جاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده ، و قمت بدين الله حقّ القيام ، حتّى أقمت السنن ، و أبرت الفتن [324] و استقام الإسلام ، و انتظم الإيمان ، فعليك منّي أفضل الصلاة و السلام ، بك اشتدّ ظهر المؤمنين ، و اتّضحت أعلام السبل ، و أقيمت السنن ، و ما جمع لأحد مناقبك و خصالك ، سبقت إلى إجابة النبيّ صلّى الله عليه و آله مقدما مؤثرا ، و سارعت إلى نصرته ، و وقيته بنفسك ، و رميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف و الحذر ، قصم الله بك [كلّ جبّار عنيد ، و ذلّ بك] كلّ ذي بأس شديد و هدم بك حصون أهل الشرك و الكفر و العدوان و الردى ، و قتل بك أهل الضلال من العدى ، فهنيئا لك يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس من رسول الله صلّى الله عليه و آله قربا و أوّلهم سلما ، و أكثرهم علما و فهما ، فهنيئا لك يا أبا الحسن ، لقد شرّف الله مقامك و كنت أقرب الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه و

آله نسبا ، و أوّلهم إسلاما ، و أوفاهم يقينا ، و أشدّهم قلبا ، و أبذلهم لنفسه مجاهدا ، و أعظمهم في الخير نصيبا ، فلا حرّمنا الله أجرك و لا أذلّنا بعدك ، فو الله لقد كانت حياتك مفاتح للخير و مغالق للشرّ ، و إنّ يومك هذا مفتاح كلّ شرّ و مغلاق كلّ خير ، و لو أنّ الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم ، و لكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة .

ثمّ بكي بكاء شديدا و أبكى كلّ من كان معه ، و عدلوا إلى الحسن و الحسين و محمّد و جعفر و العبّاس و يحيى و عون و عبد الله عليهم السلام فعزّوهم في أبيهم صلوات الله عليه ، و انصرف الناس ، و رجع أولاد أمير المؤمنين عليه السّلام و

[324] « أبره » أصلحه .

[214]

شيعتهم إلى الكوفة ، و لم يشعر بهم أحد من الناس ، فلمّا طلع الصباح و بزغت الشمس أخرجوا تابوتا من دار أمير المؤمنين عليه السّلام و أتوا به إلى المصلّى بظاهر الكوفة ،

ثمّ تقدّم الحسن عليه السلام و صلّى عليه ، و رفعه على ناقة و سيّرها مع بعض العبيد .

قال الراوي : فلمّا كان الغداة اجتمعوا لأجل قتل الملعون ، قال أبو مخنف :

فلمّا رجع الحسن عليه السلام دخلت عليه أمّ كلثوم و أقسمت عليه أن لا يترك الملعون في الحياة ساعة واحدة ، و كان قد عزم على تأخيره ثلاثة أيّام ، فأجابها إلي ذلك ،

و خرج لوقته و ساعته ، و جمع أهل بيته و أهل البصائر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الّذين كانوا على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله كصعصعة و الأحنف و ما أشبههما رضي الله عنهم و تشاوروا في قتل ابن ملجم لعنه الله (تعالى) فكلّ أشار قتله في ذلك اليوم ، و اجتمع رأيهم على قتله في المكان الّذي ضرب فيه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

قال الراوي : ثمّ إنّه لمّا رجع أولاد أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه إلى الكوفة و اجتمعوا لقتل اللعين عدوّ الله ابن ملجم فقال عبد الله بن جعفر : اقطعوا يديه و رجليه و لسانه و اقتلوه بعد ذلك ، و قال ابن الحنفيّة رضي الله عنه : اجعلوه غرضا للنشّاب و أحرقوه بالنار ، و قال آخر : اصلبوه حيّا حتّى يموت ، فقال الحسن عليه السلام : أنا ممتثل فيه ما أمرني به أمير المؤمنين عليه السّلام أضربه ضربة بالسيف حتّى يموت فيها ، و أحرقه بالنار بعد ذلك .

قال : فأمر الحسن عليه السلام أن يأتوه به ، فجاؤوا به مكتوفا حتّى أدخلوه إلى الموضع الّذي ضرب فيه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، و الناس يلعنونه و يوبّخونه ، و هو ساكت لا يتكلّم . فقال الحسن عليه السلام : يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين عليه السّلام و إمام المسلمين ، و أعظمت الفساد في الدين .

فقال لهما : يا حسن و يا حسين عليكما السلام ما تريدان تصنعان بي ؟

قالا له : نريد قتلك كما قتلت سيّدنا و مولانا .

[215]

فقال لهما : اصنعا ما شئتما أن تصنعا ، و لا تعنّفا من استزلّه الشيطان فصدّه عن السبيل ، و لقد زجرت نفسي فلم تنزجر و نهيتها فلم تنته فدعها تدوق و بال أمرها و لها عذاب شديد ، ثمّ بكى .

فقال له : يا ويلك ما هذه الرقّة ؟ أين كانت حين وضعت قدمك و ركبت خطيئتك ؟

فقال ابن ملجم لعنه الله : اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ 325 . و لقد انقضى التوبيخ و المعايرة ، و إنّما قتلت أباك و حصلت بين يديك ، فاصنع ما شئت و خذ بحقّك منّي كيف شئت ، ثمّ برك على ركبتيه و قال : يا ابن رسول الله الحمد لله الّذي أجرى قتلي على يديك .

فرقّ له الحسن عليه السلام لأنّ قلبه كان رحيما صلّى اللّه عليه .

فقام الحسن عليه السلام و أخذ السيف بيده و جرّده من غمده فهزّبه [326] حتّى لاح الموت في حدّه ثم ضربه ضربة أدار بها عنقه فاشتدّ زحام الناس عليه ، و علت أصواتهم ، فلم يتمكّن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبرأه فانقلب عدوّ اللّه على قفاه يحور في دمه .

فقام الحسين عليه السلام إلى أخيه و قال : يا أخي أ ليس الأب واحدا و الأمّ واحدة ولي نصيب في هذه الضربة ولي في قتله حقّ ؟ فدعني أضربه ضربة أشقي بها بعض ما أجده .

فناوله الحسن عليه السلام السيف فأخذه و هزّه و ضربه على الضربة الّتي ضربه الحسن عليه السلام فبلغ إلى طرف أنفه ، و قطع جانبه الآخر ، و ابتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم ، فقطعوه إربا إربا ، و عجّل اللّه بروحه إلى النار و بئس القرار ، ثمّ جمعوا جثّته و أخرجوه من المسجد ، و جمعوا له حطبا و أحرقوه بالنار ، و قيل :

----

(325) المجادلة : 19 .

[326] أي حرّكه . و في (خ) و (م) : و ندبه .

طرحوه في حفرة و طمّوه بالتراب ، و هو يعوي كعويّ الكلاب في حفرته إلى يوم القيامة .

و أقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطعوها بالسيف إربا إربا ، و نهبوا دارها ، ثمّ أخذوها و أخرجوها إلى ظاهر الكوفة و أحرقوها بالنار ، و عجّل اللّه بروحها إلى النار و غضب الجبّار .

و أمّا الرجلان اللّذان تحالفا معه فأحدهما قتله معاوية بن أبي سفيان بالشام ،

و الآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لا رضي اللّه عنهما . و أمّا الرجلان اللّذان كانا مع ابن ملجم بالجامع يساعدانه على قتل عليّ عليه السلام فقتلا من ليلتهما ،

لعنهما اللّه و حشرهما محشر المنافقين الظالمين في جهنّم خالدين مع السالفين .

قال أبو مخنف : فلمّا فرغوا من إهلاكهم و قتلهم أقبل الحسن و الحسين عليهما السلام إلى المنزل ، فالتفت بهم امّ كلثوم و أنشدت تقول هذه الأبيات لمّا سمعت بقتله ، و قيل : إنّها لأمّ الهيثم بنت العربان الخثعميّة ، و قيل : للأسود الدؤلي شعرا يقول :

ألا يا عين جودي و اسعدينا
ألا فابكي أمير المؤمنينا

و تبكي امّ كلثوم عليه
بعبرتها و قد رأت اليقينا

ألاقل للخوارج حيث كانوا
فلا قرّت عيون الحاسدينا

و أبكي خير من ركب المطايا
و حثّ بها و أقرى الظاعنينا

و أبكي خير من ركب المطايا
و فارسها و من ركب السفينا

و من لبس النعال و من حفاها
و من قرأ المثاني و المئينا

و من صام الهجير و قام ليلا
و ناجى اللّه خير الخالقينا

إمام صادق برّ تقيّ
فقيه قد حوى علما و دينا

شجاع أشوس بطل همام
و مقدام الأساود في العرينا [327]

[327] « العرينة » مأوى الأسد .

[217]

كميّ باسل قرم هزبر
حميّ أروع ليث بطينا [328]

فعمرو قاده في الأسر لمّا
طغا و سقى ابن ودّ منه حينا [329]

و مرحب قدّه بالسيف قدّا
و عفّرذا الخمار على الجبينا

و بات على الفراش يقي أخاه
و لم يعبأ بكيد الكافرينا

و يدعو للجماعة من عصاه
و يقضي بالفرائض مستبينا

و كلّ مناقب الخيرات فيه
و حبّ رسول ربّ العالمينا

مضى بعد النبيّ فدته نفسي
أبو حسن و خير الصالحينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين
رأيت البدر فاق الناظرينا

و كنّا قبل مقتله بخير
نرى مولى رسول اللّه فينا

يقيم الحقّ لا يرتاب فيه
و ينهك قطع أيدي السارقينا [330]

و ليس بكاتم علما لديه
و لميخلق من المتجبّرينا

أفي الشهر الحرام فجعتمونا
بخير الخلق طرّا أجمعينا

و من بعد النبيّ فخير نفس
أبو حسن و خير الصالحينا

فلو أنّا سئلنا المال فيه
بذلنا المال فيه و البنينا

كأنّ الناس إذ فقدوا عليّا
نعام جال في بلد سنينا

فلا و اللّه لا أنسى عليّا
و حسن صلاته في الراكعينا

لقد علمت قريش حيث كانت
بأنّك خيرها حسبا و دينا

ألا فابلغ معاوية بن حرب
فلا قرّت عيون الشامتينا

[328] « الكميّ و الباسل » الشجاع . « القرم » بالفتح ، السيد العظيم . « الهزبر » الأسد . « الحميّ » من لا يحتمل الضيم .

« الاروع » من يعجبك بحسنه أو شجاعته .

[329] قوله « فعمر وقاده في الأسر » إشارة إلى ما جرى بينه عليه السلام و بين عمرو بن معديكرب . و قوله « و سقى ابن ودّ » إشارة إلى قتل عمرو بن عبدود بيده .

[330] « نهكه » بالغ في عقوبته .

[218]

و قل للشامتين بنا رويدا
سيلقى الشامتون كما لقينا

قتلتم خير من ركب المطايا
و ذلّلها و من ركب السفينا

ألا فابلغ معاوية بن حرب
بأنّ بقيّة الخلفاء فينا

قال : فلم يبق أحد في المسجد إلاّ انتحب و بكى لبكائها ، و كلّ من كان حاضرا من عدوّ و صديق ، و لم أر باكية و لا باكيا أكثر من ذلك اليوم .

أقول : روى البرسيّ في مشارق الأنوار عن محدّثي أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حمله الحسن و الحسين عليهما السلام على سريره إلى مكان البئر المختلف فيه إلى نجف الكوفة وجدوا فارسا يتضوّع منه رائحة المسك ، فسلّم عليهما ثمّ قال للحسن عليه السلام : أنت الحسن بن عليّ رضيع الوحي و التنزيل و فطيم العلم و الشرف الجليل خليفة أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين ؟

قال : نعم .

قال : و هذا الحسين بن أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين سبط الرحمة و رضيع العصمة و ربيب الحكمة و والد الأئمّة ؟

قال : نعم .

قال : سلّماه إليّ و امضيا في دعة اللّه .

فقال له الحسن عليه السلام : إنّه أوصى إلينا أن لا نسلّم إلاّ إلى أحد رجلين : جبرئيل أو الخضر فمن أنت منهما ؟

فكشف النقاب فإذا هو أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ قال للحسن عليه السلام : يا أبا محمّد إنّه لا تموت نفس إلاّ و يشهدها أفما يشهد جسده ؟ .

قال : و روي عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّ أمير المؤمنين قال للحسن و الحسين عليهما السلام : إذا وضعتماني في الضريح فصلّيا ركعتين قبل أن تهيلا عليّ التراب ، و انظرا ما يكون ، فلمّا وضعاه في الضريح المقدّس فعلا ما أمرا به ، و نظرا و إذا الضريح مغطّى بثوب من سندس ، فكشف الحسن عليه السلام ممّا يلي وجه أمير المؤمنين ، فوجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و آدم و إبراهيم يتحدّثون مع

أمير المؤمنين عليه السّلام و كشف الحسين ممّا يلي رجليه فوجد الزهراء و حوّاء و مريم و آسية عليهنّ السلام ينحن على أمير المؤمنين عليه السّلام و يندبنه . [331] بيان : لم أر هذين الخبرين إلاّ من طريق البرسيّ ، و لا أعتمد على ما يتفرّد بنقله و لا أردّهما لورود الأخبار الكثيرة الدالّة على ظهورهم بعد موتهم في أجسادهم المثاليّة ، و قد مرّت في كتاب المعاد و كتاب الإمامة . 332

48 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

و إنّ البغي و الزّور يوتغان (3972) المرء في دينه و دنياه ، و يبديان خلله عند من يعيبه ، و قد علمت أنّك غير مدرك ما قضي فواته (3973) ،

و قد رام أقوام أمرا بغير الحقّ فتألّوا (3974) على اللّه فأكذبهم (3975) ،

فاحذر يوما يغتبط (3976) فيه من أحمد (3977) عاقبة عمله ، و يندم من أمكن (3978) الشّيطان من قياده فلم يجاذبه .

و قد دعوتنا إلى حكم القرآن و لست من أهله ، و لسنا إيّاك أجبنا ،

و لكنّا أجبنا القرآن في حكمه ، و السّلام .

بيان

« يوتغان » أي يهلكان ، و في بعض النسخ « يذيعان » أي يظهران سرّه و يفضحانه .

[331] لم نجدهما في المصدر المطبوع .

----

(332) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 42 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 257 301 .

و قال الجوهري : « الخلل » فساد في الأمر .

قوله عليه السلام « فتأوّلوا » قال الراوندي : معناه قد طلب قوم أمر هذه الأمّة فتأوّلوا القرآن كقوله تعالى : وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ 333 فسمّوا من نصبوه من الأمراء أولي الأمر متحكّمين على اللّه ، فأكذبهم اللّه بكونهم ظالمين بغاة ، و لا يكون الوالي من قبل اللّه كذلك .

و قال ابن ميثم : بغوا على سلطان اللّه و هي الخلافة الحقّة فجعلوا لخروجهم و بغيهم تأويلا و هو الطلب بدم عثمان و نحوه من الشبه الباطلة فأكذبهم اللّه ينصره عليهم و ردّ مقتضى شبههم و الأكذاب كما يكون بالقول يكون بالفعل .

و قال ابن أبي الحديد : في بعض النسخ « فتألّوا » أي حلفوا ، أي من أقسم تجبّرا و اقتدارا لأفعلنّ كذا ، أكذبه اللّه و لم يبلغه [334] أمله . 335 و روي « تأوّلوا » أي حرّفوا الكلم عن مواضعه و تعلّقوا بشبهة في تأويل القرآن انتصارا لمذهبهم [336] ، فأكذبهم اللّه بأن ظهر [337] للعقلاء فساد تأويلاتهم . و الأوّل أصحّ . قوله عليه السلام « يغتبط فيه » أي يتمنّى مثل حاله من أحمد عاقبة عمله ، أي وجدها محمودة . و « قياد الدابّة » ما تقاد به و قال ابن ميثم 338 : كتب عليه السلام هذا الكتاب بعد التحكيم أو عند إجابته للتحكيم . 339

----

(333) النساء : 59 .

[334] في المصدر : لم يبلغ .

----

(335) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 12 ، ط بيروت .

[336] في المصدر : لمذاهبهم و آرائهم .

[337] في المصدر : أظهر .

----

(338) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 124 .

----

(339) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 592 ، ط كمپانى و ص 546 ، ط تبريز .

49 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا

أمّا بعد ، فإنّ الدّنيا مشغلة عن غيرها ، و لم يصب صاحبها منها شيئا إلاّ فتحت له حرصا عليها ، و لهجا بها (3979) ، و لن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها ، و من وراء ذلك فراق ما جمع ، و نقض ما أبرم و لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي ، و السّلام .

بيان

« المشغلة » كمرحلة ما يشغلك ، و في بعض النسخ « مشغلة » على بناء الإفعال ، فلو صحّت الرواية بطل ما حكم به الأكثر من رداءة « أشغله » . و « اللّهج بالشيء » الولوع به .

قوله عليه السلام « و لو اعتبرت » قال ابن أبي الحديد : أي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه إن تنفقه في الضلال و طلب الدنيا و تضيعه .

و قال ابن ميثم : أي لو اعتبرت بما مضى من القرون الخالية [340] لحفظت ما بقي من السعادة الأخرويّة . 341 أقول : قال ابن أبي الحديد 342 : قد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب ، و قال : إنّه عليه السلام كتبه إلى عمرو بن العاص و فيه زياده لم يذكرها الرضيّ . 343

[340] في المصدر : الماضية . و هذا صحيح (المصحّح) .

----

(341) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 127 .

----

(342) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 14 ، ط بيروت .

----

(343) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 631 ، ط كمپانى و ص 582 ، ط تبريز .

[222]

50 و من كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيش

من عبد اللّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح (3980) :

أمّا بعد ، فإنّ حقّا على الوالي ألاّ يغيّره على رعيّته فضل ناله ،

و لا طول (3981) خصّ به ، و أن يزيده ما قسم اللّه له من نعمه دنوّا من عباده ، و عطفا على إخوانه .

ألا و إنّ لكم عندي ألاّ أحتجز (3982) دونكم سرّا إلاّ في حرب ،

و لا أطوي (3983) دونكم أمرا إلاّ في حكم ، و لا أؤخّر لكم حقّا عن محلّه ، و لا أقف به دون مقطعه (3984) ، و أن تكونوا عندي في الحقّ سواء ، فإذا فعلت ذلك وجبت للّه عليكم النّعمة ، ولي عليكم الطّاعة ،

و ألاّ تنكصوا (3985) عن دعوة ، و لا تفرّطوا في صالح ، و أن تخوضوا الغمرات (3986) إلى الحقّ ، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم ، ثمّ أعظم له العقوبة ، و لا يجد عندي فيها رخصة ، فخذوا هذا من أمرائكم ، و أعطوهم من أنفسكم ما يصلح اللّه به أمركم . و السّلام .

[223]

بيان

قال في النهاية : « المسلحة » القوم الذين يحفظون الثغور من العدوّ و سمّوا مسلحة لأنّهم يكونون ذوي سلاح ، أو لأنّهم يسكنون المسلحة و هي كالثغر و المرقب فيه أقوام يرقبون العدوّ لئلاّ يطرقهم على غفلة ، و الجمع « مسالح » . قوله عليه السلام « أن لا يغيّره » أي لا يصير الفضل الّذي ناله الوالي و الطول الّذي خصّه اللّه به و هو الولاية سببا لتغيّره على رعيّته بالخروج عن العدل و الجفاء عليهم .

« أن لا أحتجز » قال ابن ميثم : أي لا أمنع 344 و قال ابن أبي الحديد : أي لا أستتر . 345 و كلاهما غير موجودين في كلام أهل اللغة ، و ان كان ما ذكره الجوهري من أنّه يقال : « احتجز الرجل بإزار » أي شدّ إزاره على وسطه ، قريبا ممّا ذكره ابن أبي الحديد ، لكنّه بهذا المعنى غير متعدّ . و كذا استتر كما ذكره في تفسيره . و المناسب ما ذكره ابن ميثم و إن كان غير موجود في كلامهم و استثناء الحرب ، لأنّه خدعة و لا يناسب إفشاء الآراء فيه . و « لا أطوي دونكم أمرا » أي أظهركم على كلّ ما في نفسي ممّا يحسن إظهاركم عليه . فأمّا الأحكام الشرعيّة و القضاء على أحد الخصمين فإنّي لا

أعلمكم قبل وقوعها و لا أشاوركم فيها كيلا تفسد القضيّة بأن يحتال ذلك الشخص لصرف الحكم عنه و لعدم توقّف الحكم على المشاورة .

و قال ابن أبي الحديد : ثمّ ذكر أنّه لا يؤخّر لهم حقّا عن محلّه يعني العطآء و أنّه لا يقف دون مقطعه و الحقّ هيهنا غير العطاء بل الحكم . قال زهير : فإنّ الحقّ مقطعه ثلاث : يمين أو نفار أو جلاء . أي متى تعيّن الحكم حكمت به و قطعت و لا أقف و لا أتحبّس . انتهى .

و يحتمل تعميم الحقّ في الموضعين ، أي ما يلزم لكم عليّ من عطاء أو حكم لا أؤخّره عن محلّه و لا أقصر في الإتيان به . فالوقوف به قبل مقطعه ترك السعي في الإتيان به قبل تمامه . 347

----

(344) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 128 .

----

(345) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 17 ، ط بيروت .

----

(346) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 17 ، ط بيروت .

----

(347) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 628 ، ط كمپانى و ص 579 ، ط تبريز .

51 و من كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج :

أمّا بعد ، فإنّ من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدّم لنفسه ما يحرزها . و اعلموا أنّ ما كلّفتم به يسير ، و أنّ ثوابه كثير ، و لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي و العدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه . فأنصفوا النّاس من أنفسكم ،

و اصبروا لحوائجهم ، فإنّكم خزّان (3987) الرّعيّة ، و وكلاء الأمّة ، و سفراء الأئمّة . و لا تحشموا (3988) أحدا عن حاجته ، و لا تحبسوه عن طلبته (3989) ، و لا تبيعنّ للنّاس في الخراج كسوة شتاء و لا صيف ،

و لا دابّة يعتملون عليها (3990) ، و لا عبدا ، و لا تضربنّ أحدا سوطا لمكان درهم (3991) ، و لا تمسّنّ مال أحد من النّاس ، مصلّ و لا معاهد (3992) ، إلاّ أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام ،

فإنّه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام ،

فيكون شوكة عليه . و لا تدّخروا (3993) أنفسكم نصيحة ، و لا الجند حسن سيرة ، و لا الرّعيّة معونة ، و لا دين الله قوّة ، و أبلوا (3994) في سبيل الله ما استوجب عليكم ، فإنّ الله سبحانه قد اصطنع (3995) عندنا

و عندكم أن نشكره بجهدنا ، و أن ننصره بما بلغت قوّتنا ، و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

توضيح

« ما يحرزها » أي يحفظ نفسه من عذاب اللّه ما لا عذر في ترك طلبه لأنّه نفع عظيم مقدور على تحصيله فالتفريط في طلبه قبيح .

و قال الجوهري : « السفير » الرسول و المصلح بين القوم ، و الجمع « سفراء » . و قال : قال أبو زيد : « حشمت الرجل و أحشمته » بمعنى ، و هو أن يجلس إليك فتؤذّيه و تغضبه . و قال ابن الأعرابي : « حشمته » أخجلته و « أحشمته » أغضبته . و في بعض النسخ بالسين المهملة من « الحسم » بمعنى القطع . « و المعاهد » الذمّي و كلّ من دخل بأمان .

و قال الجوهري : « العداء » تجاوز الحدّ و الظلم ، يقال : عدا عليه عدوا و عدوّا و عداء .

و في النهاية : « شوكة القتال » شدّته و حدّته . « و لا تدّخروا أنفسكم » أي لا تمنعوا عن أنفسكم نصيحة و ارعوا ما فيه صلاحها .

و في النهاية : « الإبلاء » الإنعام و الإحسان ، و في حديث برّ الوالدين : « أبل اللّه تعالى عذرا في برّها » أي أعطه و أبلغ العذر فيها إليه ، و المعنى : أحسن اللّه فيما بينك و بين اللّه ببرّك إيّاها . و قال : « الاصطناع » افتعال من « الصنيعة » و هي العطيّة و الكرامة و الإحسان . قوله عليه السلام « أن نشكره » أي اصطنع إلينا لأن نشكره ، أو جعل شكره بجهدنا و نصره بقوّتنا صنيعة و معروفا عندنا و عندكم . 348

----

(348) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 629 ، ط كمپانى و ص 579 ط تبريز .

52 و من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أمّا بعد ، فصلّوا بالنّاس الظّهر حتّى تفيء (3996) الشّمس من مربض العنز (3997) ، و صلّوا بهم العصر و الشّمس بيضاء حيّة في عضو من النّهار حين يسار فيها فرسخان ، و صلّوا بهم المغرب حين يفطر الصّائم ،

و يدفع (3998) الحاجّ إلى منى ، و صلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشّفق إلى ثلث اللّيل ، و صلّوا بهم الغداة و الرّجل يعرف وجه صاحبه ،

و صلّوا بهم صلاة أضعفهم (3999) ، و لا تكونوا فتّانين (4000) .

بيان

« مربض العنز » بكسر البآء و قد يفتح ، محلّ بروكها فإن أريد عرضه فهو قريب من الزرع و القدمين و إن أريد الطول فهو قريب من خمسة أقدام . و الأوّل أوفق بسائر الأخبار ، و الثاني بتتمّة الخبر إذ فيه شوب تقيّة . و في النهاية فيه : إنّه كان يصلّي العصر . و « الشمس حيّة » أي صافية اللون لم يدخلها التغيّر بدنوّ المغيب كأنّه مغيبها لها موتا ، و أراد تقديم وقتها و قال الجوهري : « العضو » و العضو واحد الأعضاء . و « عضّيت الشاة تعضيت » إذا جزّيتها أعضاء .

و في النهاية فيه : إنّه دفع من عرفات أي ابتدأ السير و دفع نفسه منها و نحّاها ،

أو دفع ناقته و حملها على السير . « و لا تكونوا فتّانين » أي تفتنون الناس و تضلّونهم بترك الجماعة بسبب إطالة الصلاة فإنّها مستلزمة لتخلّف الضعفاء و العاجزين و المضطرّين .

رووا عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال : يا معاذ إيّاك أن تكون للمسلمين فتّانا . و في أخرى : « أفتّان أنت يا معاذ ؟ » . 349

----
(349) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الصلاة ، ص 365 .

[227]

إيضاح :

لعلّ الابتداء بالظهر لأنّها أوّل ما فرضت من الصلوات حين تفيء أي يزيد و يرجع ظلّ الشمس بعد غاية نقصانه مثل مربض العنز أي الأثنى من المعز و هو قريب من القدمين وقت النافلة و هو أوّل وقت الفضيلة المختصّ بالظهر لا آخره كما فهمه الراوندي رحمه اللّه . و « الشمس بيضاء » أي لم تصفر للمغيب ، و حياتها استعارة لظهورها في الأرض . و « العضو » بالضمّ و الكسر ، واحد الأعضاء . و الظرف خبر للشمس أو متعلّق ب « صلّوا » ، و المراد بقاء جزء معتدّ به من النهار .

و قال في النهاية فيه : « إنّه دفع من عرفات » أي ابتداء السير و دفع نفسه منها و نحّاها أو دفع ناقته و حملها على السير . و « الفتّان » من يفتن الناس عن الدين ، و إطالة الصلوة مستلزمة لتخلّف العاجزين و الضعفاء و المضطرّين . 350

53 و من كتاب له عليه السلام

كتبه للأشتر النخعي ، لما ولاه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر ، و هو أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن .

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما أمر به عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين ، مالك بز الحارث الأشتر في عهده إليه ، حين ولاّه مصر : جباية خراجها ، و جهاد عدوّها ،

و استصلاح أهلها ، و عمارة بلادها .

----
(350) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 629 ، ط كمپانى و ص 580 ، ط تبريز .

[228]

أمره بتقوى اللّه ، و إيثار طاعته ، و اتّباع ما أمر به في كتابه :

من فرائضه و سننه ، الّتي لا يسعد أحد إلاّ باتّباعها ، و لا يشقى إلاّ مع جحودها و إضاعتها ، و أن ينصر اللّه سبحانه بقلبه و يده و لسانه ،

فإنّه ، جلّ اسمه ، قد تكفّل بنصر من نصره ، و إعزاز من أعزّه .

و أمره أن يكسر نفسه من الشّهوات ، و يزعها (4001) عند الجمحات (4002) ،

فإنّ النّفس أمّارة بالسّوء ، إلاّ ما رحم اللّه .

ثمّ اعلم يا مالك ، أنّي قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك ، من عدل و جور ، و أنّ النّاس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، و يقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، و إنّما يستدلّ على الصّالحين بما يجري اللّه لهم على ألسن عباده ، فليكن أحبّ الذّخائر إليك ذخيرة العمل الصّالح ، فاملك هواك و شحّ (4003) بنفسك عمّا لا يحلّ لك ، فإنّ الشّحّ بالنّفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت . و أشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة ، و المحبّة لهم ،

و اللّطف بهم ، و لا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدّين ، أو نظير لك في الخلق ، يفرط (4004) منهم الزّلل (4005) ، و تعرض لهم العلل ، و يؤتى على أيديهم في العمد

[229]

و الخطإ ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الّذي تحبّ و ترضى أن يعطيك اللّه من عفوه و صفحه ، فإنّك فوقهم ، و والي الأمر عليك فوقك ، و اللّه فوق من ولاّك و قد استكفاك أمرهم (4006) ، و ابتلاك بهم . و لا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه (4007) فإنّه لا يد لك بنقمته (4008) ، و لا غنى بك عن عفوه و رحمته . و لا تندمنّ على عفو ، و لا تبجحنّ (4009) بعقوبة ، و لا تسرعنّ إلى بادرة (4010) وجدت منها مندوحة (4011) ، و لا تقولنّ : إنّي مؤمّر (4012) آمر فأطاع ، فإنّ ذلك إدغال (4013) في القلب ، و منهكة (4014) للدّين ، و تقرّب من الغير (4015) . و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة (4016) أو مخيلة (4017) ، فانظر إلى عظم ملك اللّه فوقك ،

و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإنّ ذلك يطامن (4018) إليك من طماحك (4019) ، و يكفّ عنك من غربك (4020) ، و يفيء (4021) إليك بما عزب (4022) عنك من عقلك إيّاك و مساماة (4023) اللّه في عظمته ، و التّشبّه به في جبروته ، فإنّ اللّه يذلّ كلّ جبّار ، و يهين كلّ مختال .

أنصف اللّه و أنصف النّاس من نفسك ، و من خاصّة أهلك ، و من لك فيه هوى (4024) من رعيّتك ، فإنّك إلاّ تفعل تظلم و من ظلم عباد اللّه كان اللّه خصمه دون عباده ، و من خاصمه اللّه أدحض (4025) حجّته ،

[230]

و كان للّه حربا (4026) حتّى ينزع (4027) أو يتوب . و ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة اللّه و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإنّ اللّه سميع دعوة المضطهدين ، و هو للظّالمين بالمرصاد .

و ليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ ، و أعمّها في العدل ،

و أجمعها لرضى الرّعيّة ، فإنّ سخط العامّة يجحف (4028) برضى الخاصّة ،

و إنّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة . و ليس أحد من الرّعيّة أثقل على الوالي مؤونة في الرّخاء ، و أقلّ معونة له في البلاء ، و أكره للإنصاف ، و أسأل بالإلحاف (4029) ، و أقلّ شكرا عند الإعطاء ، و أبطأ عذرا عند المنع ، و أضعف صبرا عند ملمّات الدّهر من أهل الخاصّة .

و إنّما عماد الدّين ، و جماع (4030) المسلمين ، و العدّة للأعداء ، العامّة من الأمّة ، فليكن صغوك (4031) لهم ، و ميلك معهم .

و ليكن أبعد رعيّتك منك ، و أشنأهم (4032) عندك ، أطلبهم (4033) لمعائب النّاس ، فإنّ في النّاس عيوبا ، الوالي أحقّ من سترها ، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها ، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك ، و اللّه يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر اللّه منك ما تحبّ ستره من رعيّتك . أطلق (4034) عن النّاس عقدة كلّ حقد ، و اقطع عنك

[231]

سبب كلّ وتر (4035) ، و تغاب (4036) عن كلّ ما لا يضح (4037) ، لك ، و لا تعجلّن إلى تصديق ساع ، فإنّ السّاعي (4038) غاش ، و إن تشبّه بالنّاصحين .

و لا تدخلنّ في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل (4039) ، و يعدك الفقر (4040) ، و لا جبانا يضعفك عن الأمور ، و لا حريصا يزيّن لك الشّره (4041) بالجور ، فإنّ البخل و الجبن و الحرص غرائز شتّى (4042) يجمعها سوء الظّنّ باللّه .

إنّ شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ، و من شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة (4043) ، فإنّهم أعوان الأثمة (4044) ، و إخوان الظّلمة (4045) ، و أنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم و نفاذهم ، و ليس عليه مثل آصارهم (4046) و أوزارهم (4047) و آثامهم ،

ممّن لم يعاون ظالما على ظلمه ، و لا آثما على إثمه : أولئك أخفّ عليك مؤونة ، و أحسن لك معونة ، و أحنى عليك عطفا ، و أقلّ لغيرك إلفا (4048) ، فاتّخذ أولئك خاصّة لخلواتك و حفلاتك ، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك ، و أقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه ، واقعا ذلك من هواك حيث وقع . و الصق بأهل الورع و الصّدق ، ثمّ رضهم (4049) على ألاّ يطروك و لا يبجحوك (4050) بباطل لم تفعله ، فإنّ كثرة الإطراء تحدث الزّهو (4051) ، و تدني (4052)

[232]

من العزّة .

و لا يكوننّ المحسن و المسيء عندك بمنزلة سواء ، فإنّ في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان ، و تدريبا لأهل الإساءة على الإساءة و ألزم كلاّ منهم ما ألزم نفسه . و اعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راع برعيّته من إحسانه إليهم ، و تخفيفه المؤونات عليهم ، و ترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم (4053) . فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظّنّ برعيّتك ، فإنّ حسن الظّنّ يقطع عنك نصبا (4054) طويلا . و إنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده ، و إنّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده (4055) .

و لا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة ، و اجتمعت بها الألفة ، و صلحت عليها الرّعيّة . و لا تحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السّنن ، فيكون الأجر لمن سنّها ، و الوزر عليك بما نقضت منها .

و أكثر مدارسة العلماء ، و مناقشة الحكماء ، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، و إقامة ما استقام به النّاس قبلك .

و اعلم أنّ الرّعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ، و لا غنى

[233]

ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، و منها كتّاب العامّة و الخاصّة ،

و منها قضاة العدل ، و منها عمّال الإنصاف و الرّفق ، و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذّمّة و مسلمة النّاس ، و منها التّجّار و أهل الصّناعات و منها الطّبقة السّفلى من ذوي الحاجة و المسكنة ، و كلّ قد سمّى الله له سهمه (4056) ، و وضع على حدّه فريضة في كتابه أو سنّة نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم عهدا منه عندنا محفوظا .

فالجنود ، بإذن الله ، حصون الرّعيّة ، و زين الولاة ، و عزّ الدّين ،

و سبل الأمن ، و ليس تقوم الرّعيّة إلاّ بهم . ثمّ لا قوام للجنود إلاّ بما يخرج الله لهم من الخراج الّذي يقوون به على جهاد عدوّهم ،

و يعتمدون عليه فيما يصلحهم ، و يكون من وراء حاجتهم (4057) . ثمّ لا قوام لهذين الصّنفين إلاّ بالصّنف الثّالث من القضاة و العمّال و الكتّاب ، لما يحكمون من المعاقد (4058) ، و يجمعون من المنافع ،

و يؤتمنون عليه من خواصّ الأمور و عوامّها . و لا قوام لهم جميعا إلاّ بالتّجّار و ذوي الصّناعات ، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم (4059) ،

و يقيمونه من أسواقهم ، و يكفونهم من التّرفّق (4060) بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم . ثمّ الطّبقة السّفلى من أهل الحاجة و المسكنة الّذين يحقّ رفدهم (4061) و معونتهم . و في الله لكلّ سعة ، و لكلّ على الوالي حقّ

[234]

بقدر ما يصلحه ، و ليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلاّ بالاهتمام و الاستعانة بالله ، و توطين نفسه على لزوم الحقّ ،

و الصّبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل . فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك للّه و لرسوله و لإمامك ، و أنقاهم جيبا (4062) ، و أفضلهم حلما (4063) ،

ممّن يبطىء عن الغضب ، و يستريح إلى العذر ، و يرأف بالضّعفاء ،

و ينبو على الأقوياء (4064) ، و ممّن لا يثيره العنف ، و لا يقعد به الضّعف .

ثمّ الصق بذوي المروءات و الأحساب ، و أهل البيوتات الصّالحة ،

و السّوابق الحسنة ، ثمّ أهل النّجدة و الشّجاعة ، و السّخاء و السّماحة ،

فإنّهم جماع (4065) من الكرم ، و شعب (4066) من العرف (4067) . ثمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما ، و لا يتفاقمنّ (4068) في نفسك شيء قوّيتهم به ، و لا تحقرنّ لطفا (4069) تعاهدتهم به و إن قلّ ، فإنّه داعية لهم إلى بذل النّصيحة لك ، و حسن الظّنّ بك .

و لا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتّكالا على جسيمها ، فإنّ لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به ، و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه .

و ليكن آثر (4070) رؤوس جندك عندك من واساهم (4071) في معونته ،

و أفضل (4072) عليهم من جدته (4073) ، بما يسعهم و يسع من وراءهم من خلوف (4074) أهليهم ، حتّى يكون همّهم همّا واحدا في جهاد

[235]

العدوّ ، فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، و إنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، و ظهور مودّة الرّعيّة . و إنّه لا تظهر مودّتهم إلاّ بسلامة صدورهم ، و لا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم (4075) على ولاة الأمور ، و قلّة استثقال دولهم ، و ترك استبطاء انقطاع مدّتهم ، فافسح في آمالهم ، و واصل في حسن الثّناء عليهم ، و تعديد ما أبلى ذوو البلاء (4076) منهم ، فإنّ كثرة الذّكر لحسن أفعالهم تهزّ الشّجاع ، و تحرّض النّاكل (4077) ، إن شاء اللّه .

ثمّ اعرف لكلّ امرىء منهم ما أبلى ، و لا تضمّنّ بلاء (4078) امرىء إلى غيره ، و لا تقصّرنّ به دون غاية بلائه ، و لا يدعونّك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ، و لا ضعة امرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما .

و اردد إلى اللّه و رسوله ما يضلعك (4079) من الخطوب ، و يشتبه عليك من الأمور ، فقد قال اللّه تعالى لقوم أحبّ إرشادهم : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ و أولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى اللّه و الرّسول فالرّدّ إلى اللّه : الأخذ بمحكم كتابه (4080) ،

و الرّدّ إلى الرّسول : الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة .

[236]

ثمّ اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيّتك في نفسك ، ممّن لا تضيق به الأمور ، و لا تمحّكه (4081) الخصوم ، و لا يتمادى (4082) في الزّلّة (4083) ،

و لا يحصر (4084) من الفيء (4085) إلى الحقّ إذا عرفه ، و لا تشرف (4086) نفسه على طمع ، و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه (4087) ، و أوقفهم في الشّبهات (4088) ، و آخذهم بالحجج ، و أقلّهم تبرّما (4089) بمراجعة الخصم ، و أصبرهم على تكشّف الأمور ، و أصرمهم (4090) عند اتّضاح الحكم ، ممّن لا يزدهيه إطراء (4091) ، و لا يستميله إغراء ، و أولئك قليل . ثمّ أكثر تعاهد (4092) قضائه ، و افسح له في البذل (4093) ما يزيل علّته ، و

تقلّ معه حاجته إلى النّاس . و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك .

فانظر في ذلك نظرا بليغا ، فإنّ هذا الدّين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، و تطلب به الدّنيا ثمّ انظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختبارا (4094) ، و لا تولّهم محاباة (4095) و أثرة (4096) ، فإنّهما جماع من شعب (4097) الجور و الخيانة .

و توخّ (4098) منهم أهل التّجربة و الحياء ، من أهل البيوتات الصّالحة ،

و القدم (4099) في الإسلام المتقدّمة ، فإنّهم أكرم أخلاقا ، و أصحّ أعراضا ، و أقلّ في المطامع إشراقا ، و أبلغ في عواقب الأمور

[237]

نظرا . ثمّ أسبغ (4100) عليهم الأرزاق ، فإنّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم ، و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، و حجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك (4101) . ثمّ تفقّد أعمالهم ،

و ابعث العيون (4102) من أهل الصّدق و الوفاء عليهم ، فإنّ تعاهدك في السّرّ لأمورهم حدوة لهم (4103) على استعمال الأمانة ، و الرّفق بالرّعيّة .

و تحفّظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهدا ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، و أخذته بما أصاب من عمله ، ثمّ نصبته بمقام المذلّة ، و وسمته بالخيانة ، و قلّدته عار التّهمة .

و تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإنّ في صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم ، و لا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم ، لأنّ النّاس كلّهم عيال على الخراج و أهله . و ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعمارة ،

و من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، و أهلك العباد ، و لم يستقم أمره إلاّ قليلا . فإن شكوا ثقلا أو علّة (4104) ، أو انقطاع شرب (4105) أو بالّة (4106) ، أو إحالة أرض (4107) اغتمرها (4108) غرق ، أو أجحف (4109) بها عطش ، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، و لا

[238]

يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المؤونة عنهم ، فإنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، و تزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، و تبجّحك (4110) باستفاضة (4111) العدل فيهم ، معتمدا فضل قوّتهم (4112) ، بما ذخرت (4113) عندهم من إجمامك (4114) لهم ، و الثّقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم ، فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيّبة أنفسهم به ،

فإنّ العمران محتمل ما حمّلته ، و إنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز (4115) أهلها ، و إنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع (4116) ،

و سوء ظنّهم بالبقاء ، و قلّة انتفاعهم بالعبر .

ثمّ انظر في حال كتّابك ، فولّ على أمورك خيرهم ، و اخصص رسائلك الّتي تدخل فيها مكائدك و أسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممّن لا تبطره (4117) الكرامة ، فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء (4118) ، و لا تقصر به الغفلة (4119) عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك ، و إصدار جواباتها على الصّواب عنك ، فيما يأخذ لك و يعطي منك ، و لا يضعف عقدا اعتقده لك (4120) ، و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك (4121) ، و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ،

فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل . ثمّ لا يكن اختيارك

[239]

إيّاهم على فراستك (4122) و استنامتك (4123) و حسن الظّنّ منك ، فإنّ الرّجال يتعرّضون لفراسات (4124) الولاة بتصنّعهم (4125) و حسن خدمتهم ،

و ليس وراء ذلك من النّصيحة و الأمانة شيء . و لكن اختبرهم بما ولّوا للصّالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثرا ، و أعرفهم بالأمانة وجها ، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك للّه و لمن ولّيت أمره .

و اجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسا منهم ، لا يقهره كبيرها ، و لا يتشتّت عليه كثيرها ، و مهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت (4126) عنه ألزمته .

ثمّ استوص بالتّجّار و ذوي الصّناعات ، و أوص بهم خيرا : المقيم منهم و المضطرب بماله (4127) ، و المترفّق (4128) ببدنه ، فإنّهم موادّ المنافع ، و أسباب المرافق (4129) ، و جلاّبها من المباعد و المطارح (4130) ، في برّك و بحرك ، و سهلك و جبلك ، و حيث لا يلتئم النّاس لمواضعها (4131) ،

و لا يجترؤون عليها ، فإنّهم سلم (4132) ، لا تخاف بائقته (4133) ، و صلح لا تخشى غائلته . و تفقّد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك .

و اعلم مع ذلك أنّ في كثير منهم ضيقا (4134) فاحشا ، و شحّا (4135) قبيحا ، و احتكارا (4136) للمنافع ، و تحكّما في البياعات ،

و ذلك باب مضرّة للعامّة ، و عيب على الولاة . فامنع من الاحتكار ، فإنّ

[240]

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منع منه . و ليكن البيع بيعا سمحا : بموازين عدل ، و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع (4137) . فمن قارف (4138) حكرة (4139) بعد نهيك إيّاه فنكّل به (4140) ، و عاقبه في غير إسراف (4141) .

ثمّ اللّه اللّه في الطّبقة السّفلى من الّذين لا حيلة لهم ، من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى (4142) و الزّمنى (4143) ، فإنّ في هذه الطّبقة قانعا (4144) و معترّا (4145) ، و احفظ للّه ما استحفظك (4146) من حقّه فيهم ،

و اجعل لهم قسما من بيت مالك ، و قسما من غلاّت (4147) صوافي (4148) الإسلام في كلّ بلد ، فإنّ للأقصى منهم مثل الّذي للأدنى ، و كلّ قد استرعيت حقّه ، فلا يشغلنّك عنهم بطر (4149) ، فإنّك لا تعذر بتضييعك التّافه (4150) لإحكامك الكثير المهمّ . فلا تشخص همّك (4151) عنهم ، و لا تصعّر خدّك لهم (4152) ، و تفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون (4153) ، و تحقره الرّجال ، ففرّغ لأولئك ثقتك (4154) من أهل الخشية و التّواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى اللّه (4155) يوم تلقاه ، فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، و كلّ فأعذر إلى اللّه في تأدية حقّه إليه .

و تعهّد أهل اليتم و ذوي الرّقّة في السّنّ (4156) ممّن لا حيلة له ، و لا

[241]

ينصب للمسألة نفسه ، و ذلك على الولاة ثقيل ، و الحقّ كلّه ثقيل ،

و قد يخفّفه اللّه على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم ، و وثقوا بصدق موعود اللّه لهم .

و اجعل لذوي الحاجات (4157) منك قسما تفرّغ لهم فيه شخصك ،

و تجلس لهم مجلسا عامّا فتتواضع فيه للّه الّذي خلقك ، و تقعد عنهم جندك و أعوانك (4158) من أحراسك (4159) ، و شرطك (4160) ، حتّى يكلّمك متكلّمهم غير متتعتع (4161) ، فإنّي سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول في غير موطن (4162) : « لن تقدّس (4163) أمّة لا يؤخذ للضّعيف فيها حقّه من القويّ غير متتعتع » . ثمّ احتمل الخرق (4164) منهم و العيّ (4165) ، و نحّ (4166) عنهم الضّيق (4167) و الأنف (4168) يبسط اللّه عليك بذلك أكناف رحمته (4169) ، و يوجب لك ثواب طاعته . و أعط ما أعطيت هنيئا (4170) ، و امنع في إجمال و إعذار (4171) ثمّ أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها : منها إجابة عمّالك بما يعيا (4172) عنه كتّابك ، و منها إصدار حاجات النّاس يوم ورودها عليك بما تحرج (4173) به صدور أعوانك . و أمض لكلّ يوم عمله ، فإنّ

[242]

لكلّ يوم ما فيه . و اجعل لنفسك فيما بينك و بين اللّه أفضل تلك المواقيت ، و أجزل (4174) تلك الأقسام ، و إن كانت كلّها للّه إذا صلحت فيها النّيّة ، و سلمت منها الرّعيّة .

و ليكن في خاصّة ما تخلص به للّه دينك : إقامة فرائضه الّتي هي له خاصّة ، فأعط اللّه من بدنك في ليلك و نهارك ، و وفّ ما تقرّبت به إلى اللّه من ذلك كاملا غير مثلوم (4175) و لا منقوص ، بالغا من بدنك ما بلغ . و إذا قمت في صلاتك للنّاس ، فلا تكوننّ منفّرا و لا مضيعا (4176) ، فإنّ في النّاس من به العلّة و له الحاجة . و قد سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين وجّهني إلى اليمن كيف أصلّي بهم ؟ فقال : « صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، و كن بالمؤمنين رحيما » .

و أمّا بعد ، فلا تطوّلنّ احتجابك عن رعيّتك ، فإنّ احتجاب الولاة عن الرّعيّة شعبة من الضّيق ، و قلّة علم بالأمور ، و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، و يعظم الصّغير ، و يقبح الحسن ، و يحسن القبيح ، و يشاب الحقّ بالباطل .

و إنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه النّاس به من الأمور ، و ليست

[243]

على الحقّ سمات (4177) تعرف بها ضروب الصّدق من الكذب ، و إنّما أنت أحد رجلين : إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل (4178) في الحقّ ،

ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه ، أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع ، فما أسرع كفّ النّاس عن مسألتك إذا أيسوا (4179) من بذلك مع أنّ أكثر حاجات النّاس إليك ممّا لا مؤونة فيه عليك ،

من شكاة (4180) مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة .

ثمّ إنّ للوالي خاصّة و بطانة ، فيهم استئثار و تطاول ، و قلّة إنصاف في معاملة ، فاحسم (4181) مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال .

و لا تقطعنّ (4182) لأحد من حاشيتك و حامّتك (4183) قطيعة ، و لا يطمعنّ منك في اعتقاد (4184) عقدة ، تضرّ بمن يليها من النّاس ، في شرب (4185) أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ (4186) ذلك لهم دونك ، و عيبه عليك في الدّنيا و الآخرة .

و ألزم الحقّ من لزمه من القريب و البعيد ، و كن في ذلك صابرا محتسبا ، واقعا ذلك من قرابتك و خاصّتك حيث وقع ، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإنّ مغبّة (4187) ذلك محمودة .

و إن ظنّت الرّعيّة بك حيفا (4188) فأصحر (4189) لهم بعذرك ، و اعدل (4190)

[244]

عنك ظنونهم بإصحارك ، فإنّ في ذلك رياضة (4191) منك لنفسك ،

و رفقا برعيّتك ، و إعذارا (4192) تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ .

و لا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوّك و للّه فيه رضى ، فإنّ في الصّلح دعة (4193) لجنودك ، و راحة من همومك ، و أمنا لبلادك ، و لكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه ، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل (4194) فخذ بالحزم ، و اتّهم في ذلك حسن الظّنّ . و إنّ عقدت بينك و بين عدوّك عقدة ، أو ألبسته منك ذمّة (4195) ، فحط (4196) عهدك بالوفاء ،

و ارع ذمّتك بالأمانة ، و اجعل نفسك جنّة (4197) دون ما أعطيت ،

فإنّه ليس من فرائض اللّه شيء النّاس أشدّ عليه اجتماعا ، مع تفرّق أهوائهم ، و تشتّت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا (4198) من عواقب الغدر ، فلا تغدرنّ بذمّتك ، و لا تخيسنّ بعهدك (4199) ، و لا تختلنّ (4200) عدوّك ، فإنّه لا يجترىء على اللّه إلاّ جاهل شقيّ . و قد جعل اللّه عهده و ذمّته أمنا أفضاه (4201) بين العباد برحمته ، و حريما (4202) يسكنون إلى منعته (4203) ، و يستفيضون إلى جواره (4204) ، فلا إدغال (4205) و لا مدالسة (4206) و لا خداع فيه ، و لا تعقد عقدا تجوّز فيه العلل (4207)

[245]

و لا تعوّلنّ على لحن قول (4208) بعد التّأكيد و التّوثقة . و لا يدعونّك ضيق أمر ، لزمك فيه عهد اللّه ، إلى طلب انفساخه بغير الحقّ ، فإنّ صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه و فضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته ، و أن تحيط بك من اللّه فيه طلبة (4209) ، لا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك .

إيّاك و الدّماء و سفكها بغير حلّها ، فإنّه ليس شيء أدنى لنقمة ،

و لا أعظم لتبعة ، و لا أحرى بزوال نعمة ، و انقطاع مدّة ، من سفك الدّماء بغير حقّها . و اللّه سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدّماء يوم القيامة ، فلا تقوّينّ سلطانك بسفك دم حرام ،

فإنّ ذلك ممّا يضعفه و يوهنه ، بل يزيله و ينقله . و لا عذر لك عند اللّه و لا عندي في قتل العمد ، لأنّ فيه قود (4210) البدن . و إن ابتليت بخطاء و أفرط عليك (4211) سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإنّ في الوكزة (4212) فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحنّ (4213) بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم .

و إيّاك و الإعجاب بنفسك ، و الثّقة بما يعجبك منها ، و حبّ الإطراء (4214) ، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشّيطان في نفسه ليمحق

[246]

ما يكون من إحسان المحسنين .

و إيّاك و المنّ على رعيّتك بإحسانك ، أو التّزيّد (4215) فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإنّ المنّ يبطل الإحسان ، و التّزيّد يذهب بنور الحقّ ، و الخلف يوجب المقت (4216) عند اللّه و النّاس . قال اللّه تعالى : كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعلُونَ .

و إيّاك و العجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التّسقّط (4217) فيها عند إمكانها ، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت (4218) ، أو الوهن (4219) عنها إذا استوضحت . فضع كلّ أمر موضعه ، و أوقع كلّ أمر موقعه .

و إيّاك و الاستئثار (4220) بما النّاس فيه أسوة (4221) ، و التّغابي (4222) عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون ، فإنّه مأخوذ منك لغيرك . و عمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ، و ينتصف منك للمظلوم املك حميّة أنفك (4223) ، و سورة (4224) حدّك (4225) ، و سطوة يدك ،

و غرب (4226) لسانك ، و احترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة (4227) ،

و تأخير السّطوة ، حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار : و لن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك .

[247]

و الواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة ،

أو سنّة فاضلة ، أو أثر عن نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو فريضة في كتاب اللّه ، فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها ،

و تجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، و استوثقت به من الحجّة لنفسي عليك ، لكيلا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها . و أنا أسأل اللّه بسعة رحمته ، و عظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة ، أن يوفّقني و إيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه و إلى خلقه ، مع حسن الثّناء في العباد ، و جميل الأثر في البلاد ،

و تمام النّعمة ، و تضعيف الكرامة (4228) ، و أن يختم لي و لك بالسّعادة و الشّهادة ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . و السّلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطّيّبين الطّاهرين ، و سلّم تسليما كثيرا ، و السّلام .

تبيين

قال الجوهري : قال الكسائي : « جبيت الماء في الحوض و جبوته » أي جمعته ، و « جبيت الخراج جباية و جبوته جباوة » ، و لا يهمزو أصله الهمز . و في القاموس : « جبى كسعى و رمى جبوة و جباء و جباوة و جباية » بكسرهنّ . انتهى .

و قال الكيدري : « الجبوة » بالفتح للمرّة و بالكسر للهيئة ، و النصب على البدليّة أو على أنّه مفعول له ل « ولاه » . و لعلّ المراد بالخراج هنا كلّ ما يأخذه الوالي . و « أن ينصر اللّه سبحانه بيده » كالجهاد بالسيف و ضرب من احتاج إليه في النهي عن المنكر مثلا . و « قلبه » في الاعتقادات و الانكار القلبي اللآتي بالمنكرات و العزم على إجراء الأحكام و العبادات . و تكفّله سبحانه بقوله : وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ

[248]

يَنْصُرُهُ 351 و أمثالها . و « الكسر من النفس » كناية عن كفّها عن بعض ما تشتهيه .

و قال الجوهري : « و زعته أزعه » كففته ، « فاتّزع هو » أي كفّ و قال :

« جمح الفرس » إذا اعتزّ فارسه و غلبه . و الجموح من الرجال الّذي يركب هواه ، فلا يمكن ردّه . و « جمح » أي أسرع . قال أبو عبيدة في قوله تعالى : لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ 352 أي يسرعون .

و قال : « الدولة » بالفتح ، في الحرب يقال : كانت لنا عليهم الدولة و بالضمّ ،

المال ، يقال : صار الفيء دولة بينهم يتداولونه . يكون مرّة لهذا و مرّة لهذا . و الجمع « دولات و دول » ، و قال بعضهم : كلتاهما تكون في الحرب و المال . قوله عليه السلام « أنّ النّاس ينظرون » أي كما كنت تمدح قوما من الولاة و تذمّ قوما كذلك ، من يسع أخبارك يمدحك بأفعالك الحسنة و يذمّك بأعمالك القبيحة ، فاحذر أن تكون ممّن عاب و يذمّ ذخيرة العمل الصالح . في بعض النسخ برفع « ذخيرة » و الإضافة و في بعضها بالنصب على التمييز و رفع « العمل » و « صالح » . « فيما أحببت و كرهت » أي عند الشهوة و الغضب ، أو في الأفعال و التروك . و « أشعر قلبك الرحمة » أي اجعلها شعاره ، « و اللطف بهم » في بعض النسخ بالتحريك و هو الاسم من « لطف كنصر لطفا » بالضمّ إذا رفق و دنا . و قال الجوهري : « ضرى الكلب بالصيد ضراوة » أي تعوّد ، و كلب ضار كلبة ضارية . و « أضراه صاحبه » أي عوّده و أضراه أيضا أي أعزاه . « إمّا نظير لك » أي انسان مثلك . « يفرط منهم الزلل » أي ليسوا معصومين ، يقال : « فرط إليه منه قول » أي سبق . و « العلل » الأمراض المعنويّة أو أسباب المعاصي و دواعيها . قوله عليه السلام « و يؤتى على أيديهم » ، قال ابن أبي الحديد : هذا مثل قولك « يؤخذ على أيديهم » أي يؤدّبون و يمنعون . يقال : « خذ على يد هذا السفيه » و « قد حجر الحاكم على فلان و أخذ على يده » . 353 و قال ابن ميثم :

----

(351) الحج : 40 .

----

(352) التوبة : 57 .

----

(353) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 33 ، ط بيروت .

[249]

كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممّن يؤتون من قبل العمد و الخطأ ، و تأتي على أيديهم أوامر الولاة و المؤاخذات فيما يقع منهم من عمد أو خطأ . انتهى . 354 و أقول : في بعض النسخ بصيغة الخطاب و في بعضها بصيغة الغيبة . فعلى الأوّل يحتمل أن يكون الغرض بيان احتياجه إليهم و تضرّره من ناحيتهم ، أي تهلك بسبب ما يجري على أيديهم عملاً أو خطأ من قولهم : « أتى عليه الدهر » أي أهلكه ، و قولهم : « أتى من جهة كذا » إذا أتاه الضرر من تلك الجهة ، و على الثاني ، الظرف قائم مقام الفاعل . أي يهلك الحكّام و الولاة أيديهم ، كناية عن منعهم عن التصرّفات و مؤاخذاتهم بما عملته أيديهم ،

فيرجع إلى بعض ما مرّ . و يمكن أن يكون القائم مقام الفاعل الضمير الراجع إلى الوالي بقرينة المقام فيؤول إلى ما أفادته النسخة الأخرى . أو المعنى أنّهم ربّما صدر منهم بعض القبائح بإضلال غيرهم ، فكأنّه جرى فعل المضلّ بأيديهم فهم مستحقّون للصفح عنهم .

« و قد استكفاك » الضمير المرفوع راجع إلى الله أو إلى الموصول في « من ولاّك » أي طلب منك كفاية أمورهم و امتحنك بهم . و « نصب النفس لحرب الله » كناية عن مبارزته بالمعاصي . قوله عليه السلام « لا يدي لك » ، قال ابن أبي الحديد : اللاّم مقحمة و المراد الإضافة و نحوه قولهم : « لا أبا لك » . 355 و قال ابن ميثم : و حذف النون لمضارعته المضاف ، و قيل : لكثرة الاستعمال . 356 و قال في النهاية فيه : « أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم » أي لا قدرة و لا طاقة ، يقال : مالي بهذا الأمر يد و لا يدان لأنّ المباشرة و الدفاع إنّما يكون باليد ، فكانت يديه معدومتان لعجزه عن دفعه . و في بعض النسخ « لا يد لك » .

و قال الجوهري : « البجج » الفرح . و قال : « البادرة » الحدة ، و « بدرت منه

----

(354) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 142 .

----

(355) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 33 ، ط بيروت .

----

(356) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 142 .

[250]

بوادر غضب » أي خطأ و سقطات عند ما احتدّ و « البادرة » البديهة . و « المندوحة » السعة . و « التأمير » تولية الإمارة ، يقال : هو أمير مؤمّر . و « الإدغال » إدخال الفساد . و « منهكة » أي ضعف و سقم .

و قال الجزري فيه : « من يكفر الله يلقى الغير » أي تغيّر الحال و انتقالها عن الصلاح إلى الفساد . و « الغير » الاسم من قولك : « غيّرت الشيء فتغيّر . » و قال :

« الأبّهة » العظمة . و « المخيلة » الكبر .

و قال الفيروزآبادي : « طامن الأمر » سكن . و قال : « الطماح » ككتاب النشوز و الجماح . و « اليك » متعلّق ب « طامن » على تضمين معنى القبض أو الجذب و « من » للتبعيض .

و قال الكيدري : ضمن « يطامن » معنى يرد ، فلذا عدّاه ب « إلى » أي يرد إليك سورة غضبك و اعتلائك و لا يخليها تتجاوز عنك إلى غيرك . و قيل : إنّ « إلى » يتعلّق ب « طماحك » ، و هو من قولهم : « طمح بصره إلى الشيء » أي ارتفع ، أى يسكن ذلك بعض نظرك نفسك بعين العجب و الكبرياء . و « الغرب » بالفتح ، الحدة و بالكسر ،

البعد . و « يفيء إليك » أي يرجع إليك بما بعد عنك من عقلك . و « المساماة » مفاعلة من « السمى » و هو العلوّ .

« أنصف اللّه » أي بالقيام بما فرض عليك . و أنصف الناس بالقيام بحقوقهم و معاملتهم بالعدل . « دون عباده » أي فقط ، أو كان اللّه هو الحقيق بأن يسمّى خصما ،

فإنّ مخاصمة العباد مضمحلّة في جنب مخاصمته و انتقامه . و قال الجوهري : « دحضت حجّته دحوضا » بطلت و أدحضه اللّه . و قال : « أنا حرب لمن حاربني » أي عدوّ . و قال : « نزع عن الأمور نزوعا » انتهى عنها .

أقول : يحتمل أن يكون أداء حقوق الناس إليهم من التوبة ، أو يكون نزوعه عبارة عن أداء حقوقهم و توبته عن ندمه ، فإنّه مادام حابسا لحقوقهم ظالم ، فلم يكن تاركا للظلم منتهيا عنه . و « المرصاد » الطريق و الموضع يرصد فيه العدوّ .

و قال في النهاية : كلّ خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان ، فهي بين الطرفين . و

فيه : « الوالد أوسط أبواب الجنّة » أي خيرها .

قوله عليه السلام « لرضى الرعيّة » أي العامّة . « يجحف برضى الخاصّة » أي يبطله و لا يجدى نفعا عند سخط العامّة ، من قولهم : « أجحف به » أي ذهب به .

و لعلّ المراد بالعامّة أعيان أهل البلد و ذوو المروّة منهم و من يلازم الوالي و صار كالصديق له . « يغتفر » أي يستر و لا يضرّ عند رضا العامّة . « أثقل على الوالي مؤونة » لسؤال المطالب و الشفاعات . و « أقلّ معونة له في البلآء » كوقت الحاجة و عند العزل و النكبة لعدم حصول متمنّياتهم . و « ألحف السائل » ألحّ . و « أقلّ شكرا عند الإعطاء » لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامّة . و « أبطأ عذرا عند المنع » أي إن منعهم الوالي و لم يعطهم ، لم يقبلوا منه عذرا . و « ملمّات الدهر » نوازله و مصائبه . « من أهل الخاصّة » متعلّق ب « أثقل » و ما عطف عليه . و « جماع الشيء » مجمعه و مظنّته .

و قال الجوهري : يقال : « صغو معك و صغوه معك و صغاه معك » أي ميلة في بعض النسخ بالفاء أي خالص ودّك .

و « الشناءة » مثل الشناعة ، البغض . و « إطلاق عقدة الحقد » إخراجه من القلب ، أي لا تحقد على أحد . فتكون الجملة التالية كالتفسير لها . و يحتمل أن يكون المراد إخراج الحقد على نفسه عن قلوب الناس بحسن الخلق أو حقد بعضهم على بعض بالموعظة و نحوها ، فتكون الجملة التالية مؤسّسة . و قال في النهاية . « السبب » في الأصل الحبل ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى شيء . و في الصحاح : « الوتر » بالكسر ، الفرد و بالفتح ، الذحل أي الحقد و العداوة . هذه لغة أهل العالية ، فأمّا لغة أهل الحجاز فبالضدّ منهم . و أمّا تميم فبالكسر فيهما . و قال : « تغابى » تغافل ، أي لا تتعرّض لأمر لم يتّضح لك من أمورهم الّتي توجب حدّا أو تعزيرا أو عتابا و تعييرا . و « الساعي » من يسعى إلى الوالي بذمّ الناس و جرائمهم . و « الباء » في « يعدل بك » للتعدية . و « الفضل » الإحسان . و « يعدك الفقر » أي يخوفك منه ، إشارة إلى قوله تعالى : الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ 357 . و قوله « بالجور » متعلّق ب « الشره » ، فالجور جور المأمور أو

----

(357) *البقرة : 268* .

ب « التزيين » فالمراد جور الآمر . و « الشره » غلبة الحرص . و « الجور » الميل عن القصد .

« يجمعها سوء الظنّ » أي هو ملزومها أو معنى مشترك بينها .

و « بطانة » الرجل بالكسر ، صاحب سرّه و محلّ مشورته . و « الواو » في قوله « و أنت واجد » يحتمل العطف و الحاليّة . و « منهم » متعلّق باسم التفضيل مقدّم عليه . و « ممّن » بيان ل « خير الخلف » . و يقال : « رجل نافذ في أمره » أي ماض . و « الآصار » جمع الإصر بالكسر و هو الذنب و الثقل . و « الحنو » و « العطف » الشفقة . و « حفلاتك » أي مجامعك . و « محفل القوم » مجتمعهم . و قوله عليه السلام « واقعا » منصوب على الحاليّة ، أي في حال وقوع ذلك القول منه و النصيحة و قلّة المساعدة حيث وقع من هواك سواء كان في هوى عظيم أو حقير . أو حيث وقع هواك ، أى سواء كان ما تهواه عظيما أو ليس بعظيم . و يحتمل أن يريد واقعا ذلك الناصح من هواك و محبّتك حيث وقع أي يجب أن يكون له من هواك موقعا ، كذا ذكره ابن ميثم . و قيل : يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما يكون منك ، أي سواء كان ذلك الفعل الصادر عنك ممّا تهواه هوى عظيما أم لا . و الأظهر أنّ المعنى أنّ الناصح يقول و ينصح و يمنع سواء كان علمه موافقا لهواك و رضاك أم لا . فقوله « حيث وقع » أي من الموافقة و المخالفة . و « الصق » على بناء المجرّد و في بعض النسخ على بناء الإفعال أي « ألصق نفسك بهم » و على التقديرين المعنى : اجعلهم خاصّتك و خلصائك . « ثمّ رضهم » أي ربّهم و عوّدهم أن لا يمدحوك في وجهك . و قال الجوهري : « البجح » الفرح . و « بجّحته أنا تبجيحا فتبجّح » أي أفرحته ففرح . و التوصيف بقوله « لم تفعله » ليس للتخصيص ، بل المعنى : لا يفرحون بمدحك بما لم تفعله فإنّه باطل ، كما قال سبحانه : وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا 358 . و « الزهو » الكبر و الفخر . و « العزّة » بالعين المهملة و الزاي ، بمعنى القوّة و الغلبة و الشدّة ، أي يفرّ بك إلى أن يقوى الشيطان نفسك الأمّارة و يغلبا عليك ، أو إلى أن يقسو قليلا فتغلب الرعيّة و تظلمهم . و في بعض النسخ بالعين

----

(358) آل عمران : 188 .

المعجمة و الرآء المهملة ، أي الغفلة عن الحقّ و الإغترار بالباطل . و « التزهيد » خلاف الترغيب . و « التدريب » التعويد . و « ألزم كلاّ منهم » أي فجاز المحسن بالإحسان و المسيء بالإساءة . و « النصب » التعب و هو هنا اغتمامه حذرا من أن يصيبه منهم مكروه أو لا يطيعوه . و « البلآء » يطلق على الخير و الشرّ ، كما قال تعالى : وَ نَبْلُوكُمْ بِالْخَيْرِ وَ الشَّرِّ فِتْنَةً 359 . و المراد هنا بالأوّل الأوّل و بالثاني الثاني .

و قال الجوهري : « صدر كلّ شيء » أوّله . و « الصلاح » ضدّ الفساد و الفعل كدخل و حسن . و « المنافثة » المحادثة . و في الحديث : « إنّ الروح الأمين نفث في روعي » . و في بعض النسخ « مثافنة الحكماء » بتقديم المثلّثة على النون ، و هي المعاونة . و قال الراوندي رحمه اللّه : اشتقاقه من « ثفنة البعير » و هي ما يقع على الأرض من أعضائه اذا يستنيخ كأنّك ألصقت ثفنة ركبتك بثفنة ركبته .

قوله عليه السلام « من أهل الذمّة » قال ابن ميثم : لفّ و نشر . و يحتمل أن يكون بيانا لأهل الخراج ، فإنّ للإمام أن يقبل أرض الخراج من سائر المسلمين و أهل الذمّة . 360 و « التجّار » بالضمّ و التشديد و بالكسر و التخفيف ، جمع « تاجر » . و « الصناعة » بالكسر ، حرفة الصانع . و الضميران في « حدّه و فريضته » إمّا راجعان إلى « اللّه » أو إلى « كلّ » . و المراد بالعهد الحكم الخاصّ بكلّ منهم .

و « قوام الشيء » بالكسر ، ما يقوم به و ينتظم به أمره . قوله عليه السلام « و يكون من وراء حاجتهم » أي فيما يحتاجون إليه . و « الوراء » إمّا بمعنى الخلف كأنّه ظهر لحاجتهم و محلّ لاعتمادهم أو بمعنى القدام ، كما قيل في قوله تعالى : وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ 361 فكأنّه يسعى بين يدي حاجتهم لكفاية أمورهم ، و الأوّل أظهر . و « يحكمون » بصيغة الإفعال . قوله عليه السلام « من مرافقهم » أي مرافق الرعيّة

----

(359) الأنبياء : 35 .

----

(360) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 158 .

----

(361) الكهف : 79 .

أو التجّار و ذوي الصناعات أي المرافق الحاصلة بهم . و كذلك الضمير في « أسواقهم » و المرفوع في « يكفونهم » راجع إلى « التجّار » و ما عطف عليه ، و كذا ضميرا « بأيديهم و غيرهم » .

قال الجوهري : « المرفق » من الأمر هو ما ارتفقت به و انتفعت به . و قال : « حقّ الشيء يحقّ » أي وجب ، و قال : « الرفد » العطاء و الصلة . قوله عليه السلام « و في الله » أي في جوده و عنايته ، فليعتمدوا على الله في تدبير أمورهم أو في حكمه و شريعته و ما قرّر لكلّ منهم في كتابه و سنّة نبيّه . « بقدر ما يصلحه » الضمير راجع إلى الكلّ ، و قيل : إلى الوالي و هو بعيد . « فولّ من جنودك » أي اجعل الوالي علي جندك من كان كذلك . « أنقاهم جيبا » أي أطهرهم جيبا ، أي عفيفا أمينا ، و يكنّى عن العفّة و الأمانة بطهارة الجيب لأنّ الّذي يسرق يجعل المسروق في جيبه ، و هذه الوصيّة في ولاة الجيش لأجل الغنائم . كذا ذكره ابن أبي الحديد . و قال ابن ميثم : « ناصح الجيب » كناية عن الأمين . 362 و لعلّه لم يكن في نسخته لفظ « أنقاهم » . و قال الجوهري :

« رجل ناصح الجيب » أمين . و يحتمل أن يكون المراد بطهارة جيبه أو نصحه كونه محبّا للإمام عليه السلام غير مبطن لعداوة أو نفاق . و « يستريح إلى العذر » أي يسكن عند العذر و يميل إليه فيقبله . و يحتمل أن يكون من قولهم « عذرته عذرا فيما صنع » فالعذر بمعنى قبول العذر . و « ينبو على الأقوياء » كذا في اكثر النسخ المصحّحة أي يعلو على الأقوياء و يدفع ظلمهم عن الضعفاء ، من « النباوة » و هي الأرض المرتفعة . و في بعض النسخ « عن الأقوياء » أي يتجافى و يبعد عنهم و لا يميل إليهم ، من قولهم : « نبا بصره عن الشيء » إذا تجافى عنه . « و ممّن لا يثيره » عطف على قوله « ممّن يبطيء » أي لا يكون له عنف فيثيره ، و لو كان له عنف بمقتضى طبعه يطفيه بعقله أو أنّه لو عنف به أحد تحلّم و صبر .

و لعلّ المراد ب « الالصاق بذوي الأحساب » تفويض الولايات و الأمور إليهم

----

(362) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 160 .

أو تفقّد أحوالهم و تربيتهم و حفظهم عن الضياع . و « الحسب » بالتحريك ما يعدّ من المآثر ، و قيل : الشرف الثابت له و لآبائه . و « السوابق » الفضائل الّتي يسبق بها . و قال الجوهري : « النجدة » الشجاعة ، و « لاقى فلان نجدة » أي شدّة . و « السماحة » بالفتح موافقة الرجل على [ما] أريد منه ، أو الجود و العطاء . « فإنّهم جماع من الكرم » أي مجمع من مجامع الكرم ، أو تلك الصفات من الصفات الجامعة من جملة صفات الكرم . و في إتيان ضمير ذوي العقول تجوّز ، كقوله « فإنّهم عدوّ لي إلاّ ربّ العالمين » . و قال ابن أبي الحديد : أي مجمع الكرم و منه الحديث : « الخمر جماع الإثم » . و « من » ههنا زائدة و إن كان في الإيجاب على مذهب الأخفش . و « شعب من العرف » أي شعب العرف أقسامه و أجزاؤه ، أو من المعروف لأنّ غيرها أيضا من الكرم و المعروف نحو العدل و الفقه . « ثمّ تفقّد من أمورهم » أي أمور الجنود ، أو ذوي الأحساب و من بعده ،

أو الرعيّة مطلقا . و « التفقّد للشيء » عند غيبته . و قال الجوهري : « تفاقم الأمر » عظم ،

و التاّء في « داعية » للمبالغة ، « اتّكالا على جسيمها » أي اعتمادا على تفقّد عظيمها .

و « من واساهم » أي الجنود ، « من جدته » أي غناه ، و « من خلوف أهليهم » أي من يخلفونه من أولادهم و أهليهم . « إلاّ بحيطتهم » في أكثر النسخ المصحّحة بفتح الحآء و تشديد اليآء ، و ليس موجودا فيما ظفرنا به من كتب اللغة بل فيها « الحيطة » بكسر الحآء و سكون الياء كما في بعض النسخ قال الجوهري : « الحيطة » بالكسر ،

الحياطة و هما من الواو : « و قد حاطه يحوطه حوطا و حياطة و حيطة » أي كلاه و دعاه . و « مع فلان حيطة لك » أي تحنّن و تعطّف . و قال ابن أبي الحديد : و أكثر الناس يروونها بتشديد اليآء و كسرها ، و الصحيح بكسر الحآء و تخفيف اليآء . و « قلّة استثقال دولهم » أي بأن كانوا راضين بدولتهم و لا يعدّوها ثقيلا و لا يتمنّوا زوالها . و « الاستبطاء » عدّ الشيء بطيئا . و « واصل في حسن الثناء عليهم » أي كرّره حتّى كأنّك وصلته بعضه ببعض ، أو واصلهم و تحبّب إليهم

بذلك و في بعض النسخ « من حسن » . و « تعديد البلآء » كثرة إظهاره . و قال في النهاية فيه : أن يؤتى هذا من « لا يبلي بلائي » أي لا يعمل مثل عملي في الحرب ، كأنّه يريد « أفعل فعلا أختبر فيه و

[256]

يظهر خيري و شرّي » . و « الهزّ » التحريك . و « التحريض » الترغيب .

« ثمّ اعرف » أي اعلم مقدار بلآء كلّ امرئ منهم و جازه بذلك المقدار . « و لا تقصّرنّ به دون غاية بلائه » أي بأن تذكر بعضه أو تحقره و لا تجازيه بحسبه .

« ما يضلعك » في بعض النسخ بالضاد و في بعضها بالطآء و في النهاية فيه :

« أعوذ بك من ضلع الدين » أي ثقله ، و « الضلع » الاعوجاج أي يثقله حتّى يميل صاحبه عن الاستوآء و الاعتدال . يقال : « ضلع بالكسر ضلعا بالتحريك و ضلع بالفتح يضلع ضلعا بالتسكين » أي مال . و من الأوّل حديث عليّ عليه السلام :

« واردد إلى اللّه و رسوله ما يضلعك من الخطوب » أي يثقلك . و قال في الظآء :

« الظلع » بالسكون ، العرج ، و « ظلعوا » أي تأخّروا و انقطعوا لتقصيرهم . و « أخاف ظلعهم » بفتح اللام أي ميلهم عن الحقّ و ضعف إيمانهم ، و قيل : ذنوبهم . و أصله داء في قوائم الدابّة يغمز منها . و « رجل ظالع » أي مائل ، و قيل : إنّ المائل بالضاد . و قال ابن أبي الحديد : الرواية الصحيحة بالضاد و إن كان للرواية بالظآء وجه . « بسنّته الجامعة » أي التي تصير أهواءهم و نيّاتهم بالأخذ بها واحدة و لا يتفرّقون عن طاعة اللّه و عبادته .

« ثمّ اختر » هو وصيّته في نصب القضاة . « في نفسك » أي اعتقادك . و « الباء » في « تضيق به » للتعدية . و « لا تمحكه الخصوم » كذا في النسخ المعتبرة على صيغة المجرّد إمّا بالياء أو بالتآء ، و الّذي يظهر من كلام أهل اللغة هو أنّ « محك » لازم و الّذي رواه ابن الأثير في النهاية هو « يمحكه » بضمّ الياء من باب الإفعال ، قال : في حديث عليّ عليه السلام « لا تضيق به الأمور و لا تمحكه الحضوم » ، « المحك » اللجاج و قد محك يمحك و أمحكه غيره . انتهى . و في بعض النسخ « يمحّكه » على بناء التفعيل . قال ابن ميثم : « ممّن لا يمحّكه الخصوم » أي يغلبه على الحقّ باللجاج ،

و قيل : ذلك كناية عمّن يرتضيه الخصوم فلا يلاجّه و يقبل باوّل قوله . « و لا يتمادى في الزلّة » أي لا يستمرّ في الخطاب بل يرجع بعد ظهور الحقّ . و قال الجوهري : « الحصر » العيّ ، يقال : « حصر الرجل يحصر حصرا مثل تعب تعبا » و « الحصر » أيضا ضيق

[257]

الصدر ، يقال : حصرت صدورهم . و كلّ من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه .

و « حصرت الرجل » فهو محصور أى حبسته ، و « حصره العدوّ يحصرونه » إذا ضيّقوا عليه . انتهى . و المعنى : لا يضيق صدره و لا يشكل عليه الرجوع إلى الحقّ بعد معرفته أو لا يحبس نفسه عنه . و « التبرّم » التضجّر و الملال ، أي لا يملّ من معاودة الكلام رجاء ظهور الحقّ . و « أصرمهم » أقطعهم و أمضاهم . و قال الجوهري :

« زهاه و ازدهاه » استخفّه و تهاون به . و منه قولهم : « فلان لا يزدهي بخديعة » . و « الإطراء » المدح . و « الإغراء » التحريض . « ثمّ أكثر تعاهد قضائه » أي ابحث و استخبر ما يقضى و يحكم به هل هو موافق للحقّ . ثمّ أمره بأن يفرض له عطاء واسعا يملأ عينه و يتعفّف به عن الرشوة . و قال الجوهري : « زاح الشيء يزيح زيحا » [363] أي بعد و ذهب ، و أزحت علّته فزاحت . و قال ابن ميثم : ما في قوله « ما يزيح علّته » يحتمل أن يكون بدلا من « البذل » ، و أن يكون مفعولا لفعل محذوف دلّ عليه « البذل » أي فتبذل له ما يزيح علّته ، و أن يكون مفعولا ل « افسح » أي وسع له ما يكفيه من المال أو في معنى مصدر « افسح » أي « افسح له فسحا يزيل علّته » . انتهى . 364 و « الاغتيال » في الأصل أن تقتل رجلا خدعة ، و ههنا كناية عن ذمّ الناس له و تقبيح ذكره عند الوالي حتّى ينحرف عنه . « قد كان أسيرا » أي في زمن من تقدّم من الخلفاء .

و « العمّال » هم المنصوبون لجباية الخراج و الجزية و الصدقات « فاستعملهم اختيارا » في بعض النسخ بالمثنّاة [365] أي انصب من عمّالك من كان مختارا عندك . و « الاختيار » الاصطفاء أو من تختاره بعد التأمّل و التفكّر . و في بعضهما بالموحّدة [366] و [367] امتحانك لهم . و قال الجوهري : « حباه يحبوه » أي أعطاه . و قال ابن أبي الحديد :

[363] هكذا في البحار .

----

(364) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 164 .

[365] يعني « اختبارا » .

[366] يعني « اختيارا » .

[367] في معتقدي أنّ الواو هنا ليست بصحيحة و الصواب أن يكون « أي » (المصحّح) .

أي لا تولّهم محاباة لهم أو لمن يشفع لهم . و لا « أثرة » و إنعاما عليهم . 368 و قال في القاموس : « حاباه محاباة و حباء » نصره و اختصّه و مال اليه . « فإنّهما » أي المحاباة و الأثرة كما هو مصرّح به في بعض النسخ بدل الضمير و في بعض النسخ « فإنّهم » . و « التوخّي » التحرّي و القصد ، قاله الجوهري و قال : و « القدم » واحد الأقدام ، و « القدم السابقة في الأمر » يقال : « لفلان قدم صدق » أي أثرة حسنة . و قال الفيروزآباديّ : فالقدم بمعنى الرجل مؤنّثة و قول الجوهري « واحد الأقدام » سهو ، صوابه « واحدة » . و قال في النهاية : « الأعراض » جمع « العرض » و هو موضع المدح و الذّم من الإنسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره ، و قيل : هو جانبه الّذي يصونه من نفسه و حسبه و يحامي عنه أن ينتقص أو يثلب . و قال ابن قتيبة :

« عرض الرجل » نفسه و بدنه لا غير . و قال ابن أبي الحديد : « الإشراف » [369] شدّة الحرص على الشيء 370 ما تحت أيديهم ، أي من أموال المسلمين ممّا أمروا بجباياتها .

« أو ثلموا أمانتك » كناية عن الخيانة . و « الثلمة » الخلل في الحائط و غيره . و « ابعث العيون » أي من يراقبهم و يطّلع عليهم . و « العين » الجاسوس و الديدبان . « حدوة لهم » أي باعث و محرض لهم . و « الحدو » في الأصل سوق الإبل و الغناء لها . و « تحفّظ من الأعوان » أي من خيانة أعوان الولاة أو أعوانك في ذكر أحوال العمّال بأغراضهم الفاسدة ، أو الأعوان هم الحاضرون عنده الّذين يبعثهم إلى المواضع القريبة . و ضمير « بها » راجع إلى الخيانة . و « اكتفيت » جزاء الشرط . و « أخذه بما أصاب من عمله » استعادة ما أخذه خيانة . و قال الجوهري : « وسمته وسما و سمة » إذا أثرت فيه بسمة و كيّ ، و الهاء عوض عن الواو . و « قلّدته عار التهمة » أي جعلت العار كالقلادة في عنقه .

« لأنّ ذلك » أي الخراج أو استجلابه . « فإن شكوا ثقلا » أي ثقل الخراج

----

(368) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 69 ، ط بيروت .

[369] هكذا روي في البحار .

----

(370) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 70 ، ط بيروت .

المضروب عليهم أو ثقل و طاعة العامل . « أو علّة » كالجواد و البرد و نحوهما . و « الشرب » بالكسر ، الحظّ من الماء . و قال الجوهري و الجزري : يقال : « لا بتلك عندي بالّة » أي لا يصيبك منّي ندى و لا خير . و قال ابن ميثم : « البالّة

» القليل من الماء يبلّ به الأرض . و قال : « أحالت الأرض » تغيّرت عمّا كانت عليه من الإستواء فلا تبحّت زرعها و لا أثمرت نخلها . 371 و قال ابن أبي الحديد : « أو بالّة » يعني المطر . 372 و قال في النهاية :

« حالت الناقة و أحالت » حملت عاما و لم تحمل عاما ، و قال : في الحديث « إنّه جعل على كلّ جريب عامر أو غامر درهما و قفيز الغامر ما لم يزرع ممّا يحتمل الزراعة من الأرض » سمّي « غامرا » لأنّ الماء يغمره . فهو و العامر فاعل بمعنى مفعول . انتهى . و « أجحف به » أي ذهب به ، و المعنى : أتلفها عطش بأن لا يكفيها الماء الموجود في الشرب أو لتقصير أو مانع . « حسن نيّاتهم » أي ثناء باطنهم و ميلهم بالقلوب و في بعض النسخ « ثنائهم » . و « استفاضة العدل » انتشاره . و قوله « معتمدا » حال من ضمير خففت أي قاصدا . و « الإجمام » الترفيه . و قوله « الثقة » النسخ متّفقة على جرّها فيكون معطوفا على « قوّتهم » أو « إجمامك » . و قال ابن ميثم : « فضل » نصب بالمفعول من « معتمدا » و « الثقة » معطوف على المفعول المذكور ، و لعلّه قرأ بالنصب . « فربّما حدث من الأمور » كاحتياجك إلى مساعدة مال يقسطونه عليهم قرضا لك أو معونة محضة . و « الإعواز » الفقر على الجمع أي جمع المال لأنفسهم أو للسلطان . و « سوء ظنّهم بالبقاء » أي بالبقاء على العمل لخوف العزل ، أو يظنّون طول البقاء و ينسون الموت و الزوال . و في النهاية : « العبر » جمع عبرة ، و هي كالموعظة ممّا يتّعظ به الإنسان و يعمل به و يعتبر ليستدلّ به على غيره .

« فولّ على أمورك » لعلّ المراد بها ما يكون لها نهاية الاختصاص بالوالي من الأمور الكلّيّة دون الجزئيّة المتعلّقة بالقرى و نحو ذلك . فالمراد ب « خيرَهم » خير كتّاب

----

(371) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 157 .*

----

(372) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 72 ، ط بيروت .*

الوالي ، و يمكن أن يراد بها مطلق أموره ، فالضمير في « خيرهم » عائد إلى مطلق الكتّاب ، و الأوّل أظهر . « مكائدك » أي تدابيرك الخفيّة ، و المعنى : اجعل رسائلك المذكورة مخصوصة بمن كان منهم أشدّ جمعا للأخلاق الصالحة كالعلم بوجوه الآراء المصلحة و الوفاء و النصيحة و الأمانة و غيرها . و « البطر » الطغيان عند النعمة . و « لا تقصر به » أي لا تجعله الغفلة مقصّرا . و « فيما » لعلّه معطوف على قوله « عن إيراد » .

« يأخذ لك » كالخراج أو المكاتيب الّتي تكون حجّة لك . و « يعطي منك » كسهام الجند أو المكاتيب الّتي تكون حجّة لغيرك . قوله عليه السلام « و لا يضعف » أي إن عقد لك عقدا قوّاه و أحكمه ، و إن عقد خصومك عليك عقدا اجتهد في إدخال ما يمكن به حلّه و نقضه عند الحاجة . فالمراد ب « الإطلاق » إمّا ترك التقييد أو حلّ العقد ، و في بعض النسخ « لا يعجز » بصيغة الإفعال أي لا يعجزك . و « استنامتك » أي ميل قلبك إليه ،

قال الجوهري : « استنام إليه » أي سكن إليه و اطمأنّ . « فإنّ الرجال يتعرّضون » قال ابن أبي الحديد : و يروى « يتعرّفون » أي يجعلون أنفسهم بحيث تعرف بالمحاسن بتصنّعهم . « فاعمد لأحسنهم كان » أي اقصد لمن كان في زمن الصالحين قبلك أحسنهم . و « لمن ولّيت أمره » أي لإمامك . « و اجعل لرأس كلّ أمر » قال ابن أبي الحديد : نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف و الأعداء ، و الآخر لأجوبة عمّال السواد ، و الآخر لخاصّته و نفقاته . « لا يقهره كبيرها » أي لا يعجز عن القيام بحقّه . « و لا يتشتّت عليه » أي لا يتفرّق لكثرته . و ضميرا « كبيرها و كثيرها » راجعان إلى الأمور . « ألزمته » أي يأخذك الله و الإمام بتغافلك .

« ثمّ استوص » قال ابن أبي الحديد : أي « أوص » نحو « قرّ في المكان و استقرّ » ، يقول : « استوص بالتّجار خيرا » أي أوص نفسك بذلك ، و منه قول النبيّ صلّى الله عليه و آله « استوصوا بالنساء خيرا » . و مفعولا « استوص و أوص » هيهنا محذوفان للعلم بهما ، و يجوز أن يكون « استوص » أي اقبل الوصيّة بهم و أوص بهم أنت غيرك . و « المضطرب » يعني المسافر ، و « الضرب » السير في الأرض . قال الله

تعالى : إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ . 373 و « المترفّق ببدنه » أي أهل الصنايع ، فإنّهم يتكلّفون نفع الناس و نفع أنفسهم بتجشّم العمل و إتعاب البدن . و « المرافق » ما ينتفع بها . و « المطارح » المواضع البعيدة ،

قال الجوهري : « الطرح » بالتحريك ، المكان البعيد . « و حيث » قال ابن أبي الحديد :

و يروى بحذف الواو ، أي من مكان لا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه . 374 « و لا يجترؤون عليها » فيه كالبحار و الجبال و نحوها . و الضمير في « مواضعها و عليها » يعود إلى المنافع . « فإنّهم سلم » أي أو لو سلم و صلح لا يتخوّف منهم إفساد في دولة و لا خيانة في مال . و « البائقة » الداهية ، و قيل : الظلم . و « الغائلة » الشرّ . و « حواشي البلاد » أطرافها . و « الشحّ » البخل و الحرص . و « الحكر » الجمع و الإمساك ، و « الإحتكار » الحبس انتظارا للغلاء ، و سيأتي أحكام الاحتكار في محلّها . و قال في القاموس : « تحكّم في الأمر » جار فيه و حكمه . قال : « البياعة » بالكسر ، السلعة ، و الجمع « بياعات » . و « عيب » في بعض النسخ بالرفع عطفا على « باب » و في بعضها بالجرّ عطفا على « مضرّة » . و « سمح بكذا سمحا » بالفتح ، أي جاد و أعطى ، أو وافق على ما أريد منه ، و المراد هنا إمّا ترك النجس في المكيال و الميزان ، فالمراد بقوله « بموازين عدل » عدم النقص في أصل الميزان ، و يحتمل التأكيد ، أو المراد بالسمح إعطاء الراجع قليلا ،

أو الرفق بالمشتري و ترك الخشونة على الاستحباب و إن كان الظاهر الوجوب . و « قارفه » أي قاربه و خالطه . و المراد ب « التنكيل و المعاقبة في غير إسراف » التعزير على قدر المصلحة .

« ثمّ اللّه » أي اذكر و اتّقه . و « الحيلة » الحذق في تدبير الأمور . و « أهل البؤسى » ، لفظ أهل غير موجود في أكثر النسخ ، و « البؤسى » مصدر كالنعمى و هي شدّة الحاجة ، فلا يصحّ عطفه على المساكين و المحتاجين إلاّ بتقدير . و أمّا

----

(373) النساء : 101 .

----

(374) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 84 ، ط بيروت .

« الزمنى » فهو جمع « زمن » ، فيكون معطوفا على « أهل البؤسى » لا « البؤسى » . و سيأتي تفسير « القانع » و « المعترّ » . « و احفظ اللّه » أي اعمل بما أمر اللّه به في حقّهم ، أو اعمل بما أمرك به من ذلك للّه . و قال في النهاية : « الصوافي » الأملاك و الأراضي الّتي خلى عنها أهلها أو ماتوا و لا وارث لها ، واحدها « صافية » . قال الأزهري : يقال للضياع الّتي يستخلصها السلطان لخاصّة الصوافي ، و به أخذ من قرأ « فاذكروا اسم اللّه عليها صوافي » أي خالصة للّه لها . انتهى . و لعلّ المراد بالقسم من بيت المال هو السهم المفروض لهم من الزكوات و الأخماس ، و بالقسم من غلاّت الصوافي ما يكفيهم لسدّ خلّتهم من خاصّة الامام عليه السلام من الفيء و الأنفال تبرّعا . و يحتمل شموله لبيت المال أيضا . و المراد بالأقصى من بعد من بلد الوالي ، و قيل : من بعد من جهة الأنساب و الأسباب منه ، و قيل : أي لا تصرف ما كان من الصوافي في بعض البلاد على مساكين ذلك البلد خاصّة ، فإنّ لغيرهم فيها مثل حقّهم . « و كلّ قد استرعيت حقّه » أي أمرك اللّه برعاية حقّه . « نظر » أي تفكّر في أمر آخر و اهتمامه به . و في بعض النسخ « بطر » بالبآء و الطآء المهملة أي صرح و طغيان . و « التافه » الحقير .

« لإحكامك » في أكثر النسخ بفتح الهمزة ، و يمكن أن يقرأ بالكسر و لعلّه أنسب كما لا يخفى . و « الإشخاص » الإخراج . و « لا تصعّر خدّك لهم » أي لا تمل وجهك عن الناس تكبّرا . « ممّن تقتحمه العيون » أي تزدريه . و « تحتقره » و « تحقره » بالتخفيف و كسر القاف ، اي تستحقره و في بعض النسخ على التفعيل . « ففرّغ لأولئك ثقتك » أي عيّن لرفع أمورهم إليك رجلا من أهل الخشية للّه و التواضع لهم أو للّه ، أو الخشية للّه و التواضع للامام أولئك . « ثمّ اعمل فيهم » أي اعمل في حقّهم بما أمر اللّه به بحيث تكون ذا عذر عنده إذا سألك عن فعلك بهم . و قال الجوهري :

« الرقق » محرّكة ، الضعف و « رجل رقيق » أي ضعيف . و قال ابن ميثم : أي المشايخ الّذين بلغوا في الشيخوخة إلى أن رقّ جلدهم ثمّ ضعف حالهم عن النهوض ، فلا حيلة لهم . و قال الكيدري : أي الّذين بلغوا في السنّ غاية يرقى لهم و يرحم عليهم . « و لا ينصب نفسه » أي حياء أو ثقة باللّه و العاقبة في بعض النسخ بالقاف و البآء الموحّدة و في بعضها بالفآء و اليآء المثنّاة . « فصبّروا أنفسهم » بالتخفيف و التشديد ،

[263]

قال في النهاية : أصل « الصبر » الحبس و قال تعالى : وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ 375 . و قال الفيروزآبادي : « صبره » طلب منه أن يصبر .

قوله عليه السلام « قسما » أي من أوقاتك . « تفرّغ لهم فيه شخصك » أي لا تشتغل فيه بسائر الأشغال . « و تقعد عنهم جندك » أي تنهاهم عن التعرّض لهم و الدخول في أمورهم . و « الأحراس » جمع « حارس » أي الحفظة . و قال في النهاية :

« شرط السلطان » نخبة أصحابه الّذين يقدمهم على غيرهم من جنده . و « الشرطة » أوّل طائفة من الجيش تشهد الوقعة . و قال فيه : « حتّى يؤخذ للضعيف حقّه غير متتعتع » بفتح التآء ، أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه و يزعجه ، يقال : « تعتعته فتتعتع » . و « غير » منصوب لأنّه حال من « الضعيف » . انتهى . « لن تقدّس » أي لن تطهر عن العيوب و النقائص ، و هو على المجهول من التفعيل و المعلوم من التفعّل . و « الخرق » الجهل و كذلك « العيّ » ، أي يحمل عنهم و لا تعاقبهم . و « الضيق » التضييق عليهم في الأمور أو البخل أو ضيق الصدر بما يرد من الأمور ، أو العجز . و « الأنف » بالتحريك ، الامتناع من الشيء استكبارا . و « الكنف » بالتحريك ،

الجانب و الناحية . و « الإعطاء الهنيء » ما لكم [376] يكن مشوبا بالمنّ و الأذى و نحو ذلك و يقال : « اجملت الصنيعة عند فلان و أجمل في صنيعته » ذكره الجوهري . و « أعذر » أي أبدى عذره و قوله « أمور » خبره محذوف ، أي هناك أمور . و في الصحاح : « عيى » إذا لم يهتد لوجهه ، و « العيّ » خلاف البيان ، و قد عيّ في منطقه و عيى أيضا . و قال : « مكان حرج » ، و « حرج » أي ضيق ، و قد حرج صدره يحرج حرجا .

« بالغا من بدنك » أي و إن أتعبك ذلك تعبا كثيرا . « فلا تكوننّ منفّرا » أي بالتطويل الّذي يوجب نفرة الناس . « و لا مضيّعا » بالتأخير عن أوقات الفضيلة و التقصير في الآداب و التعليل للأوّل . « و كن بالمؤمنين رحيما » من تتمّة الحديث النبوي صلّى اللّه عليه و آله أو من كلامه عليه السلام ، و رجّح ابن أبي الحديد الثاني .

----

(375) الكهف : 28 .

[376] قد وقع ههنا خطأ ، لأنّ الصحيح يكون « لم » (المصحّح) .

[264]

قوله عليه السلام « من الضيق » أي البخل أو ضيق الخلق أو غيرهما ممّا تقدّم . و « قلّة علم » أي سبب لها . و « الاحتجاب منهم » الضمير للولاة ، أي الناشي منهم . أو للرعيّة ، ف « من » بمعنى « عن » . و ضمير « عنهم » للولاة قطعا و كذا ضمير « عندهم » أي يصير سببا لأن يتوهّموا كبير الأمور بتسويل الأعوان و أصحاب الأغراض صغيرا ، و كذا العكس . « ما توارى عنه الناس به » أي أشتر ، و الضمير في « عنه » راجع إلى الوالي ، و في « به » إلى ما ، و « من الأمور » بيان له . « و ليست على الحقّ سمات » أي ليس على الحقّ و الباطل من الكلام علامات يعرفان بها بمجرّد السماع ، فلا بدّ من التجسّس حتّى يتميّزا . و في النهاية : « أسدى » و « أولى » و « أعطى » بمعنى . و « المظلمة » ما تطلبه من الظالم ، و هو اسم ما أخذ منك .

و « الاستئثار » الاستبداد بالأمور . و « التطاول » الترفع . و « الحامّة » الخاصّة و « حامّة الرجل » أقرباؤه . و في النهاية : « الأقطاع » يكون تمليكا و غير تمليك . و في الصحاح : « أقطعه قطيعة » أي طائفة من أرض الخراج . و في القاموس : « القطيعة » محالّ بغداد قطعها المنصور أناسا من أعيان دولته . « و لا يطمعنّ » فاعله « أحد » . و « العقدة » بالضمّ ، الضيعة و العقار الّذي اعتقده صاحبه ملكا . و « العقدة » المكان الكثير الشجر أو النخل ، كذا في كتب اللغة . و قال ابن ميثم : « اعتقد الضيعة » اقتناها . 377 و قال ابن أبي الحديد : « اعتقدت عقدة » أي أذخرت ذخيرة . 378 و لم نجدها في كلام أهل اللغة ، و لا يخفى عدم مناسبة ما ذكره ابن أبي الحديد . و قال في النهاية : كلّ أمر يأتيك من غير تعب ، فهو هنيء ، و لك المهنأ .

« و كن في ذلك » قال ابن ميثم : الواو في « و كن » للحال و كذا « واقعا » حال .

و في الأوّل نظر ، و الحاصل : ألزم الحقّ كلّ من لزم عليه ، أيّ حقّ كان من ظلامة أو حدّ أو قصاص ، و على أيّ امرى كان من قرابتك و خواصّك . « و ابتغ عاقبته » أي عاقبة ذلك الإلزام . و في القاموس : « الغبّ » بالكسر ، عاقبة الشيء ك « المغبّة » بالفتح .

----

(377) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 177 .*

----

(378) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 98 ، ط بيروت .*

[265]

« فأصحر لهم » أي أظهر لهم عذرك ، يقال : « أصحر الرجل » إذا خرج إلى الصحرآء ، و « أصحر به » إذا أخرجه . « و اعدل عنك » في بعض النسخ بقطع الألف على بناء الإفعال و في بعضها بالوصل على بناء المجرّد فعلى الأوّل من « عدل » بمعنى « حاد » ، و على الثاني من « عدله » أي نحاه . « فإنّ في ذلك إعذارا » أي إظهارا للعذر .

و « الدعة » الخفض وسعة العيش ، و الهآء عوض عن الواو . و « مقاربة العدوّ » إظهاره المودّة و طلبه الصلح . و « يتغفّل » أي يطلب غفلتك . و « الحزم » الأخذ في الأمر بالثقة . و « اتّهام حسن الظنّ » ترك العمل بمقتضاه . و في النهاية : « العقدة » البيعة المعقودة . و قال : « حاطه يحوطه » حفظه و صانه . « و اجعل نفسك جنّة » أي لا تغدر و لو ذهبت نفسك . « فإنّه ليس من فرائض اللّه شيء » ، قال ابن أبي الحديد : « شيء » اسم « ليس » و جاز ذلك و إن كان نكرة لاعتماده على النفي و لأنّ الجار و المجرور قبله في موضع الحال كالصفة يتخصّص بذلك . و « الناس » مبتدأ و « أشدّ » خبره . و هذه الجملة المركّبة من مبتدأ و خبر في موضع رفع لأنّها صفة « شيء » ، و أمّا خبر المبتدأ الّذي هو « شيء » محذوف تقديره في الوجود كما حذف الخبر في قولنا « لا إله إلاّ اللّه » ،

و يمكن أيضا أن يكون « من فرائض اللّه » في موضع رفع لأنّه خبر المبتدأ و قد تقدّم عليه ،

و يكون موضع « الناس » و ما بعده رفعا لأنّه صفة المبتدأ الّذي هو « شيء » كما قلناه أوّلا و ليس يمتنع أيضا أن يكون « من فرائض اللّه » منصوب الموضع لأنّه حال و يكون موضع « الناس أشدّ » رفعا لأنّه خبر المبتدأ الّذي هو « شيء » . « و قد لزم ذلك » أي لزم المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود ، و صار ذلك سنّة لهم ، فالمسلمون أولى باللزوم و الوفاء . « لما استوبلوا » أي عدّوا عواقب الغدر و بالا .

قال في النهاية : « الوبال » في الأصل الثقل و المكروه ، و « استوبلوا المدينة » أي استوخموها ، و قال فيه : « إنّى لا أخيس بالعهد » أي لا أنقضه ، يقال : « خاس بعهده يخيس و خاس بوعده » إذا أخلفه . و قال : « ختله يختله » خدعه و راوغه . و قال ابن ميثم : « أفضاه » بسطه ، و « استفاض من المآء » سال . و قال في القاموس : « فضا المكان فضاء و فضوّا » اتّسع ، و « المنعة » بالتحريك ، العزّ و قد يسكن إلى جواره . قال ابن أبي

[266]

الحديد : إلى هيهنا متعلّق بمحذوف ، كقوله تعالى : فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرعَوْنَ 379 أي مرسلا إليه أي جعل ذمّته أمنا ينتشرون في طلب حوائجهم ، ساكنين إلى جواره . و في الصحاح : « الدغل » بالتحريك الفساد ، يقال : « قد أدغل في الأمر » إذا أدخل فيه ما يخالفه و يفسده . و قال : « المدالسة » كالمخادعة . « تجوّز فيه العلل » أي يتطرّق إليه التأويلات و المعاذير . و في النهاية : « اللحن » الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : « لحنت لفلان » إذا قلت له قولا يفهمه و يخفى على غيره لأنّك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، و المعنى : لا تنقض العهود و المواثيق تمسّكا بالتأويلات ، أو لا تقبل من الخصم ذلك ، و يحتمل الأعمّ . و « الانفساخ » في بعض النسخ بالخآء المعجمة من الفسخ و هو النقض . و في بعضها بالمهملة و هو الاتّساع . « لا تستقيل فيها » أي لا تكون لك إقالة في الدنيا و لا في الآخرة . « و انقطاع مدّة » كمدّة العمر و السلطنة وسعة العيش .

« و ينقله » أي إلى غيرك . و « القود » القصاص . و « الوكز » الضرب بجمع الكفّ أو مطلقا ، و المعنى : قد يؤدّي أمثالها إلى القتل . و قال الجوهري : « طمح بصره إلى الشيء » ارتفع و كلّ مرتفع فهو طامح . و « أطمح فلان بصره » رفعه ، و المعنى : لا يمنعك كبر السلطنة عن أداء الدية ، و ظاهره ثبوت الديّة في الخطأ في إقامة الحدّ و التعزير ،

و اختلف فيه الأصحاب ، فقيل : لا يضمن مطلقا و قيل : يضمن في بيت المال إذا كان الحدّ للناس ، فلو كان للّه لم يضمن . و قد يقال : الخلاف إنّما هو في التعزير ، فإنّ تقديره منوط بالاجتهاد لا الحدّ فإنّه مقدّر ، و سيأتي تمام الكلام فيه في محلّه .

و « عجب فلان بنفسه » على بناء المفعول إذا ترفّع و سرّ بما رأى من نفسه . و « أطريت فلانا » مدحته بأحسن ما فيه ، و قيل : جاوزت الحدّ في مدحه . « من أوثق فرص الشيطان في نفسه » أي اعتماد الشيطان في الإضلال بزعمه على هذا النوع من الفرصة أشدّ من اعتماده على سائر الأنواع . و « المحق » الإبطال .

و « التزيّد » في الحديث ، الكذب . و المراد هنا أن تعطي أحدا و أحدا فتقول :

----

(379) النمل : 12 .

[267]

أعطيته عشرة .

« أو التساقط فيها » 380 قال ابن أبي الحديد : هذا عبارة عن النهي عن الحرص و الجزع ، قال الشنفري :

و إن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذا جشع القوم أعجل

انتهى . 381 و أخذه من قول الجوهري « تساقط على الشيء » أي ألقى نفسه عليه إلاّ أنّه عدّاه ب « على » كما ترى ، و حينئذ لا يكون مقابلا للفقرة الأولى بل عينها و لا يخلو عن بعد بقرينة ما بعدها ، و الظاهر أنّ التساقط في الأمر التقصير و التكاهل فيها كما ذكره ابن ميثم . 382 و قال الفيروزآبادي : « التنكّر » التغيّر عن حال تسرّك إلى حال تكرهها ،

و الاسم « النكير » . و قال الجوهري : « استوضحت الشيء » إذا وضعت يدك على عينك تنظر هل تراه . و « استوضحته الأمر » إذا سألته أن يوضّحه لك . انتهى . فعلى ما في بعض النسخ من بناء المجهول ، فالمعنى واضح أي إذا تأمّلت فيها و استعلمته و تقّته . و في بعضها على بناء المعلوم . و قال ابن أبي الحديد : أي وضحت و انكشفت ، 383 و لم أجده في كلام أهل اللغة .

« و التغابي عمّا تعنى به » أي التغافل عمّا تفعله خواصّك أو مطلقا من الأمور المنكرة الظاهرة ، فإنّك تقصد به و تؤخذ منك للمظلوم و تعاقب عليه . « ممّا قد وضح للعيون » لعلّ تخصيص هذا النوع لكونه أشنع أو لأنّه لا ينبغي للوالي تجسّس العيوب و المعاصي الخفيّة . و قال ابن ميثم : أي التغافل عمّا يجب العلم و العناية به من

----

(380) هكذا روي في البحار .

----

(381) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 116 ، ط بيروت .

----

(382) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 185 .

----

(383) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 116 ، ط بيروت .

[268]

حقوق الناس المأخوذة ظلما ممّا قد وضح للعيون إهمالك . انتهى . 384 و لا يخفى أنّه إنّما يستقيم إذا كان « يعنى » بصيغة المذكّر الغايب لا بالخطاب كما فيما عندنا من النسخ .

و « مأخوذ منك لغيرك » أي تعاقب عليه مع أنّك لم تنتفع به بل انتفع به غيرك ، و يمكن أن يكون المراد بالغير المظلوم . و « عمّا قليل » أي مجاوزا عن زمان قليل ، و « ما » زائدة أو نكرة موصوفة . « و ينتصف منك » أي ينتقم بالعدل . و قال في النهاية : في حديث معقل بن يسار « فحمى من ذلك أنفا » ، يقال : « أنف من الشيء يأنف أنفا » إذا كرهه و شرفت نفسه عنه . و أراد هيهنا : أخذته الحميّة من الغيرة و الغضب ، و قيل :

« أنفا » بسكون النون للعضو أي اشتدّ غضبه و غيظه من طريق الكناية كما يقال للمتغيّظ : « ورم أنفه » . و « السورة » الحدّة و الشدّة ، و الاضافة للمبالغة . و « السطوة » الصولة . و « البادرة » من الكلام الّذي يسبق من الانسان في الغضب .

و « الأثر » بالتحريك اسم من « أثرت الحديث » أي نقلته . و « استوثقت » أي استحكمت . و « تسرّع الأمر » عجل .

« على إعطاء كلّ رغبة » قال ابن أبي الحديد : مصدر « رغب في كذا » كأنّه قال : القادر على إعطاء كلّ سؤال أي كلّ سائل ما سأله . 385 و روي « كلّ رغبته » أي كلّ ما يرغب فيه . « من الإقامة على العذر » لعلّ المعنى : على الجواب الواضح في كلّ ما سألنا اللّه عنه من حقوقه و حقوق خلقه ، و صاحب العذر بهذا المعنى لا يكون مذنبا . و قال ابن ميثم : يحتمل أن يكون العذر اسما من « الإعذار إلى اللّه » و هو المبالغة في الإتيان بأوامره فكأنّه قال : من الإقامة على المبالغة إليه في أداء أوامره . 386 انتهى .

و في كون العذر اسما من « أعذر » كما ذكره إشكال . و « تمام النعمة » عطف على قوله « ما فيه » أي لتمام نعمته عليّ و تضاعف كرامته لديّ و توفيقنا للأعمال الصالحة الّتي

----

(384) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 185 .

----

(385) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 117 .

----

(386) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 187 .

نستوجبهما بها ، كذا قيل . و الأظهر أنّه عطف على « حسن الثناء » .

و إنّما اكتفينا بهذا القدر من البيان إيثارا للاختصار و إلاّ فالمجلّدات لا تفي بشرحه . 387

54 و من كتاب له عليه السلام إلى طلحة و الزبير (مع عمران بن الحصين الخزاعي) ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب « المقامات » في مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام .

أمّا بعد ، فقد علمتما ، و إن كتمتما ، أنّي لم أرد النّاس حتّى أرادوني ، و لم أبايعهم حتّى بايعوني . و إنّكما ممّن أرادني و بايعني ،

و إنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب ، و لا لعرض (4229) حاضر ، فإن كنتما بايعتماني طائعين ، فارجعا و توبا إلى اللّه من قريب ، و إن كنتما بايعتماني كارهين ، فقد جعلتما لي عليكما السّبيل (4230) بإظهاركما الطّاعة ، و إسراركما المعصية . و لعمري ما كنتما بأحقّ المهاجرين بالتّقيّة و الكتمان ، و إنّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه ،

كان أوسع عليكما من خروجكما منه ، بعد إقراركما به .

و قد زعمتما أنّي قتلت عثمان ، فبيني و بينكما من تخلّف عنّي

----

(387) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 612 617 ، ط تبريز .

و عنكما من أهل المدينة ، ثمّ يلزم كلّ امرىء بقدر ما احتمل فارجعا أيّها الشّيخان عن رأيكما ، فإنّ الآن أعظم أمركما العار ، من قبل أن يتجمّع العار و النّار ، و السّلام .

بيان قوله عليه السلام « من قبل » متعلّق بقوله « فارجعا » .

أقول : قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : قال كلّ صنف من أهل السير و الأخبار [388] : إنّ عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتّى أنّها أخرجت ثوبا من ثياب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فنصبته في منزلها و كانت تقول للداخلين إليها : « هذا ثوب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يبل ، و عثمان قد أبلى سنّته » .

قالوا : أوّل من سمّى عثمان نعثلا عائشة ، و « النعثل » الكثير شعر اللحية و الجسد . و كانت تقول : اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا . و روى المدائني في كتاب الجمل قال : لمّا قتل عثمان كانت عائشة بمكّة و بلغ قتله إليها و هي بشراف فلم تشكّ في أنّ طلحة [389] صاحب الأمر و قالت بعد النعثل : « و سحقا أيّه ذا الإصبع أيّه أباشيل أيّه يا ابن عمّ لكأنّي أنظر إلى إصبعه و هو يبايع له حنوها لابل و ذعذعوها » . [390] قال : و قد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال و أخذ نجائب كانت لعثمان في داره ثمّ فسد أمره فدفعها إلى عليّ عليه السلام . و قال أبو مخنف في كتابة : إنّ عايشة لمّا بلغها قتل عثمان و هي بمكّة أقبلت مسرعة و هي تقول : « أيّه ذا الإصبع للّه أبوك » .

أمّا إنّهم وجدوا طلحة لها كفوا فلمّا انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة [391] ،

فقالت له : ما عندك ؟

[388] في المصدر : كلّ من صنّف في السير و الأخبار .

[389] في المصدر : هو صاحب الأمر .

[390] في المصدر : و هو يبايع له حثو الإبل و دعدعوها .

[391] في المصدر : عبيد بن أبي سلمة الليثي .

قال : قتل عثمان .

قالت : ثمّ ما ذا ؟

قال : ثمّ حارت بهم الأمور إلى خير محار ، بايعوا عليّا .

فقالت : لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا ، انظر ما تقول [392] قال : هو ما قلت لك يا أمّ المؤمنين ، فولولت ، فقال لها : ما شأنك يا أمّ المؤمنين ؟ و اللّه ما أعرف بين لابتيها [393] أحدا أولى بها منه و لا أحقّ و لا أرى له نظيرا في جميع حالاته فلمّا ذا تكرهين ولايته ؟

قال : فما ردّت [394] جوابا .

و في رواية قيس بن أبي حازم : ثم ردّت ركابيها إلى مكّة ، فرأيتها في مسيرها تخاطب نفسها : « قتلوا ابن عفّان مظلوما » ، فقلت لها : يا أمّ المؤمنين ألم أسمعك آنفا تقولين : « أبعده اللّه » ؟ و قد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه و أقبحهم فيه قولا .

فقالت : لقد كان ذلك و لكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائما محرما في شهر حرام فقتلوه .

قال : و كتب طلحة و الزبير إلى عائشة و هي بمكّة كتبا أن خذّلي الناس عن بيعة عليّ و أظهري الطلب بدم عثمان . و حمل [395] الكتب مع ابن أختها عبد اللّه بن الزبير فلمّا قرأت الكتب كاشفت و أظهرت الطلب بدم عثمان .

قال : و لمّا عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيرا أيدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أميّة ببعير يسمّى عسكرا [396] و كان عظيم الخلق شديدا . فلمّا

[392] في المصدر : ويحك ، انظر ماذا تقول

[393] « اللاّبث » إن استعمل في اللّغة العربيّة ، يكون بمعنى « الّذي هو يلوي » من (لبت لبتايده : لواها) و لكن « اللاّتب » هو بمعنى « اللاّصق » . و في معتقدي أنّ الثاني يكون أنسب لهذا المقام (المصحّح) .

[394] في المصدر : فما ردّت عليه جوابا .

[395] في المصدر : حملا . و هذا صحيح (المصحّح) .

[396] في المصدر : ببعيره المسمّى عسكرا .

رأته أعجبها و أنشأ الجمال يحدثها بقوّته و شدّته ، و يقول في أثناء كلامه « عسكر » ،

فلمّا سمعت هذه اللفظة استرجعت و قالت : ردّوه ، لا حاجة لي فيه . و ذكرت حيث سئلت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذكر لها هذا الإثم [397] و نهاها عن ركوبه و أمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغيّر لها بجلال غير جلال و قيل لها : قد أصبنالك أعظم منه خلقا و أشدّ منه قوّة و أتيت به فرضيت .

قال أبو مخنف : و أرسلت إلى حفصة تسألها الخروج و المسير معها ، فبلغ ذلك عبد اللّه بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت و حطّت الرجال بعد ما همّت .

و كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة و هي بمكّة :

أمّا بعد ، فإنّك ظعينة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد أمرك أن تقرّي في بيتك ، فإن فعلت فهو خير لك و إن أبيت ، ألا إن تأخذي منسأتك و تلقي جلبابك و تبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتّى أردّك إلى بيتك و الموضع الّذي يرضاه لك ربّك .

فكتبت إليه في الجواب :

أمّا بعد ، فإنّك أوّل العرب شبّ الفتنة و دعا إلى الفرقة و خالف الأئمّة و سعى في قتل الخليفة . و قد علمت أنّك لن تعجز اللّه حتّى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم و قد جاءني كتابك و فهمت ما فيه و سنكفيك و كلّ من أصبح ممّا يلالك في غيّك و ضلالك إن شاء اللّه . [398] قال أبو مخنف : لمّا انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوأب و هو ماء لبني عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتّى نفرت صعاب إبلها ، فقال قائل من أصحابها : ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب و ما أشدّ نباحها ؟ فأمسكت زمام بعيرها و قالت : و إنّها لكلاب الحوأب ردّوني ، فإني سمعت

[397] في المصدر : الاسم . و ما يكون في البحار أصوب و أفضل (المصحّح) .

[398] في المصدر : سيكفينّك اللّه و كلّ من أصبح مماثلا لك في ضلالك و غيّك إن شاء اللّه .

رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : . . . و ذكرت الخبر .

فقال لها قائل : مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب .

فقالت : فهل من شاهد ؟

فلفقوا لها خمسين أعرابيّا جعلوا لهم جعلا فخلفوا لها أنّ هذا ليس بماء الحوأب ، فسارت لوجهها .

و لمّا انتهوا إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة أرسل عثمان بن حنيف (و هو يومئذ عامل عليّ عليه السلام على البصرة) الى القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم فجاء حتّى دخل على عائشة ، فسألها عن مسيرها ، فقالت : أطلب بدم عثمان .

قال : إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد .

قالت : صدقت ، و لكنّهم مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة و جئت استنهض أهل البصرة لقتاله ، أنغضب لكم من سوط عثمان و لا نغضب لعثمان من سيوفكم ؟ فقال لها : ما أنت من السوط و السيف ؟ إنّما أنت حبيس رسول الله صلّى الله عليه و آله أمرك أن تقرّي في بيتك و تتلي كتاب ربّك و ليس على النساء قتال و لا لهنّ الطلب بالدماء و إنّ عليّا عليه السلام لأولى بعثمان منك و أمسّ رحما فإنّهما ابنا عبد مناف .

فقالت : لست بمنصرفة حتّى أمضي لما قدمت له ، أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحدا يقدم على قتالي ؟

فقال : أما و الله لنقاتلنّ قتالا أهونه الشديد .

ثمّ قام فأتى الزبير فقال : يا أبا عبد الله عهد الناس بك و أنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب و أين هذا المقام من ذاك ؟ فذكر له دم عثمان ، قال : أنت و صاحبك ولّيتماه فيما بلغناه .

قال : فانطلق إلى طلحة فوجده مصرّا على الحرب و الفتنة [399] فرجع إلى عثمان

[399] في المصدر : قال : فانطلق إلى طلحة ، فاسمع ما يقول . فذهب إلى طلحة ، فوجده سادرا في غيّه ، مصرّا على الحرب و الفتنة .

[274]

بن حنيف فقال : إنّها الحرب فتأهّب لها .

قال : و لمّا نزل عليّ عليه السلام البصرة ، كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي :

من عائشة بنت أبي بكر الصدّيق زوج النبيّ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعد ، فأقم في بيتك و خذّل عن عليّ و ليبلغني عنك ما أحبّ فإنّك أوثق أهلي عندي ، و السلام .

فكتب إليها :

من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أمّا بعد ، فإنّ الله أمرك و أمرنا بأمر ، أمرك أن تقرّي في بيتك و أمرنا أن نجاهد ،

و قد أتاني كتابك فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به و صنعت ما أمرني به ، فأمرك عندي غير مطاع و كتابك غير مجاب ،

و السلام .

بيان :

« حنوها » أي جعلوا إصبعه منحنية للبيعة لإبل . و « ذعذعوها » أي كسروها و بدّدوها لهجومهم على البيعة . و « الظعينة » الامرأة في الهودج . و « المنسأة » العصا ، تهمز و لا تهمز . 400

----

(400) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 421 ، ط كمپاني و ص 394 ، ط تبريز . فراجع أيضا شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 6 ، ص 215 227 ، ط بيروت .

[275]

55 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

أمّا بعد ، فإنّ اللّه سبحانه قد جعل الدّنيا لما بعدها ، و ابتلى فيها أهلها ، ليعلم أيّهم أحسن عملا ، و لسنا للدّنيا خلقنا ، و لا بالسّعي فيها أمرنا ، و إنّما وضعنا فيها لنبتلى بها ، و قد ابتلاني اللّه بك و ابتلاك بي : فجعل أحدنا حجّة على الآخر ، فعدوت (4231) على الدّنيا بتأويل القرآن ، فطلبتني بما لم تجن يدي و لا لساني ، و عصيته أنت و أهل الشّام بي ، و ألّب (4232) عالمكم جاهلكم ، و قائمكم قاعدكم ،

فاتّق اللّه في نفسك ، و نازع الشّيطان قيادك (4233) ، و أصرف إلى الآخرة وجهك ، فهي طريقنا و طريقك . و أحذر أن يصيبك اللّه منه بعاجل قارعة (4234) تمسّ الأصل (4235) ، و تقطع الدّابر (4236) ، فإنّي أولي لك باللّه أليّة (4237) غير فاجرة ، لئن جمعتني و إيّاك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك (4238) « حتّى يحكم اللّه بيننا و هو خير الحاكمين »

توضيح

قوله عليه السلام « بالسعي فيها » أي لها و في تحصيلها . و قيل :

أي ما أمرنا بالسعي فيها لها . « و قد ابتلاني بك » أي بأن أمرني بنهيك عن المنكر و الجهاد معك . « و ابتلاك بي » بأن فرض عليك طاعتي . « فجعل أحدنا » أي نفسه

[276]

عليه السلام ، و في الإجمال أنواع البلاغة كما لا يخفى . « فعدوت على طلب الدنيا » أي و ثبت عليها و اختلستها ، و قيل : « على » هيهنا متعلّقة بمحذوف دلّ عليه الكلام ،

أي تعدّيت و ظلمت مصرّا على طلب الدنيا . و « تأويل القرآن » ما كان يموّه معاوية أهل الشام و يقول لهم : أنا وليّ عثمان ، و قال تعالى : مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً 401 . ثمّ يعدهم الظفر و الدولة على أهل العراق بقوله تعالى : فَلاَ يسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً 402 و « عصبته » أي ألزمتنيه كما تلزم العصابة .

و قال الفيروزآبادي : « العصب » الشدّ . و « ألبّ عالمكم » التأليب التحريض .

و قال ابن ميثم : أي عالمكم بحالي و قائمكم بجهادي 403 و منازعتي . « في نفسك » أي أمرها أو بينك و بين اللّه . و « القياد » ما يقاد به الدابّة . و « منازعته » جذبه و عدم الانقياد .

« و احذر أن يصيبك اللّه منه » قال ابن أبي الحديد : الضمير في « منه » راجع إلى اللّه تعالى و « من » لابتداء الغاية . 404 و قال القطب الراوندي : أي من البهتان الّذي أتيته و « من » للتعليل ، أي من أجله و هو بعيد .

و قال الفيروزآبادي : « القارعة » الشديدة من شدائد الدهر و هي الداهية يقال : قرعتهم قوارع الدهر .

« تمسّ الأصل » قال ابن أبي الحديد : أي تقطّعه و منه : ماء مسوس أي يقطع الغلّة . 405 انتهى .

و فيه نظر إذ المسّ بمعنى القطع لم يذكره أحد من أهل اللغة ، و أمّا الماء

----

(401) الإسراء : 33 .

----

(402) الإسراء : 33 .

----

(403) في المصدر : في حربي . شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 191 .

----

(404) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 136 137 ، ط بيروت .

----

(405) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 136 137 ، ط بيروت .

المسوس فهو الماء بين العذب و المالح كما ذكره الجوهري ، أو الّذي نالته الأيدي كما ذكره الخليل في العين و الفيروزآبادي ، أو الماء الّذي يمسّ الغلّة فيشفيها و كلّ ما شفى الغليل و العذب الصافي كما ذكره هو . و الظاهر أنّه من « المسّ » بالمعنى المعروف أي داهية يصيب أصلك ، كما يقال : أصابه داء أو بلاء . فيكون إصابة الأصل كناية عن الاستيصال كالفقرة التالية . و « الدابر » العقب و النسل و التابع و آخر كلّ شيء .

« فإنّي أولي » أي أحلف و الاسم منه « الأليّة » .

« جوامع الأقدار » قال ابن أبي الحديد 406 : من إضافة الصفة إلى الموصوف للتأكيد ، و قال : « باحة الدار » وسطها . حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا 407 أي بالظفر و النصر . 408

56 و من وصية له عليه السلام وصى بها شريح بن هانيء ، لما جعله على مقدمته إلى الشام

اتّق الله في كلّ صباح و مساء ، و خف على نفسك الدّنيا الغرور ،

و لا تأمنها على حال ، و اعلم أنّك إن لم تردع نفسك عن كثير ممّا تحبّ ، مخافة مكروه ، سمت (4239) بك الأهواء (4240) إلى كثير من الضّرر . فكن لنفسك مانعا رادعا ، و لنزوتك (4241) عند الحفيظة (4242) واقما (4243) قامعا (4244)

----

(406) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 136 137 ، ط بيروت .

----

(407) الأعراف : 87 .

----

(408) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 549 ، ط كمپانى ص 507 ، ط تبريز .

بيان :

« سمت بك » قال ابن أبي الحديد : أي أفضت بك 409 و في النهاية :

« فلان يسمو إلى المعالي » إذا تطاول إليها . و « النزوة » الوثبة و « الحفيظة » الغضب . و قال الجوهري : « و قمه » أي ردّه . و قال أبو عبيدة : أي قهره .

و روى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن نصر بن مزاحم و وجدته في أصل كتابه أيضا عن عمر بن سعد بإسناده عن عبد اللّه بن جندب عن أبيه : أنّ عليّا عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه ، يقول : « لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم فهي حجّة أخرى لكم عليهم ، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ،

و لا تجهزوا على جريح ، و لا تكشفوا عورة ، و لا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سرّا ، و لا تدخلوا دارا إلاّ باذن ، و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم ، و لا تهيجوا امرأة إلاّ بإذني و إن شتمن أعراضكم و تناولن أمراءكم و صلحاءكم فإنّهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول ، و لقد كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ و هنّ مشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهليّة بالهراوة و الحديد فيعيّر بها عقبه من بعده . » و قال ابن ميثم 410 رحمه اللّه : روي أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان إذا شتدّ القتال ذكر اسم اللّه حين يركب . ثمّ يقول : « الحمد للّه على نعمه علينا و فضله العميم ، سبحان الّذي سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنّا إلى ربّنا لمنقلبون . » ثمّ يستقبل القبلة و يرفع يديه و يقول : « اللّهمّ إليك نقلت الأقدام و أفضت القلوب و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار و أنضيت الأبدان . اللّهمّ قد صرّح مكنون الشنآن و جاشت مراجل الأضغان . اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا و كثرة عدوّنا و تشتّت أهواءنا ، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِين 411 . ثمّ

----

(409) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 139 ، ط بيروت .

----

(410) شرح النهج لابن ميثم ، ج 4 ، ص 385 .

----

(411) الأعراف : 89 .

يقول : « سيروا على بركة اللّه » . ثمّ يقول : « اللّه اكبر اللّه اكبر لا إله إلاّ اللّه و اللّه اكبر يا اللّه يا أحد يا صمد يا ربّ محمّد بسم اللّه الرحمن الرحيم ، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم ، إيّاك نعبد و إيّاك نستعين ، اللّهمّ كفّ عنّا أيدي الظالمين » . و كان هذا شعاره بصفّين . 412

57 و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أمّا بعد ، فإنّي خرجت من حيّي (4245) هذا : إمّا ظالما ، و إمّا مظلوما ، و إمّا باغيا ، و إمّا مبغيّا عليه . و إنّي أذكّر اللّه من بلغه كتابي هذا لمّا (4246) نفر إليّ ، فإن كنت محسنا أعانني ، و إن كنت مسيئا استعتبني (4247) .

بيان

« لمّا نفر » بالتشديد ، بمعنى « إلاّ » أي أذكّره في كلّ وقت إلاّ وقت النفور . كقولهم : سألتك لمّا فعلت . و في بعض النسخ بالتخفيف ، فكلمة « ما » زائدة كما قيل في قوله تعالى لمّا عَلَيْهَا حَافِظٌ 413 فإنّه قريء بالتخفيف و التشديد معا . « و الاستعتاب » طلب العتبى و هو الرجوع . 414

----

(412) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ص 627 ، ط كمپانى و ص 577 ، ط تبريز .

----

(413) الطارق : 4 .

----

(414) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 405 ، ط كمپانى و ص 380 ، ط تبريز .

[280]

58 و من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار ، يقص فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين

و كان بدء أمرنا أنّا التقينا و القوم من أهل الشّام ، و الظّاهر أنّ ربّنا واحد (4248) ، و نبيّنا واحد ، و دعوتنا في الإسلام واحدة ، و لا نستزيدهم (4249) في الإيمان باللّه و التّصديق برسوله و لا يستزيدوننا :

الأمر واحد إلاّ ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، و نحن منه براء فقلنا :

تعالوا نداوما لا يدرك اليوم بإطفاء النّائرة (4250) ، و تسكين العامّة ، حتّى يشتدّ الأمر و يستجمع ، فنقوى على وضع الحقّ مواضعه ، فقالوا :

بل نداويه بالمكابرة (4251) فأبوا حتّى جنحت (4252) الحرب و ركدت (4253) ،

و وقدت (4254) نيرانها و حمشت (4255) . فلمّا ضرّستنا (4256) و إيّاهم ،

و وضعت مخالبها فينا و فيهم ، أجابوا عند ذلك إلى الّذي دعوناهم إليه ، فأجبناهم إلى ما دعوا ، و سارعناهم (4257) إلى ما طلبوا ، حتّى استبانت عليهم الحجّة ، و انقطعت منهم المعذرة . فمن تمّ على ذلك منهم فهو الّذي أنقذه اللّه من الهلكة ، و من لجّ و تمادى فهو الرّاكس (4258) الّذي ران (4259) اللّه على قلبه ، و صارت دائرة السّوء على رأسه .

[281]

توضيح

قوله عليه السلام « و القوم » عطف على الضمير في « التقينا » .

« و الظاهر أنّ ربّنا واحد » قال ابن أبي الحديد : لم يحكم لأهل صفّين بالإسلام بل بظاهره . 415 « و لا نستزيدهم » أي لا نطلب منهم زيادة في الإيمان في الظاهر . « حتّى يشتدّ الأمر » أي يستحكم بأن يتمهّد قواعد الخلافة .

و قال الجوهري : « جنوح الليل » إقباله . و « ركدت » أي دامت و ثبتت . و « وقدت » كوعدت أي اشتعلت . و « حمشت » أي استقرّت و ثبتت . و روي « استحمشت » و هو أصحّ ، ذكره ابن أبي الحديد و قال : و من رواها بالسين المهملة أراد : اشتدّت و صلبت .

و قال الجوهري : « أحمشت القدر » أشبعت وقودها ، و قال : « الأحمس » الشديد الصلب و قد حمس بالكسر . « فلمّا ضرّستنا » أي عضّتنا بأضراسها ، و يقال :

« ضرسهم الدهر » أي اشتدّ عليهم ، « و الضرس » العضّ بالأضراس . و لعلّ التشديد هيهنا للمبالغة ، و يقال : « ضرّسته الحرب » أي جرّبته و أحكمته . و « أنقذت فلانا من الشرّ و استنقذته و تنقّذته و انتقذته » خلصته فنقذ كفرح . و « الركس » ردّ الشيء مقلوبا . « ران اللّه على قلبه » أي طبع و ختم .

و في مجمع البيان : « الدائرة » هي الراجعة بخير أو شرّ ، و « دائرة السّوء » العذاب و الهلاك .

و قال ابن أبي الحديد : « السّوء » المصدر و « السّوء » الاسم ، و الدواهر [416] أيضا الدواهي . 417

----

(415) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 142 .

[416] في المصدر : الدوائر . و هذا صحيح لأنّ البحث عن « الدوائر » لا « الدواهر » (المصحّح) .

----

(417) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 592 ، ط كمپانى و ص 545 ، ط تبريز .

59 و من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان (4260)

أمّا بعد ، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه (4261) منعه ذلك كثيرا من العدل ، فليكن أمر النّاس عندك في الحقّ سواء ، فإنّه ليس في الجور عوض من العدل ، فاجتنب ما تنكر أمثاله ، و ابتذل نفسك فيما افترض اللّه عليك ، راجيا ثوابه ، و متخوّفا عقابه .

و اعلم أنّ الدّنيا دار بليّة لم يفرغ صاحبها فيها قطّ ساعة إلاّ كانت فرغته (4262) عليه حسرة يوم القيامة ، و أنّه لن يغنيك عن الحقّ شيء أبدا ، و من الحقّ عليك حفظ نفسك ، و الاحتساب (4263) على الرّعيّة بجهدك ، فإنّ الّذي يصل إليك من ذلك أفضل من الّذي يصل بك ، و السّلام .

بيان :

قوله عليه السلام « إذا اختلف هواه » كما أنّه لم يكن الخصمان عنده سواء بل كان هواه و ميله إلى أحدهما أكثر ظلم و جار . « ما تنكر أمثاله » أي إذا فعلها غيرك .

و « ابتذال الثوب و غيره » امتهانه ، قاله الجوهري و قال : « البليّة و البلاء و البلوى » واحد . و « الفرغة » المرّة من الفراغ . و قال الجوهري : « احتسب عليه كذا » إذا أنكرت عليه .

قال ابن دريد : « فإنّ الّذي يصل إليك » أي النفع الّذي يصل إلى نفسك من الثواب أفضل من الّذي يصل إلى رعيّتك بسببك و هو عدلك و إحسانك . 418

----

(418) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 638 ، ط كمپانى و ص 588 ، ط تبريز .

60 و من كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم (4264)

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباة الخراج و عمّال البلاد .

أمّا بعد ، فإنّي قد سيّرت جنودا هي مارّة بكم إن شاء الله ، و قد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى ، و صرف الشّذى (4265) ، و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمّتكم من معرّة (4266) الجيش ، إلاّ من جوعة المضطرّ (4267) ،

لا يجد عنها مذهبا إلى شبعه . فنكّلوا (4268) من تناول منهم شيئا ظلما عن ظلمهم ، و كفّوا أيدي سفهائكم عن مضارّتهم ، و التّعرّض لهم فيما استثنيناه منهم . و أنا بين أظهر الجيش ، فارفعوا إليّ مظالمكم ، و ما عراكم ممّا يغلبكم من أمرهم ، و ما لا تطيقون دفعه إلاّ باللّه و بي ،

فأنا أغيّره بمعونة الله ، إن شاء الله .

بيان

« يطأ عملهم » أي يسيرون في أرضهم و البلاد الّتي تحت عملهم و حكمهم .

و قال الجوهري : « جبيته جباية و جبوته جباوة » جمعته ، و قال : « الشذّى » مقصورا الأذى و الشرّ .

و « إلى ذمّتكم » قال ابن أبي الحديد : أي إلى اليهود و النصارى الّذين بينكم ، قال عليه السلام : « من أذى ذمّتي فكأنّما أذاني » . 419

----

(419) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 147 ، ط بيروت .

[284]

و قال ابن ميثم : أي إلى ذمّتكم الّتي أخذتها من إسارة الجيش فإنّه ليس بأمري من ذلك « إلاّ معرّة جوعة المضطرّ » . 420 و المعرّة الاسم و الأمر القبيح المكروه و الأذى و يدلّ على أنّه يجوز للجائع المضطرّ من الجيش الأخذ بقدر الشبع .

و في النهاية : « التنكيل » المنع و التنحية . و « أنا بين أظهر الجيش » أي أنا قريب منكم و سائر على إثرهم .

و قال ابن ميثم : كناية عن كونه مرجع أمرهم . و « عراه يعروه » غشيه أو قصده ، و « تغيير ما عراهم » دفع الظلم عنهم . 421

61 و من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي ، و هو عامله على هيت ، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة .

أمّا بعد ، فإنّ تضييع المرء ما ولّي ، و تكلّفه ما كفي ، لعجز حاضر ،

و رأي متبّر (4269) . و إنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا (4270) ،

و تعطيلك مسالحك (4271) الّتي ولّيناك ليس بها من يمنعها ، و لا يردّ الجيش عنها لرأي شعاع (4272) . فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك ، غير شديد المنكب (4273) ، و لا مهيب الجانب ،

و لا سادّ ثغرة (4274) ، و لا كاسر لعدوّ شوكة ، و لا مغن عن (4275) أهل

----

(420) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 199 .

----

(421) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 632 ، ط كمپانى و ص 583 ، ط تبريز .

[285]

مصره ، و لا مجز عن أميره

بيان

قال ابن أبي الحديد : كان كميل من صحابة عليّ عليه السلام و شيعته و خاصّته ، و قتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة . و كان عامل عليّ عليه السلام على « هيت » و كان ضعيفا يمرّ عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق فلا يردّها و يحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل « قرقيسيا » و ما يجري مجراها من القرى الّتي على الفرات ، فأنكر عليه السلام ذلك من فعله . 422 « ما ولى » على صيغة المعلوم المجرّد ، من « وليت الأمر كرضيت ولاية » إذا تولّيته و استبددت به .

و في بعض النسخ على صيغه المجهول من التفعيل من قولهم : « وليته البلد » إذا جعلته واليا عليه . و « لتكلّف » التجشم ، و « التكلّف » العريض لما لا يعنيه . و « كفاه مؤونته » أي قام بأمره .

« متبّر » قال في النهاية : أي مهلك ، يقال : « تبرّه تتبيرا » أي كسره و أهلكه ،

و « التبار » الهلاك . و قال : « التعاطي » التناول و الجرأة على الشيء من « عطى الشيء يعطوه » إذا أخذوه [423] و تناوله . و « قرقيسا » في النسخ بالفتح مقصورا و في القاموس « قرقيسياء » بالكسر و يقصر بلد على الفرات . و يقال : « شعاع » أي متفرّق . و « شدّة المنكب » كناية عن القوّة و الحميّة و هيبة الجانب عن شدّة البطش . و « الثغرة » الثلمة . « و لا مجز عن أميره » أي كاف و مغن ، و الأصل « مجزئ » بالهمزة فخفّف . 424

----

(422) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 149 150 ، ط بيروت .

[423] الظاهر أنّ « أخذه » صحيح (المصحّح) .

----

(424) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 641 ، ط كمپانى و ص 591 ، ط تبريز .

[286]

62 و من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر ، مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها .

أمّا بعد ، فإنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين ، و مهيمنا (4276) على المرسلين . فلمّا مضى عليه السّلام تنازع المسلمون الأمر من بعده . فواللّه ما كان يلقى في روعي (4277) ، و لا يخطر ببالي ، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن أهل بيته ، و لا أنّهم منحّوه عنّي من بعده فما راعني (4278) إلاّ انثيال (4279) النّاس على فلان يبايعونه ،

فأمسكت يدي (4280) حتّى رأيت راجعة (4281) النّاس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما (4282) أو هدما ،

تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم الّتي إنّما هي متاع أيّام قلائل ، يزول منها ما كان ، كما يزول السّراب ، أو كما يتقشّع السّحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح (4283) الباطل و زهق (4284) ، و اطمأنّ الدّين و تنهنه (4285) .

و منه : إني و اللّه لو لقيتهم واحدا و هم طلاع (4286) الأرض كلّها ما باليت و لا استوحشت ، و إنّي من ضلالهم الّذي هم فيه و الهدى الّذي

[287]

أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي و يقين من ربّي . و إنّي إلى لقاء اللّه لمشتاق ، و حسن ثوابه لمنتظر راج ، و لكنّني آسى (4287) أن يلي (4288) أمر هذه الأمّة سفهاؤها و فجّارها ، فيتّخذوا مال اللّه دولا (4289) ، و عباده خولا (4290) ، و الصّالحين حربا (4291) ، و الفاسقين حزبا ، فإنّ منهم الّذي قد شرب فيكم الحرام (4292) ، و جلد حدّا في الإسلام ، و إنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرّضائخ (4293) .

فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم (4294) و تأنيبكم ، و جمعكم و تحريضكم ،

و لتركتكم إذ أبيتم و ونيتم (4295) .

ألا ترون إلى أطرافكم (4296) قد انتقصت (4297) ، و إلي أمصاركم قد افتتحت ، و إلى ممالككم تزوى (4298) ، و إلى بلادكم تغزى انفروا رحمكم اللّه إلى قتال عدوّكم ، و لا تثّاقلوا إلى الأرض فتقرّوا (4299) بالخسف (4300) ، و تبوؤوا (4301) بالذّلّ ، و يكون نصيبكم الأخسّ ،

و إنّ أخا الحرب الأرق (4302) ، و من نام لم ينم عنه ، و السّلام .

توضيح

و « مهيمنا » أي شاهدا على المرسلين يشهد لهم في الآخرة ، و أصله من « آمن غيره من الخوف » لأنّ الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ، و قيل :

هو الرقيب ، و قيل : المؤتمن ، و قيل : القائم بأمور الخلق . و قيل : أصله « المؤيمن » فأبدلت

[288]

الهاء من الهمزة ، و هو « مفيعل » من الأمانة . و المراد ب « الأمر » الخلافة . و « الروع » بالضمّ القلب أو سواده ، و قيل : الذهن و العقل . و « أزعجه » قلعه عن مكانه . و « نحّاه » أي أزاله ، و لعلّ الغرض إظهار شناعة هذا الأمر و أنّه ممّا لم يكن يخطر ببال بظاهر الحال فلا ينافي علمه عليه السلام بذلك بأخبار الرسول صلّى اللّه عليه و آله .

« فما راعني » قال ابن أبي الحديد : تقول للشيء يفجأك بغتة : « ما راعني إلاّ كذا » .

« و الرّوع » بالفتح ، الفزع كأنّه يقول : « ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الّذي كان عندي و الثقة الّتي اطمأننت إليها إلاّ وقوع ما وقع من « انثيال الناس » أي انصبابهم من كلّ وجه كما ينثال التراب على أبي بكر و الاسم كان مذكورا في كتاب الأشتر صريحا . و إنّما الناس يكتبونه على فلان تذمّما من ذكر الاسم . 425 « حتّى رأيت راجعة الناس » أي الطائفة الراجعة من الناس الّتي قد رجعت عن الإسلام يعني أهل الردّة ك (مسيلمة و سجاح و طليحة بن خويلد) . يحتمل أن يكون المراد بهم المنافقين المجتمعين على أبي بكر ، فإنّهم كانوا يغتنمون فتنة تصير سببا لارتدادهم عن الدين رأسا .

« كما يتقشّع » أي يتفرّق و ينكشف . و « تنهنه » أي انزجر عن الاضطراب و الحركة . و قال الجوهري : « نهنهت الرجل عن الشيء فتنهنه » أي كففته و زجرته ،

فكفّ .

و في النهاية : « طلاع الأرض ذهبا » أي ما يملأها حتّى يطلع عنها و يسيل . و « الاستيحاش » ضدّ الاستيناس ، و هنا كناية عن الخوف . « و لكنّي آسى » أي أحزن .

« مال اللّه دولا » في الصحاح : إنّ « دولا » جمع « دولة » بالضمّ فيهما .

و في القاموس : « الدولة » انقلاب الزمان و العقبة في المال و يضمّ ، أو الضمّ فيه و الفتح في الحرب ، أو هما سواء و الضمّ في الآخرة و الفتح في الدنيا و الجمع « دول » مثلّثة .

و في النهاية : « كان عباد اللّه خولا » أي خدما و عبيدا يعني أنّهم يستخدمونهم و يستعبدونهم . و « الصالحين حربا » أي عدوّا . « و الفاسقين حزبا » أي ناصرا و جندا .

----

(425) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 152 ، ط بيروت .

و قال ابن أبي الحديد : المراد بمن شرب الخمر الوليد بن عقبة ، و أمّا الّذي « رضخت له على الإسلام الرضائخ » فمعاوية و أبوه و أخوه و حكيم بن خزام و سهيل بن عمرو و الحرث بن هشام و غيرهم و هم قوم معروفون ، لأنّهم من المؤلّفة قلوبهم الّذين رغبوا في الإسلام و الطاعة بجمال وشّاء دفعت إليهم للأغراض الدنياويّة و الطمع ، و لم يكن إسلامهم عن أصل و يقين . و قال القطب الراوندي : يعني عمرو بن العاص ، و ليس بصحيح لأنّ عمروا لم يسلم بعد الفتح ، و أصحاب الرضائخ كلّهم صونعوا على الإسلام بغنائم حنين ، و لعمري إنّ إسلام عمرو كان مدخولا أيضا إلاّ أنّه لم يكن عن رضيخة و إنّما كان لمعنى آخر . 426 و « الرضيخة » شيء قليل يعطاه الانسان يصانع به عن أمر يطلب منه كالأجرة . انتهى . و « التأليب » التحريض . و « التأنيب » أشدّ اللوم . و « الوني » الضعف و الفتور . و « إلى ممالككم تزوى » أي تقبض .

« و لا تثاقلوا » بالتشديد و التخفيف معا إشارة إلى قوله تعالى مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ الآية 427 .

و قال الفيروزآبادي : « تثاقل عنه : تباطأ و [تثاقل] القوم : لم ينهضوا للنجدة و قد استنهضوا لها » .

و قال في النهاية : « الخسف » النقصان و الهوان . و قال : أصل « البواء » اللزوم ،

و « أبوء » أي أقرّ و ألتزم و أرجع . و قال : « الأرق » هو السهر ، و « رجل أرق » إذا سهر لعلّة ، فإن كان السهر من عادته قيل : « أرق » بضمّ الهمزة و الرآء . و « أخو الحرب » ملازمه . « و من نام لم ينم عنه » لأنّ العدوّ لا يغفل عن عدوّه . 428

----

(426) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 226 227 ، ط بيروت .

----

(427) التوبة : 38 .

----

(428) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 659 ، ط كمپانى و ص 608 ، ط تبريز .

63 و من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ، و هو عامله على الكوفة ، و قد بلغه عنه تثبيطه (4303) النّاس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل .

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى عبد اللّه بن قيس .

أمّا بعد ، فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك ، فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك ، و اشدد مئزرك (4304) ، و اخرج من جحرك (4305) ،

و اندب (4306) من معك ، فإن حقّقت فانفذ (4307) ، و إن تفشّلت (4308) فابعد و ايم اللّه لتؤتينّ من حيث أنت ، و لا تترك حتّى يخلط زبدك بخاثرك (4309) ، و ذائبك بجامدك ، و حتّى تعجل عن قعدتك (4310) ،

و تحذر من أمامك كحذرك من خلفك ، و ما هي بالهوينى (4311) الّتي ترجو ، و لكنّها الدّاهية الكبرى ، يركب جملها ، و يذلّل صعبها ،

و يسهّل جبلها . فاعقل عقلك (4312) ، و املك أمرك ، و خذ نصيبك و حظّك . فإن كرهت فتنحّ إلى غير رحب و لا في نجاة ، فبالحريّ (4313) لتكفينّ (4314) و أنت نائم ، حتّى لا يقال : أين فلان ؟ و اللّه إنّه لحقّ مع محقّ ، و ما أبالي ما صنع الملحدون ، و السّلام .

بيان

« هو لك و عليك » قال ابن أبي الحديد : فإنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة : إنّ عليّا عليه السلام إمام هدى ، و بيعته صحيحة إلاّ أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة . انتهى . 429 و أقول : كون هذا الكلام له و عليه لاشتماله على الحقّ و الباطل و الحقّ ينفعه و الباطل يضرّه ، أو ظاهر الكلام له تستحسنه العوام ، و باطنه حجّة عليه ، إذ بعد الإقرار بصحّة البيعة لا مجال للأمر بالمخالفة ، أو ظنّ أنّ هذا الكلام ينفعه و في الواقع يضرّه ،

أو ينفعه في الدنيا و يضرّه في العقبى . و الأمر برفع الذيل و شدّ المئزر كنايتان عن الاهتمام في الأمر . و « الخروج من الحجر » استهانة به حيث جعله ثعلبا أو ضبعا .

« و الحجر » بالضمّ كلّ شيء تحفره السباع و الهوام لأنفسها . قوله عليه السلام « فإن حقّقت » أي أمرك مبنيّ على الشكّ ، فإن حقّقت لزوم طاعتي « فانفذ » أي فسر حتّى تقدم عليّ ، و إن أقمت على الشكّ فاعتزل العمل ، أو إن أنكرت الطاعة فأظهر إنكارك و اعمل بمقتضاه . « و الخاثر » اللبن الغليظ . « و الزبد » خلاصة اللبن و صفوته ، يقال للرجل إذا ضرب حتّى أثخن : « ضرب حتّى خلط زبده بخاثره و ذائبه بجامده » كأنّه خلط مارق و لطف من إخلاطه بما كثف و غلظ منها . و هذا مثل و معناه : « ليفسدنّ حالك و ليضطربنّ ما هو الآن منتظم من أمرك . » و القعدة » بالكسر هيئة القعود كالجلسة و الركبة . قوله « و تحذر من أمامك » قيل : كناية عن غاية الخوف ، و إنّما جعل عليه السلام الحذر من خلف أصلا في التشبيه لكون الانسان من وراءه أشدّ خوفا ، و قيل : حتّى تخاف من الدنيا كما تخاف من الآخرة . و يحتمل أن يكون المعنى :

حتّى تحذر من هذا الأمر الّذي أقبلت إليه و أقدمت عليه و هو تثبيط الناس عن الجهاد كما تحذر ممّا خلفته وراء ظهرك و لم تقدم عليه و هو الجهاد .

و قال ابن أبي الحديد : أي يأتيكم أهل البصرة مع طلحة و نأتيكم بأهل المدينة و الحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و من خلفكم . 430 و قال في قوله

----

(429) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 246 ، ط بيروت .

----
(430) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 246 ، ط بيروت .*

[292]

عليه السلام « و ما هي بالهوينى » أي ليست هذه الداهية بالشيء الهيّن الّذي ترجو اندفاعه بسهولة ، فإنّ قصد الجيوش الكوفة من كلا الجانبين أمر صعب المرام فإنّه ليركبّن أهل الحجاز و أهل البصرة هذا الأمر المستصعب ، لأنّا نحن نطلب أن نملك الكوفة و أهل البصرة كذلك ، فيجتمع عليها الفريقان .

و قال في النهاية : « الهون » الرفق و اللين و التثبّت ، و « الهوينى » تصغير « الهونى » تأنيث « الأهون » . قوله « فاعقل عقلك » يحتمل المصدر ، و قيل : هو مفعول به . و « خذ نصيبك و حظّك » أي من طاعة الإمام و ثواب اللّه ، و قيل : « لا تتجاوز إلى ما ليس لك . « فإن كرهت فتنحّ » أي عن العمل ، فإنّي قد عزلتك . « إلى غير رحب » أي سعة بل يضيق عليك الأمر بعده .

و قال في النهاية : « بالحريّ أن يكون كذا » أي جدير .

و قال ابن أبي الحديد 431 : أي جدير أن تكفى هذه المؤونة الّتي دعيت إليها .

« و أنت نائم » أي لست معدودا عندنا و عند الناس من الرجال الّذين يفتقر الحرب و التدبيرات [432] إليهم فسيغني اللّه عنك ، و لا يقال : أين فلان ؟ 433

64 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ، جوابا

أمّا بعد ، فإنّا كنّا نحن و أنتم على ما ذكرت من الألفة و الجماعة ،

----
(431) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 17 ، ص 249 ، ط بيروت .*

[432] في المصدر : فجدير أن تكفى ما كلّفته من حضور الحرب . « و أنت نائم » أي لست معدودا عندنا و لا عند الناس من الرجال الّذين تفتقر الحروب و التدبيرات . . . .

----
(433) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 308 ، ط تبريز .*

[293]

ففرّق بيننا و بينكم أمس أنّا آمنّا و كفرتم ، و اليوم أنّا استقمنا و فتنتم ، و ما أسلم مسلمكم إلاّ كرها (4315) ، و بعد أن كان أنف الإسلام (4316) كلّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، حزبا .

و ذكرت أنّي قتلت طلحة و الزّبير ، و شرّدت بعائشة (4317) ، و نزلت بين المصرين (4318) و ذلك أمر غبت عنه فلا عليك ، و لا العذر فيه إليك .

و ذكرت أنّك زائري في المهاجرين و الأنصار ، و قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك ، فإن كان فيه عجل فاسترفه (4319) ، فإنّي إن أزرك فذلك جدير أن يكون اللّه إنّما بعثني إليك للنّقمة منك و إن تزرني فكما قال أخو بني أسد :

مستقبلين رياح الصّيف تضربهم بحاصب (4320) بين أغوار (4321) و جلمود (4322) و عندي السّيف الّذي أعضضته (4323) بجدّك و خالك و أخيك في مقام واحد . و إنّك و اللّه ما علمت الأغلف القلب (4324) ، المقارب العقل (4325) ، و الأولى أن يقال لك : إنّك رقيت سلّما أطلعكم مطلع سوء عليك لا لك ، لأنّك نشدت غير ضالّتك (4326) ، و رعيت غير

[294]

سائمتك (4327) ، و طلبت أمرا لست من أهله و لا في معدنه ، فما أبعد قولك من فعلك و قريب ما أشبهت من أعمام و أخوال حملتهم الشّقاوة ، و تمنّي الباطل ، على الجحود بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فصرعوا مصارعهم (4328) ، حيث علمت ، لم يدفعوا عظيما ،

و لم يمنعوا حريما ، بوقع سيوف ما خلا منها الوغى (4329) ، و لم تماشها الهوينى (4330) ،

و قد أكثرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه النّاس ، ثمّ حاكم القوم إليّ ، أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه تعالى ، و أمّا تلك الّتي تريد فإنّها خدعة (4331) الصّبيّ عن اللّبن في أوّل الفصال (4332) ،

و السّلام لأهله .

65 و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا

أمّا بعد ، فقد آن لك أن تنتفع باللّمح الباصر (4333) من عيان الأمور (4334) ، فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل ،

و اقتحامك (4335) غرور المين (4336) و الأكاذيب ، و بانتحالك (4337) ما قد علا عنك (4338) ، و ابتزازك (4339) لما قد اختزن (4340) دونك ، فرارا

[295]

من الحقّ ، و جحودا لما هو ألزم لك من لحمك و دمك (4341) ، ممّا قد وعاه سمعك ، و ملىء به صدرك ، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال المبين ،

و بعد البيان إلاّ اللّبس (4342) ؟ فاحذر الشّبهة و اشتمالها على لبستها (4343) ،

فإنّ الفتنة طالما أغدفت جلابيبها (4344) ، و أغشت (4345) ، الأبصار ظلمتها .

و قد أتاني كتاب منك ذو أفانين (4346) من القول ضعفت قواها عن السّلم (4347) ، و أساطير (4348) لم يحكها (4349) منك علم و لا حلم (4350) ،

أصبحت منها كالخائض في الدّهاس (4351) ، و الخابط (4352) في الدّيماس (4353) ،

و ترقّيت إلى مرقبة (4354) بعيدة المرام ، نازحة الأعلام (4355) ، تقصر دونها الأنوق (4356) و يحاذى بها العيّوق (4357) و حاش للّه أن تلي للمسلمين بعدي صدرا أو وردا (4358) ، أو أجري لك على أحد منهم عقدا أو عهدا فمن الآن فتدارك نفسك ، و انظر لها ، فإنّك إن فرّطت حتّى ينهد (4359) إليك عباد اللّه أرتجت (4360) عليك الأمور ، و منعت أمرا هو منك اليوم مقبول ، و السّلام .

بيان

قال ابن أبي الحديد : هذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه بعد قتل عليّ عليه السلام الخوارج ، و فيه تلويح بما كان يقوله من قبل : « إنّ

[296]

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عدني بقتال طائفة أخرى غير أصحاب الجمل و صفّين ، و إنّه سمّاهم المارقين » . فلمّا واقفهم في النهروان و قتلهم في يوم واحد و هم عشرة الآف فارس ، أحبّ أن يذكر معاوية بما كان يقوله من قبل و يعد به

أصحابه و خواصّه ، فقال له : « قد آن لك » أي قرب و حان أن تنتفع بما عاينت و شاهدت معاينة من صدق القول الّذي كنت أقوله للناس و يبلغك و تستهزئ به . 434 و قال : يقال : قد رأيته لمحا باصرا أي نظرا بتحديق شديد و مخرجه مخرج « رجل لابن و تامر » أي ذو لبن و تمر فمعنى « باصر » ذو بصر . و « عيان الأمور » معاينتها أي قرب أن تنتفع بما تعلمه يقينا من استحقاقي للخلافة و برآءتي من كلّ شبهة . 435 و قال ابن ميثم : وصف اللمح بالباصر مبالغة في الإبصار كقولهم « ليل أليل » . 436 « و المدرج » المسلك .

و قال ابن أبي الحديد : « الأباطيل » جمع باطل علي غير القياس . 437 و « اقتحامك » أي إلقاؤك نفسك بلا رويّة في « غرور المين » و هو الكذب . و « بانتحالك » أي ادّعائك كذبا . « ما قد علا عنك » أي لم تبلغه و لست أهلا له . و « ابتزازك » أي استلابك . « لما اختزن دونك » أي منعك اللّه منه من إمرة المسلمين و بيت ما لهم ، من قولهم « اختزن المال » أي أحرزه . « فرارا » أي فعلت ذلك كلّه فرارا من الحقّ . « لما هو ألزم لك » يعني فرض طاعتي عليك .

قال ابن ميثم : لأنّهما دائما في التغيّر و التبدّل بخلاف وجوب الطاعة فإنّه أمر لازم . انتهى . 438

----

(434) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 27 ، ط بيروت .

----

(435) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 23 ، ط بيروت .

----

(436) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 213 .

----

(437) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 23 ، ط بيروت .

----

(438) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 214 .

و يمكن أن يقال : لأنّك تفارقهما و لا تفارقه ، و الظاهر أنّ ذلك مجاز عن شدّة اللزوم « ممّا قد وعاه سمعك » أي من النصّ . و كلمة « ما » في « ماذا » استفهاميّة ، أو نافية .

« على لبستها » في بعض النسخ بالضمّ و في بعضها بالكسر قال في النهاية :

« اللّبسة » بالكسر ، الهيئة و الحالة .

و قال ابن أبي الحديد : « اللّبسة » بالضمّ يقال : « في الأمر لبسة » أي اشتباه و ليس بواضح ، و يجوز أن يكون « اشتمالها » مصدرا مضافا إلى معاوية ، أي اشتمالك إيّاها على اللبسة ، أي إدراعك إيّاها و تقمّصك بها على ما فيها من الإبهام و الاشتباه . و يجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى ضمير الشبهة فقط ، أي احذر الشبهة و احتوائها على اللّبسة الّتي فيها . و قال : « أغدفت المرأة قناعها » أي أرسلته على وجهها . 439 و « أغشت الأبصار » أي جعلتها سترا للأبصار و في بعض النسخ بالعين المهملة و هو سوء البصر بالليل أو العمى ، فالظلمة مرفوعة بالفاعليّة . « ذو أفانين » أي أساليب مختلفة لا يناسب بعضها بعضا .

« ضعفت قواها عن السّلم » قال ابن ميثم : أي ليس لها قوّة أن يوجب صلحا . 440 قال ابن أبي الحديد : أي عن الإسلام ، أي لم تصدر تلك الأفانين المختلفة عن مسلم و كان كتب إليه أن يفرده بالشام و أن يولّيه العهد من بعده و أن لا يكلّفه الحضور عنده . و قرأ أبو عمرو ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً 441 ليس المعنى الصلح بل الإسلام و الإيمان لا غير . و قال : « الأساطير » الأباطيل ، واحدها « أسطورة و أسطارة » بالكسر .

و « حوك » الكلام صنعته و نظمه . « و الحلم » العقل ، أو الإناة . 442

----

(439) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 25 ، ط بيروت .

----

(440) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 214 .

----

(441) البقرة : 208 .

----

(442) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 26 ، ط بيروت .

[298]

و قال ابن ميثم : لأنّ الكتاب كان فيه خشونة و تهوّر ، و ذلك ينافي الحلم و ينافي غرضه من الصلح . 443 و قال الجوهري : « الدهس و الدهاس » مثل اللبث و اللباث المكان السهل الليّن لا يبلغ أن يكون رملا و ليس هو بتراب و لا طين و لونه الدهسة . و قال :

« الديماس » السرب المظلم تحت الأرض . و « السرب » البيت في الأرض تقول :

« السرب الوحشي في سربه » . و الغرض عدم استقامة القول . و « المرقبة » الموضع العالي ، أي دعوى الخلافة . و « المرام » المقصد ، و بعده كناية عن الرفعة .

و « نزوح الأعلام » عن صعوبة الوصول إليها . و في الصحاح : « نزحت الدار نزوحا » بعدت . و قال : « الأنوق » على فعول ، طائر و هو الرّخمة ، و في المثل « أعزّ من بيض الأنوق » لأنّها تحرزه فلا تكاد يظفر بها ، لأنّ أوكارها في رؤوس الجبال و الأماكن البعيدة و هي تحمق مع ذلك . انتهى . و « حاش للّه » أصله « حاشا للّه » أي معاذ اللّه و هو فعل ماض على صيغة المفاعلة مأخوذ من « الحشا » أي الناحية ، و فاعله « أن قلى » .

و قال الزجاج : معنى « حاش للّه » براءة للّه . و « الصّدر » بالتحريك رجوع الشاربة عن الماء كالورد بالكسر الاشراف على الماء . « فتدارك نفسك » أي تدبّر آخر أمرك . « حتّى ينهد » أي ينهض . « أرتجت عليك » أى أغلقت . 444

66 و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن العباس ، و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية

أمّا بعد ، فإنّ المرء ليفرح بالشّيء الّذي لم يكن ليفوته ، و يحزن على الشّيء الّذي لم يكن ليصيبه ، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك

----

(443) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 214 .

----

(444) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 541 ، ط كمپاني و ص 508 ، ط تبريز .

[299]

من دنياك بلوغ لذّة أو شفاء غيظ ، و لكن إطفاء باطل أو إحياء حقّ . و ليكن سرورك بما قدّمت ، و أسفك على ما خلّفت (4361) ، و همّك فيما بعد الموت .

67 و من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس ، و هو عامله على مكة

أمّا بعد ، فأقم للنّاس الحجّ ، و ذكّرهم بأيّام اللّه (4362) ، و اجلس لهم العصرين (4363) ، فأفت المستفتي ، و علّم الجاهل ، و ذاكر العالم . و لا يكن لك إلى النّاس سفير إلاّ لسانك ، و لا حاجب إلاّ وجهك . و لا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها ، فإنّها إن ذيدت (4364) عن أبوابك في أوّل وردها (4365) لم تحمد فيما بعد على قضائها .

و انظر إلى ما اجتمع عندك من مال اللّه فاصرفه إلى من قبلك (4366) من ذوي العيال و المجاعة ، مصيبا به مواضع الفاقة (4367) و الخلاّت (4368) ،

و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا .

و مر أهل مكّة ألاّ يأخذوا من ساكن أجرا ، فإنّ اللّه سبحانه يقول : « سواء العاكف فيه و الباد » فالعاكف : المقيم به ، و البادي :

[300]

الّذي يحجّ إليه من غير أهله . وفّقنا اللّه و إيّاكم لمحابّه (4369) ،

و السّلام .

بيان

« بأيّام اللّه » أي إنعامه و أيّام انتقامه . روي ذلك عن أبي عبد اللّه عليه السلام .

« و اجلس لهم العصرين » قال ابن ميثم : لكونهما أطيب الأوقات بالحجاز .

و قال الجوهري : « العصران » الغداة و العشي ، و منه سمّيت صلاة العصر .

و قال : « السفير » الرسول و المصلح بين القوم . « إن ذيدت » أي دفعت و منعت . و « وردها » سؤالها . و « المجاعة » بالفتح ، الجوع .

و قال ابن الأثير : « المفاقر » [445] جمع « فقر » على غير قياس كالمشابه و الملامح ،

و يجوز أن يكون جمع « مفقر » . و « الخلّة » الحاجة . « و المحابّ » جمع « المحبّة » بمعنى الحبّ أي الأعمال المحبوبة . 446

68 و من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه اللّه قبل أيام خلافته

أمّا بعد ، فإنّما مثل الدّنيا مثل الحيّة : ليّن مسّها ، قاتل سمّها ،

فأعرض عمّا يعجبك فيها ، لقلّة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها ،

لما أيقنت به من فراقها ، و تصرّف حالاتها ، و كن آنس ما تكون

[445] هكذا روي في البحار .

----

(446) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 635 ، ط كمپاني و ص 585 ، ط تبريز .

[301]

بها (4370) ، أحذر ما تكون منها ، فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرور أشخصته (4371) عنه إلى محذور ، أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إيحاش و السّلام .

بيان

« لقلّة ما يصحبك منها » أي لقلّة ما يستفيد من لذّتها و الانتفاع بها ،

و التعبير بالقلّة على سبيل التنزّل أي لأنّك لا تصحب منها شيئا . و قيل : المراد بما يصحبه منها الكفن ، و قيل : القبر .
447

69 و من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمذاني

و تمسّك بحبل القرآن و استنصحه ، و أحلّ حلاله ، و حرّم حرامه ،

و صدّق بما سلف من الحقّ ، و اعتبر (4372) بما مضى من الدّنيا لما بقي منها ، فإنّ بعضها يشبه بعضا ، و آخرها لاحق بأوّلها و كلّها حائل (4373) مفارق . و عظّم اسم اللّه أن تذكره إلاّ على حقّ ، و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت ، و لا تتمنّ الموت إلاّ بشرط وثيق (4374) .

و احذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه ، و يكره لعامّة المسلمين . و احذر كلّ عمل يعمل به في السّرّ ، و يستحى منه في العلانية ، و احذر كلّ عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه . و لا تجعل عرضك

----
(447) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 632 ، ط كمپانى و ص 582 ، ط تبريز .

[302]

غرضا لنبال القول ، و لا تحدّث النّاس بكلّ ما سمعت به ، فكفى بذلك كذبا . و لا تردّ على النّاس كلّ ما حدّثوك به ، فكفى بذلك جهلا . و أكظم الغيظ ، و تجاوز عند المقدرة ، و احلم عند الغضب ،

و اصفح مع الدّولة (4375) ، تكن لك العاقبة . و استصلح كلّ نعمة أنعمها اللّه عليك ، و لا تضيّعنّ نعمة من نعم اللّه عندك ، و لير عليك أثر ما أنعم اللّه به عليك .

و اعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة (4376) من نفسه و أهله و ماله ، فإنّك ما تقدّم من خير يبق لك ذخره ، و ما تؤخّره يكن لغيرك خيره . و احذر صحابة من يفيل (4377) رأيه ، و ينكر عمله ، فإنّ الصّاحب معتبر بصاحبه . و اسكن الأمصار العظام فإنّها جماع المسلمين ،

و احذر منازل الغفلة و الجفاء و قلّة الأعوان على طاعة اللّه . و اقصر رأيك على ما يعنيك . و إيّاك و مقاعد الأسواق ، فإنّها محاضر الشّيطان ،

و معاريض (4378) الفتن . و أكثر أن ينظر إلى من فضّلت عليه (4379) ،

فإنّ ذلك من أبواب الشّكر ، و لا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصّلاة إلاّ فاصلا (4380) في سبيل اللّه ، أو في أمر تعذر به .

و أطع اللّه في جميع أمورك ، فإنّ طاعة اللّه فاضلة على ما سواها .

[303]

و خادع نفسك في العبادة ، و ارفق بها و لا تقهرها ، و خذ عفوها (4381) و نشاطها ، إلاّ ما كان مكتوبا عليك من الفريضة ، فإنّه لا بدّ من قضائها و تعاهدها عند محلّها . و إيّاك أن ينزل بك الموت و أنت آبق (4382) من ربّك في طلب الدّنيا . و إيّاك و مصاحبة الفسّاق ، فإنّ الشّرّ بالشّرّ ملحقّ . و وقّر اللّه ، و أحبب أحبّاءه . و احذر الغضب ، فإنّه جند عظيم من جنود إبليس ، و السّلام .

إيضاح

« بحبل القرآن » لعلّ الإضافة بيانيّة ، كما قال صلّى اللّه عليه و آله في حديث الثقلين : كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض . « و انتصحه » أي عدّه لك ناصحا فيما أمرك به و نهاك عنه . و « أحلّ حلاله » أي اعتقده كذلك و اعمل به . « و صدّق بما سلف » أي صدّق بما تضمّنه القرآن من أيّام اللّه و مثلاته في الأيّام السالفة و النبيّين و المرسلين و ما جاؤوا به ، أو بما ظهر لك حقيقة من الأمور السالفة من ابتداء العالم و حدوثه و بعث النبيّين و أحوالهم و غيرها سوآء ظهر من الكتاب أو السنّة أو البرهان العقليّ . « و كلّها حائل » أي متغيّر . « إلاّ على حقّ » أي على حقّ عظيم معتدّ به من الأموال ، أو مطلقا مالا أو غيره ، أو الغرض عدم الحلف على الباط . « و لا تتمنّ الموت » أي لا تطلبه إلاّ مقرونا و مشروطا بأن يكون صلاحك فيه و تدخل الجنّة بعده و تكون مغفورا مبرورا .

و قال ابن أبي الحديد 448 : أي إلاّ و أنت واثق من أعمالك الصالحة أنّها تؤدّيك إلى الجنّة و تنقذك من النار ، و هذا معنى قوله تعالى لليهود : فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ لاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ 449 . انتهى .

----

(448) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 44 ، ط بيروت .

----

(449) الجمعة : 7 6 .

و أقول : على هذا لعلّه يرجع إلى النهي عن تمنّي الموت مطلقا فإنّ ذلك الوثوق ممّا لا يكاد يحصل لأحد سوى الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام .

« و لا تجعل عرضك غرضا » أي اتّق مواضع التّهم ، و « الغرض » الهدف .

و « النبل » السهام العربيّة ، و لا واحد له من لفظه ، و « النبال » جمع الجمع . و « الصفح مع الدولة » العفو عند الغلبة على الخصم . « و استصلح كلّ نعمه » أي استدم نعم اللّه تعالى بشكرها . و تضييعها بترك الشكر أو بصرفها في غير مصارفها المشروعه . و « رؤية أثر النعمة » باستعمالها كلبس الفاخر من الثياب و إطعام الطعام . و « التقدمة من النفس » بذلها في الجهاد و إتعابها و إذا بتها بالصيام و القيام ، و من الأهل ببعث الأولاد و العشيرة إلى الجهاد و عدم المبالاة بما أصابهم في سبيل اللّه و الرضا بقضاء اللّه في مصائبهم ، و من المال بإنفاقه في طاعة اللّه . « و إنّك ما تقدّم » إشارة إلى قوله تعالى وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً 450 و قال الجوهري : « فال رأيه » ضعف ، و « رجل فال » أي ضعيف الرأي ،

مخطىء الفراسة .

« فإنّ الصاحب معتبر » قال ابن ميثم : فإنّك تقاس بصاحبك و ينسب فعلك إلى فعله و لأنّ الطبع مع الصحبة أطوع للفعل منه للقول ، فلو صحبه لشابه فعله فعله . و في القاموس : صحبه كسمعه صحابة و يكسر .

و في الصحاح : « الجماع » ما جمع شيئا ، يقال : الخمر جماع الإثم . « و احذر منازل الغفلة » كالقرى و البوادي و كلّ منزل يكون أهله غافلين عن اللّه ، جافين لأوليائه ، باعدين عن الآداب الحسنة ، غير معتنين على طاعة اللّه . « على ما يعينك » أي يهمّك . و « المعاريض » جمع « معرض » بفتح الميم أو كسرها ، و هو محلّ عروض الشيء و ظهوره .

قال الجوهري : « المعرض » ثياب تحلّى فيها الجواري . « إلاّ فاصلا » أي

----

(450) المزمّل : 20 .

[305]

شاخصا . قال تعالى : وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ 451 .

« أو في أمر تعذر به » أي لضرورة تكون عذرا شرعا . « في جمل أمورك » 452 أي في جعلتها و كلّها . « و خادع نفسك » أي بأخذ عفوها و نشاطها و ترغيبها إلى العباد بذكر الوعد و الوعيد و صحبة العباد و النظر إلى أطوارهم الحسنة من غير قهر و جبر حتّى يملّ و يضجر ، بل بأن يتلطّف لها و لا يحملها فوق طاقتها . و قال الجوهري : « عفو المال » ما يفضل عن النفقة . « فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق » لعلّ المراد بالشرّ الثاني صحبة الفاسق ، و بالأوّل سوء العاقبة ، أو بالأوّل ما تكتسبه النفس من تلك المصاحبة ، و قيل : أي الشرّ يقوى بالشرّ كالنار تقوى بالنار ، فمخالطتهم جاذبة لك إلى مساعدتهم و في بعض النسخ ملحق بصيغة اسم الفاعل أي يلحقك الشرّ بالشرّ . 453 [ثمّ هناك توضيحات في مواضع أخرى من بحار الأنوار في شرح و بيان قسمة من هذا الكتاب ، و إنّا نذكرها فيما يلي :] بيان : أي لا تتمنّ الموت إلاّ مشروطا بالمغفرة أو بعد تحصيل ما يوجب رفع درجات الآخرة في بقيّة العمر . و قال ابن أبي الحديد : أي لا تتمنّ الموت إلاّ و أنت واثق من أعمالك الصالحة أنّها تؤدّيك إلى الجنّة و تنقذك من النار .

أقول : على هذا يحتمل أن يكون نهيا عن تمنّي الموت مطلقا فإنّ ذلك الوثوق لا يكاد يحصل لأحد سوى الأنبياء و الأئمة عليهم السلام . 454 إيضاح : « في جمل أمورك » أي جميعها . « و خادع نفسك » أي حمّلها ما ثقل عليها من الطاعات بلطف و مداراة من غير عنف ، حتّى تتابعك و توافقك عليها . « و خذ عفوك » أي ما فضل من أوقاتها عن ضروريّاتها ، لتكون ناشطة فيها ، و لا تكلّفها فوق طاقتها و ما يشقّ عليها فتملّ و تضجر . قال الجوهري : « عفو المال » ما يفضل

----

(451) يوسف : 94 .

----

(452) هكذا روي في البحار .

----

(453) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 637 ، ط كمپانى و ص 587 ، ط تبريز .

----

(454) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الطهارة ، ص 180 .

[306]

عن النفقة 455 بيان : « فاصلا » أي شاخصا ، قال تعالى : وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ . و اعلم أنّه نقل العلاّمة و غيره الإجماع على تحريم السفر بعد الزوال لمن وجبت عليه الصلاة [456] و كذا على كراهته بعد الفجر .

و اعترض على الأوّل بأنّ علّة تحريم السفر استلزامه لفوات الجمعة ، و مع التحريم يجوز إيقاعها [457] فتنتفي العلّة فكذا المعلول و هو التحريم ، و هذا دور فقهيّ و هو ما يستلزم وجوده عدمه .

و أجيب بأنّ علّة حرمة السفر استلزام جوازه لجواز تفويت الواجب ،

و الاستلزام المذكور ثابت سواء كان السفر حراما أو مباحا ، فتأمّل . 458

----

(455) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 87 ، باب جوامع أحكام النوافل اليوميّة ، ص 31 .

[456] و ذلك لأنّ إجابة النداء واجبة و من لم يجب النداء فقد عصى ، سواء اشتغل بالسفر أو اختفى في بيته و نام .

[457] جواز ايقاع صلاة الجمعة للمسافر انّما يستلزم جواز السفر إذا كان متمكّنا في سفره ذلك من إقامة الجمعة ، كما إذا سافر من قريته و قد سمع النداء بها و أدرك الصلاة في البلد أو قرية أخرى مثلها يقام فيها الجمعة ، و أمّا إذا سمع النداء ثمّ خرج عن البلد و ليس يدرك في سفره ذلك صلاة جمعة أخرى ، فالعصيان مقطوع به كما عرفت .

----

(458) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 89 ، كتاب الصلاة ، ص 199 200 .

[307]

70 و من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الانصاري ، و هو عامله على المدينة ، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ رجالا ممّن قبلك (4383) يتسلّلون (4384) إلى معاوية ، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ، و يذهب عنك من مددهم ، فكفى لهم غيّا (4385) ، و لك منهم شافيا ، فرارهم من الهدى و الحقّ ، و إيضاعهم (4386) إلى العمى و الجهل ، و إنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها ، و مهطعون إليها (4387) ، و قد عرفوا العدل ورأوه ، و سمعوه و وعوه ، و علموا أنّ النّاس عندنا في الحقّ أسوة ، فهربوا إلى الأثرة (4388) ،

فبعدا لهم و سحقا (4389) إنّهم و اللّه لم ينفروا من جور ، و لم يلحقوا بعدل ، و إنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّل لنا صعبه ، و يسهّل لنا حزنه (4390) ،

إن شاء اللّه ، و السّلام .

بيان

« في معنى قوم » أي في شأنهم و أمرهم . « يتسلّلون » أي يخرجون إلى معاوية هاربين في خفية و استتار . قال الفيروزآبادي : « انسلّ » انطلق في استخفاء .

و قال الجوهري : « انسلّ من بينهم » خرج ، و « تسلّل » مثله . و قال : « وضع البعير و غيره » أي أسرع في سرّه ، و أوضعه راكبه .

و في النهاية : « الإهطاع » الإسراع في العدو . و « أهطع » إذا مدّ عنقه و صوّب

[308]

رأسه . « في الحقّ أسوة » أي لا نفضل بعضهم على بعض في العطاء كما يفعل معاوية .

و في النهاية فيه : إنّه قال للأنصار : « إنّكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا » .

« الأثرة » بفتح الهمزة و الثآء ، الاسم من « آثر يؤثر إيثارا » إذا أعطى . أراد أنه يستأثر عليكم فيفضّل غيركم في نصيبه من الفيء . و « الاستئثار » الانفراد بالشيء . و « السّحق » بالضمّ البعد و الحزن من الأرض ضدّ السهل . 459

71 و من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي ، و قد خان في بعض ما ولاّه من أعماله

أمّا بعد ، فإنّ صلاح أبيك غرّني منك ، و ظننت أنّك تتّبع هديه (4391) ، و تسلك سبيله ، فإذا أنت فيما رقّي (4392) إليّ عنك لا تدع لهواك انقيادا ، و لا تبقي لآخرتك عتادا (4393) . تعمر دنياك بخراب آخرتك ،

و تصل عشيرتك بقطيعة دينك . و لئن كان ما بلغني عنك حقّا ،

لجمل أهلك و شسع (4394) نعلك خير منك ، و من كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ به ثغر ، أو ينفذ به أمر ، أو يعلى له قدر ، أو يشرك في أمانة ، أو يؤمن على جباية (4395) ، فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا ، إن شاء اللّه . قال الرضي : و المنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السّلام :

----

(459) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 640 ، ط كمپانى و ص 591 ، ط تبريز .

[309]

إنه لنظّار في عطفيه (4396) مختال في برديه (4397) ، تفّال في شراكيه (4398) .

إيضاح

« الهدي » بالفتح ، السيرة الحسنة . « فيما رقّي » بالتشديد ، أي فيما رفع إليّ ، و أصله أن يكون الانسان في موضع عال فيرقى إليه شيء ، و كان العلوّ ههنا هو علوّ الرتبة بين الإمام و الأمير ، نحو قولهم « تعال » باعتبار علوّ رتبة الآمر على المأمور .

كذا ذكره ابن أبي الحديد و قال : اللام في « لهواك » متعلّقة بمحذوف دلّ عليه « انقياد » لأنّ المتعلّق من حروف الجرّ بالمصدر لا يجوز أن يتقدّم على المصدر . « و العتاد » العدّة . و قال : العرب تضرب المثل بالجمل في الهوان . 460 و قال ابن ميثم : « جمل الأهل » ممّا يتمثّل به في الهوان ، و أصله فيما قيل : إنّ الجمل يكون لأبي القبيلة فيصير ميراثا لهم يسوقه كلّ منهم و يصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم . 461 و « شسع نعلك » قال الجوهري : هي الّتي تشدّ إلى زمامها . و قال ابن أبي الحديد : المثل بها في الاستهانة مشهور لابتذالها و وطئها الاقدام في التراب . 462 « أو يشرك في أمانة » قال ابن ميثم : الخلفاء أمناء في بلاده ، فمن ولّوه من قبلهم فقد أشركوه في أمانتهم . 463 « أو يؤمن على جباية » قال ابن أبي الحديد : أي على استجبآء الخراج و جمعه .

و هذه الرواية الّتي سمعناها ، و من الناس من يرويها « على خيانة » بالخآء المعجمة و النون ، و هكذا رواها القطب الراوندي رحمه اللّه ، و لم يرو الرواية الصحيحة الّتي ذكرناها نحن . و قال : « على » تكون متعلّقة بمحذوف ، أو ب « يؤمن » نفسها ، و هذا

----

(460) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 58 ، ط بيروت .

----

(461) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 228 .

----

(462) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 58 ، ط بيروت .

----

(463) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 228 .

[310]

بعيد و متكلّف . 464 و قال ابن ميثم : أي تؤمن حال خيانتك لأنّ كلمة ، « على » تفيد الحال . 465 انتهى .

و أقول : يمكن أن يقدّر فيه مضاف ، أي على إزالة خيانة أو يراد بالجباية المال الّذي هو بمعرضها . « النّظار في عطفيه » أي ينظر كثيرا في جانبيه تارة هكذا لإصلاح ثوبه أو إعجابه بنفسه .

و قال ابن أبي الحديد : « الشراك » السير الّذي يكون في النعل على ظهر المقدم .

و « التفل » بالسكون ، مصدر « تفل » أي بصق و « التفل » محرّكا ، البصاق نفسه .

و « المختال » إنّما يفعله في شراكيه ليذهب عنهما الغبار و الوسخ ، بتفل فيهما و يمسحهما ليعود كالجديدين . و قال ابن الأثير : « التفل » نفخ معه أدنى بزاق و هو أكثر من النفث . 466

72 و من كتاب له عليه السلام إلى عبد اللّه بن العباس

أمّا بعد ، فإنّك لست بسابق أجلك ، و لا مرزوق ما ليس لك ،

و اعلم بأنّ الدّهر يومان : يوم لك و يوم عليك ، و أنّ الدّنيا دار دول (4399) ، فما كان منها لك أتاك على ضعفك ، و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك .

----

(464) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 58 ، ط بيروت .

----

(465) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 228 .

----

(466) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 587 ، ط تبريز .

73 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية

أمّا بعد ، فإنّي على التّردّد في جوابك ، و الاستماع إلى كتابك ،

لموهّن (4400) رأيي ، و مخطّىء فراستي (4401) . و إنّك إذ تحاولني الأمور (4402) و تراجعني السّطور (4403) ، كالمستثقل النّائم تكذبه أحلامه (4404) ، و المتحيّر القائم يبهظه (4405) مقامه ، لا يدري أله ما يأتي أم عليه ، و لست به ، غير أنّه بك شبيه . و أقسم باللّه إنّه لو لا بعض الاستبقاء (4406) ، لوصلت إليك منّي قوارع (4407) ، تقرع (4408) العظم ، و تهلس (4409) اللّحم و اعلم أنّ الشّيطان قد ثبّطك (4410) عن أن تراجع أحسن أمورك ، و تأذن (4411) لمقال نصيحتك ، و السّلام لأهله .

بيان

« فإنّي على التردّد » قال ابن أبي الحديد 467 : ليس معناه التوقّف ، بل الترداد و التكرار أي أنا لائم نفسي على أنّي أكرّر تارة بعد تارة أجوبتك عمّا تكتبه و أجعلك نظيرا لي ، أكتب و تكتب و تجيبني و أجيبك ، و إنّما كان ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت .

« لموهّن رأيي » الى [468] أعدّه واهنا ضعيفا ، و الغرض المبالغة في عدم استحقاقه

----

(467) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 63 ، ط بيروت .

[468] الظاهر أنّ « أي » صحيح (المصحّح) .

للجواب و إلاّ فلا يكن فعله عليه السلام إلاّ حقّا و صوابا . « و إنّك إذ تحاولني الأمور » الظاهر من كلام الشارحين أنّهما حملا المحاولة على معنى القصد و الارادة ، و حينئذ يحتاج إلى تقدير حرف الجرّ ، و يحتمل أن يكون مفاعلة من حال بمعنى حجز و منع ، أي تمانعني الأمور . « و تراجعني السطور » أي بالسطور .

« كالمستثقل النائم » قال ابن أبي الحديد : أي كالنائم يرى أحلاما كاذبة ،

او كمن قام بين [469] يدي سلطان ، أو بين قوم عقلاء ليعتذر عن أمر أو ليخطب الأمر في نفسه . « قد بهضه مقامه ذلك » أي أثقله ، فهو لا يدري هل ينطق بكلام هو له أم عليه فيتحيّر . انتهى . 470 و في قوله عليه السلام « أنّه بك شبيه » إيذان بأنّ معاوية أقوى في ذلك . و يقال : « استبقيت من الشيء » أي تركت بعضه ، و « استبقاه » أي استحياه . و يحتمل أن يكون من « أبقيت عليه » أي رحمته .

« نوازع تقرع العظم » قال ابن أبي الحديد : روي « نوازع » جمع « نازعة » أي جاذبة قالعة ، و يروى « قوارع » بالقاف و الراء . و يروى « تهلس اللحم » و « تلهس » بتقديم اللام . فأمّا « تهلس » بكسر اللام ، فالمعنى تذيبه حتّى تصير كبدن به اهلاس و هو السلّ . و أمّا « تلهس » فهو بمعنى تلحس ، أبدلت الحاء هاء و هو من « لحست كذا بلساني بالكسر ألحسه » أي تأتي على اللحم حتّى تلحسه لحسا ، لأنّ الشّيء إنّما يلحس إذا ذهب و بقي أثره . و يروى « ينهس » بالنون و السين المهملة ، و النهس و النهش بالمهملة و المعجمة هو أخذ اللحم بمقدّم الأسنان . 471 و أمّا « بعض الاستبقاء » الّذي أشار اليه عليه السلام فقال ابن ميثم :

« أولا بعض المصالح لوصلت إليك منّي قوارع » و أراد شدائد الحرب .

[469] في المصدر : كمن قام مقاما .

----
(470) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 63 ، ط بيروت .

----
(471) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 62 ، ط بيروت .

و قال ابن أبي الحديد : الإماميّة تقول : إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فوّض إليه أمر نسائه بعد موته و جعل إليه أن يقطع عصمة أيّتهنّ شاء إذا رأى ذلك . و له من الصحابة جماعة يشهدون له بذلك ، فقد كان قادرا على أن يقطع عصمة أمّ حبيبة و يبيح نكاحها للرجال عقوبة لها و لمعاوية ، فإنّها كانت تبغض عليّا كما يبغضه أخوها و لو فعل ذلك لا تنهش لحمه . و قد رووا عن رجالهم أنّه تهدّد عائشة بضرب من ذلك .

قال : و أمّا أصحابنا ، فيقولون : قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يلعن معاوية بعد إسلامه و يقول : إنّه منافق كافر و إنّه من أهل النار .

و الأخبار في ذلك مشهورة ، فلو شاء أن يحمل إلى أهل الشام خطوطهم و شهاداتهم بذلك و أسمعهم قوله مشافهة لفعل ، و لكن رأى العدول عن ذلك مصلحة لأمر يعلمه هو عليه السلام .

و قال أبو زيد البصريّ : إنّما أبقى عليه لأنّه خاف أن يفعل معاوية كفعله عليه السلام فيقول لعمرو بن العاص و حبيب بن مسلمة و يسر بن أرطاة و أمثالهم :

ارووا أنتم عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه كان يقول في عليّ عليه السلام أمثال ذلك . 472 انتهى .

و قال الجوهري : « ثبّطه عن الأمر تثبيطا » شغله عنه . و قال : « أذن له إذنا » استمع . 473

74 و من كتاب له عليه السلام كتبه بين ربيعة و اليمن ، و نقل من خط هشام بن الكلبي

هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها و باديها ، و ربيعة

----

(472) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 65 ، ط بيروت .

----

(473) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 550 ، ط كمپانى و ص 508 ، ط تبريز .

[314]

حاضرها (4412) و باديها (4413) ، أنّهم على كتاب اللّه يدعون إليه ، و يأمرون به ، و يجيبون من دعا إليه و أمر به ، لا يشترون به ثمنا ، و لا يرضون به بدلا ، و أنّهم يد واحدة على من خالف ذلك و تركه ، أنصار بعضهم لبعض : دعوتهم واحدة ، لا ينقضون عهدهم لمعتبة (4414) عاتب ، و لا لغضب غاضب ، و لا لاستذلال قوم قوما ، و لا لمسبّة قوم قوما على ذلك شاهدهم و غائبهم ، و سفيههم و عالمهم ،

و حليمهم و جاهلهم . ثمّ إنّ عليهم بذلك عهد اللّه و ميثاقه « إنّ عهد اللّه كان مسؤولا » . و كتب : علي بن أبي طالب .

بيان

قال ابن أبي الحديد : « الحلف » العهد ، و قال : « اليمن » كلّ من ولده قحطان ،

نحو حميروعك و جذام و كندة و الازد و غيرهم . و « ربيعة » هو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، و هم بكر و تغلب و عبد القيس . 474 و « الحاضر » ساكن الحضر و « البادي » ساكن البادية . « أنّهم على كتاب اللّه » أي مجتمعون عليه لا يشترون به ثمنا ، أي لا يتعوّضون بثمن . و « أنّهم يد واحدة » أي لا تخالف بينهم و فعلهم فعل واحدة .

و قال الجوهري : عتب عليه أي وجد عليه يعتب و يعتب عتبا و معتبا و الاسم « المعتبة » . « و لا لمسبّة قوم » أي لأنّ إنسانا منهم سبّ أو هجا بعضهم ، و « المسبّة و السب » الشتم . و « الحليم » العاقل بقرينة الجاهل أو ذو الأناة ، فإنّ ترك الأناة من الجهل . « إنّ عهد اللّه كان مسؤولا » أي مطلوبا يطلب من العاهد أن لا يضيعه

----

(474) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 67 ، ط بيروت .

[315]

و يفي به ، أو مسؤولا عنه يسأل الناكث و يعاتب عليه ، و قيل : أي إنّ صاحب العهد كان مسؤولا و قال ابن ميثم 475 : في رواية : « و كتب عليّ بن أبي طالب » . و هي المشهورة عنه ، و وجهها أنّه جعل هذه الكنية علما بمنزلة لفظة واحدة لا يتغيّر إعرابها . 476

75 و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول ما يويع له ذكره الواقدي في كتاب « الجمل »

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

أمّا بعد ، فقد علمت إعذاري (4415) فيكم ، و إعراضي عنكم ، حتّى كان ما لا بدّ منه و لا دفع له ، و الحديث طويل ، و الكلام كثير ، و قد أدبر ما أدبر ، و أقبل ما أقبل . فبايع من قبلك (4416) ، و أقبل إليّ في وفد (4417) من أصحابك . و السّلام .

بيان

قوله عليه السلام « إعذاري فيكم » يحتمل أن يكون الخطاب لبني أميّة أو لجميع الأمّة ، و اختار ابن أبي الحديد الأوّل و قال : أي مع كوني ذا عذر لو ذممتكم و أسأت إليكم فلم أفعله ، بل أعرضت عن إساءتكم إليّ و ضربت عنكم

----

(475) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 232 .

----

(476) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 641 ، ط كمپاني و ص 591 ، ط تبريز .

صفحا « حتّى كان ما لا بدّ منه » يعني قتل عثمان . 477 و قال ابن ميثم : يعني إعذاره إلى اللّه فيهم و إظهار عذره باجتهاده في نصيحته عثمان أوّلا و نصرة بني أميّة بالذبّ عنه ثانيا . و إعراضه عنهم بعد إياسه عنهم من قبول عثمان نصيحته و من نصرته و الدفع عنه حتّى كان ما لا بدّ منه و لا دفع له من قبله . 478 انتهى .

قيل : و يحتمل أن يكون المراد بإعذاره عليه السلام استنكافه عن البيعة أوّلا و هو إعراضه عنهم . و ما لا بدّ منه و لا دفع له هو خلافته عليه السلام و قد مرّ مثله في مخاطبة طلحة و الزبير ، فالخطاب لجميع الأمّة . قوله عليه السلام « و قد أدبر ما أدبر » أي أدبر ذلك الزمان و أقبل زمان آخر . و في بعض النسخ « من أدبر » أي بعض الناس أقبلوا إليّ و بعضهم أدبروا كطلحة و الزبير و أشباههما .

و قال الجوهري : « وفد فلان على الأمير » ورد رسولا فهو « وافد » و الجمع « وفد » مثل صاحب و صحب . 479

76 و من وصية له عليه السلام لعبد اللّه بن العباس ، عند استخلافه إياه على البصرة

سع النّاس بوجهك و مجلسك و حكمك ، و إيّاك و الغضب فإنّه طيرة (4418) من الشّيطان . و اعلم أنّ ما قرّبك من اللّه يباعدك من النّار ،

و ما باعدك من اللّه يقرّبك من النّار .

----

(477) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 68 ، ط بيروت .

----

(478) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 232 .

----

(479) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 468 ، ط كمپاني و ص 433 ، ط تبريز .

بيان

« سع الناس » أي لا تخصّ بعض الناس بشيء من ذلك ، بل ساوهم فيها . و « مجلسك » أي تقريبهم منك في المجلس . « طيرة من الشيطان » في بعض النسخ بفتح التآء [480] و سكون اليآء و في بعضها بكسر التآء [481] و فتح اليآء قال الجوهري :

« في فلان طيرة و طيرورة » أي خفّة و طيش ، و « الطيرة » مثال الغبتة هو ما يتشأّم به من الردى . و انتهى .

و الأوّل هنا أظهر و على الثاني يمكن أن يكون المراد أنّ ذلك قال : ردى ناش من الشيطان يدلّ على أنّ صاحبه بعيد من رحمة اللّه . 482

77 و من وصية له عليه السلام لعبد اللّه بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لا تخاصمهم بالقرآن ، فإنّ القرآن حمّال (4419) ذو وجوه ، تقول و يقولون ، و لكن حاججهم بالسّنّة ، فإنّهم لن يجدوا عنها محيصا (4420) .

بيان

« و لكن حاجّهم 483 بالسنّة » قال ابن أبي الحديد : كقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله : « عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار » . 484 و غير ذلك من النصوص . و قال الجوهري : يقال : « ما عنه محيص » أي محيد و مهرب 485 .

[480] الظاهر أنّ الطاء صحيحة (المصحّح) .

[481] الظاهر أنّ الطاء صحيحة (المصحّح) .

----

(482) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 635 ، ط كمپانى و ص 585 ، ط تبريز .

[483] لا فرق بين « حاجّهم » و « حاججهم » ، فإنّ في الأمر من المضاعف يجوز الإدغام و التفكيك (المصحّح) .

----

(484) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 72 ، ط بيروت .

----

(485) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 560 ، ط تبريز .

[318]

78 و من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جوابا في أمر الحكمين ،

ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب « المغازي » .

فإنّ النّاس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم ، فمالوا مع الدّنيا ، و نطقوا بالهوى . و إنّي نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا (4421) ،

اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم ، و أنا أداوي منهم قرحا (4422) أخاف أن يكون علقا (4423) . و ليس رجل فاعلم أحرص على جماعة أمّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ألفتها منّي ، أبتغي بذلك حسن الثّواب ، و كرم المآب (4424) . وسأ في بالّذي و أيت (4425) على نفسي ، و إن تغيّرت عن صالح ما فارقتني عليه ، فإنّ الشّقيّ من حرم نفع ما أوتي من العقل ، و التّجربة ، و إنّي لأعبد (4426) أن يقول قائل بباطل ،

و أن أفسد أمرا قد أصلحه اللّه . فدع ما لا تعرف ، فإنّ شرار النّاس طائرون إليك بأقاويل السّوء ، و السّلام .

بيان

« من حظّهم » أي من الآخرة منزلا معجبا . قال ابن أبي الحديد : أي يعجب من رآه ، أي يجعله متعجّبا فيه . و هذا الكلام شكوى من أصحابه و نصاره [486] من أهل العراق ، فإنّه كان اختلافهم عليه و اضطرابهم شديدا جدّا . و « المنزل » و « النزول » هيهنا مجاز و استعارة ، و المعنى أنّي حصلت في هذا الأمر الّذي حصلت فيه

[486] الظاهر أنّ « أنصاره » صحيح (المصحّح) .

على حال معجبة لمن تأمّلها . 487 و قال الجوهري : « العجيب » الأمر يتعجّب منه ، و « عجبت من كذا » و « تعجّب » بمعنى ، و أعجبني هذا الشيء لحسنه ، و قد أعجب فلان بنفسه فهو معجب بنفسه و برأيه ، و الاسم « العجب » بالضمّ . انتهى .

« فإنّي أداوي منهم قرحا » قال ابن ميثم : استعار لفظ « القرح » لما فسد من حاله باجتماعهم على التحكيم و لفظ « المداواة » لاجتهاده في إصلاحهم . و روي « أداري » . و كذلك استعار لفظ « العلق » و هو الدم الغليظ لما يخاف من تفاقم أمرهم . و قوله « فاعلم » إعتراض حسن بين « ليس » و خبرها . « بالّذي و أيت » أي وعدت و ضمنت من شرط الصلح على ما وقع عليه عن صالح ما فارقتني عليه أي من وجوب الحكم بكتاب اللّه و عدم اتّباع الهوى و الاغترار بمقارنة الأشرار .

قال ابن أبي الحديد : يجوز أن يكون قوله عليه السلام « و إن تغيّرت » من حملة قوله عليه السلام فيما بعد « فإنّ الشقيّ » كما تقول : « إن خالفتني » . فإنّ الشقيّ من يخالف الحقّ ، لكن تعلّقه بالسابق أحسن لأنّه أدخل في مدح أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه كأنّه يقول : أنا أفي و إن كنت لا تفي ، و الضدّ يظهر حسن [488] الضدّ . « و إنّي لأعبد » أي إنّي آنف من أن يقول غيري قولا باطلا ، فكيف لا آنف ذلك أنا من نفسي .

و قال الجوهري : قال أبو زيد : « العبد » بالتحريك ، الغضب و الأنف و الاسم « العبدة » مثل « الأنفة » . و « قد عبد » أي أنف . « فدع مالا تعرف » أي لا تبن أمرك إلا على اليقين . « فإنّ شرار الناس » أي لا تصغ إلى أقوال الوشاة ، فإنّ الكذب يخالط أقوالهم كثيرا ، فلا تصدّق ما عساه يبلغك عنّي فإنّهم سراع 489 إلى أقاويل

[487] شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 75 ، ط بيروت .

[488] في المصدر : حسنه .

[489] في معتقدي أنّ هذه الكلمة ليست بصحيحة ، لأنّ « السراع » جمع « السريعة » ، و لكن جمع « السريع » يكون « سرعان » ، و هذا صحيح هنا لأنّ ضمير « هم » يكون للجمع المذكّر و « السراع » يكون للجمع المؤنّث (المصحّح) .

السوء . 490

79 و من كتاب له عليه السلام لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أمّا بعد ، فإنّما أهلك من كان قبلكم أنّهم منعوا النّاس الحقّ فاشتروه ، و أخذوهم بالباطل فاقتدوه (4427)

إيضاح

« فاشتروه » قال ابن أبي الحديد : أي فاشتري الناس الحقّ منهم بالرشا و الأموال ، أي لم يضعوا الأمور مواضعها و لا ولّوا الولايات مستحقيها و كانت أمورهم [491] تجري على وفق الهوى و الأغراض الغرض الفاسدة ، فاشترى الناس منهم الميراث و الحقوق كما يشترى السلع بالأموال . 492 و روي « فاستروه » بالسين المهملة ، أي اختاروه . تقول : « استريت خيار المال » أي اخترته ، و يكون الضمير عائدا إلى الظّلمة لا إلى الناس ، أي منعوا الناس حقهم من المال و اختاروه لأنفسهم و استأثروا به . « و أخذوهم بالباطل » أي حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعد السلف فاقتدوا بآبائهم و أسلافهم في ارتكاب ذلك الباطل ظنّا منهم أنّه حقّ لما قد ألفوه و نشأوا عليه .

و قال ابن ميثم 493 : « اشتروه » أي باعوه و تعوّضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى : وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ 494 . و كذلك قوله عليه السلام « أخذوهم

----

(490) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 545 ، ط تبريز .*

[491] في المصدر : و كانت أمورهم الدينيّة و الدنياويّة .

----

(492) *شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 79 ، ط بيروت .*

----

(493) *شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 237 .*

----

(494) *يوسف : 20 .*

[321]

بالباطل فاقتدوه » أي اقتدوا الباطل و سلكوا فيه مسلك من أخذهم به كقوله تعالى فَبِهُدَيهُمُ اقْتَدِهْ 495 انتهى .

قيل : و يحتمل إرجاع الضمير المرفوع في قوله عليه السلام « اشتروه » إلى الناس و المنصوب إلى المنع المذكور في ضمن قوله « منعوا » أي إنّما أهلك من كان قبلكم أنّ الظالمين منهم تصرّفوا في أمورهم و صاروا خلفاء فيهم ، حكّاما بينهم . و هو معنى « منعهم الحقّ » فرضوا بذلك و تعوّضوا به عن الحقّ و خلفائه . فالاشتراء كناية عن الرضا و استعارة لتعوّضهم أو مجاز فيه و أمّا الضمير المنصوب في قوله عليه السلام « فاقتدوه » فيحتمل الإرجاع إلى الأخذ ، فيكون نظير السابقة أو إلى الباطل .

أقول : و في بعض النسخ « فافتدوه » بالفآء ، أي أخذوهم بأحكام الجور فأعطوا الفدآء ليتخلّصوا منهم ، فالضمير راجع إلى الباطل و لعلّه أنسب . 496

----

(495) *الأنعام : 91 .*

----

(496) *بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 632 ، ط كمپاني و ص 583 ، ط تبريز .*

[323]

حكم أمير المؤمنين عليه السلام

[325]

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام و يدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله و الكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

1

قال عليه السّلام : كن في الفتنة كابن اللّبون (4428) ، لا ظهر فيركب ، و لا ضرع فيحلب .

2

و قال عليه السلام : أزرى (4429) بنفسه من استشعر (4430) الطّمع ، و رضي بالذّلّ من كشف عن ضرّه ، و هانت عليه نفسه من أمّر (4431) عليها لسانه .

3

و قال عليه السلام : البخل عار ، و الجبن منقصة ، و الفقر يخرس الفطن عن حجّته ، و المقلّ غريب في بلدته (4432) .

4

و قال عليه السلام : العجز آفة ، و الصّبر شجاعة ، و الزّهد ثروة ، و الورع جنّة (4433) ، و نعم القرين الرّضي .

[326]

5

و قال عليه السلام : العلم وراثة كريمة ، و الآداب حلل مجدّدة ، و الفكر مرآة صافية .

6

و قال عليه السلام : صدر العاقل صندوق سرّه ، و البشاشة حبالة (4434) المودّة ، و الاحتمال (4435) قبر العيوب .

و روي أنه قال في العبارة عن هذا المعنى أيضا : المسألة خباء العيوب ، و من رضي عن نفسه كثر السّاخط عليه .

7

و قال عليه السلام : الصّدقة دواء منجح ، و أعمال العباد في عاجلهم ، نصب أعينهم في آجالهم .

8

و قال عليه السلام : اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم (4436) ،

و يتكلّم بلحم (4437) ، و يسمع بعظم (4438) ، و يتنفّس من خرم

9

و قال عليه السلام : إذا أقبلت الدّنيا على أحد أعارته محاسن غيره ، و إذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

10

و قال عليه السلام : خالطوا النّاس مخالطة إن متّم معها بكوا عليكم ، و إن عشتم حنّوا إليكم .

[327]

11

و قال عليه السلام : إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه .

12

و قال عليه السلام : أعجز النّاس من عجز عن اكتساب الإخوان ، و أعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم .

13

و قال عليه السلام : إذا وصلت إليكم أطراف النّعم (4439) فلا تنفّروا أقصاها (4440) بقلّة الشّكر .

14

و قال عليه السلام : من ضيّعه الأقرب أتيح له (4441) الأبعد

15

و قال عليه السلام : ما كلّ مفتون (4442) بعاتب .

بيان

قال ابن أبي الحديد : قالها لسعد بن أبي وقّاص و عبد اللّه بن عمر [1] لما امتنعا [2] من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل . 3 أقول : هذا غير ثابت ، ثمّ إنّ الكلام يحتمل وجهين : الأوّل أنّه ليس كلّ مفتون مستحقّا للعتاب إذ يمكن أن يكون سبب فتنته ما لم يكن باختياره .

و الثاني أن يكون المراد أنّ بعض المفتونين لا يعاتبون لعدم نفع الخطاب فيهم . 4

[1] في المصدر : قالها لسعد بن أبي وقّاص و محمّد بن مسلمة و . . .

[2] في المصدر : امتنعوا .

----

(3) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 119 ، ط بيروت .

----

(4) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 728 ، ط كمباني و ص 674 ، ط تبريز .

[328]

16

و قال عليه السلام : تذلّ الأمور للمقادير ، حتّى يكون الحتف (4443) في التّدبير .

17

و سئل عليه السلام عن قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم « غيّروا الشّيب (4444) ، و لا تشبّهوا باليهود » فقال عليه السلام : إنّما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك و الدّين قلّ (4445) ، فأمّا الآن و قد اتّسع نطاقه (4446) ، و ضرب بجرانه (4447) ، فامرؤ و ما اختار .

بيان

« قلّ » أي قليل و النطاق شقّة تلبسه المرأة و تشدّ وسطها ثمّ ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، و الأسفل ينجرّ على الأرض ، و « جران البعير » مقدّم عنقه ،

و الساق و النطاق للإسلام كناية عن كثرة المسلمين ، و « ضربه بجرانه عن ثباته و استقراره » أي ليس اليوم سنّة مؤكّدة . 5

18

و قال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه : خذلوا الحقّ ، و لم ينصروا الباطل .

بيان

قال ابن أبي الحديد : هم ، عبد اللّه بن عمر [6] و سعد بن أبي وقّاص و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و أسامة بن زيد و محمّد بن مسلمة و أنس بن مالك و جماعة غيرهم . و قد ذكر شيخنا أبو الحسين في الغرر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما دعاهم إلى القتال معه و اعتذروا بما اعتذروا أنّه [7] قال لهم : أتنكرون هذه البيعة ؟

قالوا : لا ، و لكنّا لا نقاتل .

----

(5) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 79 ، كتاب الآداب و السنن ، ص 104 .

[6] في المصدر : عمر بن الخطاب .

[7] في المصدر : به .

[329]

فقال عليه السلام : إذا بايعتم فقد قاتلتم . 8

19

و قال عليه السلام : من جرى في عنان (4448) أمله عثر بأجله (4449) .

20

و قال عليه السلام : أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم (4450) ،

فما يعثر منهم عاثر إلاّ و يد اللّه بيده يرفعه .

21

و قال عليه السلام : قرنت الهيبة بالخيبة (4451) ، و الحياء بالحرمان (4452) ، و الفرصة تمرّ مرّ السّحاب ، فانتهزوا فرص الخير .

22

و قال عليه السلام : لنا حقّ ، فإن أعطيناه ، و إلاّ ركبنا أعجاز الإبل ، و إن طال السّرى . قال الرضي : و هذا من لطيف الكلام و فصيحه ، و معناه : أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء .

و ذلك أن الرديف يركب عجز البعير ، كالعبد و الأسير و من يجري مجراهما .

23

و قال عليه السلام : من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

24

و قال عليه السلام : من كفّارات الذّنوب العظام إغاثة الملهوف ، و التّنفيس عن المكروب .

----

(8) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 728 ، ط كمپاني و ص 674 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ،

ص 115 ، ط بيروت .

25

و قال عليه السلام : يابن آدم ، إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه و أنت تعصيه فاحذره .

26

و قال عليه السلام : ما أضمر أحد شيئا إلاّ ظهر في فلتات لسانه ، و صفحات وجهه .

27

و قال عليه السلام : امش بدائك ما مشى بك (4453)

بيان

« امش بدائك » قال ابن ميثم : أي مهما وجدت سبيلا إلى الصّبر على أمر من الأمور النازلة بك ، و فيها مشقّة عليك فاصبر ، و مثال ذلك من يعرض له مرض ما يمكن أن يحتمله و يدافع الوقت ، فينبغي أن لا يطرح جانبه إلى الأرض و يخلد إلى النوم على الفراش ، بل لا يراجع الأطبّاء ما لم يضطرّ كما ورد في الخبر ، و لعلّ من ذلك كتمان المرض بل مطلق المصائب مهما أمكن . 9

28

و قال عليه السلام : أفضل الزّهد إخفاء الزّهد .

29

و قال عليه السلام : إذا كنت في إدبار (4454) ، و الموت في إقبال (4455) ، فما أسرع الملتقى

30

و قال عليه السلام : الحذر الحذر فو اللّه لقد ستر ، حتّى كأنّه قد غفر .

31

و سئل عن الإيمان ، فقال : الإيمان على أربع دعائم :

----

(9) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 81 ، كتاب الطهارة ، ص 204 . راجع شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 251 .

على الصّبر ، و اليقين ، و العدل ، و الجهاد . و الصّبر منها على أربع شعب : على الشّوق ، و الشّفق (4456) ، و الزّهد ، و التّرقّب : فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات ، و من أشفق من النّار اجتنب المحرّمات ،

و من زهد في الدّنيا استهان بالمصيبات ، و من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات . و اليقين منها على أربع شعب : على تبصرة الفطنة ،

و تأوّل الحكمة (4457) ، و موعظة العبرة (4458) ، و سنّة (4459) الأوّلين .

فمن تبصّر في الفطنة تبيّنت له الحكمة ، و من تبيّنت له الحكمة عرف العبرة ، و من عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين .
و العدل منها على أربع شعب : على غائص الفهم ، و غور العلم (4460) ،

و زهرة الحكم (4461) ، و رساخة الحلم ، فمن فهم علم غور العلم ،

و من علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم (4462) ، و من حلم لم يفرط في أمره و عاش في النّاس حميدا . و الجهاد منها على أربع شعب :

على الأمر بالمعروف ، و النّهي عن المنكر ، و الصّدق في المواطن (4463) ،

و شنآن (4464) الفاسقين : فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ،

و من نهي عن المنكر أرغم أنوف الكافرين ، و من صدق في المواطن قضى ما عليه ، و من شنىء الفاسقين و غضب للّه ، غضب اللّه له و أرضاه يوم القيامة . و الكفر على أربع دعائم : على التّعمّق (4465) ،

[332]

و التّنازع ، و الزّيغ (4466) ، و الشّقاق (4467) : فمن تعمّق لم ينب (4468) إلى الحقّ ، و من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ ، و من زاغ ساءت عنده الحسنة ، و حسنت عنده السّيّئة ، و سكر سكر الضّلالة ،

و من شاقّ و عرت (4469) عليه طرقه ، و أعضل (4470) عليه أمره ، و ضاق عليه مخرجه . و الشّكّ على أربع شعب : على التّماري (4471) ، و الهول (4472) ،

و التّردّد (4473) ، و الاستسلام (4474) : فمن جعل المراء (4475) ديدنا (4476) لم يصبح ليله (4477) ، و من هاله ما بين يديه نكص على عقبيه (4478) ،

و من تردّد في الرّيب (4479) وطئته سنابك الشّياطين (4480) ، و من استسلم لهلكة الدّنيا و الآخرة هلك فيهما . قال الرضي : و بعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الإطالة و الخروج عن الغرض المقصود في هذا الباب .

بيان

« على أربع دعائم » الدّعامة بالكسر ، عماد البيت و « دعائم الايمان » ما يستقرّ عليه و يوجب ثباته و استمراره و قوّته . « على الصبر و اليقين و العدل و الجهاد » قال ابن ميثم 10 : فاعلم أنّه عليه السلام أراد الإيمان الكامل ، و ذلك له أصل و له كمالات بها يتمّ أصله ، فأصله هو التصديق بوجود الصانع ، و ماله من صفات الكمال و نعوت الجلال ، و بما تنزّلت به كتبه ، و بلّغته رسله ، و كمالاته المتممة هي الأقوال المطابقة و مكارم الأخلاق و العبادات ، ثمّ إنّ هذا الأصل و متمّماته هو كمال النفس

----

(10) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 254 .

[333]

الانسانيّة لأنّها ذات قوّتين : علميّة و عمليّة . و كمالها بكمال هاتين القوّتين ، فأصل الإيمان هو كمال القوّة العلميّة منها و متمّماته و هي مكارم الأخلاق ، و العبادات هي كمال القوّة العمليّة .

إذا عرفت هذا فنقول : لمّا كانت أصول الفضائل الخلقيّة الّتي هي كمال الإيمان أربعا هي : الحكمة ، و العفّة ، و الشجاعة ، و العدل . أشار إليها و استعار لها لفظ الدعائم باعتبار أنّ الإيمان الكامل لا يقوم في الوجود إلاّ بها ، كدعائم البيت ، فعبّر عن الحكمة باليقين ، و الحكمة منها علميّة و هي استكمال القوّة النظريّة بتصوّر الأمور و التصديق بالحقائق النظريّة و العلميّة بقدر الطاقة و لا تسمّى حكمة حتّى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين و البرهان ، و منها عمليّة و هي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسانيّة الخلقيّة و كيفيّة اكتسابها و وجوه الرذائل النفسانيّة و كيفيّة الاحتراز عنها و اجتنابها ، و ظاهر أنّ العلم الّذي صار ملكة هو اليقين . و عبّر عن العفّة بالصبر ، و العفّة هي الإمساك عن الشره في فنون الشهوات المحسوسة ، و عدم الانقياد للشهوة ، و قهرها و تصريفها بحسب الرأي الصحيح و مقتضى الحكمة المذكورة .

و إنّما عبّر عنها بالصبر لأنّها لازم من لوازمه إذ رسمه أنّه ضبط النفس و قهرها عن الانقياد لقبائح اللّذّات ، و قيل : هو ضبط النفس عن أن يقهرها ألم مكروه ينزل بها ، و يلزم في العقل احتماله ، أو يلزمها حبّ مشتهى يتوق الانسان إليه و يلزمه في حكم العقل اجتنابه حتّى لا يتناوله على غير وجهه ، و ظاهر أنّ ذلك يلازم العفّة . و كذلك عبّر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه إيّاها إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه ،

و الشجاعة هي ملكة الإقدام الواجب على الأمور الّتي يحتاج الانسان أن يعرض نفسه لاحتمال المكروه و الآلام الواصلة إليه منها ، و أمّا العدل فهو ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاث المذكورة و تلزمها ، إذ كلّ واحدة من هذه الفضائل محتوشة برذيلتين هما طرفا الإفراط و التفريط منها ، و مقابلة برذيلة هي ضدّها . انتهى .

« على أربع شعب » الشعبة من الشجرة بالضم الغصن المتفرّع منها ، و قيل :

الشعبة ما بين الغصنين و القرنين ، و الطائفة من الشيء ، و طرف الغصن ، و المراد هنا

فروع الصبر و أنواعه أو أسباب حصوله . « على الشوق و الإشفاق » و في سائر الكتب « و الشفق و الزهد » و في المجالس : « و الزهادة و الترقّب » شوق إلى الشيء بنزوع النفس إليه و حركة الهوى . « و الشفق » بالتحريك ، الخدر و الخوف كالإشفاق . و « الزهد » ضدّ الرغبة و « الترقّب » الانتظار ، أي انتظار الموت و مداومة ذكره و عدم الغفلة عنه .

و لمّا كان للصبر أنواع ثلاثة كما سيأتي في بابه : الصبر عند البليّة ، و الصبر على مشقّة الطاعة ، و الصبر على ترك الشهوات المحرّمة ، و كان ترك الشهوات قد يكون للشوق إلى اللذّات الأخرويّة ، و قد يكون للخوف من عقوباتها ، جعل بناء الصبر على أربع :

على الشوق إلى الجنّة ثمّ بيّن ذلك بقوله « فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات » أي نسيها و صبر على تركها ، يقال : « سلاعن الشيء » أي نسيه و « سلوت عنه سلوا كقعدت قعودا » أي صبرت .

و على الإشفاق عن النار ، و بيّنها بقوله « و من أشفق من النار رجع عن المحرّمات » ، و في المجالس و التحف : « عن الحرمات » . و يمكن أن تكون الشهوات المذكورة سابقا شاملة للمكروهات أيضا .

و على الزهد و عدم الرغبة في الدنيا و ما فيها من الأموال و الأزواج و الأولاد ،

و غيرها من ملاذّها و مألوفاتها ، و بيّنها بقوله « و من زهد في الدّنيا هانت عليه المصائب » و في بعض النسخ و الكتابين : « المصيبات » و في النهج : « استهان بالمصيبات » أي عدّها سهلا هيّنا و استخفّ بها لأنّ المصيبة حينئذ بفقد شيء من الأمور الّتي زهد عنها و لم يستقرّ في قلبه حبّها .

و على ارتقاب الموت و كثرة تذكّره ، و بيّنها بقوله « و من راقب الموت سارع إلى الخيرات » و في الكتابين [11] : « و من ارتقب » ، و في النهج : « في الخيرات » .

[11] أمالي الطوسي و أمالي المفيد . أقول : و هكذا في نسخة النهج .

ثمّ إنّ تخصيص الشوق إلى الجنّة ، و الإشفاق من النار بترك المشتهيات و المحرّمات مع أنّهما يصيران سببين لفعل الطاعات أيضا إمّا لشدّة الاهتمام بترك المحرّمات و كون الصبر عليها أشقّ و أفضل كما سيأتي في الخبر ، أو لأنّ فعل الطاعات أيضا داخلة فيهما ، فإنّ المانع من الطاعات غالبا الاشتغال بالشهوات النفسانيّة ،

فالسلو عنها يستلزم فعلها ، بل لا يبعد أن يكون الغرض الأصلي من الفقرة الأولى ذلك ،

بل يمكن إدخال فعل الواجبات في الفقرة الثانية ، لأنّ ترك كلّ واجب محرّم ، و يدخل ترك المكروهات و فعل المندوبات في الفقرة الأولى .

« و اليقين على أربع شعب : تبصرة الفطنة » ، « التبصرة » مصدر باب التفعيل ،

و « الفطنة » الحذق وجودة الفهم ، و قال ابن ميثم : هي سرعة هجوم النفس على حقائق ما توردہ الحواسّ عليها ، و قال : « تبصرة الفطنة » إعمالها .

أقول : يمكن أن تكون الإضافة إلى الفاعل أي جعل الفطنة الانسان بصيرا أو إلى المفعول أي جعل الانسان الفطنة بصيرة ، و يحتمل أن تكون التبصرة بمعنى الابصار و الرؤية ، فرؤيتها كناية عن التوجّه و التأمّل فيها و في مقتضاها ، فالإضافة إلى المفعول و حمله على الإضافة إلى الفاعل محوج إلى تكلّف في قوله « فمن أبصر الفطنة » .

« و تأوّل الحكمة » التأوّل و التّأويل تفسير ما يؤل إليه الشيء ، و قيل : « أوّل الكلام و تأوّله » أي دبّره و قدّره و فسّره ، و « الحكمة » العلم بالأشياء على ما هي عليه ،

ف « تأوّل الحكمة » التأوّل الناشئ من العلم و المعرفة ، و هو الاستدلال على الأشياء بالبراهين الحقّة ، و قال ابن ميثم : هو تفسير الحكمة و اكتساب الحقائق ببراهينها و استخراج وجوه الفضائل و مكارم الأخلاق من مظانّها ككلام يؤثّر أو عبرة يعتبر .

و قال الكيدريّ : « تأوّل الحكمة » هو العلم بمراد الحكماء فيما قالوا ، و « أوّل الحكمة » بأن يعلم قول اللّه و رسوله ، قال تعالى : وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الحِكْمَةَ 12 . « و معرفة العبرة » و في سائر الكتب : « و موعظة العبرة » و « العبرة » ما

----
(12) الجمعة : 2 .

[336]

يتّعظ به الإنسان و يعتبره ليستدلّ به على غيره ، و « الموعظة » تذكير ما يلين القلب و « موعظة العبرة » أن تعظ العبرة الانسان فيتّعظ بها . « و سنّة الأوّلين » السنّة السيرة محمودة كانت أو مذمومة ، أي معرفة سنّة الماضين ، و ما آل أمرهم إليه من سعادة أو شقاوة فيتّبع أعمال السعداء ، و يجتنب قبائح الأشقياء .

ثمّ بيّن عليه السلام فوائد هذه الشعب و كيفيّة ترتّب اليقين عليها ، فقال :

« فمن أبصر الفطنة » أي جعلها بصيرة أو نظر إليها و أعملها ، كأنّ من لم يعملها و لم يعمل بمقتضاها لم يبصرها و في سائر الكتب « تبصّر في الفطنة » و هو أظهر . « عرف الحكمة » و في النهج : « تبيّنت له الحكمة » و في التحف : « تأوّل الحكمة » و في المجالس : « تبيّن الحكمة » و الكلّ حسن ، و قال الكيدريّ : « تبصّر » أي نظر و تفكّر و صارذا بصيرة و قال : « الحكمة » العلم الّذي يدفع الانسان عن فعل القبيح ، مستعار من حكمة اللّجام . « و من تأوّل الحكمة » و عرفها كما هي « عرف العبرة » بأحوال السماء و الأرض ، و الدنيا و أهلها ، فتحصل له الحكمة النظريّة و العمليّة . و في النهج : « و من تبيّنت له الحكمة » و في المجالس : « و من تبيّن الحكمة » .

« و من عرف العبرة عرف السنّة » أي سنّة الأوّلين و سنّة اللّه فيهم ، فانّها من أعظم العبر « و من عرف السنّة فكأنّما كان مع الأوّلين » في حياتهم أو بعد موتهم أيضا فإنّ المعرفة الكاملة تفيد فائدة المعاينة لأهلها . « و اهتدى » أي بذلك « إلى الّتي هي أقوم » أي إلى الطريقة الّتي هي أقوم الطرائق .

ثمّ بيّن عليه السلام كيفيّة العبرة فقال : « و نظر إلى من نجا » أي من الأوّلين « بما نجا » من متابعة الأنبياء و المرسلين ، و الأوصياء المرضيّين ، و الاقتداء بهم علما و عملا . « و من هلك بما هلك » من مخالفة أئمة الدين ، و متابعة الأهواء المضلّة و الشهوات المزلّة .

و ليست هذه الفقرات من قوله « و اهتدى » إلى قوله « بطاعته » في سائر الكتب .

« و العدل على أربع شعب » كأنّ المراد بالعدل هنا ترك الظلم ، و الحكم بالحقّ

[337]

بين الناس ، و إنصاف الناس من نفسه ، لا ما هو مصطلح الحكماء من التوسّط في الأمور ، فإنّه يرجع إلى سائر الأخلاق الحسنة . « غامض الفهم » الغامض خلاف الواضح من الكلام و نسبته إلى الفهم مجاز ، و كأنّ المعنى فهم الغوامض ، أو هو من قولهم « أغمض حدّ السيف » أي رقّقه . و في النهج و التحف « غائص » من الغوص و هو الدخول تحت الماء لإخراج اللؤلؤ و غيره ، و قال الكيدريّ : و هو من إضافة الصفة إلى الموصوف للتأكيد . و « الفهم الغائص » ما يهجم على الشيء فيطّلع على ما هو عليه كمن يغوص على الدرّ و اللؤلؤ . « و غمر العلم » أي كثرته ، في القاموس : « الغمر » الماء الكثير ، و « غمر الماء غمارة و غمورة » كثر ، و « غمره الماء غمرا و اغتمره » غطّاه . و في النهج : « و غور العلم » و غور كلّ شيء قعره ، و « الغور » الدخول في الشيء و تدقيق النظر في الأمر . « و زهرة الحكم » ، « الزّهرة » بالفتح البهجة و النضارة و الحسن و البياض و نور النبات ، و « الحكم » بالضمّ ، القضاء و العلم و الفقه . « و روضة الحلم » الإضافة فيها و في الفقرة السابقة من قبيل « لجين الماء » و فيهما مكنيّة و تخييليّة ، و حيث شبّه الحكم الواقعي بالزهرة لكونه معجبا و مثمرا لأنواع الثمرات الدنيويّة و الأخرويّة ، و الحلم بالروضة لكونه رائقا و نافعا في الدارين و في النهج : « و رساخة الحلم » يقال :

« رسخ كمنع رسوخا بالضمّ و رساخة بالفتح » أي ثبت و « الحلم » الأناة و التثبّت و قيل : هو الإمساك عن المبادرة إلى قضاء و طر الغضب . و « رساخة الحلم » قوّته و كماله .

« فمن فهم فسّر جميع العلم و من علم عرف شرائع الحكم » أي من فهم غوامض العلوم ، فسّر ما اشتبه على الناس منها ، و من كان كذلك عرف شرائع الحكم بين الناس ، فلا يشتبه عليه الأمر ، و لا يظلم و لا يجوز . و بعده في المجالس : « و من عرف شرايع الحكم لم يضلّ » . « و من حلم لم يفرط في أمره » و لم يغضب على الناس و تثبّت في الأمر . و في النهج : « فمن فهم علم غور العلم و من علم غور العلم صدر عن شرايع الحكم و من حلم الخ » . و « الصدر » الرجوع عن الماء و الشريعة و مورد الناس للاستقاء ، و « الصدور عن شرائع الحكم » كناية عن الإصابة فيه ، و عدم الوقوع في الخطاء . « و لم

[338]

يفرّط » على بناء التفعيل ، أي لم يقصّر فيما يتعلّق به من أمور القضاء و الحكم أو مطلقا و في بعض نسخ النهج على بناء الإفعال أي لم يجاوز الحدّ . « و عاش في الناس حميدا » ، و « العيش » الحياة و « الحميد » المحمود المرضيّ .

« و الجهاد على أربع شعب » تلك الشعب إمّا أسباب الجهاد أو أنواعه الخفيّة ذكرها لئلاّ يتوهّم أنّه منحصر في الجهاد في السيف ، مع أنّه أحد أفراد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، بل الجهاد استفراغ الوسع في إعلاء كلمة اللّه و اتّباع مرضاته و ترويج شرائعه باليد و اللسان و القلب .

قال الراغب 13 : « الجهاد و المجاهدة » استفراغ الوسع في مدافعة العدوّ و الجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدوّ الظاهر ، و مجاهدة الشيطان ، و مجاهدة النفس ، و تدخل ثلاثتها في قوله [تعالى] : وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ 14 و قال صلّى اللّه عليه و آله : « جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » و المجاهدة تكون باليد و اللسان ، قال عليه السلام : « جاهدوا الكفّار بأيديكم و ألسنتكم » .

« على الأمر بالمعروف » هو الّذي عرّفه الشارع و عدّه حسنا ، فإن كان واجبا فالأمر واجب ، و إن كان مندوبا فالأمر مندوب . « و النهي عن المنكر » أي ما أنكره الشارع و عدّه قبيحا ، و هما مشروطان بالعلم بكونه معروفا أو منكرا ، و تجويز التأثير ، و عدم المفسدة ، و هما يجبان باليد و اللسان و القلب . « و الصدق في المواطن » أي ترك الكذب على كلّ حال إلاّ مع خوف الضرر ، فيورّي فلا يكون كذبا . و « المواطن » مواضع جهاد النفس . و جهاد العدوّ و جهاد الفاسق بالأمر و النهي و مواطن الرضا و السخط و الضرّ و النفع ما لم يصل إلى حدّ تجويز التقية . و أصل الصدق و الكذب أن يكونا في القول ثمّ في الخبر من أصناف الكلام كما قال تعالى : وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

----

(13) المفردات ، ص 101 .

----

(14) الآيات على الترتيب في : الحج : 78 و الحجرات : 15 و الأنفال : 72 .

[339]

قيلاً ؟ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثا ؟ . 15 و قد يكونان بالعرض في غيره من أنواع الكلام كقول القائل : أزيد في الدار ، لتضمّنه كونه جاهلا بحال زيد ، و كما إذا قال : و اسني لتضمّنه أنه محتاج إلى المواساة . و يستعملان في أفعال الجوارح ، فيقال : « صدق في القتال » إذا و فى حقّه و « صدق في الايمان » إذا فعل ما يقتضيه من الطاعة . فالصادق الكامل من يكون لسانه موافقا لضميره و فعله مطابقا لقوله ، و منه : « الصدّيق » حيث يطلق على المعصوم فيحتمل أن يكون الصدق هنا شاملا لجميع ذلك .

« و شنآن الفاسقين » الشنآن بالتحريك و السكون و قد صحّح بهما في النهج البغض ، يقال : شنئه كسمعه و منعه شنئا مثلّثة و شنائة و شنآنا . و هذا أولى مراتب النهي عن المنكر ، و قيل : هو مقتضى الايمان و يجب على كلّ حال و ليس داخلا في النهي عن المنكر . « شدّ ظهر المؤمن » و في النهج : « ظهور المؤمنين » و « شدّ الظهر » كناية عن التقوية ، كما أنّ « قصم الظهر » كناية عن ضدّها ، و الأمر بالمعروف يقوّي المؤمن لأنّه يريد ترويج شرائع الإيمان ، و عسى أن لا يتمكّن منه .

« أرغم أنف المنافق » إرقام الأنف كناية عن الإذلال ، و أصله إلصاق الأنف بالرّغام ، و هو التراب ، و يطلق على الإكراه على الأمر ، و يقال : « فعلته على رغم أنفه » أي على كره منه ، و « الرّغم » مثلّثة ، الكره . و المنكر مطلوب للمنافقين و الفسّاق الّذينهم صنف منهم حقيقة ، و النهي عن المنكر يرغم أنوفهم .

« و من صدق في المواطن قضى الّذي عليه » و في سائر الكتب سوى الخصال : « قضى ما عليه » أي من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، إذا لم يقدر على أكثر من ذلك ، أو من جميع التكاليف فإنّ الصدق في الإيمان و العقائد يقتضي العمل بجميع التكاليف فعلا و تركا أو لأنّه يأتي بها لئلاّ يكون كاذبا إذا سئل عنها . « و من شنيء الفاسقين » المضبوط في النهج بكسر النون .

و لنتمّم كلام المحقّق البحراني ، و إن لم يكن فيه كثير فائدة بعد ما ذكرنا ، قال

----

(15) الآيات على الترتيب في : النساء : 122 و النساء : 87 .

[340]

بعد ما مرّ : و أمّا شعب هذه الدعائم ، فاعلم أنّه جعل لكلّ دعامة منها أربع شعب من الفضائل ، تتشعّب منها و تتفرّع عليها فهي كالفروع لها و الأغصان .

أمّا شعب الصبر الّذي هو عبارة عن ملكة العفّة فأحدها الشوق إلى الجنّة ، و محبّة الخيرات الباقيّة ، الثاني الشفق و هو الخوف من النار ، و ما يؤدّي إليها ، الثالث الزهد في الدنيا و هو الإعراض بالقلب عن متاعها و طيّباتها ، الرابع ترقّب الموت و هذه الأربع فضائل منبعثة عن ملكة العفّة لأنّ كلاّ منها يستلزمها .

و أمّا شعب اليقين ، فأحدها تبصرة الفطنة و إعمالها ، الثاني تأوّل الحكمة و هو تفسيرها ، الثالث موعظة العبرة ، الرابع أن يلحظ سنّة الأوّلين حتّى يصير كأنّه فيهم ، و هذه الأربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها ، و بعضها كالفرع للبعض .

و أمّا شعب العدل فأحدها غوص الفهم أي الفهم الغائص فأضاف الصفة إلى الموصوف ، و قدّمها للاهتمام بها ، و رسم هذه الفضيلة أنّها قوّة إدراك المعنى المشار إليه بلفظ أو كناية أو إشارة و نحوها ، الثاني غور العلم و أقصاه و هو العلم بالشيء كما هو تحقيقه و كنهه ، الثالث نور الحكم أي تكون الأحكام الصادرة عنه نيّرة واضحة لا لبس فيها و لا شبهة ، الرابع ملكة الحلم و عبّر عنها بالرسوخ لأنّ شأن الملكة ذلك ، و الحلم هو الإمساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب ، فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها إليه .

و اعلم أنّ فضيلتي جودة الفهم و غور العلم ، و إن كانتا داخلتين تحت الحكمة و كذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة إلاّ أنّ العدل لمّا كان فضيلة موجودة في الأصول الثلاثة كانت في الحقيقة هي و فروعها شعبا للعدل . بيانه أنّ الفضائل كلّها ملكات متوسّطة بين طرفي إفراط و تفريط ، و توسّطها ذلك هو معنى كونها عدلا فهي بأسرها شعب له و جزئيات تحته .

و أمّا شعب الشجاعة المعبّر عنها بالجهاد ، فأحدها الأمر بالمعروف ، و الثاني النهي عن المنكر ، و الثالث الصدق في المواطن المكروهة ، و وجود الشجاعة في هذه الشعب الثلاث ظاهر ، و الرابع شنآن الفاسقين ، و ظاهر أنّ بغضهم مستلزم لعداوتهم في

اللّه و ثوران القوّة الغضبيّة في سبيله لجهادهم ، و هو مستلزم للشجاعة .

و أمّا ثمرات هذه الفضائل فأشار إليها للترغيب في مثمراتها ، فثمرات شعب العفّة أربع : أحدها ثمرة الشوق إلى الجنّة ، و هو السلو عن الشهوات و ظاهر كونه ثمرة له ، إذ السالك إلى اللّه ما لم يشتق إلى ما وعد المتّقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة ، مع توفّر الدواعي إليها ، فلم يسل عنها ، الثانية ثمرة الخوف من النار ، و هو اجتناب المحرّمات ، الثالثة ثمرة الزهد و هي الاستهانة بالمصيبات ، لأنّ غالبها و عامّها إنّما يلحق بسبب فقد المحبوب من الأمور الدنيويّة فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هيّنة عنده ، الرابعة ثمرة ترقّب الموت و هي المسارعة في الخيرات و العمل له و لما بعده . و أمّا ثمرات اليقين فإنّ بعض شعبه ثمرة لبعض ، فإنّ تبيّن الحكمة و تعلّمها ثمرات لإعمال الفطنة و الفكرة ، و معرفة العبر و مواقع الاعتبار بالماضين ، و الاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبيّن وجوه الحكمة و كيفيّة الاعتبار .

و أمّا ثمرات العدل ، فبعضها كذلك أيضا و ذلك أنّ جودة الفهم و غوصه مستلزم للوقوف على غور العلم و غامضه ، و الوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرائع الحكم العادل و الصدور عنها بين الخلق من القضاء الحقّ ، و أمّا ثمرة الحلم ،

فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط و التقصير عن هذه الفضيلة و هي رذيلة الجبن و أن يعيش في الناس محمودا بفضيلته . و أمّا ثمرات الجهاد ، فأحدها ثمرة الأمر بالمعروف ، و هو شدّ ظهور المؤمنين و معاونتهم على إقامة الفضيلة ، الثانية ثمرة النهي عن المنكر و هي إرغام أنوف المنافقين و إذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات و إظهار الرذيلة ، الثالثة ثمرة الصدق في المواطن المكروهة ، و هي قضاء الواجب من أمر اللّه تعالى في دفع أعدائه و الذّبّ عن الحريم ، و الرابعة ثمرة بغض الفاسقين و الغضب للّه ، و هي غضب اللّه لمن أبغضهم و إرضاؤه يوم القيامة في دار كرامته . 16 و أقول : فرّق الكليني قدّس اللّه روحه الخبر على أربعة أبواب ، فجمعنا

----

(16) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 255 258 .

ما أورده في بابي الاسلام و الإيمان هنا ، و سنورد ما أورده في بابي الكفر و النفاق في بابيها مع شرح تتمّة ما أورده السيّد و صاحب التحف و غيرهما إن شاء اللّه تعالى . 17

32

و قال عليه السلام : فاعل الخير خير منه ، و فاعل الشّرّ شرّ منه .

33

و قال عليه السلام : كن سمحا و لا تكن مبذّرا ، و كن مقدّرا (4481) و لا تكن مقتّرا (4482) .

34

و قال عليه السلام : أشرف الغنى ترك المنى (4483) .

35

و قال عليه السلام : من أسرع إلى النّاس بما يكرهون ، قالوا فيه بما لا يعلمون .

36

و قال عليه السلام : من أطال الأمل (4484) أساء العمل .

37

و قال عليه السلام و قد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار (4485) ، فترجلوا له (4486) و اشتدوا بين يديه (4487) ، فقال :

ما هذا الّذي صنعتموه ؟ فقالوا : خلق منّا نعظّم به أمراءنا ، فقال :

و اللّه ما ينتفع بهذا أمراؤكم و إنّكم لتشقّون (4488) على أنفسكم في

----

(17) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 68 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 365 374 .

دنياكم ، و تشقون (4489) به في آخرتكم . و ما أخسر المشقّة وراءها العقاب ، و أربح الدّعة (4490) معها الأمان من النّار

بيان

« الدهقان » بكسر الدّال و ضمّها ، رئيس القرية . و « الشدّ » العدو ، و « اشتدّ » عدا . و « تشقون به » لعلّه لكون غرضهم التسلّط على الناس و الجور عليكم للتقرّب عند الإمام و إظهاره عند الناس ، أو يكون غرضه عليه السلام تعليمهم و نهيهم عن فعل ذلك مع غيره عليه السلام من أئمّة الجور . 18

38

و قال عليه السلام لابنه الحسن :

يا بنيّ ، احفظ عنّي أربعا ، و أربعا ، لا يضرّك ما عملت معهنّ :

إنّ أغنى الغنى العقل ، و أكبر الفقر الحمق ، و أوحش الوحشة العجب (4491) ، و أكرم الحسب حسن الخلق .

يا بنيّ ، إيّاك و مصادقة الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك ،

و إيّاك و مصادقة البخيل ، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ،

و إيّاك و مصادقة الفاجر ، فإنّه يبيعك بالتّافه (4492) ، و إيّاك و مصادقة الكذّاب ، فإنّه كالسّراب (4493) : يقرّب عليك البعيد ، و يبعّد عليك القريب .

39

و قال عليه السّلام : لا قربة بالنّوافل (4494) إذا أضرّت

----
(18) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 439 ، ط تبريز .

بالفرائض .

40

و قال عليه السّلام : لسان العاقل وراء قلبه ، و قلب الأحمق وراء لسانه . قال الرضي : و هذا من المعاني العجيبة الشريفة ، و المراد به أن العاقل لا يطلق لسانه ، إلا بعد مشاورة الروية و مؤامرة الفكرة . و الأحمق تسبق حذفات لسانه (4495) و فلتات كلامه مراجعة فكره (4496) ، و مماخضة رأيه (4497) . فكأن لسان العاقل تابع لقلبه ، و كأن قلب الأحمق تابع للسانه .

41

و قد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر ، و هو قوله :

قلب الأحمق في فيه ، و لسان العاقل في قلبه . و معناهما واحد .

42

و قال لبعض أصحابه في علة اعتلها : جعل اللّه ما كان من شكواك حطّا لسيّئاتك ، فإنّ المرض لا أجر فيه ، و لكنّه يحطّ السّيّئات ،

و يحتّها حتّ (4498) الأوراق . و إنّما الأجر في القول باللّسان ، و العمل بالأيدي و الأقدام ، و إنّ اللّه سبحانه يدخل بصدق النّيّة و السّريرة الصّالحة من يشاء من عباده الجنّة . قال الرضي : و أقول : صدق عليه السلام ، إنّ المرض لا أجر فيه ، لأنه ليس من قبيل ما يستحق عليه العوض ، لأن العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل اللّه تعالى بالعبد ، من الآلام و الأمراض ، و ما يجري مجرى ذلك . و الأجر و الثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد ، فبينهما فرق قد بينه عليه السلام ، كما يقتضيه علمه الثاقب و رأيه الصائب .

إيضاح :

قال العلاّمة قدّس اللّه روحه في الباب الحادي عشر :

السادسة في أنّه تعالى يجب عليه فعل عوض الآلام الصارة عنه ، و معنى العوض هو النفع المستحقّ الخالي عن التعظيم و الإجلال و إلاّ لكان ظالما تعالى اللّه عن ذلك ، و يجب زيادته على الآلام و إلاّ لكان عبثا .

و قال بعض الأفاضل في شرحه : الألم الحاصل للحيوان إمّا أن يعلم فيه وجه من وجوه القبح فذلك يصدر عنّا خاصّة ، أو لا يعلم فيه ذلك فيكون حسنا و قد ذكر لحسن الألم وجوه : الأوّل كونه مستحقّا ، الثاني كونه مشتملا على النفع الزائد ، الثالث كونه مشتملا على دفع الضرر الزائد عنه ، الرابع كونه بمجرى العادة ، الخامس كونه متّصلا على وجه الدفع ، و ذلك الحسن قد يكون صادرا عنه تعالى و قد يكون صادرا عنّا .

فأمّا ما كان صادرا عنه تعالى على وجه النفع فيجب فيه أمران :

أحدهما العوض ، و إلاّ لكان ظالما تعالى الله عنه ، و يجب أن يكون زائدا على الألم إلى حدّ يرضى عنه كلّ عاقل لأنّه يقبح في الشاهد إيلام شخص لتعويضه ألمه من غير زيادة لاشتماله على العبث .

و ثانيهما اشتماله على اللّطف إمّا للمتألّم أو لغيره ليخرج عن العبث . فأمّا ما كان صادرا عنّا ممّا فيه وجه من وجوه القبح ، فيجب عليه تعالى الانتصاف للمتألّم من المؤلم لعدله ، و لدلالة الأدلّة السمعيّة عليه و يكون العوض هنا مساويا للألم و إلاّ لكان ظلما .

و هنا فوائد : الأوّل : العوض هو النفع المستحقّ الخالي عن تعظيم و إجلال ،

فبقيد المستحقّ خرج التفضّل و بقيد الخلوّ عن تعظيم خرج الثواب .

الثاني : لا يجب دوام العوض لأنّه يحسن في الشاهد ركوب الأهوال العظيمة لنفع منقطع قليل .

الثالث : العوض لا يجب حصوله في الدّنيا لجواز أن يعلم الله تعالى المصلحة في تأخّره ، بل قد يكون حاصلا في الدّنيا و قد لا يكون .

الرابع : الّذي يصل إليه عوض ألمه في الآخرة ، إمّا أن يكون من أهل الثواب أو من أهل العقاب ، فإن كان من أهل الثواب فكيفيّة إيصال أعواضه إليه بأن يفرّقها الله على الأوقات أو يتفضّل الله عليه بمثلها ، و إن كان من أهل العقاب أسقط بها جزءا من عقابه بحيث لا يظهر له التخفيف بأن يفرّق القدر على الأوقات .

الخامس : الألم الصّادر عنّا بأمره أو إباحته و الصادر عن غير العاقل كالعجماوات ، و كذا ما يصدر عنه تعالى من تفويت المنفعة لمصلحة الغير و إنزال الغموم الحاصلة من غير فعل العبد ، عوض ذلك كلّه على الله تعالى لعدله و كرمه .

و أقول : كون أعواض الآلام الغير الاختياريّة منقطعة ممّا لم يدلّ عليه برهان قاطع و بعض الروايات تدلّ على خلافه كالروايات الدالّة على أنّ حمى ليلة تعدل عبادة سنة ، و أنّ من مات له ولد يدخله الله الجنّة صبر أم لم يصبر جزع أم لم يجزع ، و أنّ من سلب الله كريمتيه وجبت له الجنّة . و أمثال ذلك كثيرة و إن أمكن تأويل بعضها مع الحاجة إليه .

و قيل : للفقير ثلاثة أحوال : أحدها الرضا بالفقر ، و الفرح به ، و هو شأن الأصفياء ، و ثانيها الرضا به دون الفرح و له أيضا ثواب دون الأوّل ، و ثالثها عدم الرضا به و الكراهة في القسمة و هذا ممّا لا ثواب له أصلا .

و هو كلام على التشهّي لكن روى السيّد الرضيّ رضي الله عنه في نهج البلاغة أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض أصحابه في علّة اعتلّها : جعل الله ما كان من شكواك حطّا لسيّئاتك . فإنّ المرض لا أجر فيه و لكنّه يحطّ السيّئات و يحتّها حتّ الأوراق ، و إنّما الأجر في القول باللّسان و العمل بالأيدي و الأقدام ، و إنّ الله سبحانه يدخل بصدق النيّة و السريرة الصالحة من يشاء من عبادة الجنّة .

ثمّ قال السيّد رحمه الله : و أقول : صدق عليه السلام أنّ المرض لا أجر فيه لأنّه من قبيل ما يستحقّ عليه العوض ، لأنّ العوض يستحقّ على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام و الأمراض و ما يجري مجرى ذلك ، و الأجر و الثواب يستحقّان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بيّنه عليه السلام

كما يقضيه علمه الثاقب و رأيه الصائب . انتهى .

و قوله عليه السلام « اعتلّها » أي اعتلّ بها . و « الشكوى » المرض . و « الحطّ » الوضع و الحدر من علو إلى سفل . و « حتّ الورق » كمدّ سقطت فانحتّت و تحاتّت ، و « حتّ فلان الشيء » أى حطّه ، يتعدّى و لا يتعدّى . و « السريرة » ما يكتم ،

كالسرّ . و لو كانت الرّواية صحيحة يؤيّد مذهب القوم في الجملة .

و قال قطب الدّين الرّاوندي في شرحه على النهج : قول السيّد « إنّ المرض لا أجر له » ليس ذلك على الاطلاق ، و ذلك لأنّ المريض إذا احتمل المشقّة الّتي حملها اللّه عليه احتسابا كان له أجر الثّواب على ذلك و العوض على المرض ، فعلى فعل العبد إذا كان مشروعا الثواب و على فعل اللّه إذا كان ألما على سبيل الاختيار العوض .

و قال ابن أبي الحديد 19 : ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل علي تأويل يطابق ما يدلّ عليه العقول و أن لا يحمل على ظاهره ، و ذلك لأنّ المرض إذا الستحقّ عليه الانسان العوض لم يجز أن يقال العوض يحطّ السيّئات بنفسه لا على قول أصحابنا و لا على قول الإماميّة .

أمّا الإماميّة ، فإنّهم مرجئة لا يذهبون إلى التحابط . و أمّا أصحابنا ، فإنّهم لا تحابط عندهم إلاّ في الثواب و العقاب . فأمّا العقاب و العوض ، فلا تحابط بينهما لأنّ التحابط بين الثواب و العقاب إنّما كان باعتبار التنافي بينهما من حيث كان أحدهما يتضمّن الاجلال و الاعظام و الآخر يتضمّن الاستخفاف و الإهانة ، و محال أن يكون الإنسان الواحد مهانا معظّما في حال واحد . و لمّا كان العوض لا يتضمّن إجلالا و إعظاما و إنّما هو نفع خالص فقطّ ، لم يكن منافيا للعقاب و جاز أن يجتمع للإنسان الواحد في الوقت الواحد كونه مستحقّا للعقاب و العوض إمّا بأن يوفّر العوض عليه في الدار الدّنيا و إمّا بأن يخفّف عنه بعض عقابه و يجعل ذلك بدلا من العوض الّذي كان

----

(19) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 168 ، ط بيروت .

[348]

سبيله أن يوصل إليه .

و إذا ثبت ذلك وجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على تأويل صحيح و هو الّذي أراده عليه السلام لأنّه كان أعرف النّاس بهذه المعاني و منه تعلّم المتكلّمون علم الكلام ، و هو أنّ المرض و الألم يحطّ اللّه تعالى عن الانسان المبتلى به ما يستحقّه من العقاب على معاصيه السالفة تفضّلا منه سبحانه ، فلمّا كان إسقاطه للعقاب متعقّبا للمرض و واقعا بعده بلا فصل ، جاز أن يطلق اللّفظ بأنّ المرض يحطّ السّيئات و يحتّها حتّ الورق كما جاز أن يطلق اللّفظ بأنّ الجماع يحبل المرأة و بأنّ سقي البذر الماء ينبته و إن كان الوالد و الزرع عند المتكلّمين واقعا من اللّه تعالى على سبيل الاختيار لا على سبيل الإيجاب ، و لكنّه أجرى العادة بأن يفعل ذلك عقيب الجماع و عقيب سقي البذر الماء .

فان قلت : يجوز أن يقال : إنّ اللّه تعالى يمرض الانسان المستحقّ للعقاب و يكون إنّما أمرضه ليسقط عنه العقاب لا غير ؟

قلت : لا ، لأنّه قادر على أن يسقط عنه العقاب ابتداء ، و لا يجوز إنزال الألم إلاّ حيث لا يمكن اقتناص العوض المجزيّ به إليه إلاّ بطريق الألم ، و إلاّ كان فعل الألم عبثا . ألا ترى أنّه لا يجوز أن يستحقّ زيد على عمرو ألف درهم فيضربه و يقول : إنّما أضربه لأجعل ما يناله من ألم الضرب مسقطا لما أستحقّه من الدراهم عليه ، و يذمّه العقلاء و يسفّهونه و يقولون له فهلاّ وهبتها له و أسقطتها عنه من غير حاجة إلى أن تضربه ؟ و أيضا فإنّ الآلام قد تنزل بالأنبياء و ليسوا ذوي ذنوب و معاص ليقال : إنّه يحطّها عنهم .

فأمّا قوله عليه السلام « و إنّما الأجر في القول » إلى آخر الفصل فانّه عليه السلام قسّم أسباب الثواب أقساما فقال : لمّا كان المرض لا يقتضي الثواب لأنّه ليس من فعل المكلّف [و] إنّما يستحقّ المكلّف الثواب على ما كان من فعله ،

وجب أن نبيّن ما الّذي يستحقّ به المكلّف الثواب .

الّذي يستحقّ المكلّف به ذلك أن يفعل فعلا إمّا من أفعال الجوارح و إمّا من

[349]

أفعال القلوب ، فأفعال الجوارح إمّا قول باللّسان أو عمل ببعض الجوارح و عبّر عن سائر الجوارح عدا اللّسان بالأيدي و الأقدام لأنّ أكثرها ما يفعل بها ، و إن كان قد يفعل بغيرها نحو مجامعة الرّجل زوجته إذا قصد به تحصينها و تحصينه عن الزنا و نحو أن ينحّي حجرا ثقيلا برأسه عن صدر إنسان قد كاد يقتله ، و غير ذلك .

و أمّا أفعال القلوب فهي العزوم و الارادات و النظر و العلوم و الظنون و الندم فعبّر عليه السلام عن جميع ذلك بصدق النيّة و السريرة الصالحة ، و اكتفى بذلك عن تعديد هذه الأجناس .

فإن قلت : فإنّ الانسان قد يستحقّ الثواب على أن لا يفعل القبيح و هذا يخرم الحصر الّذي حصره أمير المؤمنين عليه السلام .

قلت : يجوز أن يكون يذهب مذهب أبي عليّ في أنّ القادر بقدرة لا يخلو عن الفعل و الترك . انتهى .

قال ابن ميثم قدّس سرّه 20 : دعا عليه السلام لصاحبه بما هو ممكن و هو حطّ السيّئات بسبب المرض و لم يدع له بالأجر عليه معلّلا ذلك بقوله : « فإنّ المرض لا أجر فيه » . و السرّ فيه أنّ الأجر و الثواب إنّما يستحقّ بالأفعال المعدّة له كما أشار إليه بقوله : « و إنّما الأجر في القول . . . » إلى قوله « بالأقدام » ، و كنّى بالأقدام عن القيام بالعبادة ، و كذلك ما يكون كالفعل من عدمات الملكات كالصوم و نحوه ، فأمّا المرض ،

فليس هو بفعل العبد و لا عدم فعل من شأنه أنه يفعله .

فأمّا حطّه للسيّئات ، فباعتبار أمرين : أحدهما أنّ المريض تنكسر شهوته و غضبه اللّذين هما مبدأ الذنوب و المعاصي و مادّتهما ، الثاني أنّ من شأن المرض أن يرجع الانسان فيه إلى ربّه بالتوبة و الندم على المعصية و العزم على ترك مثلها ، كما قال تعالى : وَ إِذَا مَسَّ الإِنْسانَ الضُرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً الآية . 21

----

(20) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 264 .

----

(21) يونس : 12 .

[350]

فما كان من السيّئات حالات غير متمكّنة من جوهر النفس فإنّه يسرع زوالها منها و ما صار ملكة ، فربّما يزول على طول المرض و دوام الإنابة إلى اللّه تعالى و استعار لزوالها لفظ الحتّ و شبّهه في قوّة الزوال و المفارقة بحتّ الأوراق .

ثمّ نبّه عليه السلام بقوله « و إنّ اللّه . . . » إلى آخره على أنّ العبد إذا احتسب المشقّة في مرضه للّه بصدق نيّته مع صلاح سريرته ، فقد يكون ذلك معدّا لإفاضة الأجر و الثواب عليه و دخوله الجنّة ، و يدخل ذلك في أعدام الملكات المقرونة بنيّة القربة إلى اللّه ، و كلام السيّد رحمه اللّه مقتضى مذهب المعتزلة . انتهى .

و قال الكيدريّ نوّر اللّه ضريحه : المرض لا أجر فيه للمريض بمجرّد الألم بل فيه العوض و إذا احتمل المريض ما حمل احتسابا أثيب على ذلك . انتهى .

و أقول : إذا اطّلعت على ما ذكره المخالف و المؤالف في هذا الباب فاعلم أنّهم جروا في ذلك على ما نسجوه من قواعدهم الكلاميّة نسج العنكبوت و لا طائل في الخوض فيها ، لكن لا بدّ من الخوض في الآيات و الأخبار الواردة في ذلك و الجمع بينهما .

و الّذي يظهر منها أنّ اللّه تعالى بلطفه و رحمته يبتلي المؤمنين في الدنيا بأنواع البلايا على قدر إيمانهم ، و سبب ذلك إمّا إصلاح نفوسهم و ردعها عن الشهوات أو تعريضهم بالصبر عليها لأجزل المثوبات أو لحطّ ما صدر عنهم من السيّئات إذا علم أنّ صلاحهم في العفو بعد الابتلاء ليكون رادعا لهم عن ارتكاب مثلها و مع ذلك يعوّضهم أو يثيبهم بأنواع الأعواض و المثوبات .

و لو صحّ قولهم « إنّ العوض لا يكون دائما » يمكن أن يقال : دخولهم الجنّة و تنعّمهم بنعيمه الدائم إنّما هو بالايمان و الأعمال الصالحة ، لكن لمّا كان معاصيهم حائلة بينهم و بين دخولهم الجنّة ابتداء قد يبتليهم في الدّنيا ليطهّرهم من لوثها و قد يؤخّرهم إلى سكرات الموت أو عذاب البرزخ أو في القيامة ليدخلوا الجنّة مطهّرين من لوث المعاصي ، و كلّ ذلك بحسب ما علم من صلاحهم في ذلك .

ثمّ إنّ جميع ذلك في غير الأنبياء و الأوصياء و الأولياء عليهم السلام و أمّا فيهم عليهم السلام فليس إلاّ لرفع الدرجات و تكثير المثوبات كما عرفت ممّا سبق

[351]

من الروايات ، فخذ ما آتيتك و كن من الشاكرين و لا تصغ إلى شبهات المضلّين ، و قد سبق منّا بعض القول فيه . 22

[هذا بيان آخر في شرح الحكمة :] توضيح :

قال الفيروزآباديّ : « حتّه » فركه و قشره فانحتّ و تحاتّ ، و « [حتّ] الورق » سقطت كانحتّ و تحاتّت ، و « [حتّ] الشيء » حطّه . 23

43

و قال عليه السلام في ذكر خباب بن الأرتّ : يرحم اللّه خبّاب بن الأرتّ ، فلقد أسلم راغبا ، و هاجر طائعا ، و قنع بالكفاف (4499) ،

و رضي عن اللّه ، و عاش مجاهدا .

بيان

قال ابن أبي الحديد : « خبّاب » من فقراء المسلمين و خيارهم [24] ، و كان في الجاهليّة قينا [25] يعمل السيوف و هو قديم الاسلام . قيل إنّه كان سادس سنته [26] و شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد و هو معدود في المعذّبين في اللّه . سأله عمر في أيّام خلافته : ما لقيت من أهل مكّة ؟ فقال : انظر إلى ظهري فنظر فقال : ما رأيت كاليوم ظهر رجل .

شهد مع على عليه السلام صفين و نهروان و صلّى عليه السلام [27] و كان سنّه يوم مات ثلثا و سبعين سنة و دفن بظهر الكوفة و هو أوّل من دفن بظهر

----

(22) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 72 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 18 24 .

----

(23) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 81 ، كتاب الطهارة ، ص 190 .

[24] في المصدر : و كان به مرض .

[25] في المصدر : قينا حدّادا .

[26] في المصدر : ستّة .

[27] في شرح النهج لابن أبي الحديد : و صلّى عليه عليّ عليه السلام . و هذا صحيح و ما في متن البحار سهو في القلم (المصحّح) .

الكوفة . 28

44

و قال عليه السلام : طوبى لمن ذكر المعاد ، و عمل للحساب ، و قنع بالكفاف ، و رضي عن اللّه .

45

و قال عليه السلام : لو ضربت خيشوم (4500) المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ، و لو صببت الدّنيا بجمّاتها (4501) على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني . و ذلك أنّه قضي فانقضى على لسان النّبيّ الأميّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، أنّه قال : يا عليّ ، لا يبغضك مؤمن ، و لا يحبّك منافق .

بيان

قال ابن أبي الحديد : مراده عليه السلام من هذا الفصل إذ كار الناس ما قاله فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو مرويّ في الصحاح بغير هذا اللفظ :

لا يحبّك إلاّ مؤمن و لا يبغضك إلاّ منافق . 29

[هذا بيان آخر في شرح الحكمة :] بيان

« الخيشوم » أقصى الأنف . و « الجمّة » المكان الّذي يجتمع فيه الماء . 30

46

و قال عليه السلام : سيّئة تسوءك خير عند اللّه من حسنة

----

(28) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 728 ، ط كمپاني و ص 674 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 171 ، ط بيروت .

----

(29) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 39 ، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 296 .

----

(30) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 684 ، ط تبريز .

تعجبك .

47

و قال عليه السلام : قدر الرّجل على قدر همّته ، و صدقه على قدر مروءته ، و شجاعته على قدر أنفته ، و عفّته على قدر غيرته .

48

و قال عليه السلام : الظّفر بالحزم ، و الحزم بإجالة الرّأي ،

و الرّأي بتحصين الأسرار .

49

و قال عليه السلام : احذروا صولة الكريم إذا جاع ،

و اللّئيم إذا شبع .

50

و قال عليه السلام : قلوب الرّجال وحشيّة ، فمن تألّفها أقبلت عليه .

51

و قال عليه السلام : عيبك مستور ما أسعدك جدّك (4502)

52

و قال عليه السلام : أولى النّاس بالعفو أقدرهم على العقوبة .

53

و قال عليه السلام : السّخاء ما كان ابتداء ، فأمّا ما كان عن مسألة فحياء و تذمّم (4503) .

54

و قال عليه السلام : لا غنى كالعقل ، و لا فقر كالجهل ،

و لا ميراث كالأدب ، و لا ظهير كالمشاورة .

[354]

55

و قال عليه السلام : الصّبر صبران : صبر على ما تكره ،

و صبر عمّا تحبّ .

56

و قال عليه السلام : الغنى في الغربة وطن ، و الفقر في الوطن غربة .

57

و قال عليه السلام : القناعة مال لا ينفد . قال الرضي : و قد روي هذا الكلام عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

58

و قال عليه السلام : المال مادّة الشّهوات .

59

و قال عليه السلام : من حذّرك كمن بشّرك .

60

و قال عليه السلام : اللّسان سبع ، إن خلّي عنه عقر (4504) .

61

و قال عليه السلام : المرأة عقرب حلوة اللّسبة (4505) .

62

و قال عليه السلام : إذا حيّيت بتحيّة فحيّ بأحسن منها ،

و إذا أسديت إليك يد فكافئها بما يربي عليها ، و الفضل مع ذلك للبادىء .

63

و قال عليه السلام : الشّفيع جناح الطّالب .

[355]

64

و قال عليه السلام : أهل الدّنيا كركب يسار بهم و هم نيام .

65

و قال عليه السلام : فقد الأحبّة غربة .

66

و قال عليه السلام : فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها .

67

و قال عليه السلام : لا تستح من إعطاء القليل ، فإنّ الحرمان أقلّ منه .

68

و قال عليه السلام : العفاف زينة الفقر ، و الشّكر زينة الغنى .

69

و قال عليه السلام : إذا لم يكن ما تريد فلا تبل (4506) ما كنت .

70

و قال عليه السلام : لا ترى الجاهل إلاّ مفرطا أو مفرّطا .

71

و قال عليه السلام : إذا تمّ العقل نقص الكلام .

72

و قال عليه السلام : الدّهر يخلق الأبدان ، و يجدّد الآمال ،

و يقرّب المنيّة ، و يباعد الأمنيّة (4507) : من ظفر به نصب (4508) ، و من فاته تعب .

[356]

73

و قال عليه السلام : من نصب نفسه للنّاس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، و ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، و معلّم نفسه و مؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم النّاس و مؤدّبهم

74

و قال عليه السلام : نفس المرء خطاه إلى أجله (4509) .

75

و قال عليه السلام : كلّ معدود منقض ، و كلّ متوقّع آت .

76

و قال عليه السلام : إنّ الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأوّلها (4510)

77

و من خبر ضرار بن حمزة الضبائي عند دخوله على معاوية و مسألته له عن أمير المؤمنين ، و قال : فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله (4511) و هو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ (4512) تململ السليم (4513) ، و يبكي بكاء الحزين ،

و يقول :

يا دنيا يا دنيا ، إليك عنّي ، أبي تعرّضت (4514) ؟ أم إليّ تشوّقت ؟ لا حان حينك (4515) هيهات غرّي غيري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلّقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير ، و خطرك يسير ، و أملك حقير .

آه من قلّة الزّاد ، و طول الطّريق ، و بعد السّفر ، و عظيم المورد (4516)

بيان

« السّديل » ما أسدل على الهودج ، و الجمع « السّدول » . و يقال : « هو

[357]

يتململ على فراشه » إذا لم يستقرّ من الوجع . و « السّليم » اللّديغ ، يقال : سلمته الحيّة أي لدغته . و قيل : إنّما سمّي سليما تفألا بالسلامة . و « إليك » من أسماء الأفعال ، أي تنحّ . و « عنّي » متعلّق بما فيه من معنى الفعل . و يقال : « حان حينه » أي قرب وقته ، و هذا دعاء عليها أي لا قرب وقت انخداعي بك و غرورك لي . قوله عليه السلام « غرّي غيري » ليس الغرض الأمر بغرور غيره ، بل بيان أنّه عليه السلام لا ينخدع بها ، بل غيره ينخدع بها . قوله عليه السلام « و أملك » أي ما يؤمّل منك و فيك . 31

[هذا بيان آخر في شرح الحكمة :]

بيان : قد مرّ الخبر برواية أخرى « هيهات » أي بعد ما تطلبين منّي ، و « خطر الرجل » قدره و منزلته و « أملك حقير » أي ما يؤمّل منك و فيك . 32

78

و من كلام له عليه السلام للسائل الشامي لما سأله : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله و قدر ؟ بعد كلام طويل هذا مختاره :

ويحك لعلّك ظننت قضاء (4517) لازما ، و قدرا (4518) حاتما (4519) و لو كان ذلك كذلك لبطل الثّواب و العقاب ، و سقط الوعد و الوعيد .

إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييرا ، و نهاهم تحذيرا ، و كلّف يسيرا ،

و لم يكلّف عسيرا ، و أعطى على القليل كثيرا ، و لم يعص مغلوبا ،

و لم يطع مكرها ، و لم يرسل الأنبياء لعبا ، و لم ينزل الكتاب للعباد عبثا ، و لا خلق السّماوات و الأرض و ما بينهما باطلا : « ذلك ظنّ

----

(31) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 345 .

----

(32) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 728 ، ط كمپاني و ص 674 ، ط تبريز .

[358]

الّذين كفروا ، فويل للّذين كفروا من النّار » .

79

و قال عليه السلام : خذ الحكمة أنّى كانت ، فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج (4520) في صدره حتّى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن .

80

و قال عليه السلام : الحكمة ضالّة المؤمن ، فخذ الحكمة و لو من أهل النّفاق .

81

و قال عليه السلام : قيمة كلّ أمرىء ما يحسنه . قال الرضي : و هي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ، و لا توزن بها حكمة ، و لا تقرن إليها كلمة .

82

و قال عليه السلام : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل (4521) لكانت لذلك أهلا : لا يرجونّ أحد منكم إلاّ ربّه ، و لا يخافنّ إلاّ ذنبه ، و لا يستحينّ أحد منكم إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، و لا يستحينّ أحد إذا لم يعلم الشّيء أن يتعلّمه ،

و عليكم بالصّبر ، فإنّ الصّبر من الإيمان كالرّأس من الجسد ، و لا خير في جسد لا رأس معه ، و لا في إيمان لا صبر معه .

83

و قال عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه ، و كان له متّهما : أنا دون ما تقول ، و فوق ما في نفسك .

[359]

84

و قال عليه السلام : بقيّة السّيف (4522) أبقى عددا ، و أكثر ولدا .

85

و قال عليه السلام : من ترك قول « لا أدري » أصيبت مقاتله (4523) .

بيان

أي من أجاب عن كلّ سؤال هلك . و في بعض النسخ : « أصبيت كلمته » بتقديم الموحّدة أي أميلت كلمته في الجواب إلى الجهل . 33 ضد : مثله .

86

و قال عليه السلام : رأي الشّيخ أحبّ إليّ من جلد (4524) الغلام . و روي « من مشهد (4525) الغلام » .

87 و قال عليه السلام :

عجبت لمن يقنط و معه الاستغفار .

88

و حكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام ، أنه قال :

كان في الأرض أمانان من عذاب اللّه ، و قد رفع أحدهما ، فدونكم الآخر فتمسّكوا به : أمّا الأمان الّذي رفع فهو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و أمّا الأمان الباقي فالاستغفار . قال اللّه تعالى :

وَ مَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ .

----

(33) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 122 .

[360]

قال الرضي : و هذا من محاسن الاستخراج و لطائف الاستنباط .

89

و قال عليه السلام : من أصلح ما بينه و بين اللّه أصلح اللّه ما بينه و بين النّاس ، و من أصلح أمر آخرته أصلح اللّه له أمر دنياه ،

و من كان له من نفسه واعظ كان عليه من اللّه حافظ .

90

و قال عليه السلام : الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط النّاس من رحمة اللّه ، و لم يؤيسهم من روح (4526) اللّه ، و لم يؤمنهم من مكر (4527) اللّه .

91

و قال عليه السلام : إنّ هذه القلوب تملّ كما نملّ الأبدان ،

فابتغوا لها طرائف الحكم (4528)

92

و قال عليه السلام : أوضع العلم (4529) ما وقف على اللّسان (4530) ،

و أرفعه ما ظهر في الجوارح و الأركان (4531) .

93

و قال عليه السلام : لا يقولنّ أحدكم : « اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة » لأنّه ليس أحد إلاّ و هو مشتمل على فتنة ، و لكن من استعاذ فليستعذ من مضلاّت الفتن ، فإنّ اللّه سبحانه يقول : « و اعلموا أنّما أموالكم و أولادكم فتنة » ، و معنى ذلك أنّه يختبرهم بالأموال و الأولاد ليتبيّن السّاخط لرزقه ، و الرّاضي بقسمه ، و إن كان سبحانه

[361]

أعلم بهم من أنفسهم ، و لكن لتظهر الأفعال الّتي بها يستحقّ الثّواب و العقاب ، لأنّ بعضهم يحبّ الذّكور و يكره الإناث ، و بعضهم يحبّ تثمير المال (4532) ، و يكره انثلام الحال (4533) . قال الرضي : و هذا من غريب ما سمع منه في التفسير .

94

و سئل عن الخير ما هو ؟ فقال : ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك ، و لكنّ الخير أن يكثر علمك . و أن يعظم حلمك ، و أن تباهي النّاس بعبادة ربّك ، فإن أحسنت حمدت اللّه ، و إن أسأت استغفرت اللّه . و لا خير في الدّنيا إلاّ لرجلين : رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتّوبة ، و رجل يسارع في الخيرات .

95

و قال عليه السلام : لا يقلّ عمل مع التّقوى ، و كيف يقلّ ما يتقبّل ؟

96

و قال عليه السلام : إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به ، ثمّ تلا : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الآية ، ثمّ قال : إنّ وليّ محمّد من أطاع اللّه و إن بعدت لحمته (4534) ، و إنّ عدوّ محمّد من عصى اللّه و إن قربت قرابته

97

و سمع عليه السلام رجلا من الحرورية (4535) يتهجد (4536) و يقرأ ، فقال :

[362]

نوم على يقين خير من صلاة في شكّ .

98

و قال عليه السلام : اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإنّ رواة العلم كثير ، و رعاته قليل .

بيان

أي ينبغي أن يكون مقصودكم الفهم للعمل لا محض الرواية ، ففيه شيئان :

الأوّل : فهمه و عدم الاقتصار على لفظه :

و الثاني : العمل به . 34

99

و سمع رجلا يقول : إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فقال عليه السلام :

إنّ قولنا : « إنّا لله » إقرار على أنفسنا بالملك (4537) ، و قولنا :

وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إقرار على أنفسنا بالهلك (4538) .

100

و قال عليه السلام ، و مدحه قوم في وجهه ، فقال : اللّهمّ إنّك أعلم بي من نفسي ، و أنا أعلم بنفسي منهم ، اللّهمّ اجعلنا خيرا ممّا يظنّون ، و اغفر لنا ما لا يعلمون .

101

و قال عليه السلام : لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث :

----

(34) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 161 .

[363]

باستصغارها (4539) لتعظم ، و باستكتامها (4540) لتظهر ، و بتعجيلها لتهنؤ (4541) .

102

و قال عليه السلام : يأتي على النّاس زمان لا يقرّب فيه إلاّ الماحل (4542) ، و لا يظرّف (4543) فيه إلاّ الفاجر ، و لا يضعّف (4544) فيه إلاّ المنصف ، يعدّون الصّدقة فيه غرما (4545) ، و صلة الرّحم منّا (4546) ، و العبادة استطالة (4547) على النّاس فعند ذلك يكون السّلطان بمشورة النّساء ، و إمارة الصّبيان ، و تدبير الخصيان

بيان

قوله عليه السلام « إلاّ الماحل » أي يقرّب الملوك و غيرهم إليهم السّعاة إليهم بالباطل ، و الواشين و النمّامين مكان أصحاب الفضائل ، و في بعض النسخ « الماجن » و هو أن لا يبالي ما صنع .

« و لا يطرّف » بالمهملة ، أي لا يعدّ طريفا ، فإنّ الناس يميلون إلي الطريف المستحدث ، و بالمعجمة ، أي لا يعدّ ظريفا كيّسا . « و لا يضعّف » أي يعدّونه ضعيف الرأي و العقل ، أو يتسلّطون عليه ، و في النهاية : في حديث أشراط الساعة :

« و الزكاة مغرما » أي يرى ربّ المال أنّ إخراج زكاته غرامة يغرمها . 35

103

ورئي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك ، فقال :

يخشع له القلب ، و تذلّ به النّفس ، و يقتدي به المؤمنون . إنّ الدّنيا و الآخرة عدوّان متفاوتان ، و سبيلان مختلفان ، فمن أحبّ الدّنيا

----

(35) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 52 ، تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام ، ص 278 .

و تولاّها أبغض الآخرة و عاداها ، و هما بمنزلة المشرق و المغرب ، و ماش بينهما ، كلّما قرب من واحد بعد من الآخر ، و هما بعد ضرّتان

104

و عن نوف البكالي ، قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة ، و قد خرج من فراشه ، فنظر في النجوم فقال لي : يا نوف ، أراقد أنت أم رامق ؟ فقلت : بل رامق (4548) ، قال :

يا نوف ، طوبى للزّاهدين في الدّنيا ، الرّاغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتّخذوا الأرض بساطا ، و ترابها فراشا ، و ماءها طيبا ، و القرآن شعارا (4549) ، و الدّعاء دثارا (4550) ، ثمّ قرضوا (4551) الدّنيا قرضا على منهاج (4552) المسيح .

يا نوف ، إنّ داوود عليه السّلام قام في مثل هذه السّاعة من اللّيل فقال : إنّها لساعة لا يدعو فيها عبد إلاّ استجيب له ، إلاّ أن يكون عشّارا (4553) أو عريفا (4554) أو شرطيّا (4555) ، أو صاحب عرطبة (و هي الطنبور) أو صاحب كوبة (و هي الطبل . و قد قيل أيضا : إنّ العرطبة الطبل و الكوبة الطنبور) .

105

و قال عليه السلام : إنّ الله افترض عليكم فرائض ،

فلا تضيّعوها ، و حدّ لكم حدودا ، فلا تعتدوها ، و نهاكم عن أشياء ،

فلا تنتهكوها (4556) ، و سكت لكم عن أشياء و لم يدعها نسيانا ، فلا تتكلّفوها (4557)

[365]

106

و قال عليه السلام : لا يترك النّاس شيئا من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلاّ فتح اللّه عليهم ما هو أضرّ منه .

107

و قال عليه السلام : ربّ عالم قد قتله جهله ، و علمه معه لا ينفعه .

بيان

قيل : أراد العلماء بما لا نفع فيه من العلوم كالسحر و النيرنجات و غير ذلك ، و يحتمل أن يراد بالجهل الأهواء الباطلة و الشهوات الفاسدة ، فإنّها ربّما غلبت العقل و العلم . 36

108

و قال عليه السلام : لقد علّق بنياط (4558) هذا الإنسان بضعة (4559) هي أعجب ما فيه : و ذلك القلب . و ذلك أنّ له موادّ من الحكمة و أضدادا من خلافها ، فإن سنح (4560) له الرّجاء أذلّه الطّمع ، و إن هاج به الطّمع أهلكه الحرص ، و إن ملكه اليأس قتله الأسف ، و إن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ ، و إن أسعده الرّضى نسي التّحفّظ (4561) ، و إن غاله الخوف شغله الحذر ، و إن اتّسع له الأمر استلبته الغرّة (4562) ، و إن أفاد (4563) مالا أطغاه الغنى ، و إن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، و إن عضّته الفاقة (4564) شغله البلاء ، و إن جهده (4565) الجوع قعد به الضّعف ،

و إن أفرط به الشّبع كظّته (4566) البطنة (4567) . فكلّ تقصير به مضرّ ،

----

(36) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 110 .

[366]

و كلّ إفراط له مفسد .

109

و قال عليه السلام : نحن النّمرقة الوسطى (4568) ، بها يلحق التّالي ، و إليها يرجع الغالي (4569) .

بيان

« النمرقة » و سادة صغيرة ، و ربّما سمّوا الطنفسة [37] الّتي فوق الرجل [38] نمرقة ، قال ابن أبي الحديد : و المعنى أنّ آل محمد صلّى اللّه عليه و آله هم الأمر الأوسط [39] بين الطرفين المذمومين ، فكلّ من جاوزهم فالواجب [40] أن يلحق بهم . و استعار لفظ النمرقة لهذا المعنى من قولهم : ركب فلان من الأمر منكرا و قد ارتكب الرأي الفلاني .

فكان يامراه الانسان مذهبا يرجع إليه يكون كالراكب و الجالس عليه و يجوز أن يكون لفظ الوسطى يراد به الفضل يقال : « هذه هي الطريقة الوسطى و الخليقة الوسطى » أي الفضل . و منه قوله تعالى : قَالَ أَوْسَطُهُمْ 41 أي أفضلهم . و منه :

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً 42 .

[37] الطنفسة مع الطآء المثلّثة : البساط و الحصير (المصحّح) .

[38] في المصدر : الرحل .

[39] في المصدر : المتوسّط .

[40] في المصدر : يكون بعد هذه العبارة ، العبارة التالية :

أن يرجع إليهم و كلّ من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم . فإن قلت : فلم استعار لفظ النمرقة لهذا المعنى ؟ قلت :

لما كانوا يقولون : قد ركب فلان من الأمر منكرا و قد ارتكب الرأي الفلاني . و كانت الطنفسة فوق الرحل فيما يركب . استعار لفظ النمرقة لما يراه الانسان مذهبا يرجع إليه و يكون كالراكب و الجالس عليه و المتورّك فوقه . و يجوز أيضا أن يكون لفظة « الوسطى » يراد بها الفضلى ، يقال : « هذه هي الطريقة الوسى و الخليقة الوسطى » أي الفضلى ، و منه قوله تعالى : « قال أوسطهم » أي أفضلهم . و منه : « جعلناكم أمّة وسطا » .

إنا ذكرنا العبارة الكاملة من شرح ابن أبي الحديد لما ترون من الأغلاط و الاشتباهات و الأحذاف الّتي وردت في البحار .

و هو إمّا سهو من قلم المصنّف و إمّا خطأ في طبع الكتاب ، و اللّه أعلم بالحال (المصحّح) .

----

(41) القلم : 28 .

----

(42) البقرة : 143 .

و قال ابن ميثم : وجه الاستعارة أنّ أئمة الحقّ مستند للخلق في تدبير معاشهم و معادهم . انتهى .

و يمكن أن يقال : لمّا كان الصدر في النمارق المصفوفة هي الوسطى ، فلذا وصفها بها . 43

110

و قال عليه السلام : لا يقيم أمر اللّه سبحانه إلاّ من لا يصانع (4570) ، و لا يضارع (4571) ، و لا يتّبع المطامع (4572) .

بيان

« المصانعة » الرشوة و يمكن أن يقرأ بفتح النون و في النسخ بالكسر و يحتمل أن يكون المصانعة بمعنى المداراة كما في النهاية . و « المضارعة » من « ضرع الرّجل ضراعة » إذا خضع و ذلّ ، و قيل : من المشابهة أي يتشبّه بأئمّة الحقّ و ولاته و ليس منهم و الأوّل أظهر . 44

111

و قال عليه السلام ، و قد توفي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين ، و كان أحبّ الناس إليه :

لو أحبّني جبل لتهافت (4573) .

معنى ذلك

أن المحنة تغلظ عليه ، فتسرع المصائب إليه ، و لا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار و المصطفين الأخيار ، و هذا مثل قوله عليه السلام :

112

من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلبابا . « و قد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره » .

----

(43) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 738 ، ط كمپاني و ص 683 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ،

ص 273 ، ط بيروت .

----

(44) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 104 ، كتاب الأحكام ، ص 272 .

[368]

تبيان

« مرجعه » منصوب على الظرفيّة . و « التهافت » التساقط قطعة قطعة ،

من « هفت كضرب » إذا سقط كذلك ، و قيل : « هفت » أي تطاير لخفّته ، و المراد تلاشي الأجزاء و تفرّقها لعدم الطاقة . و « تغلظ » في بعض النسخ على صيغة المجهول من باب التفعيل ، و في بعضها على صيغة المجرّد المعلوم يقال : « غلظ الشيء ككرم » ضدّ رقّ كما في النسخة ، و جاء [غلّظ] كضرب . و « الاستعداد للشيء » التهيّؤ له .

و لفظ الرواية على ما ذكره ابن الأثير في النهاية أظهر قال : في حديث عليّ عليه السلام : « من أحبّنا أهل البيت فليعدّ للفقر جلبابا » [45] أي ليزهد في الدنيا و ليصبر على الفقر و العلّة . و « الجلباب » الإزار و الرداء و قيل : هو كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها و ظهرها و صدرها ، و جمعه « جلابيب » كنّى به عن الصبر لأنّه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن .

و قيل : إنّما كنّي بالجلباب عن اشتماله بالفقر أي فليلبس إزار الفقر ، و يكون منه على حالة تعمّه و تشمله ، لأنّ الغنا من أحوال أهل الدنيا و لا يتهيّأ الجمع بين حبّ الدّنيا و حبّ أهل البيت . انتهى .

و قال ابن أبي الحديد 46 : قد ثبت أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال :

« لا يحبّك إلاّ مؤمن و لا يبغضك إلاّ منافق » . و قد ثبت أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قال : « إنّ البلوى أسرع إلى المؤمن من الماء إلى الحدور » .

هاتان المقدّمتان يلزمهما نتيجة صادقة هي أنّه عليه السلام لو أحبّه جبل لتهافت ، و لعلّ هذا هو مراد الرّضيّ رضي اللّه عنه بقوله : معنى آخر ليس هذا موضع ذكره .

[45] مرّ في ذيل ص 227 [بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة] حديث عن المعاني ، يقول فيه الصادق عليه السلام ،

الحديث : « من أحبّنا فليعدّه للفقر جلبابا » . فراجع .

----

(46) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 275 ، ط بيروت .

انتهى . و فيه تأمّل .

و قال ابن ميثم : « الجلباب » مستعار لتوطين النفس على الفقر و الصبر عليه ، و وجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعدّ بهما من عوارض الفقر و ظهوره في سوء الخلق و ضيق الصدر و التحيّر الّذي ربّما أدّى إلى الكفر ، كما يستر بالملحفة . و لمّا كانت محبّتهم عليهم السلام بصدق يستلزم متابعتهم و الاستشعار بشعارهم ، و من شعارهم الفقر و رفض الدنيا و الصبر على ذلك ، وجب أن يكون كلّ محبّ مستشعرا للفقر و مستعدّا له جلبابا من توطين النفس عليه و الصبر . 47 و قد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة أخرى ، فقال : من أحبّنا فليقتصر على التّقلّل من الدنيا و التقنّع فيها ، قال : و شبّه الصبر على الفقر بالجلباب لأنّه يستر الفقر ،

كما يستر الجلباب البدن .

قال : و يشهد بصحّة هذا التأويل ما روي أنّه رأي قوما على بابه ، فقال : يا قنبر من هؤلاء ؟

فقال : شيعتك يا أمير المؤمنين فقال : ما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة ؟

قال : و ما سيماء الشيعة ؟

قال : خمص البطون من الطوى ، يبس الشفاه من الظماء ، عمش العيون من البكاء .

و قال أبو عبيد : إنّه لم يرد الفقر في الدنيا ، ألا ترى أنّ فيمن يحبّهم مثل ما في سائر الناس من الغنى ؟ و إنّما أراد الفقر يوم القيامة ، و أخرج الكلام مخرج الوعظ و النصيحة و الحثّ على الطاعات ، فكأنّه أراد من أحبّنا فليعدّ لفقره يوم القيامة ما يحسره من الثواب ، و التقرّب إلى اللّه تعالى و الزلفة عنده .

قال : و قال السيّد المرتضى رحمه اللّه : و الوجهان جميعا حسنان ، و إن كان

----

(47) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 298 .

قول ابن قتيبة أحسن ، فذلك معنى قول السيّد رضي اللّه عنه و قد تؤوّل ذلك على معنى آخر . انتهى كلام ابن ميثم .

و قال القطب الراونديّ رحمه اللّه بعد ذكر المعنيين المحكيّين عن ابن قتيبة و أبي عبيد : و قال المرتضى فيه وجها ثالثا ، أي من أحبّنا فليزمّ نفسه و ليقدها إلى الطاعات ، و ليذلّلها على الصبر عمّا كره منها ، فالفقر أن يحزّ أنف البعير فيلوى عليه حبل يذلّل به الصعب ، يقال : « فقره » إذا فعل به ذلك . انتهى .

و لا يخفى أنّه لو كان المراد الصبر على الفقر و ستره و الكفّ عن إظهار الحاجة إلى الناس ، و ذلك هو المعبّر عنه بالجلباب ، كما أشير إليه أوّلا ، لا يقدح فيه ما ذكره أبو عبيد من أنّ فيمن يحبّهم مثل ما في سائر الناس من الغنى ، لأنّ

الأمر بالصبر و الستر حينئذ يتوجّه إلى من ابتلاه اللّه بالفقر ، فالمراد أنّ من ابتلى من محبّينا بالفقر ، فليصب عليه و لا يكشفها ، و لا يستفاد منه فقد الغنى من الشيعة .

و أمّا الخبر الأوّل فقد قيل : يحتمل أن تكون مفاده صعوبة حمل محبّتهم الكاملة ،

فيكون قريبا من قوله عليه السلام : إنّ أمرنا صعب مستصعب ، لا يحتمله إلاّ ملك مقرّب ، أو نبيّ مرسل ، أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان 48 .

فتهافت الجبل حينئذ لثقل هذا الحمل و شدّة المهابة ، كقوله تعالى : لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ 49 . و قوله تعالى : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا . 50
و الظاهر من المقام أنّه ليس المراد بالمحبّة ما في العوامّ و الأوساط ، بل ما يستلزم التشبّه به عليه السلام على وجه كامل ، و الاقتداء التامّ به عليه السلام في الفضائل و محاسن الأعمال على قدر الطاقة ، و إن كانت درجته الرفيعة فوق إدراك الأفهام و أعلى من أن تناله الأوهام ، و حقّ للجبل أن يتهافت عن حمل مثل ذلك الحمل .

----

(48) ارجع إلى : الكافي ، ج 1 ، ص 401 و بصائر الدرجات ، ص 20 .

----

(49) الحشر : 21 .

----

(50) الأحزاب : 73 .

تتميم

في هذه الأحاديث الواردة من طرق الخاصّة و العامّة دلالة واضحة على أنّ الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام في الأمراض الحسيّة و البلايا الجسميّة كغيرهم بل هم أولى بها من الغير تعظيما لأجرهم الّذي يوجب التفاضل في الدّرجات و لا يقدح ذلك في رتبتهم بل هو تثبيت لأمرهم ، و أنّهم بشر إذ لو لم يصبهم ما أصاب سائر البشر مع ما يظهر في أيديهم من خرق العادة ، لقيل فيهم ما قالت النصارى في نبيّهم .

و قد ورد هذا التأويل في الخبر ، و ابتلاؤهم تحفة لهم لرفع الدرجات الّتي لا يمكن الوصول إليها بشيء من العمل إلاّ ببليّة كما أنّ بعض الدرجات لا يمكن الوصول إليها إلاّ بالشهادة ، فيمنّ اللّه سبحانه على من أحبّ من عباده بها تعظيما و تكريما له ، كما ورد في خبر شهادة سيّد الشهداء عليه السلام أنّه رأى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في المنام فقال له : يا حسين لك درجة في الجنّة لا تصل إليها إلاّ بالشهادة .

و استثنى أكثر العلماء ما هو نقص و منفّر للخلق عنهم كالجنون و الجذام و البرص ، و حمل استعاذة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عنها على أنّها تعليم للخلق .

و قال المحقّق الطوسيّ قدّس سرّه في التجريد فيما يجب كونه في كلّ نبيّ :

العصمة ، و كمال العقل ، و الذكاء ، و الفطنة ، و قوّة الرأي ، و عدم السهو ، و كلّما ينفّر عنه الخلق من دناءة الآباء ، و عهر الأمّهات ، و الفظاظة ، و الغلظة ، و الأبنة و شبهها ، و الأكل على الطريق و شبهه .

و قال العلاّمة في شرحه : و أن يكون منزّها عن الأمراض المنفّرة نحو الأبنة و سلس الريح ، و الجذام ، و البرص ، لأنّ ذلك كلّه ممّا ينفّر عنه فيكون منافيا للغرض من البعثة و ضمّ القوشجيّ سلس البول أيضا .

و قال القاضي عياض من علماء المخالفين في كتاب الشفاء : قال الله تعالى : وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ 51

----

(51) آل عمران : 144 .

[372]

و قال : مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ 52 و قال : وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ 53 و قال : قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ . 54 فمحمّد صلّى الله عليه و آله و سائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ، و لو لا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم و القبول عنهم و مخاطبتهم ، قال الله تعالى : وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً 55 أي لما كان إلاّ في صورة البشر ، الّذين يمكنكم مخالطتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك و مخاطبته و رؤيته إذا كان على صورته ، و قال : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً 56 أي لا يمكن في سنّة الله إرسال الملك إلاّ لمن هو من جنسه أو من خصّ الله تعالى و اصطفاه و قوّاه على مقاومته كالأنبياء و الرسل .

فالأنبياء و الرسل وسائط بين الله و خلقه ، يبلّغونهم أوامره و نواهيه و وعده و وعيده و يعرّفونهم بما لم يعلموه من أمره و خلقه و جلاله و سلطانه و جبروته و ملكوته ،

فظواهرهم و أجسادهم و بنيتهم متّصفة بأوصاف البشر ، طاريء عليها ما يطرء على البشر من الأعراض و الأسقام و الموت و الفناء و نعوت الانسانيّة ، و أرواحهم و بواطنهم متّصفة بأعلى من أوصاف البشر ، متعلّقة بالملأ الأعلى ، متشبّهة بصفات الملائكة ، سليمة من التغيير و الآفات ، و لا يلحقها غالبا عجز البشريّة و لا ضعف الانسانيّة .

إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشريّة كظواهرهم ، لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة و رؤيتهم و مخاطبتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر . و لو كانت أجسامهم و ظواهرهم متّسمة بنعوت الملائكة و بخلاف صفات البشر ، لما أطاق البشر و من أرسلوا إليه مخاطبتهم كما تقدّم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام و الظواهر مع البشر ، و من جهة الأرواح و البواطن

----

(52) المائدة : 78 .

----

(53) الفرقان : 20 .

----

(54) الكهف : 11 .

----

(55) الأنعام : 9 .

----

(56) الإسراء : 95 .

[373]

مع الملائكة ، كما قال صلّى الله عليه و آله : « تنام عيناي و لا ينام قلبي » ، و قال :

« إنّي لست كهيئتكم إنّي أظلّ يطعمني ربّى و يسقيني » . فبواطنهم منزّهة عن الآفات ،

مطهّرة من النقائص و الاعتلالات .

و قال في موضع آخر : قد قدّمنا أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سائر الأنبياء و الرسل من البشر و أنّ جسمه و ظاهره خالص للبشر ، يجوز عليه من الآفات و التغييرات و الآلام و الأسقام ، و تجرّع كأس الحمام ما يجوز على البشر ، هذا كلّه ليس بنقيصة فيه ،

لأنّ الشيء إنّما يسمّى ناقصا بالاضافة إلى ما هو أتمّ منه و أكمل من نوعه . و قد كتب اللّه على أهل هذه الدار : فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ 57 ، و خلق جميع البشر بمدرجة الغير ، فقد مرض صلّى اللّه عليه و آله و اشتكى و أصابه الحرّ و القرّ ، و أدركه الجوع و العطش ، و لحقه الغضب و الضجر و ناله الاعياء و التعب ، و مسّه الضعف و الكبر ، و سقط فجحش شقّه ، و شجّه الكفّار و كسروا رباعيّته ، و سقي السمّ ، و سحر و تداوى ، و احتجم و تعوّذ ثمّ قضى نحبه فتوفّي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لحق بالرفيق الأعلى و تخلّص من دار الامتحان و البلوى .

و هذه سمات البشر الّتي لا محيص عنها و أصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منها ، و قتلوا قتلا ، و رموا في النار ، و وشروا بالمياشير . [58] و منهم من وقاه اللّه ذلك في بعض الأوقات ، و منهم من عصمه كما عصم نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله بعد من الناس .

فلئن لم يكفّ عن نبيّنا ربّه تعالى يد ابن قميئة يوم أحد ، و لا حجبه عن عيون عداه عند دعوة أهل الطائف ، فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور و أمسك عنه سيف غورث و حجر أبي جهل و فرس سراقة . و لئن لم يقه من سحر ابن الأعصم ، فلقد وقاه ما هو أعظم من سمّ اليهوديّة ، و كذا سائر أنبيائه مبتلى و معافى .

و ذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات و يبيّن أمرهم و يتمّ

----

(57) الأعراف : 25 .

[58] المياشير : المناشير : جمع « ميشار » بمعنى منشار .

كلمته فيهم و ليحقّق بامتحانهم بشريّتهم و يرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلاّ يضلّوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم و ليكون في محنهم تسلية لأممهم و وفور لاجورهم عند ربّهم تماما على الّذي أحسن إليهم .

قال بعض المحقّقين : و هذه الطواري و التغييرات المذكورة إنّما يختصّ بأجسامهم البشريّة المقصود بها مقاومة البشر و معاناة بني آدم لمشاكلة الجسم ، و أمّا بواطنهم فمنزّهة غالبا عن ذلك ، معصومة منه ، متعلّقة بالملأ الأعلى و الملائكة لأخذها عنهم ، تلقّيها الوحي منهم ، و قد قال [النبيّ] صلّى اللّه عليه و آله : « إنّ عينيّ تنامان و لا ينام قلبي » ، و قال : « إنّي لست كهيئتكم إنّي أبيت عند ربّي يطعمني و يسقيني » ،

و قال : « إنّي لست أنسى ، و لكن أنسى ليستنّ بي » .

فأخبر أنّ سرّه و باطنه و روحه بخلاف جسمه و ظاهره ، و أنّ الآفات الّتي تحلّ ظاهره من ضعف و جوع و نوم و سهر لا يحلّ منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن ، لأنّ غيره إذا نام استغرق النوم جسمه و قلبه ، و هو في نومه عليه السلام حاضر القلب كما هو في يقظته حتّى أنّه جاء في بعض الآثار أنّه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه .

و كذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه و حارت قوّته و بطلت في الكلّيّة حملته ، و هو عليه السلام قد أخبر أنّه لا يعتريه ذلك و أنّه بخلافهم ، بقوله : « لست كهيئتكم » ، و كذلك أقول : إنّه في هذه الأحوال كلّها من وصب و مرض و سحر و غضب لم يجر على باطنه ما يحلّ به ، و لا فاض منه على لسانه و جوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر .

تذييل

قال المحقّق الطوسيّ قدّس الله روحه في التجريد : بعض الألم قبيح يصدر منّا خاصّة و بعضه حسن يصدر منه تعالى و منّا ، و حسنه إمّا لاستحقاقه أو لاشتماله على النفع أو دفع الضرر الزائدين أو لكونه عاديا أو على وجه الدفع . و يجوز في المستحقّ كونه عقابا ، و لا يكفي اللطف في ألم المكلّف في الحسن و لا يشترط في الحسن اختيار المتألّم بالفعل ، و العوض نفع مستحقّ خال عن تعظيم و إجلال و يستحقّ عليه

[375]

تعالى بإنزال الآلام و تفويت المنافع لمصلحة الغير و إنزال الغموم سواء استندت إلى علم ضروري أو مكتسب أو ظنّ لا ما يستند إلى فعل العبد . و أمر عباده بالمضارّ و إباحته أو تمكين غير العاقل ، بخلاف الاحراق عند الالقاء في النار و القتل عند شهادة الزور و الانتصاف عليه تعالى واجب عقلا و سمعا ، فلا يجوز تمكين الظالم من الظلم من دون عوض في الحال يوازي ظلمه .

فإن كان المظلوم من أهل الجنّة فرّق الله أعواضه على الأوقات أو تفضّل عليه بمثلها ، و إن كان من أهل العقاب أسقط بها جزء من عقابه بحيث لا يظهر له التخفيف بأن يفرق الناقص على الأوقات ، و لا يجب دوامه لحسن الزائد بما يختار معه الألم و إن كان منقطعا ، و لا يجب حصوله في الدنيا لاحتمال مصلحة التأخير ، و الألم على القطع ممنوع مع أنّه غير محلّ النزاع ، و لا يجب إشعار صاحبه بايصاله عوضا و لا يتعيّن منافعه و لا يصحّ إسقاطه ، و العوض عليه تعالى يجب تزايده إلى حدّ الرضا عند كلّ عاقل ،

و علينا تجب مساواته .

و قال العلاّمة نوّر الله ضريحه في شرحه : اعلم أنّا قد بينّا وجوب الألطاف و المصالح ، و هي ضربان : مصالح في الدين ، و مصالح في الدّنيا أعني المنافع الدنياويّة . و مصالح الدين إمّا مضارّ ، أو منافع ، و المضارّ منها آلام و أمراض و غيرهما كالآجال و الغلاء و المنافع ، الصحّة و السعة في الرزق و الرّخص .

و اختلف الناس في قبح الألم و حسنه ، فذهبت الثنويّة إلى قبح جميع الآلام و ذهبت المجبّرة إلى حسن جميعها من الله تعالى و ذهبت البكريّة و أهل التناسخ و العدليّة إلى حسن بعضها و قبح الباقي ، و اختلفوا في وجه الحسن .

إلى أن قال : و قالت المعتزلة : إنّه يحسن عند شروط : أحدها : أن يكون مستحقّا و ثانيها : أن يكون نفع عظيم يوفى عليها ، و ثالثها : أن يكون فيها دفع ضرر أعظم منها ، و رابعها : أن يكون مفعولا على مجرى العادة ، كما يفعله الله تعالى بالحيّ إذا ألقيناه في النار ، و خامسها : أن يكون مفعولا على سبيل الدفع عن النفس كما إذا آلمنا من يقصد قتلنا ، لأنّا متى علمنا اشتمال الألم على أحد هذه الوجوه ، حكمنا بحسنه قطعا . و شرط حسن الألم المبتدأ الّذي يفعله الله تعالى كونه مشتملا على اللّطف ، امّا

[376]

للمتألّم أو لغيره ، لأنّ خلوّ الألم عن النفع الزائد الّذي يختار المؤلم معه الألم يستلزم الظلم و خلوّه عن اللّطف يستلزم العبث و هما قبيحان ، و لذا أوجب أبو هاشم في أمراض الصبيان مع الأعواض الزائدة اشتمالها على اللّطف لمكلّف آخر .

و جوّز المصنّف كأبي الحسين البصري أن تقع الآلام في الكفّار و الفسّاق عقابا للكافر و الفاسق ، و منع قاضي القضاة من ذلك و جزم بكون أمراضهم محنا لا عقوبات . و ذهب المصنّف كالقاضي و الشيخين إلى أنّه لا يكفي اللّطف في ألم المكلّف في الحسن ، بل لا بدّ من عوض خلافا لجماعة اكتفوا باللّطف ، و لو فرضنا اشتمال اللّذة على اللّطف الّذي اشتمل عليه الألم ، هل يحسن منه تعالى فعل الألم بالحيّ لأجل لطف الغير مع العوض الّذي يختار المكلّف لو عرض عليه ؟

قال أبو هاشم : نعم ، و أبو الحسين منع ذلك ، و تبعه المصنّف .

و لا يشترط في حسن الألم المفعول ابتداء من الله تعالى اختيار المتألّم للعوض الزائد عليه بالفعل ، و قيّد الخلوّ عن تعظيم و إجلال ليخرج به الثواب .

و الوجوه الّتي يستحقّ به العوض على الله تعالى أمور :

الأوّل : إنزال الآلام بالعبد كالمرض و غيره .

الثاني : تفويت المنافع إذا كانت منه تعالى لمصلحة الغير ، فلو أمات الله تعالى ابنا لزيد و كان في معلومه تعالى أنّه لو عاش لا ينفع به زيد لاستحقّ عليه تعالى العوض عمّا فاته من منافع ولده ، و لو كان في معلومه تعالى عدم انتفاعه به لأنّه يموت قبل الانتفاع منه لم يستحقّ منه عوضا لعدم تفويت المنفعة منه تعالى ، و لذلك لو أهلك ماله استحقّ العوض بذلك ، سواء أشعر بهلاك ماله أو لم يشعر لأنّ تفويت المنفعة كإنزال الألم ، و لو آلمه و لم يشعر به لاستحقّ العوض و كذا لو فوّت عليه منفعة لم يشعر بها ، و عندي في هذا الوجه نظر .

الثالث : إنزال الغموم بأن يفعل الله تعالى أسباب الغمّ ، أمّا الغمّ الحاصل من العبد نفسه فإنّه لا عوض فيه عليه تعالى .

الرابع : أمر الله تعالى عباده بإيلام الحيوان أو إباحته ، سواء كان الأمر

للايجاب أو للندب ، فإنّ العوض في ذلك كلّه على الله تعالى .

الخامس : تمكين غير العاقل مثل سباع الوحش و سباع الطير و الهوامّ و قد اختلف أهل العدل هنا أربعة أقوال : فذهب بعضهم إلى أنّ العوض على الله تعالى مطلقا ، و يعزّى إلى الجبائي ، و قال آخرون : إنّ العوض على فاعل الألم عن أبي عليّ ، و قال آخرون : لا عوض هنا على الله تعالى و لا على الحيوان .

و قال القاضي : إن كان الحيوان ملجأ إلى الايلام كان العوض عليه تعالى و إن لم يكن ملجأ كان العوض على الحيوان ، و إذا طرحنا صبيّا في النار فاحترق فإنّ الفاعل للألم هو الله تعالى و العوض علينا و يحسن لأنّ فعل الألم واجب في الحكمة من حيث إجراء العادة ، و الله قد منعنا من طرحه و نهانا عنه فصار الطارح كأنّه الموصل إليه الألم ، فلهذا كان العوض علينا دونه تعالى و كذلك إذا شهد عند الإمام شاهدا زور بالقتل فإنّ العوض على الشهود ، و إن كان الله تعالى قد أوجب القتل و الإمام تولاّه ، و ليس عليهما عوض ، لأنّهما أوجبا بشهادتهما على الإمام إيصال الألم إليه من جهة الشرع فصار كأنّهما فعلاه ، لأنّ قبول الشاهدين عادة شرعيّة يجب إجراؤها على قانونها كالعادات الحسّيّة .

و اختلف أهل العدل في وجوب الانتصاف عليه تعالى ، فذهب قوم منهم إلى أنّ الانتصاف للمظلوم من الظالم واجب على الله تعالى عقلا لأنّه هو المدبّر لعباده فنظره نظر الوالد لولده ، و قال آخرون منهم : إنّه يجب سمعا ، و المصنّف رحمه الله اختار وجوبه عقلا و سمعا .

و هل يجوز أن يمكّن الله تعالى من الظلم من لا عوض له في الحال يوازي ظلمه ؟ فمنع منه المصنّف قدّس سرّه .

و قد اختلف أهل العدل هنا ، فقال أبو هاشم و الكعبيّ : إنّه يجوز ، لكنّهما اختلفا فقال الكعبيّ : يجوز أن يخرج من الدنيا و لا عوض له يوازي ظلمه ، و قال : إنّ الله تعالى يتفضّل عليه بالعوض المستحقّ عليه و يدفعه إلى المظلوم ، و قال أبو هاشم :

لا يجوز بل يجب التقيّة ، لأنّ الانتصاف واجب و التفضّل ليس بواجب و لا يجوز تعليق

الواجب بالجائز .

و قال السيّد المرتضى رضي الله عنه : إنّ التقيّة تفضّل أيضا ، فلا يجوز تعليق الانتصاف بها ، فلهذا وجب العوض في الحال ، و اختاره المصنّف رحمه الله لما ذكرناه .

و اعلم أنّ المستحقّ للعوض إمّا أن يكون مستحقّا للجنّة أو للنار ، فإن كان مستحقّا للجنّة ، فإن قلنا : إنّ العوض دائم فلا بحث ، و إن قلنا : إنّه منقطع توجّه الإشكال بأن يقال : لو أوصل العوض إليه ثمّ انقطع عنه حصل له الألم بانقطاعه .

و الجواب من وجهين :

الأوّل : أنّه يوصل إليه عوضه متفرّقا على الأوقات بحيث لا يتبيّن له انقطاعه ،

فلا يحصل له الألم .

الثاني : أن يتفضّل الله تعالى عليه بعد انقطاعه بمثله دائما ، فلا يحصل له ألم و إن كان مستحقّا للعقاب جعل الله عوضه جزء من عقابه ، بمعنى أنّه يسقط من عقابه بازاء ما يستحقّه من الأعواض ، إذ لا فرق في العقل بين إيصال النفع و دفع الضرر في الإيثار .

فإذا خفّف عقابه و كانت آلامه عظيمة ، علم أنّ آلامه بعد إسقاط ذلك القدر من العقاب أشدّ و لا يظهر له أنّه كان في راحة ، أو نقول : إنّه تعالى ينقص من آلامه ما يستحقّه من أعواضه متفرّقا على الأوقات ، بحيث لا تظهر له الخفّة من قبل .

و اختلف في أنّه هل يجب دوام العوض أم لا ؟ فقال الجبائيّ : يجب دوامه و قال أبو هاشم : لا يجب ، و اختاره المصنّف رحمه الله . و لا يجب إشعار مستحقّ العوض بتوفيره عوضا له بخلاف الثواب ، و حينئذ أمكن أن يوفّره الله تعالى في الدّنيا على بعض المعوّضين غير المكلّفين و أن ينتصف لبعضهم من بعض في الدنيا ، و لا تجب إعادتهم في الآخرة . و العوض لا يجب إيصاله في منفعة معيّنة دون أخرى بل يصحّ توفيره بكلّ ما يحصل فيه شهوة المعوّض بخلاف الثواب ، لأنّه يجب أن يكون من جنس ما ألفه المكلّف من ملاذّه .

و لا يصحّ إسقاط العوض و لا هبته ممّن وجب عليه في الدنيا و لا في الآخرة سواء كان العوض عليه تعالى أو علينا ، هذا قول أبي هاشم و القاضي ، و جزم أبو الحسين بصحّة إسقاط العوض علينا إذا استحلّ الظالم من المظلوم و جعله في حلّ بخلاف العوض عليه تعالى فإنّه لا يسقط ، لأنّ إسقاطه عنه تعالى عبث لعدم انتفاعه به .

ثمّ قال بعد إيراد دليل القاضي على عدم صحّة الهبة مطلقا : و الوجه عندي جواز ذلك لأنّه حقّه و في هبته نفع للموهوب ، و يمكن نقل هذا الحقّ إليه . و على هذا لو كان العوض مستحقّا عليه تعالى ، أمكن هبة مستحقّه لغيره من العباد ، أمّا الثواب المستحقّ عليه تعالى فلا يصحّ منّا هبته لغيرنا لأنّه مستحقّ بالمدح فلا يصحّ نقله إلى من لا يستحقّه .

ثمّ قال : العوض الواجب عليه تعالى يجب أن يكون زائدا على الألم الحاصل بفعله أو بأمره أو بإباحته أو بتمكينه لغير العاقل زيادة تنتهي إلى حدّ الرضا من كلّ عاقل بذلك العوض في مقابلة ذلك الألم لو فعل به لأنّه لو لا ذلك لزم الظلم ، أمّا مع مثل هذا العوض ، فإنّه يصير كأنّه لم يفعل .

و أمّا العوض علينا فإنّه يجب مساواته لما فعله من الألم ، أو فوّته من المنفعة لأنّ الزائد على ما يستحقّ عليه من الضمان يكون ظلما . و لا يخرج ما فعلناه بالضمان عن كونه ظلما قبيحا ، فلا يلزم أن يبلغ الحدّ الّذي شرطناه في الآلام الصادرة عنه تعالى .

انتهى ملخّص ما ذكره قدّس سرّه و إنّما ذكرناها بطولها لتطّلع على ما ذكره أصحابنا تبعا لأصحاب الاعتزال ، و أكثر دلائلهم على جلّ ما ذكر في غاية الاعتلال ، بل ينافي بعض ما ذكروه كثير من الآيات و الأخبار ، و نقلها و تحصيلها و شرحها و تفصيلها لا يناسب هذا الكتاب ، و الله أعلم بالصواب ، و سيأتي بعض القول إن شاء الله تعالى عن قريب . 59

----

(59) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 67 كتاب الإيمان و الكفر ، ص 247 259 .

[هذا بيان آخر في شرح الحكمة :] بيان :

« التهافت » التساقط قطعة قطعة . و التأويل الآخر الّذي ذكره السيد رحمه اللّه لعلّه هو ما ذكره ابن ميثم ، قال : قال أبو عبيد : إنّه لم يرد الفقر في الدنيا و إنّما أراد الفقر يوم القيمة ، أي فليعدّ لذلك ما يجده من الثواب و التقرّب إلى اللّه تعالى و الزلفة لديه . 60

113

و قال عليه السلام : لا مال أعود من العقل (4574) ، و لا وحدة أوحش من العجب (4575) ، و لا عقل كالتّدبير ، و لا كرم كالتّقوى ،

و لا قرين كحسن الخلق ، و لا ميراث كالأدب ، و لا قائد كالتّوفيق ،

و لا تجارة كالعمل الصّالح ، و لا ربح كالثّواب ، و لا ورع كالوقوف عند الشّبهة ، و لا زهد كالزّهد في الحرام ، و لا علم كالتّفكّر ، و لا عبادة كأداء الفرائض ، و لا إيمان كالحياء و الصّبر ، و لا حسب كالتّواضع ،

و لا شرف كالعلم ، و لا عزّ كالحلم ، و لا مظاهرة أوثق من المشاورة .

114

و قال عليه السلام : إذا استولى الصّلاح على الزّمان و أهله ،

ثمّ أساء رجل الظّنّ برجل لم تظهر منه حوبة (4576) فقد ظلم و إذا استولى الفساد على الزّمان و أهله ، فأحسن رجل الظّنّ برجل فقد غرّر (4577)

----

(60) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 727 ، ط كمپاني و ص 674 ، ط تبريز .

115

و قال عليه السلام : كيف نجدك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السّلام : كيف يكون حال من يفنى ببقائه (4578) ، و يسقم بصحّته (4579) و يؤتى من مأمنه (4580)

بيان

الباء في قوله « ببقائه » للسببيّة ، فإنّ البقاء مقرّب للأجل موجب لضعف القوى ، و في قوله « بصحّته » للملابسة ، و يمكن الحمل على السببيّة بتكلّف فإنّ الصحّة غالبا موجبة لجرأة الانسان و عدم تحرّزه عن الأمور المضرّة له . و قوله عليه السلام : « يؤتى من مأمنه » أي يأتيه المصائب من الجهة الّتي لا يتوقّع إتيانها منها و في حال أمنه و غفلته ، و يحتمل أن يكون المأمن مصدرا ، فإنّ أمنه و غفلته من أسباب تركه للحزم و ظفر الأعداء عليه . 61

116

و قال عليه السلام : كم من مستدرج (4581) بالإحسان إليه ، و مغرور بالسّتر عليه ، و مفتون بحسن القول فيه و ما ابتلى (4582) اللّه أحدا بمثل الإملاء له (4583) .

117

و قال عليه السلام : هلك فيّ رجلان : محبّ غال (4584) ،

و مبغض قال (4585) .

بيان

« قلا » أي كرهه و أبغضه و هو يشمل المخالفين أيضا ، لأنّ تقديم غيره عليه بغض له . 62

118

و قال عليه السلام : إضاعة الفرصة غصّة .

----

(61) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 40 ، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 337 .

----

(62) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 678 ، ط تبريز .

[382]

119

و قال عليه السلام : مثل الدّنيا كمثل الحيّة ليّن مسّها ،

و السّمّ النّاقع في جوفها ، يهوي إليها الغرّ الجاهل ، و يحذرها ذو اللّبّ العاقل

120

و سئل عليه السلام عن قريش فقال : أمّا بنو مخزوم فريحانة قريش ، نحبّ حديث رجالهم ، و النّكاح في نسائهم . و أمّا بنو عبد شمس فأبعدها رأيا ، و أمنعها لما وراء ظهورها . و أمّا نحن فأبذل لما في أيدينا ، و أسمح عند الموت بنفوسنا ، و هم أكثر و أمكر و أنكر ،

و نحن أفصح و أنصح و أصبح .

بيان

قال ابن ميثم : « فلان بعيد الرأي » إذا كان يرى المصلحة من بعيد لقوّة رأيه . 63 « و أمنعها لما وراء ظهورها » كناية عن جمعيّتهم . و في النهاية : « النكر » بالضّم ،

الدّهاء و الأمر المنكر . و « أصبح » أي أحسن وجوها و أجمل أو ألفى للنّاس بالطلاقة و البشر . 64

121

و قال عليه السلام : شتّان ما بين عملين : عمل تذهب لذّته و تبقى تبعته ، و عمل تذهب مؤونته و يبقى أجره .

122

و تبع جنازة فسمع رجلا يضحك ، فقال : كأنّ الموت

----

(63) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 305 ، تحت الحكمة رقم 111 .

----

(64) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 738 ، ط كمپاني و ص 683 ، ط تبريز .

فيها على غيرنا كتب ، و كأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب ، و كأنّ الّذي نرى من الأموات سفر (4586) عمّا قليل إلينا راجعون نبوّئهم (4587) أجداثهم (4588) ، و نأكل تراثهم (4589) ، كأنّا مخلّدون بعدهم ثمّ قد نسينا كلّ واعظ و واعظة ، و رمينا بكلّ فادح و جائحة (4590)

بيان

قوله عليه السلام « كأنّ الموت فيها » أي في الدنيا . و « الحقّ » أوامر اللّه و نواهيه ، أو الموت . و « السفر » بالفتح جمع « مسافر » . و « الأجداث » القبور . و « التراث » ما يخلفه الرجل لورثته . « كلّ واعظ و واعظة » أي كلّ أمر و خصلة يوجب العبرة و الاتّعاظ .

و قوله « و رمينا » يحتمل الحاليّة ، قال في النهاية : « الجائحة » هي الآفة الّتي تهلك الثمار و الأموال و تستأصلها . و كلّ مصيبة عظيمة و فتنة مبيرة جائحة .

أقول : و رواه الكراجكيّ في كنز الفوائد عن النبيّ و زاد بعد قوله « كلّ جائحة » : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب غيره و أنفق ما اكتسب في غير معصية و رحم أهل الضعف و المسكنة و خالط أهل العفّة و الحكمة » . 65

123

و قال عليه السلام : طوبى لمن ذلّ في نفسه ، و طاب كسبه ، و صلحت سريرته ، و حسنت خليقته (4591) ، و أنفق الفضل من ماله ، و أمسك الفضل من لسانه ، و عزل عن النّاس شرّه ، و وسعته السّنّة ،

و لم ينسب إلى البدعة . قال الرضي : أقول : و من الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

----

(65) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 81 ، كتاب الطهارة ، ص 268 .

و سلم ، و كذلك الذي قبله .

بيان

« الذلّة في النفس » التواضع ضدّ الإعجاب و الترفّع . و « طيب الكسب » أن لا يكون مكسبه من الطرق المحرّمة و المكروهة و مواضع الشبهة . « و صلحت » كمنعت أو كحسنت باختلاف النسخ . و « سريرة الرجل و سرّه » باطنه ،

و « صلاحها » ترك النفاق و إضمار الشرّ و الخلوّ عن الحسد و غيره . و « الخليقة » الطبيعة . و « إنفاق الفضل من المال » أن لا يمسك لنفسه إلاّ الكفاف . و « إمساك الفضل من الكلام » الاقتصار على ما يعنيه . و « عزله كنصره » أي نحّاه و أبعده .

« و وسعته السنّة » أي لم تتضيّق عليه حتّى يخرج إلى البدعة و طلبها ، و ذلك الخروج إمّا في الاعتقاد لعدم الرضا بالسنّة ، و هو مضادّ للايمان كما قال سبحانه : فَلاَ وَ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ الآية 66 ، و إمّا في العمل لميل النفس الأمّارة إلى الباطل و اتّباع الشهوات ، و هو معصية منافية لكمال الايمان . 67

124

و قال عليه السلام : غيرة المرأة كفر (4592) ، و غيرة الرّجل إيمان .

125

و قال عليه السلام : لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي . الإسلام هو التّسليم ، و التّسليم هو اليقين ، و اليقين هو التّصديق ،

و التّصديق هو الإقرار ، و الإقرار هو الأداء ، و الأداء هو العمل .

126

و قال عليه السلام : عجبت للبخيل يستعجل الفقر (4593)

----

(66) النساء : 65 .

----

(67) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 323 .

الّذي منه هرب ، و يفوته الغنى الّذي إيّاه طلب ، فيعيش في الدّنيا عيش الفقراء ، و يحاسب في الآخرة حساب الأغنياء ، و عجبت للمتكبّر الّذي كان بالأمس نطفة ، و يكون غدا جيفة ، و عجبت لمن شكّ في اللّه ، و هو يرى خلق اللّه ، و عجبت لمن نسي الموت ، و هو يرى الموتى ،

و عجبت لمن أنكر النّشأة الأخرى ، و هو يرى النّشأة الأولى ، و عجبت لعامر دار الفناء و تارك دار البقاء .

127

و قال عليه السلام : من قصّر في العمل ابتلي بالهمّ ، و لا حاجة للّه فيمن ليس للّه في ماله و نفسه نصيب .

بيان

قيل : المقصّر في العمل للّه يكون غالب أحواله متوفّرا على الدنيا مفرطا في طلبها و جمعها ، و بقدر التوفّر عليها يكون شدّة الهمّ في جمعها و تحصيلها ، ثمّ في ضبطها و الخوف على فواتها .

أقول : الأظهر أنّ المعنى أنّ الهموم و الأحزان في الدّنيا إنّما تعرض لمن قصّر فيها في العمل كما قال سبحانه : مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ 68 ، و إنّما لا تعرض تلك لمن لم يكن للّه فيه حاجة ، أي لم يكن مستحقّا للطفه تعالى و رحمته . 69

128

و قال عليه السلام : توقّوا البرد (4594) في أوّله ، و تلقّوه (4595)

----

(68) الشورى : 30 .

----

(69) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 81 ، كتاب الطهارة ، ص 191 .

في آخره ، فإنّه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار ، أوّله يحرق ،

و آخره يورق (4596) .

129

و قال عليه السلام : عظم الخالق عندك يصغّر المخلوق في عينك .

130

و قال عليه السلام ، و قد رجع من صفين ، فأشرف على القبور بظاهر الكوفة :

يا أهل الدّيار الموحشة (4597) ، و المحالّ المقفرة (4598) ، و القبور المظلمة ، يا أهل التّربة ، يا أهل الغربة ، يا أهل الوحدة ، يا أهل الوحشة ، أنتم لنا فرط (4599) سابق ، و نحن لكم تبع (4600) لاحق . أمّا الدّور فقد سكنت ، و أمّا الأزواج فقد نكحت ، و أمّا الأموال فقد قسمت . هذا خبر ما عندنا ، فما خبر ما عندكم ؟

ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ « خير الزّاد التّقوى » .

131

و قال عليه السلام ، و قد سمع رجلا يذم الدنيا : أيّها الذّامّ للدّنيا ، المغترّ بغرورها ، المخدوع بأباطيلها أتغترّ بالدّنيا ثمّ

تذمّها ؟ أنت المتجرّم (4601) عليها ، أم هي المتجرّمة عليك ؟ متى استهوتك (4602) ، أم متى غرّتك ؟ أ بمصارع (4603) آبائك من البلى (4604) أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثّرى (4605) ؟ كم علّلت (4606) بكفّيك ،

و كم مرّضت بيديك تبتغي لهم الشّفاء ، و تستوصف (4607) لهم الأطبّاء ، غداة لا يغني عنهم دواؤك ، و لا يجدي عليهم بكاؤك . لم ينفع أحدهم إشفاقك (4608) ، و لم تسعف فيه بطلبتك (4609) ، و لم تدفع عنه بقوّتك و قد مثّلت لك به الدّنيا نفسك (4610) ، و بمصرعه مصرعك . إنّ الدّنيا دار صدق لمن صدقها ، و دار عافية لمن فهم عنها ، و دار غنى لمن تزوّد منها (4611) ، و دار موعظة لمن اتّعظ بها .

مسجد أحبّاء الله ، و مصلّى ملائكة الله ، و مهبط وحي الله ، و متجر أولياء الله . اكتسبوا فيها الرّحمة ، و ربحوا فيها الجنّة . فمن ذا يذمّها و قد آذنت (4612) ببينها (4613) ، و نادت بفراقها ، و نعت نفسها (4614) و أهلها ،

فمثّلت لهم ببلائها البلاء ، و شوّقتهم بسرورها إلى السّرور ؟ راحت (4615) بعافية ، و ابتكرت (4616) بفجيعة (4617) ، ترغيبا و ترهيبا ، و تخويفا و تحذيرا ، فذمّها رجال غداة النّدامة ، و حمدها آخرون يوم القيامة .

ذكّرتهم الدّنيا فتذكّروا ، و حدّثتهم فصدّقوا ، و وعظتهم فاتّعظوا .

132

و قال عليه السلام : إنّ لله ملكا ينادي في كلّ يوم :

[388]

لدوا (4618) للموت ، و اجمعوا للفناء ، و ابنوا للخراب .

133

و قال عليه السلام : الدّنيا دار ممرّ لا دار مقرّ ، و النّاس فيها رجلان : رجل باع فيها نفسه فأوبقها (4619) ، و رجل ابتاع (4620) نفسه فأعتقها .

134

و قال عليه السلام : لا يكون الصّديق صديقا حتّى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، و غيبته ، و وفاته .

135

و قال عليه السلام : من أعطي أربعا لم يحرم أربعا : من أعطي الدّعاء لم يحرم الإجابة ، و من أعطي التّوبة لم يحرم القبول ،

و من أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ، و من أعطي الشّكر لم يحرم الزّيادة . قال الرضي : و تصديق ذلك كتاب الله ، قال الله في الدّعاء : ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و قال في الاستغفار : وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِيماً و قال في الشكر : لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنّكُمْ و قال في التوبة : إنّما التّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً .

136

و قال عليه السلام : الصّلاة قربان كلّ تقيّ ، و الحجّ جهاد كلّ ضعيف . و لكلّ شيء زكاة ، و زكاة البدن الصّيام ، و جهاد المرأة

حسن التّبعّل (4621) .

137

و قال عليه السلام : استنزلوا الرّزق بالصّدقة .

138

و قال عليه السلام : من أيقن بالخلف جاد بالعطيّة .

139

و قال عليه السلام : تنزل المعونة على قدر المؤونة .

140

و قال عليه السلام : ما عال (4622) من اقتصد .

141

و قال عليه السلام : قلّة العيال أحد اليسارين .

142

و قال عليه السلام : التّودّد نصف العقل .

143

و قال عليه السلام : الهمّ نصف الهرم .

144

و قال عليه السلام : ينزل الصّبر على قدر المصيبة ، و من ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط (4623) عمله .

بيان :

روي في الكافي بسند فيه ضعف على المشهور بالسّكوني عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله : ضرب المسلم يده على فخذه عند المصيبة إحباط لأجره . 70 و روي بسند آخر فيه أيضا ضعف عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام مثله . 71

----

(70) فروع الكافي ، ج 3 ، ص 224 .

----

(71) فروع الكافي ، ج 3 ، ص 225 .

[390]

و ظاهرها الحرمة و يمكن حملها على الكراهة كما هو ظاهر أكثر الأصحاب ،

و الأحوط الترك . و يدلّ على الإحباط في الجملة . 72 كتاب الغارات للثقفيّ بإسناده مثله . 73

145

و قال عليه السلام : كم من صائم ليس له من صيامه إلاّ الجوع و الظّمأ ، و كم من قائم ليس له من قيامه إلاّ السّهر و العناء ،

حبّذا نوم الأكياس (4624) و إفطارهم

146

و قال عليه السلام : سوسوا (4625) إيمانكم بالصّدقة ،

و حصّنوا أموالكم بالزّكاة ، و ادفعوا أمواج البلاء بالدّعاء .

147

و من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي قال كميل بن زياد : أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأخرجني إلى الجبّان (4626) ، فلما أصحر (4627) تنفس الصّعداء (4628) ، ثم قال :

يا كميل بن زياد ، إنّ هذه القلوب أوعية (4629) ، فخيرها أوعاها (4630) ،

فاحفظ عنّي ما أقول لك :

----
(72) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الطهارة ، ص 84 .

----
(73) الغارات ، ج 1 ، ص 148 .

[391]

النّاس ثلاثة : فعالم ربّانيّ (4631) ، و متعلّم على سبيل نجاة ،

و همج (4632) رعاع (4633) أتباع كلّ ناعق (4634) ، يميلون مع كلّ ريح ،

لم يستضيئوا بنور العلم ، و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

يا كميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك و أنت تحرس المال . و المال تنقصه النّفقة ، و العلم يزكو (4635) على الإنفاق ، و صنيع المال يزول بزواله .

يا كميل بن زياد ، معرفة العلم دين يدان به ، به يكسب الإنسان الطّاعة في حياته ، و جميل الأحدوثة بعد وفاته . و العلم حاكم ، و المال محكوم عليه .

يا كميل ، هلك خزّان الأموال و هم أحياء ، و العلماء باقون ما بقي الدّهر : أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة . ها إنّ هاهنا لعلما جمّا (و أشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حملة (4636) بلى أصبت لقنا (4637) غير مأمون عليه ، مستعملا آلة الدّين للدّنيا ،

و مستظهرا بنعم اللّه على عباده ، و بحججه على أوليائه ، أو منقادا لحملة الحقّ (4638) ، لا بصيرة له في أحنائه (4639) ، ينقدح الشّكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة . ألا لا ذا و لا ذاك أو منهوما (4640) باللّذّة ،

[392]

سلس القياد (4641) للشّهوة ، أو مغرما (4642) بالجمع و الادّخار (4643) ،

ليسا من رعاة الدّين في شيء ، أقرب شيء شبها بهما الأنعام (4644) السّائمة (4645) كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة ، إمّا ظاهرا مشهورا ،

و إمّا خائفا مغمورا (4646) ، لئلاّ تبطل حجج اللّه و بيّناته . و كم ذا و أين أولئك ؟ أولئك و اللّه الأقلّون عددا ، و الأعظمون عند اللّه قدرا .

يحفظ اللّه بهم حججه و بيّناته ، حتّى يودعوها نظراءهم ، و يزرعوها في قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، و باشروا روح اليقين ، و استلانوا (4647) ما استعوره (4648) المترفون (4649) ، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، و صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى . أولئك خلفاء اللّه في أرضه ، و الدّعاة إلى دينه . آه آه شوقا إلى رؤيتهم انصرف يا كميل إذا شئت .

بيان

سيأتي هذا الخبر بأسانيد جمّة [74] في باب الاضطرار إلى الحجّة . و « الجبّان و الجبّانة » بالتشديد ، الصحراء ، و تسمّى بهما المقابر أيضا . و « أصحر » أي أخرج إلى الصحراء . و « أوعاها » أي أحفظها للعلم و أجمعها . و « الربّانيّ » منسوب إلى الربّ بزيادة الألف و النون على خلاف القياس كالرقبانيّ ، قال الجوهريّ :

« الربّانيّ » المتألّه العارف باللّه تعالى ، و كذا قال الفيروزآباديّ . و قال في

[74] بفتح الجيم و ضمّها : كثيرة .

[393]

الكشّاف : « الربّانيّ » هو شديد التمسّك بدين اللّه تعالى و طاعته . و قال في مجمع البيان : هو الّذي يربّ أمر الناس بتدبيره و إصلاحه إيّاه [75] و « الهمج » قد مرّ . و « الرعاع » الأحداث الطغام من العوام و السفلة و أمثالهم . و « النعيق » صوت الراعي بغنمه ، و يقال لصوت الغراب أيضا ، و المراد أنّهم لعدم ثباتهم على عقيدة من العقائد و تزلزلهم في أمر الدين يتّبعون كلّ داع و يعتقدون بكلّ مدّع و يخبطون خبط العشواء من غير تمييز بين محقّ و مبطل ، و لعلّ في جمع هذا القسم و إفراد القسمين الأوّلين إيماء إلى قلّتهما و كثرته ، كما ذكره الشيخ البهائيّ رحمه اللّه . و « الركن الوثيق » هو العقائد الحقّة البرهانيّة اليقينيّة الّتي يعتمد عليها في دفع الشبهات و رفع مشقّة الطاعات . و « العلم يحرسك » أي من مخاوف الدنيا و الآخرة و الفتن و الشكوك و الوساوس الشيطانيّة . و « المال تنقصه » و في ف : تفنيه . و « العلم يزكو على الإنفاق » أي ينمو و يزيد به ، إمّا لأنّ كثرة المدارسة توجب وفور الممارسة و قوّة الفكر ، أو لأنّ اللّه تعالى يفيض من خزائن علمه على من لا يبخل به .

و قال الشيخ البهائيّ رحمه اللّه : كلمة « على » يجوز أن تكون بمعنى « مع » كما قالوا في قوله تعالى : وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ 76 ، و أن تكون للسببيّة و التعليل كما قالوه في قوله تعالى : وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيكُمْ 77 .

و في ف بعد ذلك : « و العلم حاكم و المال محكوم عليه » إذ بالعلم يحكم على الأموال في القضاء ، و ينتزع من أحد الخصمين و يصرف إلى الآخر ، و أيضا إنفاقه و جمعه على وفق العلم بوجوه تحصيله و مصارفه . « محبّة العالم دين يدان به » ، « الدين » الطاعة و الجزاء أي طاعة هي جزاء نعم اللّه و شكر لها ، أو يدان و يجزى صاحبه به ، أو محبّة العالم و هو الإمام دين و ملّة يعبد اللّه بسببه و لا تقبل الطاعات إلاّ به .

[75] قال ابن ميثم : قيل : سمّوا بذلك لأنّهم يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها ، و قيل : لأنّهم يربّون العلم ، أي يقومون باصلاحه . شرح النهج ، ج 5 ، ص 322 .

----

(76) الرعد : 8 .

----

(77) البقرة : 185 .

[394]

و في ما : « صحبة العالم دين يدان اللّه به » أي عبادة يعبد اللّه بها .

و في نهج البلاغة : « معرفة العلم دين يدان به » . قوله « يكسبه الطاعة » قال الشيخ البهائيّ رحمه اللّه : بضمّ الحرف المضارعة من « أكسب » و المراد أنّه يكسب الانسان طاعة اللّه ، أو يكسبه طاعة العباد له .

أقول : لا حاجة إلى نقله إلى باب الإفعال ، بل المجرّد أيضا ورد بهذا المعنى ، بل هو أفصح . قال الجوهريّ : « الكسب » الجمع ، و كسبت أهلي خيرا و كسبت الرجل مالا فكسبه . و هذا ممّا جاء « فعلته ففعل » . انتهى . و الضمير في « يكسبه » راجع إلى صاحب العلم .

و في نهج البلاغة : يكسب الانسان الطاعة . و « جميل الأحدوثة » أي الكلام الجميل و الثناء ، « و الأحدوثة » مفرد الأحاديث . و في ف بعد ذلك : « و منفعة المال تزول بزواله » و هو ظاهر . « مات خزّان الأموال و هم أحياء » أي هم في حال حياتهم في حكم الأموات ، لعدم ترتّب فائدة الحياة على حياتهم من فهم الحقّ و سماعه و قبوله و العمل به و استعمال الجوارح فيما خلقت لأجله ، كما قال تعالى : أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ 78 و العلماء بعد موتهم أيضا باقون بذكرهم الجميل و بما حصل لهم من السعادات و اللّذّات في عالم البرزخ و النشأة الآخرة و بما يترتّب على آثارهم و علومهم و ينتفع الناس من بركاتهم الباقية مدى الأعصار . و على نسخة أمالي الشيخ المراد أنّهم ماتوا و مات ذكرهم و آثارهم معهم ، و العلماء بعد موتهم باقون بآثارهم و علومهم و أنوارهم .

قوله عليه السلام « و أمثالهم في القلوب موجودة » قال الشيخ البهائيّ :

« الأمثال » جمع « مثل » بالتحريك ، فهو في الأصل بمعنى النظير ، استعمل في القول السائر الممثّل مضربه بمورده ثمّ في الكلام الّذي له شأن و غرابة ، و هذا هو المراد ههنا ،

أي أنّ حكمهم و مواعظهم محفوظة عند أهلها يعملون بها . انتهى . و يحتمل أن يكون

----

(78) النحل : 21 .

[395]

المراد بأمثالهم أشباحهم و صورهم ، فإنّ المحبّين لهم المهتدين بهم المقتدين لآثارهم يذكرونهم دائما و صورهم متمثّلة في قلوبهم على أن يكون جمع « مثل » بالتحريك أو جمع « مثل » بالكسر ، فإنّه أيضا يجمع على أمثال . « إنّ ههنا لعلما » و في نهج البلاغة :

« لعلما جمّا » أي كثيرا . « لو أصبت له حملة » بالفتحات ، جمع « حامل » أي من يكون أهلا له ، و جواب « لو » محذوف ، أي لأظهرته أو لبذلته له . مع أنّ كلمة « لو » إذا كانت للتمنّي لا تحتاج إلى الجزاء عند كثير من النحاة . « بلى أصبت له لقنا » و في نهج البلاغة : « اصيب لقنا » ، و « اللّقن » بفتح اللاّم و كسر القاف ، الفهم من « اللقانة » و هي حسن الفهم . « غير مأمون » أي يذيعه إلى غير أهله ، و يضعه في غير موضعه .

« يستعمل آلة الدين في الدنيا » و في ف : « في طلب الدنيا » أي يجعل العلم الّذي هو آلة و وصلة إلى الفوز بالسعادات الأبديّة آلة و وسيلة إلى تحصيل الحظوظ الفانية الدنيويّة .

قوله عليه السلام « يستظهر بحجج اللّه على خلقه » لعلّ المراد بالحجج و النعم أئمّة الحقّ ، أي يستعين بهؤلاء و يأخذ منهم العلوم ليظهر هذا العلم للناس فيتّخذه ضعفاء العقول بطانة [79] و وليجة و يصدّ الناس عن وليّ الحقّ و يدعوهم إلى نفسه ، و يحتمل أن يكون المراد بالحجج و النعم العلم الّذي آتاه اللّه ، و يكون الظرفان متعلّقين بالاستظهار ، أي يستعين بالحجج للغلبة على الخلق و بالنعم للغلبة على العباد . و غرضه من هذا الاستظهار إظهار الفضل ليتّخذه الناس وليجة ، قال الفيروزآباديّ :

« الوليجة » الدخيلة و خاصّتك من الرجال أو من تتّخذه معتمدا عليه من غير أهلك . و في ف : « و بنعمة اللّه على معاصيه » .

أو منقادا لحملة العلم » بالحآء المهملة و في بعض النسخ بالجيم أي مؤمنا بالحقّ معتقدا له على سبيل الجملة ، و في ف : أو قائلا بجملة الحقّ .

« لا بصيرة له في أحنائه » بفتح الهمزة و بعدها حآء مهملة ثمّ نون ، أي جوانبه ،

[79] بطانة الرجل : أهله و خاصّته .

أي ليس له غور و تعمّق فيه و في بعض نسخ الكتابين و في ف و في بعض نسخ النهج أيضا « في إحيائه » بالياء المثنّاة من تحت ، أي في ترويجه و تقويته . « يقدح » على صيغة المجهول ، يقال : « قدحت النار » أي استخرجتها بالمقدحة ، و في ما مثل ف يقتدح و في النهج : ينقدح . و على التقادير حاصله أنّه يشتعل نار الشكّ في قلبه بسبب أوّل شبهة عرضت له ، فكيف إذا توالت و تواترت ؟

« ألا لا ذا و لا ذاك » أي ليس المنقاد العديم البصيرة أهلا لتحمّل العلم ، و لا اللّقن الغير المأمون . و هذا الكلام معترض بين المعطوف و المعطوف عليه . « أو منهوما باللّذّات » أي حريصا عليها منهمكا فيها ، و « المنهوم » في الأصل هو الّذي لا يشبع من الطعام . أقول . في أكثر نسخ الكتابين : « فمنهوم » أي فمن طلبة العلم أو من الناس . و في ف : « اللّهم لا ذا و لا ذاك فمن إذا المنهوم باللذّة السلس القياد للشهوة ، أو مغرم بالجمع و الادّخار ليسا من رعاة الدين و لا ذوي البصائر و اليقين » . و في النهج : « أو منهوما باللذّة سلس القياد للشهوة أو مغرما » .

قوله عليه السلام « سلس القياد » أي سهل الانقياد من غير توقّف . « أو مغرى بالجمع و الادّخار » أي شديد الحرص على جمع المال و ادّخاره كأنّ أحدا يغريه بذلك و يبعثه عليه ، و « الغرم » أيضا بمعناه ، يقال : « فلان مغرم بكذا » أي لازم له مولع به . « ليسا من رعاة الدين » ، « الرعاة » بضمّ أوّله جمع « راع » بمعنى الوالي ، أي ليس « المنهوم » و « المغرى » المذكوران من ولاة الدين ، و فيه إشعار بأنّ العالم الحقيقي وال على الدين و قيّم عليه . « أقرب شبها » أي « الأنعام السّائمة » أي الراعية أشبه الأشياء بهذين الصنفين . « كذلك يموت » أي مثل ما عدم من يصلح لتحمّل العلوم تعدم تلك العلوم أيضا و تندرس آثارها بموت العلماء العارفين لأنّهم لا يجدون من يليق لتحمّلها بعدهم .

و لمّا كانت سلسلة العلم و العرفان لا تنقطع بالكليّة مادام نوع الانسان بل لا بدّ من إمام حافظ للدين في كلّ زمان ، استدرك أمير المؤمنين عليه السلام كلامه هذا بقوله « اللّهم بلى » و في النهج : « لا تخلو الأرض من قائم للّه بحججه إمّا ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا » . و في ف : « من قائم بحجّة إمّا ظاهرا مكشوفا أو خائفا مفردا ،

لئلاّ تبطل حجج اللّه و بيّناته و رواة كتابه » . و الإمام الظاهر المشهور كأمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و الخائف المغمور كالقائم في زماننا و كباقي الأئمّة المستورين للخوف و التقيّة ، و يحتمل أن يكون باقي الأئمّة عليهم السلام داخلين في الظاهر المشهور . « و كم و أين » استبطاء لمدّة غيبة القائم عليه السلام و تبرّم [80] من امتداد دولة أعدائه أو إبهام لعدد الأئمّة عليهم السلام و زمان ظهورهم و مدّة دولتهم لعدم المصلحة في بيانه . ثم بيّن عليه السلام قلّة عددهم و عظم قدرهم ، و على الثاني يكون الحافظون و المودّعون الأئمّة عليهم السلام و على الأوّل يحتمل أن يكون المراد شيعتهم الحافظين لأديانهم في غيبتهم . « هجم بهم العلم » أي أطلعهم العلم اللّدنّيّ على حقائق الأشياء دفعة ، و انكشفت لهم حجبها و أستارها . و « الروح » بالفتح الراحة و الرحمة و النسيم ، أي وجدوا لذّة اليقين و هو من رحمته تعالى و نسائم لطفه . « و استلانوا ما استوعره المترفون » ، « الوعر من الأرض » ضدّ السهل و « المترف » المنعم ،

أي استسهلوا ما استصعبه المتنعّمون من رفض الشهوات و قطع التعلّقات . « و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون » من الطاعات و القربات و المجاهدات في الدين . « صحبوا الدنيا بأبدان الخ » أي و إن كانوا بأبدانهم مصاحبين لهذا الخلق ، و لكن بأرواحهم مبائنون عنهم بل أرواحهم معلّقة بقربه و وصاله تعالى مصاحبة لمقرّبي جنابه من الأنبياء و الملائكة المقرّبين . « أولئك خلفاء اللّه في أرضه » تعريف المسند إليه بالإشارة للدلالة على أنّه حقيق بما يسند إليه بعدها بسبب اتّصافه بالأوصاف المذكورة قبلها كما قالوه في قوله تعالى :

أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . 81 و في نسخ نهج البلاغة : « آه ، آه » و في سائرها في بعضها : « هاى هاى » و في بعضها : « هاه هاه » ، و على التقادير الغرض إظهار الشوق إليهم و التوجّع على مفارقتهم ،

[80] « تبرّم » أي تضجّر .

----

(81) البقرة : 5 .

و إن لم يرد بعضها في اللّغة ففي العرف شائع . [82] و إنّما بيّنّا هذا الخبر قليلا من التبيين لكثرة جدواه للطالبين ، و ينبغي أن ينظروا فيه كلّ يوم بنظر اليقين ، و سنوضح بعض فوائده في كتاب الإمامة إن شاء اللّه تعالى . 83

148

و قال عليه السلام : المرء مخبوء تحت لسانه .

149

و قال عليه السلام : هلك امرؤ لم يعرف قدره .

150

و قال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل ، و يرجّي التّوبة (4650) بطول الأمل ، يقول في الدّنيا بقول الزّاهدين ، و يعمل فيها بعمل الرّاغبين ،

إن أعطي منها لم يشبع ، و إن منع منها لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أوتي ، و يبتغي الزّيادة فيما بقي ، ينهى و لا ينتهي ، و يأمر بما لا يأتي ، يحبّ الصّالحين و لا يعمل عملهم ، و يبغض المذنبين و هو أحدهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ، و يقيم (4651) على ما يكره الموت

[82] و هذا من عجيب قوله رحمه اللّه ، و كيف يتصوّر أن يكون هناك لفظ يفيد معنى بحسب العرف يستعمله مثله عليه السلام و هو أخطب العرب ثمّ تعرفه اللّغة ؟ و هل العرف إلاّ المعروف من اللغة الّذي يعرفه أهلها بحسب مرحلة الاستعمال ؟ ط

----

(83) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 1 ، كتاب العلم ، ص 189 .

[399]

من أجله ، إن سقم (4652) ظلّ نادما ، و إن صحّ أمن لاهيا ، يعجب بنفسه إذا عوفي ، و يقنط إذا ابتلي ، إن أصابه بلاء دعا مضطرّا ، و إن ناله رخاء أعرض مغترّا ، تغلبه نفسه على ما يظنّ ، و لا يغلبها على ما يستيقن (4653) ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ، و يرجو لنفسه بأكثر من عمله ، إن استغنى بطر (4654) و فتن ، و إن افتقر قنط (4655) و وهن (4656) ،

يقصّر إذا عمل ، و يبالغ إذا سأل ، إن عرضت له شهوة أسلف (4657) المعصية ، و سوّف (4658) التّوبة ، و إن عرته محنة (4659) انفرج (4660) عن شرائط الملّة (4661) . يصف العبرة (4662) و لا يعتبر ، و يبالغ في الموعظة و لا يتّعظ ، فهو بالقول مدلّ (4663) ، و من العمل مقلّ ، ينافس فيما يفنى ، و يسامح فيما يبقى . يرى الغنم (4664) مغرما (4665) ، و الغرم مغنما ، يخشى الموت ، و لا يبادر (4666) الفوت (4667) ، يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه ، و يستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ، فهو على النّاس طاعن ، و لنفسه مداهن ، اللّهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذّكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ،

و لا يحكم عليها لغيره ، يرشد غيره و يغوي نفسه ، فهو يطاع و يعصي ،

و يستوفي و لا يوفي ، و يخشى الخلق في غير ربّه و لا يخشى ربّه في خلقه .

[400]

قال الرضي : و لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة ، و حكمة بالغة ، و بصيرة لمبصر ، و عبرة لناظر مفكر .

151

و قال عليه السلام : لكلّ امرىء عاقبة حلوة أو مرّة .

152

و قال عليه السلام : لكلّ مقبل إدبار ، و ما أدبر كأن لم يكن .

153

و قال عليه السلام : لا يعدم الصّبور الظّفر و إن طال به الزّمان .

154

و قال عليه السلام : الرّاضي بفعل قوم كالدّاخل فيه معهم .

و على كلّ داخل في باطل إثمان : إثم العمل به ، و إثم الرّضي به .

155

و قال عليه السلام : اعتصموا (4668) بالذّمم (4669) في أوتادها (4670) .

156

و قال عليه السلام : عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته (4671) .

157

و قال عليه السلام : قد بصّرتم إن أبصرتم (4672) ، و قد هديتم إن اهتديتم ، و أسمعتم إن استمعتم .

158

و قال عليه السلام : عاتب أخاك بالإحسان إليه ، و اردد

شرّه بالإنعام عليه .

159

و قال عليه السلام : من وضع نفسه مواضع التّهمة فلا يلومنّ من أساء به الظّنّ .

160

و قال عليه السلام : من ملك استأثر (4673)

161

و قال عليه السلام : من استبدّ برأيه هلك ، و من شاور الرّجال شاركها في عقولها .

162

و قال عليه السلام : من كتم سرّه كانت الخيرة (4674) بيده .

163

و قال عليه السلام : الفقر الموت الأكبر .

164

و قال عليه السلام : من قضى حقّ من لا يقضي حقّه فقد عبده .

165

و قال عليه السلام : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

166

و قال عليه السلام : لا يعاب المرء بتأخير حقّه ، إنّما يعاب من أخذ ما ليس له .

167

و قال عليه السلام : الإعجاب يمنع الازدياد (4675) .

168

و قال عليه السلام : الأمر قريب و الاصطحاب قليل (4676)

169

و قال عليه السلام : قد أضاء الصّبح لذي عينين .

170

و قال عليه السلام : ترك الذّنب أهون من طلب المعونة .

171

و قال عليه السلام : كم من أكلة منعت أكلات

172

و قال عليه السلام : النّاس أعداء ما جهلوا .

173

و قال عليه السلام : من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطإ .

[85] في المصدر : إضمار شيء .

[86] بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 738 ، ط كمپاني و ص 683 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 390 ، ط بيروت . و لا يخفى على من يرجع إلى شرح ابن أبي الحديد أنّ المصنّف قد خلّص عبارة الشارح و ذكر قسمة منها لا كلّها (المصحّح) .

174

و قال عليه السلام : من أحدّ (4677) سنان (4678) الغضب للّه قوي على قتل أشدّاء الباطل .

175

و قال عليه السلام : إذا هبت أمرا (4679) فقع فيه ، فإنّ شدّة توقّيه (4680) أعظم ممّا تخاف منه .

176

و قال عليه السلام : آلة الرّياسة سعة الصّدر .

177

و قال عليه السلام : ازجر المسيء بثواب المحسن (4681)

178

و قال عليه السلام : احصد الشّرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

179

و قال عليه السلام : اللّجاجة تسلّ الرّأي (4682)

180

و قال عليه السلام : الطّمع رقّ مؤبّد .

181

و قال عليه السلام : ثمرة التّفريط النّدامة ، و ثمرة الحزم السّلامة .

182

و قال عليه السلام : لا خير في الصّمت عن الحكم كما أنّه لا خير في القول بالجهل .

183

و قال عليه السلام : ما اختلفت دعوتان إلاّ كانت إحداهما

ضلالة .

184

و قال عليه السلام : ما شككت في الحقّ مذ أريته .

185

و قال عليه السلام : ما كذبت و لا كذّبت ، و لا ضللت و لا ضلّ بي .

186

و قال عليه السلام : للظّالم البادي غدا بكفّه عضّة (4683)

187

و قال عليه السلام : الرّحيل وشيك (4684) .

188

و قال عليه السلام : من أبدى صفحته للحقّ هلك (4685)

بيان

أي صار معارضا للحقّ ، أو تجرّد لنصرة الحقّ في مقابلة كلّ أحد . و يؤيّده أنّ في رواية أخرى : هلك عند جهلة النّاس .
87

189

و قال عليه السلام : من لم ينجه الصّبر أهلكه الجزع

190

و قال عليه السلام : وا عجباه أ تكون الخلافة بالصّحابة و القرابة ؟ قال الرضي : و روي له شعر في هذا المعنى :

----

(87) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 143 .

فإن كنت بالشّورى ملكت أمورهم
فكيف بهذا و المشيرون غيّب (4686) ؟

و إن كنت بالقربى حججت خصيمهم (4687
فغيرك أولى بالنّبيّ و أقرب

بيان

قوله عليه السلام « فكيف بهذا » أي كيف تملكها بهذا . قوله عليه السلام « خصيمهم » أي من كان خصمالك منهم في دعوى الخلافة .

و قال ابن أبي الحديد : حديثه عليه السلام في النثر و النظم المذكورين مع أبي بكر و عمر . أمّا النثر فوجه إلي عمر لأنّ ابا بكر قال لعمر [88] : امدد يدك قال له عمر : أنت صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في المواطن كلّها ، شدّتها و رخائها ، فامدد أنت يدك فقال علي عليه السلام : إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن [89] فهلا سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك و قد زاد عليه بالقرابة .

و أمّا النظم فموجه إلى أبي بكر لأنّه [90] حاجّ الأنصار في السقيفة فقال : نحن عترة رسول اللّه و بيضته الّتي تفقأت عنه فلمّا بويع احتجّ على [91] الناس بالبيعة و إنّها صدرت عن أهل الحلّ و العقد .

فقال علي عليه السلام : أمّا احتجاجك على الأنصار بأنّك من بيضة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من قومه فغيرك أقرب نسبا منك إليه . و أمّا احتجاجك

[88] في المصدر : أمّا النثر ، فإلى عمر يوجّهه أنّ أبا بكر لمّا قال لعمر . و الظاهر أنّ ما في البحار أصحّ (المصحّح) .

[89] في المصدر : في المواطن كلّها .

[90] في المصدر : لأنّ أبا بكر .

[91] في المصدر : إلى .

بالاختيار و رضى الجماعة بك فقد كان قوم من أجلّة [92] الصحابة غائبين لم يحضروا [93] العقد فكيف ثبت . [94]

191

و قال عليه السلام : إنّما المرء في الدّنيا غرض (4688) تنتضل (4689) فيه المنايا (4690) ، و نهب (4691) تبادره المصائب ، و مع كلّ جرعة شرق (4692) . و في كلّ أكلة غصص . و لا ينال العبد نعمة إلاّ بفراق أخرى ، و لا يستقبل يوما من عمره إلاّ بفراق آخر من أجله .

فنحن أعوان المنون (4693) ، و أنفسنا نصب الحتوف (4694) ، فمن أين نرجو البقاء و هذا اللّيل و النّهار لم يرفعا من شيء شرفا (4695) ، إلاّ أسرعا الكرّة في هدم ما بنيا ، و تفريق ما جمعا ؟

192

و قال عليه السلام : يا بن آدم ما كسبت فوق قوتك ،

فأنت فيه خازن لغيرك .

193

و قال عليه السلام : إنّ للقلوب شهوة و إقبالا و إدبارا ،

فأتوها من قبل شهوتها و إقبالها ، فإنّ القلب إذا أكره عمي .

194

و كان عليه السلام يقول : متى أشفي غيظي إذا غضبت ؟

[92] في المصدر : جملة .

[93] في المصدر : لم يحضر .

[94] في المصدر : يثبت . بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 177 ، ط كمپاني و ص 171 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 18 ، ص 185 ، ط بيروت .

[407]

أحين أعجز عن الانتقام فيقال لي : لو صبرت ؟ أم حين أقدر عليه فيقال لي : لو عفوت .

195

و قال عليه السلام و قد مر بقذر على مزبلة : هذا ما بخل به الباخلون .

و روي في خبر آخر أنه قال : هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس

196

و قال عليه السلام : لم يذهب من مالك ما وعظك .

197

و قال عليه السلام : إنّ هذه القلوب تملّ كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة .

198

و قال عليه السلام لما سمع قول الخوارج : « لا حكم إلاّ لله » : كلمة حقّ يراد بها باطل .

بيان

قال ابن أبي الحديد : قال الله تعالى [95] : إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ . 96 أي إذا أراد الله شيئا من أفعاله فلا بدّ من وقوعه بخلاف غيره من القادرين .

و تمسّكت الخوارج به في إنكارهم عليه في القول بالتحكيم مع عدم رضاه عليه السلام كما ذكر في السير ، و أراد الخوارج نفي كلّ ما يسمّى حكما و هو باطل ،

[95] في المصدر : معنى قوله سبحانه .

----
(96) يوسف : 40 .

[408]

لأنّ اللّه تعالى قد أمضى حكم كثير من المخلوقين في كثير من الشرايع . 97

199

و قال عليه السلام في صفة الغوغاء (4696) : هم الّذين إذا اجتمعوا غلبوا ، و إذا تفرّقوا لم يعرفوا . و قيل : بل قال عليه السلام : هم الّذين إذا اجتمعوا ضرّوا ، و إذا تفرّقوا نفعوا ، فقيل :

قد عرفنا مضرة اجتماعهم ، فما منفعة افتراقهم ؟ فقال : يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم ، فينتفع النّاس بهم ، كرجوع البنّاء إلى بنائه ، و النّسّاج إلى منسجه ، و الخبّاز إلى مخبزه .

200

و قال عليه السلام ، و أتى بجان و معه غوغاء ، فقال : لا مرحبا بوجوه لا ترى إلاّ عند كلّ سوأة .

201

و قال عليه السلام : إنّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه ،

فإذا جاء القدر خلّيا بينه و بينه ، و إنّ الأجل (4697) جنّة حصينة (4698) .

202

و قال عليه السلام ، و قد قال له طلحة و الزبير : نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر : لا ، و لكنّكما شريكان في القوّة و الاستعانة ، و عونان على العجز و الأود (4699) .

----
(97) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 603 ، ط كمپاني و ص 556 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 17 ، ط بيروت .

[409]

بيان

قال ابن أبي الحديد : أي إذا قوى [98] أمر الإسلام بي قويتما أنتما أيضا . و « الاستعانة » هنا [99] الفوز و الظفر . و « عونان على العجز و الأود » أي العوج .

قال ابن ميثم رحمه اللّه : أي على رفع ما يعرض منهما أو حال وجودهما إذ كلمة « على » تفيد الحال . 100 و روى ابن أبي الحديد أنّه قال في جوابهما : « أمّا المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك و هل يصحّ أن يدبّر أمر الرعية إمامان و هل يجمع السيفان ويحك في غمد » . 101

203

و قال عليه السلام : أيّها النّاس ، اتّقوا اللّه الّذي إن قلتم سمع ، و إن أضمرتم علم ، و بادروا الموت الّذي إن هربتم منه أدرككم ، و إن أقمتم أخذكم ، و إن نسيتموه ذكركم .

204

و قال عليه السلام : لا يزهّدنّك في المعروف من لا يشكره لك ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، و قد تدرك من شكر الشّاكر أكثر ممّا أضاع الكافر ، « و اللّه يحبّ المحسنين » .

205

و قال عليه السلام : كلّ وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم ، فإنّه يتّسع به .

[98] في المصدر : إذا قوى أمري و أمر الإسلام بي .

[99] في المصدر : ههنا .

----

(100) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 346 .

----

(101) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 400 ، ط كمپاني و ص 375 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 22 ، ط بيروت .

[410]

206

و قال عليه السلام : أوّل عوض الحليم من حلمه أنّ النّاس أنصاره على الجاهل .

207

و قال عليه السلام : إن لم تكن حليما فتحلّم ، فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم .

208

و قال عليه السلام : من حاسب نفسه ربح ، و من غفل عنها خسر ، و من خاف أمن ، و من اعتبر أبصر ، و من أبصر فهم ، و من فهم علم .

209

و قال عليه السلام : لتعطفنّ الدّنيا علينا بعد شماسها (4700) عطف الضّروس (4701) على ولدها ، و تلا عقيب ذلك : « و نريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثين » .

بيان

« عطف عليه » أي شفقت . و « شمس الفرس شماسا » أي منع ظهره ،

و « رجل شموس » صعب الخلق . و « ناقة ضروس » سيّئة الخلق يعضّ حالبها ليبقى لبنها لولدها . 102

210

و قال عليه السلام : اتّقوا اللّه تقيّة من شمّر تجريدا ، و جدّ تشميرا ، و كمّش (4702) في مهل ، و بادر عن وجل (4703) ، و نظر في كرّة الموئل (4704) و عاقبة المصدر ، و مغبّة المرجع (4705)

----

(102) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 51 ، تاريخ الإمام الثاني عشر ، ص 64 .

[411]

211

و قال عليه السلام : الجود حارس الأعراض ، و الحلم فدام (4706) السّفيه ، و العفو زكاة الظّفر ، و السّلوّ (4707) عوضك ممّن غدر ،

و الاستشارة عين الهداية . و قد خاطر من استغنى برأيه . و الصّبر يناضل الحدثان (4708) ، و الجزع (4709) من أعوان الزّمان . و أشرف الغنى ترك المنى (4710) . و كم من عقل أسير تحت هوى أمير و من التّوفيق حفظ التّجربة . و المودّة قرابة مستفادة . و لا تأمننّ ملولا (4711) .

212

و قال عليه السلام : عجب (4712) المرء بنفسه أحد حسّاد عقله

213

و قال عليه السلام : أغض (4713) على القذى (4714) و الألم ترض أبدا

214

و قال عليه السلام : من لان عوده كثفت أغصانه (4715)

215

و قال عليه السلام : الخلاف يهدم الرّأي .

216

و قال عليه السلام : من نال (4716) استطال (4717)

217

و قال عليه السلام : في تقلّب الأحوال ، علم جواهر الرّجال .

218

و قال عليه السلام : حسد الصّديق من سقم المودّة (4718) .

219

و قال عليه السلام : أكثر مصارع العقول تحت بروق

[412]

المطامع .

220

و قال عليه السلام : ليس من العدل القضاء على الثّقة بالظّنّ .

221

و قال عليه السلام : بئس الزّاد إلى المعاد ، العدوان على العباد .

222

و قال عليه السلام : من أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم .

223

و قال عليه السلام : من كساه الحياء ثوبه ، لم ير النّاس عيبه .

224

و قال عليه السلام : بكثرة الصّمت تكون الهيبة (4719) ، و بالنّصفة يكثر المواصلون (4720) و بالإفضال تعظم الأقدار ، و بالتّواضع تتمّ النّعمة ، و باحتمال المؤن (4721) يجب السّؤدد (4722) ، و بالسّيرة العادلة يقهر المناوىء (4723) ، و بالحلم عن السّفيه تكثر الأنصار عليه .

225

و قال عليه السلام : العجب لغفلة الحسّاد ، عن سلامة الأجساد

226

و قال عليه السلام : الطّامع في وثاق الذّلّ .

227

و سئل عن الإيمان فقال : الإيمان معرفة بالقلب ، و إقرار

[413]

باللّسان ، و عمل بالأركان .

228

و قال عليه السلام : من أصبح على الدّنيا حزينا فقد أصبح لقضاء اللّه ساخطا ، و من أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربّه ، و من أتى غنيّا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه ،

و من قرأ القرآن فمات فدخل النّار فهو ممّن كان يتّخذ آيات اللّه هزوا ، و من لهج قلبه بحبّ الدّنيا التاط (4724) قلبه منها بثلاث :

همّ لا يغبّه ، و حرص لا يتركه ، و أمل لا يدركه .

229

و قال عليه السلام : كفى بالقناعة ملكا ، و بحسن الخلق نعيما ، و سئل عليه السلام عن قوله تعالى : فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ،

فقال : هي القناعة .

230

و قال عليه السلام : شاركوا الّذي قد أقبل عليه الرّزق ،

فإنّه أخلق للغنى ، و أجدر بإقبال الحظّ عليه .

231

و قال عليه السلام في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ العدل : الإنصاف ، و الإحسان : التّفضّل .

232

و قال عليه السلام : من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطّويلة .

[414]

قال الرضي : أقول : و معنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير و البر و إن كان يسيرا فإن اللّه تعالى يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا ، و اليدان هاهنا : عبارة عن النعمتين ،

ففرّق عليه السلام بين نعمة العبد و نعمة الرب تعالى ذكره ، بالقصيرة و الطويلة ، فجعل تلك قصيرة و هذه طويلة ، لأن نعم اللّه أبدا تضعف (4725) على نعم المخلوق أضعافا كثيرة ، إذ كانت نعم اللّه أصل النعم كلها ، فكل نعمة إليها ترجع و منها تنزع .

233

و قال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام : لا تدعونّ إلى مبارزة (4726) ، و إن دعيت إليها فأجب ، فإنّ الدّاعي إليها باغ ،

و الباغي مصروع (4727) .

بيان

« مصروع » أي مستحقّ لأن يضرع و يهلك و بعيد من نصر اللّه سبحانه . 103

234

و قال عليه السلام : خيار خصال النّساء شرار خصال الرّجال : الزّهو (4728) ، و الجبن ، و البخل ، فإذا كانت المرأة مزهوّة (4729) لم تمكّن من نفسها ، و إذا كانت بخيلة حفظت مالها و مال بعلها ،

و إذا كانت جبانة فرقت (4730) من كلّ شيء يعرض لها .

235

و قيل له : صف لنا العاقل ، فقال عليه السلام : هو الّذي يضع الشّيء مواضعه ، فقيل : فصف لنا الجاهل ، فقال : قد فعلت .

----

(103) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 625 .

قال الرضي : يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه ، فكأن ترك صفته صفة له ،

إذ كان بخلاف وصف العاقل .

236

و قال عليه السلام : و اللّه لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق (4731) خنزير في يد مجذوم (4732)

237

و قال عليه السلام : إنّ قوما عبدوا اللّه رغبة فتلك عبادة التّجّار ، و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبة فتلك عبادة العبيد ، و إنّ قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عبادة الأحرار .

أقول :

قال ابن ميثم : أي لأنّه مستحقّ للعبادة .

و قال [عليّ] عليه السلام في موضع آخر : إلهي ما عبدتك خوفا من عقابك و لا طمعا في ثوابك ، و لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك . 104

238

و قال عليه السلام : المرأة شرّ كلّها ، و شرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها

239

و قال عليه السلام : من أطاع التّواني ضيّع الحقوق ، و من أطاع الواشي ضيّع الصّديق .

240

و قال عليه السلام : الحجر الغصيب (4733) في الدّار رهن على خرابها .

----

(104) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 41 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 14 .

قال الرضي : و يروى هذا الكلام عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ، و لا عجب أن يشتبه الكلامان ، لأن مستقاهما من قليب (4734) ، و مفروغهما من ذنوب (4735) .

241

و قال عليه السلام : يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من يوم الظّالم على المظلوم .

242

و قال عليه السلام : اتّق اللّه بعض التّقى و إن قلّ ، و اجعل بينك و بين اللّه سترا و إن رقّ .

243

و قال عليه السلام : إذا ازدحم الجواب (4736) ، خفي الصّواب .

244

و قال عليه السلام : إنّ للّه في كلّ نعمة حقّا ، فمن أدّاه زاده منها ، و من قصّر فيه خاطر بزوال نعمته .

245

و قال عليه السلام : إذا كثرت المقدرة قلّت الشّهوة .

246

و قال عليه السلام : احذروا نفار النّعم (4737) فما كلّ شارد بمردود .

247

و قال عليه السلام : الكرم أعطف من الرّحم (4738) .

248

و قال عليه السلام : من ظنّ بك خيرا فصدّق ظنّه .

249

و قال عليه السلام : أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه .

250

و قال عليه السلام : عرفت اللّه سبحانه بفسخ العزائم (4739) ،

[417]

و حلّ العقود (4740) ، و نقض الهمم .

251

و قال عليه السلام : مرارة الدّنيا حلاوة الآخرة ، و حلاوة الدّنيا مرارة الآخرة .

252

و قال عليه السلام : فرض اللّه الإيمان تطهيرا من الشّرك ،

و الصّلاة تنزيها عن الكبر ، و الزّكاة تسبيبا للرّزق ، و الصّيام ابتلاء لإخلاص الخلق ، و الحجّ تقربة للدّين (4741) ، و الجهاد عزّا للإسلام ،

و الأمر بالمعروف مصلحة للعوامّ ، و النّهي عن المنكر ردعا للسّفهاء ،

و صلة الرّحم منماة (4742) للعدد ، و القصاص حقنا للدّماء ، و إقامة الحدود إعظاما للمحارم ، و ترك شرب الخمر تحصينا للعقل ، و مجانبة السّرقة إيجابا للعفّة ، و ترك الزّنى تحصينا للنّسب ، و ترك اللّواط تكثيرا للنّسل ، و الشّهادات (4743) استظهارا (4744) على المجاحدات (4745) ، و ترك الكذب تشريفا للصّدق ، و السّلام أمانا من المخاوف ، و الإمامة نظاما للأمّة ، و الطّاعة تعظيما للإمامة .

253

و كان عليه السلام يقول : أحلفوا الظّالم إذا أردتم يمينه بأنّه بريء من حول اللّه و قوّته ، فإنّه إذا حلف بها كاذبا عوجل العقوبة ، و إذا حلف باللّه الّذي لا إله إلاّ هو لم يعاجل ، لأنّه قد وحّد اللّه تعالى .

[418]

254

و قال عليه السلام : يابن آدم ، كن وصيّ نفسك في مالك ، و اعمل فيه ما تؤثر (4746) أن يعمل فيه من بعدك .

255

و قال عليه السلام : الحدّة ضرب من الجنون ، لأنّ صاحبها يندم ، فإن لم يندم فجنونه مستحكم .

256

و قال عليه السلام : صحّة الجسد ، من قلّة الحسد .

257

و قال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي : يا كميل ،

مر أهلك أن يروحوا (4747) في كسب المكارم ، و يدلجوا (4748) في حاجة من هو نائم . فو الّذي وسع سمعه الأصوات ، ما من أحد أودع قلبا سرورا إلاّ و خلق اللّه له من ذلك السّرور لطفا . فإذا نزلت به نائبة (4749) جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل .

258

و قال عليه السلام : إذا أملقتم (4750) فتاجروا اللّه بالصّدقة

259

و قال عليه السلام : الوفاء لأهل الغدر غدر عند اللّه و الغدر بأهل الغدر وفاء عند اللّه .

260

و قال عليه السلام : كم من مستدرج بالإحسان إليه و مغرور بالسّتر عليه ، و مفتون بحسن القول فيه . و ما ابتلى اللّه سبحانه

[419]

أحدا بمثل الإملاء له . قال الرضي : و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أن فيه ها هنا زيادة جيدة مفيدة .

[421]

فصل نذكر فيه شيئا من غريب كلامه المحتاج الى التفسير

[423]

1 و في حديثه عليه السلام

فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدّين بذنبه ، فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف . قال الرضي : اليعسوب : السيد العظيم المالك لأمور الناس يومئذ ، و القزع : قطع الغيم التي لا ماء فيها .

بيان

قالوا : هذا الكلام في خبر الملاحم الّذي يذكر فيه المهدي عليه السلام و قال في النهاية : أي فارق أهل الفتنة و ضرب في الأرض ذاهبا في أهل دينه و أتباعه الّذين يتّبعونه على رأيه و هم الأذناب . و قال الزمخشريّ : الضرب بالذّنب ههنا مثل للإقامة و الثبات يعني أنّه يثبت هو و من يتبعه على الدين . 105

2 و في حديثه عليه السلام

هذا الخطيب الشّحشح .

شرح

يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها ، و كل ماض في كلام أو سير فهو شحشح ، و الشحشح

----

(105) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 51 ، تاريخ الإمام الثاني عشر عليه السلام ، ص 113 .

[424]

في غير هذا الموضع : البخيل الممسك .

بيان

قال ابن أبي الحديد : هذه الكلمة قالها عليه السلام لصعصعة بن صوحان [106] و كفى له فخرا أن يثني له علي عليه السلام [107] بالمهارة و فصاحة اللسان و كان صعصعة من أفصح الناس ، ذكر ذلك شيخنا أبو عثمان . [108]

3 و في حديثه عليه السلام

إنّ للخصومة قحما .

شرح

يريد بالقحم المهالك ، لأنها تقحم أصحابها في المهالك و المتالف في الأكثر . و من ذلك « قحمة الأعراب » و هو أن تصيبهم السنة فتتعرق أموالهم (4751) فذلك تقحمها فيهم . و قيل فيه وجه آخر : و هو أنها تقحمهم بلاد الريف ، أي تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو .

بيان

قال ابن أبي الحديد : قالها عليه السلام حين و كلّ عبد الله بن جعفر في الخصومة عنه و هو شاهد . 109

4 و في حديثه عليه السلام

إذا بلغ النّساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى .

[106] في المصدر : صوحان العبدي رحمه الله .

[107] في المصدر : و كفى صعصعة بها فخرا أن يكون مثل علـيّ عليه السلام يثني عليه .

[108] في المصدر : ابو عثمان الجاحظ . بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 732 ، ط كمپاني و ص 678 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 106 ، ط بيروت .

----

(109) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 104 ، كتاب الأحكام ، ص 268 . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 107 ، ط بيروت .

شرح

و النص : منتهى الأشياء و مبلغ أقصاها كالنص في السير ، لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة .

و تقول : نصصت الرجل عن الأمر ، إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه . فنص الحقائق يريد به الإدراك ، لأنه منتهى الصغر ، و الوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير ،

و هو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر و أغربها . يقول : فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها ، إذا كانوا محرما ، مثل الإخوة و الأعمام ، و بتزويجها إن أرادوا ذلك .

و الحقاق : محّاقة الأم للعصبة في المرأة ، و هو الجدال و الخصومة ، و قول كل واحد منهما للآخر :

« أنا أحق منك بهذا » يقال منه : حاققته حقاقا ، مثل جادلته جدالا . و قد قيل : إن « نص الحقاق » بلوغ العقل ، و هو الإدراك ، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى الأمر الذي تجب فيه الحقوق و الأحكام ، و من رواه « نص الحقائق » فإنما أراد جمع حقيقة .

هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام ، و الذي عندي أن المراد بنص الحقاق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحد الذي يجوز فيه تزويجها و تصرفها في حقوقها ، تشبيها بالحقاق من الإبل ،

و هي جمع حقّة و حقّ و هو الذي استكمل ثلاث سنين و دخل في الرابعة ، و عند ذلك يبلغ إلى الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ، و نصه في السير ، و الحقائق أيضا : جمع حقة .

فالروايتان جميعا ترجعان إلى معنى واحد ، و هذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولا .

5 و في حديثه عليه السلام

إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب ، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللّمظة .

شرح

و اللمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض . و منه قيل : فرس ألمظ ، إذا كان بجحفلته (4752) شيء من البياض .

بيان

قال السيّد رحمه اللّه بعد هذا الكلام : « اللمظة » مثل النكتة أو نحوها من البياض ، و منه قيل : « فرس ألمظ » إذا كان بجحفلته شيء من البياض .

انتهى .

[426]

و قال ابن أبي الحديد : قال أبو عبيد : هي « لمظة » بضمّ اللاّم ، و المحدّثون يقولون « لمظة » بالفتح ، و المعروف من كلام العرب الضمّ . و قال : و في الحديث حجّة على من أنكر أن يكون الايمان يزيد و ينقص . و « الجحفلة » للبهائم بمنزلة الشّفة للانسان . 110

6 و في حديثه عليه السلام

إنّ الرّجل إذا كان له الدّين الظّنون ، يجب عليه أن يزكّيه ، لما مضى ، إذا قبضه .

شرح

فالظنون : الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذي هو عليه أم لا ، فكانه الذي يظن به ،

فمرة يرجوه و مرة لا يرجوه . و هذا من أفصح الكلام ، و كذلك كل أمر تطلبه و لا تدري على أي شيء أنت منه فهو ظنون ، و على ذلك قول الأعشى :

ما يجعل الجدّ الظّنون الّذي
جنّب صوب اللّجب الماطر

مثل الفراتيّ إذا ما طما
يقذف بالبوصيّ و الماهر

شرح

و الجدّ : البئر العادية في الصحراء ، و الظنون : التي لا يعلم هل فيها ماء أم لا .

7 و في حديثه عليه السلام

أنه شيع جيشا بغزية فقال : اعذبوا (4753) عن النّساء ما استطعتم .

----

(110) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 196 . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 111 ، ط بيروت .

شرح

و معناه : اصدفوا عن ذكر النساء و شغل القلب بهن ، و امتنعوا من المقاربة لهن ، لأن ذلك يفتّ (4754) في عضد الحميّة ، و يقدح في معاقد العزيمة (4755) ، و يكسر عن (4756) العدو (4757) و يلفت عن الإبعاد في الغزو ، و كل من امتنع من شيء فقد عذب عنه . و العاذب و العذوب :

الممتنع من الأكل و الشرب .

8 و في حديثه عليه السلام

كالياسر الفالج ينتظر أوّل فوزة من قداحه .

شرح

الياسرون (4758) هم الذين يتضاربون (4759) بالقداح على الجزور (4760) ، و الفالج :

القاهر و الغالب ، يقال : فلج (4761) عليهم و فلجهم ، و قال الراجز :

لما رأيت فالجا قد فلجا

9 و في حديثه عليه السلام

كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ،

فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه .

شرح

و معنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو ، و اشتد عضاض الحرب (4762) ، فزع المسلمون (4763) إلى قتال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بنفسه ، فينزل اللّه عليهم النّصر به ، و يأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه .

و قوله : « إذا احمر البأس » كناية عن اشتداد الأمر ، و قد قيل في ذلك أقوال أحسنها :

أنه شبه حمي (4764) الحرب بالنار التي تجمع الحرارة و الحمرة بفعلها و لونها . و مما يقوي ذلك قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ، و قد رأى مجتلد (4765) الناس يوم حنين و هي

[428]

حرب هوازن : « الآن حمي الوطيس » فالوطيس : مستوقد النار ، فشبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما استحرّ (4766) من جلاد القوم باحتدام النار و شدة التهابها .

انقضى هذا الفصل ، و رجعنا إلى سنن الغرض الأول في هذا الباب .

261

و قال عليه السلام : لما بلغه اغارة أصحاب معاوية على الأنبار ، فخرج بنفسه ماشيا حتى أتى النّخيلة (4767) فأدركه الناس ، و قالوا : يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم ،

فقال :

ما تكفونني أنفسكم ، فكيف تكفونني غيركم ؟ إن كانت الرّعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها ، و إنّني اليوم لأشكو حيف رعيّتي ، كأنّني المقود (4768) و هم القادة ، أو الموزوع و هم الوزعة (4769)

بيان

« وزعه يزعه » كفّه و منعه . 111 فلما قال عليه السلام هذا القول ، في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب ،

تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما : اني لا أملك إلا نفسي و أخي ، فمر بأمرك يا أمير المؤمنين ننقد له ، فقال عليه السلام :

و أين تقعان ممّا أريد (4770) ؟

262

و قيل : إن الحارث بن حوط أتاه فقال : أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة (4771) ؟

فقال عليه السلام : يا حارث ، إنّك نظرت تحتك و لم تنظر

----

(111) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 703 ، ط كمپاني و ص 651 ، ط تبريز .

فوقك فحرت (4772) إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف من أتاه (4773) ، و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه .

فقال الحارث : فإني أعتزل مع سعيد بن مالك و عبد اللّه بن عمر ، فقال عليه السلام :

إنّ سعيدا و عبد اللّه بن عمر لم ينصرا الحقّ ، و لم يخذلا الباطل .

بيان

« نظرت تحتك » أي نظرت في أعمال الناكثين بظاهر الإسلام الّذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على إمام الحقّ فاغتررت بشبهتهم و اقتديت بهم و لم تنظر إلى من هو فوقك و هو إمامك الواجب الطاعة و من تبعه من المهاجرين و الأنصار و لا سمعت حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك .

و يحتمل أن يكون « نظره تحته » كناية عن نظره إلى باطل هؤلاء و شبهتهم المكتسبة عن محبّة الدنيا ، و « نظره فوقه » كناية عن نظره إلى الحقّ و تلقّيه من اللّه . أو المعنى : نظرت إلى هذا الأمر الّذي يستولي عليه فكرك و هو خطر قتال أهل القبلة و لم تنظر إلى الأمر العالي الّذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغيهم و فسادهم و خروجهم على الامام العادل . 112

[هذا بيان آخر في شرح الحكمة :] بيان :

قال الراونديّ : الصحيح ، ابن حوط بالحآء المهملة المفتوحة و بخط الرضيّ بالمعجمة المضمومة . و « يا حار » في بعض النسخ بضمّ الراء و في بعضها بكسرها . « نظرت تحتك » أي إلى الأمر الظاهر الّذي يستولي عليه فكرك و نظرك و هو خطر قتال أهل القبلة و لم تنظر إلى الأمر العالي الّذي هو فوق نظرك من وجوب قتالهم لبغيهم على الامام العادل . و قيل : أي نظرت في أعمال الناكثين من أصحاب الجمل

----

(112) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 445 ، ط كمپاني و ص 414 ، ط تبريز .

المتمسّكين بظاهر الإسلام الّذينهم دونك في المرتبة لبغيهم فاغتررت بشبهتهم و لم تنظر إلى من هو فوقك و هو إمامك الواجب الطاعة ، كناية عن نظره إلى باطل شبهتهم المكتسبة عن محبّة الدنيا الّتي هي الخيبة . و « نظره فوقه » كناية عن نظره إلى الحقّ و تلقّيه من اللّه .

و « سعيد بن مالك » هو بن أبي وقّاص . « و لم يخذلا الباطل » أي ما سعيا في محق الباطل ، و ليس يعني بالخذلان عدم المساعدة و قيل : هو من قولهم « خذلت الوحشية » إذا قامت على ولدها ، أي لم يقيما عليه و لم ينصراه . 113

263

و قال عليه السلام : صاحب السّلطان كراكب الأسد :

يغبط (4774) بموقعه ، و هو أعلم بموضعه .

264

و قال عليه السلام : أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم (4775) .

265

و قال عليه السلام : إنّ كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواء ، و إذا كان خطأ كان داء .

266

و سأله رجل أن يعرفه الإيمان فقال عليه السلام : إذا كان الغد فأتني حتّى أخبرك على أسماع النّاس ، فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإنّ الكلام كالشّاردة ، ينقفها (4776) هذا و يخطئها هذا . و قد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدم من هذا الباب و هو قوله : « الإيمان على أربع شعب » .

----

(113) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 732 ، ط كمپاني و ص 678 ، ط تبريز .

267

و قال عليه السلام : يا بن آدم ، لا تحمل همّ يومك الّذي لم يأتك على يومك الّذي قد أتاك ، فإنّه إن يك من عمرك يأت اللّه فيه برزقك .

268

و قال عليه السلام : أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، و أبغض بغيضك هونا (4777) ما ، عسى أن يكون حبيبك يوما ما .

269

و قال عليه السلام : النّاس في الدّنيا عاملان : عامل عمل في الدّنيا للدّنيا ، قد شغلته دنياه عن آخرته ، يخشى على من يخلفه الفقر ، و يأمنه على نفسه . فيفني عمره في منفعة غيره ، و عامل عمل في الدّنيا لما بعدها ، فجاءه الّذي له من الدّنيا بغير عمل ، فأحرز الحظّين معا ، و ملك الدّارين جميعا ، فأصبح وجيها (4778) عند اللّه ، لا يسأل اللّه حاجة فيمنعه .

270

و روي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة و كثرته ، فقال قوم :

لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر ، و ما تصنع الكعبة بالحلي ؟ فهم عمر بذلك ، و سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال عليه السلام :

إنّ هذا القرآن أنزل على النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و الأموال

أربعة : أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض ، و الفيء فقسّمه على مستحقّيه ، و الخمس فوضعه اللّه حيث وضعه ، و الصّدقات فجعلها اللّه حيث جعلها . و كان حلي الكعبة فيها يومئذ ، فتركه اللّه على حاله ، و لم يتركه نسيانا ، و لم يخف عليه (4779) مكانا ، فأقرّه حيث أقرّه اللّه و رسوله . فقال له عمر : لولاك لافتضحنا . و ترك الحلي بحاله .

272

و قال عليه السلام : لو قد استوت قدماي من هذه المداحض (4781) لغيّرت أشياء .

بيان

« المداحض » المزالق . « و استواء القدمين » كناية عن تمكّنه عليه السلام من إجراء الأحكام الشرعية على وجوهها لأنّه عليه السلام لم يتمكّن من تغيير بعض ما كان في أيّام الخلفاء كما عرفت . 114

----

(114) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 706 ، ط كمپاني و ص 654 ، ط تبريز .

و قال عليه السلام : اعلموا علما يقينا أنّ اللّه لم يجعل للعبد و إن عظمت حيلته ، و اشتدّت طلبته ، و قويت مكيدته أكثر ممّا سمّي له في الذّكر الحكيم (4782) ، و لم يحل بين العبد في ضعفه و قلّة حيلته ، و بين أن يبلغ ما سمّي له في الذّكر الحكيم . و العارف لهذا ، العامل به ، أعظم النّاس راحة في منفعة ، و التّارك له الشّاكّ فيه أعظم النّاس شغلا في مضرّة . و ربّ منعم عليه مستدرج (4783) بالنّعمى ،

و ربّ مبتلى (4784) مصنوع له بالبلوى فزد أيّها المستنفع في شكرك ،

و قصّر من عجلتك ، وقف عند منتهى رزقك .

274

و قال عليه السلام : لا تجعلوا علمكم جهلا ، و يقينكم شكّا . إذا علمتم فاعملوا ، و إذا تيقّنتم فأقدموا .

275

و قال عليه السلام : إنّ الطّمع مورد غير مصدر (4785) ،

و ضامن غير وفيّ . و ربّما شرق (4786) شارب الماء قبل ريّه ، و كلّما عظم قدر الشّيء المتنافس فيه عظمت الرّزيّة لفقده . و الأمانيّ تعمي أعين البصائر ، و الحظّ يأتي من لا يأتيه .

276

و قال عليه السلام : اللّهمّ إنّي أعوذ بك من أن تحسّن في لامعة العيون علانيتي ، و تقبّح فيما أبطن لك سريرتي ، محافظا على

[434]

رثاء النّاس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي ، فأبدي للنّاس حسن ظاهري ، و أفضي إليك بسوء عملي ، تقرّبا إلى عبادك ،

و تباعدا من مرضاتك .

277

و قال عليه السلام : لا و الّذي أمسينا منه في غبر (4787) ليلة دهماء (4788) ، تكشر (4789) عن يوم أغرّ (4790) ، ما كان كذا و كذا .

بيان :

« غبر اللّيل » بقاياه . و « كشر البعير عن نابه » كشف عنها ، و « كشر الرجل » ابتسم . و « الأغرّ » الأبيض . و « ما » نافية . 115

278

و قال عليه السلام : قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول (4791) منه .

279

و قال عليه السلام : إذا أضرّت النّوافل بالفرائض فارفضوها .

بيان

« مملول » أي يحصل الملال منه ، يقال : « مللت الشيء بالكسر و مللت منه أيضا » إذا سئمته ، ذكره الجوهريّ . و الحاصل أنّ العبادة القليلة تداوم عليها من النّوافل خير من عبادة كثيرة تأتي بها أيّاما ثمّ تملّها و تتركها . « إذا أضرّت النّوافل » أي بأن تؤخّرها عن أوقات فضلها أو توجب الكسل عنها ، و عدم إقبال القلب عليها و ربّما يستدلّ به و بسابقه على عدم جواز النافلة لمن عليه الفريضة . 116

----

(115) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 104 ، كتاب الأحكام ، ص 286 .

----

(116) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 87 ، كتاب الصلاة ، ص 30 .

[435]

280

و قال عليه السلام : من تذكّر بعد السّفر استعدّ .

281

و قال عليه السلام : ليست الرّويّة (4792) كالمعاينة مع الإبصار ، فقد تكذب العيون أهلها ، و لا يغشّ العقل من استنصحه .

بيان

أي الرؤية الحقيقيّة ، رؤية العقل لأنّ الحواسّ قد تعرض لها الغلط . 117

282

و قال عليه السلام : بينكم و بين الموعظة حجاب من الغرّة (4793)

283

و قال عليه السلام : جاهلكم مزداد (4794) ، و عالمكم مسوّف (4795) .

284

و قال عليه السلام : قطع العلم عذر المتعلّلين .

285

و قال عليه السلام : كلّ معاجل يسأل الإنظار (4796) ، و كلّ مؤجّل (4797) يتعلّل بالتّسويف (4798) .

286

و قال عليه السلام : ما قال النّاس لشيء « طوبى له » إلاّ و قد خبأ له الدّهر يوم سوء .

----

(117) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 1 ، كتاب العقل و الجهل ، ص 95 .

[436]

بيان

« طوبى » كلمة تستعمل في مقام المدح و الاستحسان و التعجّب من حسن الشيء و كماله . و « خبأت الشيء أخبؤه » أخفيته . « يوم سوء » بالفتح أي يوم نقص و بليّة و زوال . و إخفاء الدهر ذلك اليوم كناية عن جهل الناس بأسبابه و أنّه يأتيهم بغتة ، أو غفلتهم عن عدم ثبات زخارف الدنيا و سرعة زوالها .

ثمّ إنّه يحتمل أن يكون ما ورد في هذا الخبر و الخبر السابق إشارة إلى تأثير العيون كما مرّ ، أو إلى أنّ من لوازم الدّنيا أنّه إذا انتهت فيها حال شخص في الرفعة و العزّة إلى غاية الكمال فلا بدّ أنّ يرجع إلى النقص و الزوال ، فقولهم « طوبى له » و استحسانهم إيّاه و رفع أبصارهم إليه من شواهد الرّفعة و الكمال ، و هو علامة الأخذ في الهبوط و الاضمحلال .

و قد يخطر بالبال أنّ ما ورد في العين و تأثيرها يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى ، و إن كان بعيدا من بعض الآيات و الأخبار ، و يمكن تأويلها إليه و تطبيقها عليه كما لا يخفى على أولي الأبصار . و ما ورد من ذكر اللّه و الدعاء عند ذلك لا ينافيه بل يؤيّده ، فإنّ أمثال ذلك موجبة لدوام النعمة و استمرارها ، و اللّه يعلم حقائق الأمور و دقائق الأسرار .

نقل و تحقيق [في حقيقة السّحر]

اعلم أنّ أصحابنا و المخالفين اختلفوا في حقيقة السّحر ، و أنّه هل له حقيقة أو محض توهّم . و لنذكر بعض كلماتهم في ذلك .

قال الشيخ قدّس سرّه في الخلاف : السحر له حقيقة ، و يصحّ منه أن يعقد و يؤثّر و يسحر فيقتل و يمرض و يكوع [118] الأيدي و يفرّق بين الرجل و زوجته ، و يتّفق له أن يسحر بالعراق رجلا بخراسان فيقتله عند أكثر أهل العلم و أبي حنيفة و أصحابه و مالك و الشافعيّ .

و قال أبو جعفر الاسترآباديّ : لا حقيقة له ، و إنّما هو تخييل و شعبدة . و به قال

[118] « كوع كسمع » عظم كوعه و هو طرف الزند الّذي يلي الإبهام و اعوجّ .

[437]

المغربيّ من أهل الظاهر ، و هو الّذي يقوى في نفسي . و يدلّ عليه قوله تعالى :

فَإِذَا حِبَالُهُمْ الآية 119 و ذلك أنّ القوم جعلوا من الحبال كهيئات الحيّات و طلوا عليها الزيبق و أخذوا الموعد على وقت تطلع فيه الشمس حتّى إذا وقعت على الزيبق تحرّك فخيّل لموسى عليه السلام أنّها حيّات و لم يكن لها حقيقة ، و كان هذا في أشدّ وقت الحرّ فألقى موسى عصاه فأبطل عليهم السحر فآمنوا به .

و أيضا فإنّ الواحد منّا لا يصحّ أن يفعل في غيره و ليس بينه و بينه اتّصال و لا اتّصال يتّصل بما يفعل فيه ، فكيف يفعل من هو ببغداد فيمن هو بالحجاز و أبعد منها ؟ و لا ينفي هذا قوله تعالى : وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ 120 لأنّ ذلك لا نمنع منه ، و إنّما الّذي منعنا منه أن يؤثّر الساحر الّذي يدّعونه ، فأمّا أن يفعلوا ما يتخيّل عنه أشياء ، فلا نمنع منه .

و رووا عن عائشة . . .

أقول : ثمّ ذكر نحوا ممّا مرّ من سحر اليهوديّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ثمّ قال : و هذه أخبار آحاد لا يعمل عليها في هذا المعنى . و قد روي عن عائشة أنّها قالت :

سحر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فما عمل فيه السحر و هذا معارض ذلك .

ثمّ قال قدّس سرّه : إذا أقرّ أنّه سحر قتل بسحره متعمّدا لا يجب عليه القود ، و به قال أبو حنيفة ، و قال الشافعيّ : يجب عليه القود . دليلنا أنّ الأصل براءة الذمّة ، و أنّ هذا ممّا يقتل به يحتاج إلى دليل .

و أيضا فقد بيّنّا أنّ الواحد لا يصحّ أن يقتل غيره بما لا يباشره به إلاّ أن يسقيه ما يقتل به على العادة مثل السمّ ، و ليس السحر بشيء من ذلك .

و قد روى أصحابنا أنّ الساحر يقتل ، و الوجه فيه أنّ هذا فساد في الأرض و السعي فيها به فلأجل ذلك وجب فيه [121] القتل .

----

(119) طه : 66 .

----

(120) البقرة : 102 .

[121] في (خ) : به .

[438]

و قال العلاّمة نوّر اللّه مرقده في التحرير : السحر عقد و رمي كلام يتكلّم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثّر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة ، و قد يحصل به القتل و المرض و التفريق بين الرجل و المرأة و بغض أحدهما لصاحبه و محبّة أحد الشّخصين للآخر . و هل له حقيقة أم لا ؟ فيه نظر .

ثمّ قال و السحر الّذي يجب فيه 122 القتل هو ما يعدّ في العرف سحرا ، كما نقل الأمويّ في مغازيه أنّ النجاشيّ دعا السواحر فنفخن في إحليل عمارة بن الوليد فهام مع الوحش ، فلم يزل معها إلى إمارة عمر بن الخطّاب فأمسكه انسان ، فقال : خلّني و إلاّ متّ ، فلم يخلّه فمات من ساعته .

و قيل : إنّ ساحرة أخذها بعض الأمراء فجاء زوجها كالهائم ، فقال : قولوا لها تخل عنّي فقالت : ائتوني بخيوط و باب فأتوا بذلك فجلست و جعلت تعقد فطار بها الباب فلم يقدروا عليها ، و أمثال ذلك . و أمّا الّذي يعزم على المصروع و يزعم أنّه يجمع الجنّ و يأسرها فتطيعه ، فلا يتعلّق به حكم ، و الّذي يحلّ السحر بشيء من القرآن و الذكر و الأقسام فلا بأس به و إن كان بالسحر حرم على إشكال .

و قال في موضع آخر منه : الّذي اختاره الشيخ رحمه اللّه أنّه لا حقيقة للسحر ، و في الأحاديث ما يدلّ على أنّ له حقيقة . فعلى ما ورد في الأخبار لو سحره فمات بسحره ففي القود إشكال ، و الأقرب الدّية . . . إلى آخر ما قال .

و قال في المنتهى نحوا من أوّل الكلام ثمّ قال : و اختلف في أنّه له حقيقة أم لا . قال الشيخ رحمه اللّه : لا حقيقة له و إنّما هو تخييل ، و هو قول بعض الشافعيّة ، و قال الشافعيّ : له حقيقة . و قال أصحاب أبي حنيفة : إن كان يصل إلى بدن

المسحور كدخان و نحوه جاز أن يحصل منه ما يؤثّر في نفس المسحور من قتل أو مرض أو أخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطيها أو يفرّق بينهما أو يبغّض أحدهما إلى الآخر أو يحبّبه إليه .

فأمّا أن يحصل المرض و الموت من غير أن يصل إلى بدنه شيء فلا يجوز ذلك .

----

(122) الخلاف للشيخ الطوسي ، ج 2 ، ص 423 424 .

[439]

ثمّ ذكر رحمه الله احتجاج الطرفين بآية « يخيّل إليه » و سورة الفلق ، ثمّ قال : و روى الجمهور عن عائشة أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله سحر حتّى يرى أنّه يفعل الشيء و لا يفعله ، و أنّه قال لها ذات يوم : أشعرت أنّ الله تعالى أفتاني فيما استفتيته إنّه أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي و الآخر عند رجلي ، فقال : ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب . قال : من طبّه ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهوديّ في مشط و مشاطة في جفّ طلعة في بئرذي أزوان . رواه البخاريّ . و « جفّ الطّلعة » وعاؤها ، و « المشاطة » الشعر الّذي يخرج من شعر الرأس و غيره إذا مشط ، فقد أثبت لهم سحرا .

و هذا القول عندي باطل ، و الروايات ضعيفة خصوصا رواية عائشة لاستحالة تطرّق السحر إلى الأنبياء عليهم السلام .

ثمّ قال : إن كان للسحر حقيقة فهو ما يعدّ في العرف سحرا ، ثمّ ذكر القصّتين للنجاشيّ و الساحرة ، ثمّ قال : فهذا و أمثاله مثل أن يعقد الرجل المزوّج فلا يطيق و طي امرأته هو السحر المختلف فيه ، فأمّا الّذي يقال من العزم على المصروع فلا يدخل تحت هذا الحكم ، و هو عندي باطل لا حقيقة له و إنّما هو من الخرافات .

و قال الشهيد رفع الله درجته في الدروس : تحرم الكهانة و السحر بالكلام و الكتابة و الرقية و الدخنة بعقاقير الكواكب و تصفية النفس و التصوير و العقد و النفث و الأقسام و العزائم بما لا يفهم معناه و يضرّ بالغير فعله . و من السحر الاستخدام للملائكة و الجنّ و استنزال الشياطين في كشف الغائب و علاج المصاب ، و منه الاستحضار بتلبيس الروح ببدن منفعل كالصبيّ و المرأة و كشف الغائب عن لسانه .

و منه النيرنجات ، و هي إظهار غرائب خواصّ الامتزاجات و أسرار النيّرين ،

و تلحق به الطلسمات ، و هي تمزيج القوى العالية الفاعلة بالقوى السافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل غريب . فعمل هذا كلّه و التكسّب به حرام ، و الأكثر على أنّه لا حقيقة له ، بل هو تخييل . و قيل : أكثره تخييل و بعضه حقيقيّ ، لأنّه تعالى وصفه بالعظمة في سحرة فرعون ، و من التخييل إحداث خيالات لا وجود لها في الحسّ المشترك للتأثير في شيء آخر و ربّما ظهر إلى الحسّ .

[440]

و تلحق به الشعبذة ، و هي الأفعال العجيبة المرتّبة على سرعة اليد بالحركة فيلبّس على الحسّ و قيل : الطلسمات كانت معجزات للأنبياء .

و أمّا الكيمياء فيحرم المسمّى بالتكليس بالزيبق و الكبريت و الزّاج و التصدية و بالشعر و البيض و المرار و الأدهان كما تفعله الجهّال ، أمّا سلب الجواهر خواصّها و إفادتها خواصّ أخرى بالدواء المسمّى بالإكسير أو بالنار الملينة الموقدة على أصل الفلزّات أو لمراعاة نسبها في الحجم و الوزن ، فهذا ممّا لا يعلم صحّته و تجنّب ذلك كلّه أولى و أحرى . 123 و قال الشهيد الثاني رفع الله مقامه : السّحر هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام و عزائم و نحوها يحدث بسببها ضرر على الغير و منه عقد الرجل عن زوجته بحيث لا يقدر على وطيها و إلقاء البغضاء بينهما ، و منه استخدام الملائكة و الجنّ و استنزال الشياطين في كشف الغائبات و علاج المصاب ، و استحضارهم و تلبّسهم ببدن صبيّ أو امرأة و كشف الغائب على لسانه ، فتعلّم ذلك و أشباهه و عمله و تعليمه كلّه حرام و التكسّب به سحت و يقتل مستحلّه . و لو تعلّمه ليتوقّى به أو ليدفع به المتنبّي بالسّحر فالظاهر جوازه و ربّما وجب على الكفاية كما هو خيرة الدروس . و يجوز حلّه بالقرآن و الأقسام كما ورد في رواية القلا .

و هل له حقيقة أو هو تخييل ؟ الأكثر على الثاني و يشكل بوجدان أثره في كثير من الناس على الحقيقة ، و التأثّر بالوهم إنّما يتمّ لو سبق للقابل علم بوقوعه ، و نحن نجد أثره فيمن لا يشعر به أصلا حتّى يضرّ به . و لو حمل تخييله على ما تظهر من تأثيره في حركات الحيّات و الطيران و نحوهما أمكن ، لا في مطلق التأثير و إحضار الجانّ و شبه ذلك فإنّه أمر معلوم لا يتوجّه دفعه .

ثمّ قال : و الكهانة عمل يوجب طاعة بعض الجانّ له و اتّباعه [له] بحيث يأتيه بالأخبار و هو قريب من السّحر . ثمّ قال : و الشعبذة عرّفوها بأنّها الحركات السريعة

----

(123) الدروس للشهيد الأوّل ، كتاب المكاسب .

[441]

الّتي تترتّب عليها الأفعال العجيبة ، بحيث يتلبّس [124] على الحسّ الفرق بين الشيء و شبهه لسرعة الانتقال منه إلى شبهه .

أقول : و نحو ذلك قال المحقّق الأردبيليّ روّح اللّه روحه في شرح الإرشاد و قال : الظاهر أنّ له حقيقة بمعنى أنّه يؤثّر بالحقيقة لا أنّه إنّما يتأثّر بالوهم فقط و لهذا نقل تأثيره في شخص لم يعرف و لا يشعر بوقوعه فيه ، نعم يمكن أن لا حقيقة له بمعنى أن لا يوجد حيوان بفعله ، بل يتخيّل كقوله تعالى : يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى 125 مع أنّه لا ثمرة في ذلك ، إذ لا شكّ في عقابه و لزوم الدية و عوض ما يفوت بفعل الساحر عليه .

و قال ابن حجر في « فتح الباري » في العين : تقول : « عنت الرجل » أصبته بعينك فهو معيون و معين و رجل عاين و معيان و عيون . و العين يضرّ باستحسان مشوب بحسد من حيث الطبع يحصل للمبصور منه ضرر . و قد استشكل ذلك على بعض الناس فقال : كيف يعمل العين من بعد حتّى يحصل الضرر للمعيون ؟ و الجواب أنّ طبائع الناس تختلف ، فقد يكون ذلك من سمّ يصل من عين العاين في الهواء إلى بدن المعيون .

و قد نقل عن بعض من كان معيانا أنّه قال : إذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني و يقرّب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد و لو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ، و كذا تدخل البستان فتضرّ بكثير من العروش من غير أن تمسّها . و من ذلك أنّ الصحيح قد ينظر إلى العين الرمد فيرمد و يتثأب [126] بحضرته فيتثأب هو ، أشار الى ذلك ابن بطّال .

و قال الخطابيّ : في الحديث أنّ للعين تأثيرا في النفوس و إبطال قول الطباعيّين أنّه لا شيء إلاّ ما تدركه الحواسّ الخمس و ما عدا ذلك لا حقيقة له .

و قال المازريّ : زعم بعض الطباعيّين أنّ العاين تنبعث من عينه قوّة سمّيّة

[124] « يتلبّس » أي يلتبس .

----

(125) طه : 66 .

[126] « التثاؤب » أن يسترخى ، فيفتح فمه بلا قصد ، و الاسم « الثؤباء » .

[442]

تتّصل بالمعين فيهلك أو يفسد و هو كاصابة السمّ من نظر الأفعى ، و أشار إلى منع الحصر في ذلك مع تجويزه و أنّ الّذي يتمشّى على طريقة أهل السنّة أنّ العين إنّما تضرّ عند نظر العاين بعادة أجراها اللّه تعالى أن يحدث الضرّ عند مقابلة شخص لآخر ، و هل ثمّ جواهر خفيّة اولا ؟ هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته و لا نفيه .

و من قال ممّن ينتمي إلى الإسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأنّ جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين فتتّصل بالمعيون و تتخلّل مسامّ جسمه فيخلق الباريء الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم . فقد أخطأ بدعوى القطع ، و لكنّه جائز أن يكون عادة ليست ضرورة و لا طبيعة . انتهى .

و هو كلام سديد و قد بالغ ابن العربيّ في إنكاره فقال : ذهبت الفلاسفة إلى أنّ الإصابة بالعين صادرة عن تأثير النفس بقوّتها فيه ، فأوّل ما يؤثّر في نفسها ثمّ يؤثّر في غيرها .

و قيل : إنّما هو سمّ في عين العاين يصيبه بلفحه [127] عند التحديق إليه ، كما يصيب لفح سمّ الأفعي من يتّصل به .

ثمّ ردّ الأوّل بأنّه لو كان كذلك لما تخلّفت الإصابة في كلّ حال ، و الواقع بخلافه ، و الثاني بأنّ سمّ الأفعي جزء منها و كلّها قاتل ، و العاين ليس يقتل منه شيء في قولهم إلاّ بصره و هو معنى خارج عن ذلك .

قال : و الحقّ أنّ الله يخلق عند بصر العاين إليه و إعجابه [به] إذا شاء ما شاء من ألم أو هلكة ، و قد يصرفه قبل وقوعه بالاستعاذة أو بغيرها و قد يصرفه بعد وقوعه بالرقية أو بالاغتسال أو بغير ذلك . انتهى كلامه .

و فيه : [بعض] ما يتعقّب ، فإنّ الّذي مثّل بالأفعي لم يرد أنّها تلامس المصاب حتّى يتّصل به من سمّها و إنّما أراد أنّ جنسا من الأفاعي اشتهر أنّها إذا وقع بصرها على الانسان هلك ، فكذلك العاين . و ليس مراد الخطابيّ بالتأثير المعنى الّذي تذهب إليه

----

(127) « لفحت النار أو السموم فلانا » أصاب حرّها وجهه و أحرقه .

الفلاسفة ، بل ما أجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون . و قد أخرج البزّاز بسند حسن عن جابر رفعه قال : أكثر من يموت بعد قضاء الله و قدره بالنفس ، قال الراوي : يعني بالعين . و قد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى و الخواصّ في الأجسام و الأرواح ، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فترى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك و كذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، و كثير من الناس يسقم بمجرّد النظر إليه و يضعف قواه . و كلّ ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات و لشدّة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين و ليست هي المؤثّرة ، و إنّما التأثير للروح . و الأرواح مختلفة في طبائعها و قواها و كيفيّاتها و خواصّها ، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرّد الرؤية من غير اتّصال به لشدّة خبث تلك الروح و كيفيّتها الخبيثة .

و الحاصل أن التأثير بإرادة الله تعالى و خلقه ليس مقصورا على الاتّصال الجسمانيّ ، بل يكون تاره به و تارة بالمقابلة و أخرى بمجرّد الرؤية و أخرى بتوجّه الروح كالّذي يحدث من الأدعية و الرقى و الالتجاء إلى الله تعالى و تارة يقع ذلك بالتوهّم و التخيّل . و الّذي يخرج من عين العاين سهم معنويّ إن صادف بدنا لا وقاية له أثّر فيه و إلاّ لم ينفذ السهم بل ربّما ردّ على صاحبه كالسهم الحسّيّ سواء .

و قال في بيان السحر : قال الراغب و غيره : السّحر يطلق على معان :

أحدها : مادقّ و لطف ، و منه « سحرت الصبيّ » خدعته و استملته ، فكلّ من استمال شيئا فقد سحره ، و منه إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس ، و منه قول الأطبّاء : « الطبيعة ساحرة » ، و منه قوله تعالى : بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ 128 أي مصروفون عن المعرفة ، و منه حديث : « إنّ من البيان لسحرا » .

الثاني : ما يقع بخداع و تخييلات لا حقيقة لها ، نحو ما يفعله المشعبد من صرف الأبصار عمّا يتعاطاه بخفّة يده ، و إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى و قوله تعالى : سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ 129 . و من هناك سمّوا

----

(128) الحجر : 15 .

----
(129) الأعراف : 116 .

[444]

موسى عليه السلام ساحرا و قد يستعان في ذلك بما يكون فيه خاصيّة كحجر المقناطيس .

الثالث : ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرّب إليهم ، و إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .

الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب و اشتراك روحانيّاتها بزعمهم ، قال ابن حزم : و منه ما يؤخذ من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع من لدغة العقرب ، و قد يجمع بعضهم بين الأمرين : الاستعانة بالشياطين و مخاطبة الكواكب ، فيكون ذلك أقوى بزعمهم .

ثمّ السحر يطلق و يراد به الآلة الّتي يسحر بها ، و يطلق و يراد به فعل الساحر و الآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرّقى و النفث ، و تارة تكون من المحسوسات كتصوير صورة على صورة المسحور ، و تارة يجمع الأمرين الحسّيّ و المعنويّ و هو أبلغ .

و اختلف في السحر فقيل : هو تخييل فقط و لا حقيقة له ، و قال النوويّ :

و الصحيح أنّ له حقيقة و به قطع الجمهور و عليه عامّة العلماء و يدلّ عليه الكتاب و السنّة المشهورة . انتهى .

لكن محلّ النزاع أنّه : هل يقع بالسحر انقلاب عين أولا ؟ فمن قال إنّه تخييل فقط منع من ذلك ، و من قال له حقيقة اختلفوا [في أنّه] هل له تأثير فقط بحيث يغيّر المزاج فيكوّن نوعا من الأمراض أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصيّر الجماد حيوانا مثلا و عكسه ؟ فالّذي عليه الجمهور هو الأوّل ، و ذهبت طائفة قليلة إلى الثاني . فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهيّة فمسلّم و إن كان بالنّظر إلى الواقع فهو محلّ الخلاف ، فإنّ كثير ممّن يدّعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه .

و نقل الخطابيّ أنّ قوما أنكروا السحر مطلقا و كأنّه عنى القائلين بأنّه تخييل فقط و إلاّ فهي مكابرة .

و قال المازريّ : جمهور العلماء على إثبات السحر و أنّ له حقيقة و نفى بعضهم حقيقته و أضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة ، و هو مردود لورود النقل بإثبات

[445]

السحر و لأنّ العقل لا ينكر أنّ اللّه تعالى قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفّق و تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ، و نظير ذلك ما يقع من حذّاق الأطبّاء من مزج العقاقير ببعض حتّى ينقلب الضارّ منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا . و قيل : لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر اللّه تعالى في قوله : مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ 130 لكون المقام مقام تهويل ، فلو جاز أن يقع أكثر من ذلك لذكره .

قال المازريّ : و الصحيح من جهة العقل أنّه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك ،

قال : و الآية ليست نصّا في منع الزيادة و لو قلنا إنّها ظاهرة في ذلك .

ثمّ قال : و الفرق بين السّحر و المعجزة و الكرامة أنّ السّحر يكون بمعاناة أقوال و أفعال حتّى يتمّ للسّاحر ما يريد ، و الكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنّما تقع غالبا اتّفاقا ، و أمّا المعجزة فتمتاز من الكرامة بالتّحدّي .

و نقل إمام الحرمين الإجماع على أنّ السحر لا يظهر إلاّ عن فاسق و الكرامة لا تظهر عن [131] الفاسق . و نقل النوويّ في زيادات الروضة عن المستولى [132] نحو ذلك و ينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه ، فإن كان متمسّكا بالشريعة متجنّبا للموبقات فالّذي يظهر على يده من الخوارق كرامة و إلاّ فهو سحر لأنّه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين .

و قال القرطبيّ : السحر حيل صناعيّة يتوصّل إليها بالاكتساب غير أنّها لدقّتها لا يتوصّل إليها إلاّ آحاد الناس . و مادّتها الوقوف على خواصّ الأشياء و العلم بوجوه تركيبها و أوقاته ، و أكثرها تخييلات بغير حقيقة و إيهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك ، كما قال اللّه تعالى عن سحرة فرعون : وَ جَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ 133 ، مع أنّ حبالهم و عصيّهم لم تخرج عن كونها حبالا و عصيّا .

----

(130) البقرة : 102 .

[131] في اكثر النسخ : على فاسق .

[132] في (خ) : المستوفى .

----

(133) الأعراف : 116 .

ثمّ قال : و الحقّ أنّ لبعض أصناف السحر تأثيرا في القلوب كالحبّ و البغض و إلقاء الخير و الشرّ في الأبدان بالألم و السقم ، و إنّما المنكر أنّ الجماد ينقلب حيوانا و عكسه بسحر الساحر و نحو ذلك . انتهى .

و قال شارح المقاصد : السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلّم و التلمّذ ، و بهذين الاعتبارين يفارق المعجزة و الكرامة و بأنّه لا يكون بحسب اقتراح المعترض و بأنّه يختصّ ببعض الأزمنة أو الأمكنة أو الشرائط و بأنّه قد يتصدّى لمعارضته و يبذل الجهد في الإتيان بمثله و بأنّ صاحبه ربما يعلن بالفسق و يتّصف بالرّجس في الظاهر و الباطن و الخزي في الدنيا و الآخرة . . . إلى غير ذلك من وجوه المفارقة . و هو عند أهل الحقّ جائز عقلا ثابت سمعا و كذلك الإصابة بالعين .

و قالت المعتزلة : هو مجرّد إراءة مالا حقيقة له منزلة الشعبدة الّتي سببها خفّة حركات اليد أو خفاء وجه الحيلة فيه .

لنا على الجواز ما مرّ في الإعجاز ، من إمكان الأمر في نفسه و شمول قدرة اللّه له فإنّه هو الخالق و إنّما الساحر فاعل و كاسب ، و أيضا إجماع الفقهاء و إنّما اختلفوا في الحكم . و على الوقوع وجوه :

منها قوله تعالى : يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ إلى قوله فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ 134 . و فيه إشعار بأنّه ثابت حقيقة ، ليس مجرّد إراءة و تمويه و بأنّ المؤثّر و الخالق هو اللّه تعالى وحده .

و منها سورة الفلق ، فقد اتّفق جمهور المسلمين على أنّها نزلت فيما كان من سحر لبيد بن أعصم اليهوديّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتّى مرض ثلاث ليال .

و منها ما روي أنّ جارية سحرت عايشة و أنّه سحر ابن عمر حتّى تكوّعت يده .

----

(134) البقرة : 102 .

فإن قيل : لو صحّ السحر لأضرّت السحرة بجميع الأنبياء و الصالحين و لحصّلوا لأنفسهم الملك العظيم ، و كيف يصحّ أن يسحر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و قد قال اللّه : وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ 135 وَ لاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى 136 . و كانت الكفرة يعيبون النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بأنّه مسحور ، مع القطع بأنّهم كاذبون .

قلنا : ليس الساحر يوجد في كلّ عصر و زمان و بكلّ قطر و مكان و لا ينفذ حكمه كلّ أوان و لا له يد في كلّ شيء [137] و النبيّ صلّى اللّه عليه و آله معصوم من أن يهلكه الناس أو يوقع خللا في نبوّته لا أن يوصل ضررا و ألما إلى بدنه ، و مراد الكفّار بكونه مسحورا أنّه مجنون أزيل عقله بالسحر حيث ترك دينهم .

فان قيل : قوله تعالى في قصّة موسى عليه السلام يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعىَ يدلّ على أنّه لا حقيقة للسحر ، و إنّما هو تخييل و تمويه .

قلنا : يجوز أن يكون سحرهم إيقاع ذلك التخيّل و قد تحقّق ، و لو سلّم فكون أثره في تلك الصورة هو التخييل لا يدلّ على أنّه لا حقيقة له أصلا .

و أمّا الإصابة بالعين و هو أن يكون لبعض النفوس خاصيّة أنّها إذا استحسنت شيئا لحقه الآفة ، فثبوتها يكاد يجري مجرى المشاهدات الّتي لا تفتقر إلى حجّة ، و قد قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله : « العين حقّ يدخل الرّجل القبر و الجمل القدر » . و قد ذهب كثير من المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى : وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ الآية 138 نزلت في ذلك .

و قالوا : كان العين في بني أسد ، فكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة أيّام فلا يمرّ به شيء يقول فيه : « لم أر كاليوم » إلاّ عانه ، فالتمس الكفّار من بعض من كانت له هذه الصنعة أن يقول في رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذلك ، فعصمه اللّه . و اعترض الجبائيّ أنّ القوم ما كانوا ينظرون إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله نظر استحسان بل مقت و نقص .

----

(135) المائدة : 67 .

----

(136) طه : 69 .

[137] في (خ) : شأن .

----

(138) القلم : 51 .

و الجواب أنّهم كانوا يستحسنون منه الفصاحة و كثيرا من الصفات و إن كانوا يبغضونه من جهة الدين .

ثمّ للقائلين بالسحر و العين اختلاف في جواز الاستعانة بالرقى و العوذ و في جواز تعليق التمائم و في جواز النفث و المسح . و لكلّ من الطرفين أخبار و آثار ، و الجواز هو الأرجح و المسألة بالفقهيّات أشبه . انتهى .

و أقول : الّذي ظهر لنا ممّا مضى من الآيات و الأخبار و الآثار أنّ للسحر تأثيرا مّا في بعض الأشخاص و الأبدان كإحداث حبّ أو بغض أو همّ أو فرح ، و أمّا تأثيره في إحياء شخص أو قلب حقيقة إلى أخرى كجعل الإنسان بهيمة فلا ريب في نفيهما و أنّهما من المعجزات . و كذا في كلّ ما يكون من هذا القبيل كإبراء الأكمه و الأبرص و إسقاط يد بغير جارحة أو وصل يد مقطوع أو إجراء الماء الكثير من بين الأصابع أو من حجر صغير و أشباه ذلك .

و الظاهر أنّ الإماتة أيضا كذلك ، فإنّه بعيد أن يقدر الإنسان على أن يقتل رجلا بغير ضرب و جرح و سمّ و تأثير ظاهر في بدنه و إن أمكن أن يكون اللّه تعالى جعل لبعض الأشياء تأثيرا في ذلك و نهى عن فعله ، كما أنّه سبحانه جعل الخمر مسكرا و نهى عن شربه و جعل الحديد قاطعا و منع من استعماله في غير ما أحلّه ، و كذا التمريض ، لكنّه أقلّ استبعادا .

فان قيل : مع تجويز ذلك يبطل كثير من المعجزات ، و يحتمل فيه السحر .

قلنا : قد مرّ أنّ المعجزة تحدث عند طلبها بلا آلات و أدوات و مرور زمان يمكن فيه تلك الأعمال بخلاف السحر ، فإنّه لا يحصل إلاّ بعد استعمال تلك الأمور و مرور زمان . و أيضا الفرق بين السحر و المعجز [ة] بيّن عند العارف بالسحر و

حقيقته و لذا حكم بعض الأصحاب بوجوب تعلّمه كفاية . و يروى عن شيخنا البهائيّ قدّس اللّه روحه أنّه لو كان خروج الماء من بين أصابع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مع قبض يده و ضمّ أصابعه إلى كفّه كان يحتمل السحر و أمّا مع بسط الأصابع و تفريجها فلا

[449]

يحتمل السحر ، و ذلك واضح عند من له دربة [139] في صناعة السحر .

و أيضا معجزات الأنبياء لا تقع على وجه تكون فيه شبهة لأحد إلاّ أن يقول معاند بلسانه ما ليس في قلبه ، فإنّ الساحر ربّما يخيّل و يظهر قطرات من الماء من بين أصابعه أو كفّه أو من حجر صغير و أمّا أن يجري أنهار كبيرة بمحض ضرب العصا أو يروّي كثيرا من النّاس و الدوابّ بما يجري من بين أصابعه بلا معاناة عمل أو استعانة بآلة ، فهذا ممّا يعرف كلّ عاقل أنّه لا يكون من السحر ، و كذا إذا دعا على أحد فمات أو مرض من ساعته ، فإنّ مثل هذا لا يكون سحرا بديهة .

و أمّا جهة تأثيره ، فما كان من قبيل التخييلات و الشعبدة فأسبابها ظاهرة عند العاملين بها تفصيلا و عند غيرهم إجمالا ، كما مرّ في سحر سحرة فرعون و استعانتهم بالزئبق أو إرائتهم أشياء بسرعة اليد لا حقيقة لها .

و أمّا حدوث الحبّ و البغض و الهمّ و أمثالها ، فالظاهر أنّ اللّه تعالى جعل لها تأثيرا و حرّمها كما أومأنا إليه و هذا ممّا لا ينكره العقل ، و يحتمل أن يكون للشياطين أيضا مدخلا 140 في ذلك . و يقلّ أو يبطل تأثيرها بالتوكّل و الدّعاء و الآيات و التعويذات .

و لذا كان شيوع السحر و الكهانة و أمثالهما في الفترات بين الرّسل و خفاء آثار النبوّة و استيلاء الشياطين أكثر و تضعف و تخفى تلك الأمور عند نشر آثار الأنبياء و سطوع أنوارهم كأمثال تلك الأزمنة ، فإنّه ليس من دار و لا بيت إلاّ و فيه مصاحف كثيرة و كتب جمّة من الأدعية و الأحاديث و ليس من أحد إلاّ و معه مصحف أو عوذة أو سورة شريفة و قلوبهم و صدورهم مشحونة بذلك ، فلذا لا نرى منها أثرا بيّنا في تلك البلاد إلاّ نادرا في البلهاء و الضعفاء و المنهمكين في المعاصي ، و قد نسمع ظهور بعض آثارها في أقاصي البلاد لظهور آثار الكفر و ندور أنوار الإيمان فيها ، كأقاصي بلاد الهند

[139] « درب دربا و دربة » كان حاذقا في صناعته .

----

(140) كذا .

[450]

و الصين و الترك .

و أمّا تأثير السحر في النبيّ و الإمام صلوات اللّه عليهما فالظاهر عدم وقوعه و إن لم يقم برهان على امتناعه إذا لم ينته إلى حدّ يخلّ بغرض البعثة كالتخبيط و التخليط ، فإنّه إذا كان اللّه سبحانه أقدر الكفّار لمصالح التكليف على حبس الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام و ضربهم و جرحهم و قتلهم بأشنع الوجوه ، فأيّ استحالة على أن يقدروا على فعل يؤثّر فيهم همّا و مرضا ؟

لكن لمّا عرفت أنّ السحر يندفع بالعوذ و الآيات و التوكّل و هم عليهم السلام معادن جميع ذلك ، فتأثيره فيهم مستبعد و الأخبار الواردة في ذلك أكثرها عاميّة أو ضعيفة و معارضة بمثلها ، فيشكل التعويل عليها في إثبات مثل ذلك .

و أمّا ما يذكر من بلاد الترك أنّهم يعملون ما يحدث به السّحب و الأمطار ،

فتأثير أعمال مثل هؤلاء الكفرة في الآثار العلويّة و ما به نظام العالم ممّا يأبى عنه العقول السليمة و الأفهام القويمة و لم يثبت عندنا بخبر من يوثق بقوله .

و أمّا العين ، فالظاهر من الآيات و الأخبار أنّ لها تحقّقا أيضا ، إمّا بأن جعل اللّه تعالى لذلك تأثيرا و جعل علاجه التوكّل و التوسّل بالآيات و الأدعية الواردة في ذلك أو بأنّ اللّه تعالى يفعل في المعين فعلا عند حدوث ذلك لضرب من المصلحة ، و قد أومأنا إلى وجه آخر فيما مرّ .

و بالجملة لا يمكن إنكار ذلك رأسا لما يشاهد من ذلك عينا و ورود الأخبار به مستفيضا ، و اللّه يعلم و حججه عليهم السلام حقائق الأمور . 141

287

و سئل عن القدر ، فقال : طريق مظلم فلا تسلكوه ، و بحر عميق فلا تلجوه ، و سرّ اللّه فلا تتكلّفوه .

----

(141) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 63 ، كتاب السماء و العالم ، ص 27 42 .

288

و قال عليه السلام : إذا أرذل (4799) اللّه عبدا حظر (4800) عليه العلم .

بيان

أي لم يوفّقه لتحصيله . 142

289

و قال عليه السلام : كان لي فيما مضى أخ في اللّه ، و كان يعظمه في عيني صغر الدّنيا في عينه . و كان خارجا من سلطان بطنه ،

فلا يشتهي ما لا يجد ، و لا يكثر إذا وجد . و كان أكثر دهره صامتا ،

فإن قال بذّ (4801) القائلين ، و نقع غليل (4802) السّائلين . و كان ضعيفا مستضعفا فإن جاء الجدّ فهو ليث غاب (4803) ، و صلّ (4804) واد ، لا يدلي (4805) بحجّة حتّى يأتي قاضيا . و كان لا يلوم أحدا على ما يجد العذر في مثله ، حتّى يسمع اعتذاره ، و كان لا يشكو وجعا إلاّ عند برئه ، و كان يقول ما يفعل و لا يقول ما لا يفعل ، و كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السّكوت ، و كان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلّم ، و كان إذا بدهه (4806) أمران ينظر أيّهما أقرب إلى الهوى فيخالفه ، فعليكم بهذه الخلائق فالزموها و تنافسوا فيها ، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير .

----

(142) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 1 ، كتاب العلم ، ص 196 .

تبيين

قال ابن أبي الحديد : قد اختلف الناس في المعنيّ بهذا الكلام و من هذا الأخ المشار اليه ؟ فقال قوم : هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و استبعده قوم لقوله عليه السلام « و كان ضعيفا مستضعفا » فإنّه لا يقال في صفاته صلّى اللّه عليه و آله مثل هذه الكلمة و إن أمكن تأويلها على لين كلامه و سجاحة أخلاقه ،

إلاّ أنّها غير لائقة به عليه السلام . و قال قوم : هو أبوذرّ الغفاريّ و استبعده قوم لقوله عليه السلام « فإن جاء الجدّ فهو ليث غاد وصلّ واد » فإنّ أباذر لم يكن من المعروفين بالشجاعة و البسالة . و قال قوم : هو مقداد بن عمرو المعروف بمقداد بن الأسود و كان من شيعة عليّ عليه السلام و كان شجاعا مجاهدا حسن الطريقة و قد روي في فضله حديث صحيح مرفوع . و قال قوم : إنّه ليس بإشارة إلى أخ معيّن و لكنّه كلام خارج مخرج المثل كقولهم « فقلت لصاحبي و يا صاحبي » . و هذا عندي أقوى الوجوه .

انتهى . 143 و لا يبعد أن يقال : إنّ قوله عليه السلام « فإن جاء الجدّ فهو ليث غاد . . . » إلى آخره لا يقتضي الشجاعة و البسالة في الحرب ، بل المراد الوصف بالتصلّب في ذات اللّه و ترك المداهنة في أمر الدين و إظهار الحقّ ، بل في العدول عن لفظ الحرب إلى الجدّ بعد الوصف بالضعف ، إشعار بذلك . و قد كان أبوذرّ معروفا بذلك ، و إفصاحه عن فضائح بني أميّة في أيّام عثمان و تصلّبه في إظهار الحقّ أشهر من أن يحتاج إلى البيان .

و قال الشارح ابن ميثم : ذكر هذا الفصل ابن المقفّع في أدبه و نسبه إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام و المشار إليه قيل : هو أبوذرّ الغفاريّ و قيل : هو عثمان ابن مظعون . انتهى . 144 و أقول : لا يبعد أن يكون المراد به أباه عليه السلام ، عبّر هكذا لمصلحة .

« و كان رأس ما عظم به في عيني » أي و كان أقوى و أعظم الصفات الّتي صارت أسبابا لعظمته في عيني فإنّ الرأس أشرف ما في البدن ، و في القاموس : « الرأس

----

(143) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 183 ، ط بيروت .

----

(144) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 389 .

[453]

أعلى كلّ شيء » . و « الصغر » وزان « عنب و قفل » خلاف الكبر و بمعنى الذلّ و الهوان ، و هو خبر « كان » ، و فاعل « عظم » ضمير الأخ ، و ضمير « به » عائد إلى الموصول و الباء للسببيّة .

« كان خارجا من سلطان بطنه » أي سلطنته كناية عن شدّة الرغبة في المأكول و المشروب كمّا و كيفا . ثمّ ذكر عليه السلام لذلك علامتين حيث قال :

« فلا يشتهي ما لا يجد » و في النهج : « فلا يتشهّى » . و يقال : « تشهّى فلان » إذا اقترح شهوة بعد شهوة ، و هو أنسب . « و لا يكثر » في الأكل « إذا وجد » و الإكثار من الشيء الإتيان بالكثير منه ، و المراد به إمّا الاقتصار على ما دون الشبع ، أو ترك الإفراط في الأكل أو ترك الإسراف في تجويد المأكول و المشروب .

« كان خارجا من سلطان فرجه » أي لم يكن لشهوة فرجه عليه سلطنة بأن توقعه في المحرّمات أو الشبهات و المكروهات ، فذكر لذلك أيضا علامتين فقال :

« فلا يستخفّ له عقله و لا رأيه » في القاموس : « استخفّه » ضدّ استثقله ، و « [استخفّ] فلانا عن رأيه » حمله على الجهل و الخفّة و أزاله عمّا كان عليه من الصواب . 145 و قال الراغب : فاستخفّ قومه 146 أي حملهم على أن يخفّوا معه أو وجدهم خفافا في أبدانهم و عزائمهم ، قيل : معناه : وجدهم طائشين . و قوله عزّ و جلّ وَ لاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ 147 أي لا يزعجنّك و يزيلنّك عن اعتقادك بما يوقعون من الشبه . 148 و قال البيضاويّ في قوله سبحانه فاستخفّ

قومه : فطلب منهم الخفّة في مطاوعته ، أو فاستخفّ أحلامهم ، و قال في قوله تعالى و لا يستخفنّك : و لا يحملنّك على الخفّة و القلق « الّذين لا يوقنون » بتكذيبهم و إيذائهم .

و أقول : هذه الفقرة تحتمل وجوها :

----

(145) القاموس ، ج 3 ، ص 136 .

----

(146) الزخرف : 54 .

----

(147) الروم : 60 .

----

(148) مفردات غريب القرآن ، ص 152 .

[454]

الأوّل أن يكون المستتر في « فلا يستخفّ » راجعا إلى الفرج و الضمير في « له » راجعا إلى الأخ ، و يكون عقله و رأيه منصوبين أي كان لا تجعل شهوة الفرج عقله و رأيه خفيفين مطيعين لها .

الثاني يكون الضمير في « يستخفّ » راجعا إلى الأخ و في « له » إلى الفرج ، أي لا يجعل عقله و رأيه أو لا يجدهما خفيفين سريعين في قضاء حوائج الفرج .

الثالث أن يقرأ « يستخفّ » على بناء المجهول و « عقله » و « رأيه » مرفوعين و ضمير « له » إمّا راجع إلى الأخ أو إلى الفرج .

و ما قيل بأنّ « يستخفّ » على بناء المعلوم و « عقله » و « رأيه » مرفوعان و ضمير « له » للأخ ، فلا يساعده ما مرّ من معاني الاستخفاف .

« كان خارجا من سلطان الجهالة » بفتح الجمى و هي خلاف العلم و العقل .

« فلا يمدّ يده » أي إلى أخذ شيء كناية عن ارتكاب الأمور ، « إلاّ على ثقة » و اعتماد بأنّه ينفعه نفعا عظيما في الآخرة أو في الدّنيا أيضا إذا لم يضرّ بالآخرة . « كان لا يتشهّى » أي لا يكثر شهوة الأشياء كما مرّ . « و لا يتسخّط » أي لا يسخط كثيرا لفقد المشتهيات أو لا يغضب لإيذاء الخلق له لقلّة عطائهم .

في القاموس : « السّخط » بالضمّ و كعنق و جبل ، ضدّ الرضا و قد سخط كفرح و تسخّط ، و « أسخطه » أغضبه و « تسخّطه » تكرّهه و « [تسخط] عطاءه » ستقلّه و لم يقع منه موقعا . 149 « و لا يتبرّم » أي لا يملّ و لا يسأم من حوائج الخلق و كثرة سؤالهم و سوء معاشرتهم ، في القاموس : « البرم » السأمة و الضّجر و « أبرمه فبرم كفرح و تبرّم » أملّه فملّ .

« كان أكثر دهره » أي عمره ، و « أكثر » منصوب على الظرفيّة . « صمّاتا » بفتح الصاد و تشديد الميم و قريء بضمّ الصاد و تخفيف الميم مصدرا ، فالحمل على المبالغة . و في النهج : « صامتا فإن قال بذّ القائلين و نقع غليل السائلين » . قال في النهاية

----

(149) القاموس ، ج 2 ، ص 361 .

[455]

في الحديث : « بذّ القائلين » أي سبقهم و غلبهم يبذّهم بذّا . انتهى . و « نقع الماء » العطش ، أي مكّنه . و « الغليل » حرارة العطش ، و يمكن أن يكون « البذّ » بالفصاحة و « النقع » بالعلم و الجواب الشافي .

« كان لا يدخل في مراء » أي مجادلة في العلوم للغلبة و إظهار الكمال ، قال في المصباح : « ماريته أماريه مماراة [و] مراء » جادلته ، و يقال : « ماريته » أيضا إذا طعنت في قوله تزييفا للقول و تصغيرا للقائل ، و لا يكون المراء إلاّ اعتراضا . « و لا يشارك في دعوى » أي في دعوى غيره لاعانته أو وكالة عنه .

« و لا يدلي بحجّة حتّى يرى قاضيا » في المصباح : « أدلى بحجّته » أثبتها فوصل بها ، و في القاموس : « أدلى بحجّته » أحضرها و « [أدلى] إليه بماله » دفعه ، و منه : وَ تُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ 150 .

أقول : و في النهج : « حتّى يأتي قاضيا » ، و هذه الفقرة أيضا يحتمل وجوها :

الأوّل ما ذكره بعض شرّاح النهج : أي لا يدلي بحجّته حتّى يجد قاضيا ، و هو من فضيلة العدل في وضع الأشياء مواضعها . انتهى .

و أقول : المعنى أنّه ليس من عادته إذا ظلمه أحد أن يبثّ الشكوى عند النّاس كما هو دأب أكثر الخلق ، بل يصبر إلى أن يجد حاكما يحكم بينه و بين خصمه ، و ذلك في الحقيقة يؤول إلى الكفّ عن فضول الكلام و التكلّم في غير موقعه .

الثاني أن يكون المراد أنّه يصبر على الظلم و يؤخّر المطالبة إلى يوم القيامة ،

فالمراد بالقاضي الحاكم المطلق و هو اللّه سبحانه ، أولا ينازع الأعداء إلاّ عند زوال التقيّة ، فالمراد بالقاضي الامام الحقّ النافذ الحكم .

الثالث أن يكون المراد نفي إتيانه القاضي لكفّه عن المنازعة و الدعوى و صبره على الظلم أي لا ينشيء دعوى و لا يأتي بحجّة حتّى يحتاج إلى إتيان القاضي .

الرابع ما ذكره بعض الأفاضل حيث قرأ « يري » على بناء الافعال و فسّر

----

(150) البقرة : 188 .

القاضي بالبرهان القاطع الفاصل بين الحقّ و الباطل ، أي كان لا يتعرّض للدعوى إلا أن يظهر حجّة قاطعة و لعلّه أخذه من قول الفيروزآباديّ القضاء الحتم و البيان و سمّ قاض قاتل ، و لا يخفى بعده مع عدم موافقته لما في النهج .

« و كان لا يغفل عن إخوانه » أي كان يتفقّد أحوالهم في جميع الأحوال كتفقّد الأهل و العيال « و لا يخصّ نفسه بشيء من الخيرات دونهم » بل كان يجعلهم شركاء لنفسه فيما خوّله اللّه و يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه و يكره لهم ما يكره لنفسه .

« كان ضعيفا » أي فقيرا منظورا إليه بعين الذلّة و الفقر كما قيل ، أو ضعيفا في القوّة البدنيّة خلقة و لكثرة الصيام و القيام . « مستضعفا » أي في أعين الناس للفقر و الضعف و قلّة الأعوان ، يقال : « استضعفه » أي عدّه ضعيفا . و قال بعض شرّاح النهج : « استضعفه » أي عدّه ضعيفا و وجده ضعيفا و ذلك لتواضعه و إن كان قويّا .

« و إذا جاء الجدّ كان ليثا عاديا » في أكثر النسخ بالعين المهملة و في بعضها بالمعجمة . و في النهاية فيه : ما ذئبان عاديان ، « العادي » الظالم و « قد عدا يعدو عليه عدوانا » ، و أصله من تجاوز الحدّ في الشيء . و « السبع العادي » أي الظالم الّذي يفترس الناس . انتهى . و « الجدّ » بالكسر ، ضدّ الهزل و الاجتهاد في الأمر و المراد به هنا المحاربة و المجاهدة .

و في النهج : « فإن جاء الجدّ فهو ليث عاد و صلّ واد » و في أكثر نسخه « غاد » بالمعجمة من « غدا عليه » أي تكبّر . و قال بعض شارحيه : الوصف بالغادي لأنّه إذا غدا كان جائعا فصولته أشدّ ، و المناسب حينئذ أن يكون « ليث » منوّنا و

في النسخ « ليث غاد » بالاضافة فكأنّه من إضافة الموصوف إلى الصفة ، و في بعض نسخه بالمهملة كما مرّ ، و في بعضها « غاب » بالبآء الموحّدة بعد العين المعجمة و هو الأجمة و يسكنها الأسد و المناسب حينئذ الاضافة .

و قال الجوهري : « الصلّ » بالكسر ، الحيّة الّتي لا تنفع منها الرقية ، يقال :

« إنّها لصلّ صفا » إذا كانت منكرة مثلا الأفعى ، و يقال للرجل إذا كان داهيا منكرا :

« إنّه لصلّ أصلال » أي حيّة من الحيّات ، و أصله في الحيّات شبّه الرجل بها .

[457]

انتهى . 151 و ذكر الوادي لأنّ الأودية لانخفاضها تشتدّ فيها الحرارة ، فيشتدّ السمّ في حيّتها .

« كان لا يلوم أحدا فيما يقع العذر في مثله حتّى يرى اعتذارا » فيما يقع العذر أي فيما يمكن أن يكون له فيه عذر ، و في كلمة « المثل » إشعار بعدم العلم بكون فاعله معذورا إذ من الجائز أن يكون الفاعل غير معذور فيجب التوقّف حتّى يسمع الاعتذار و يظهر الحقّ ، فإن لم يكن عذره مقبولا لامه . و يحتمل أن يكون « حتّى » للتعليل أي كان لا يلومه بل يتفحّص العذر حتّى يجد له عذرا و لو على سبيل الاحتمال .

و في النهج : « و كان لا يلوم أحدا على ما يجد العذر في مثله حتّى يسمع اعتذاره » . و في بعض النسخ « على ما لا يجد » بزيادة حرف النفي فالمعنى : لا يلوم على أمر لا يجد فيه عذرا بمجرّد عدم الوجدان ، إذ يحتمل أن يكون له عذر لا يخطر بباله .

« و كان يفعل ما يقول و يفعل ما لا يقول » أي يفعل ما يأمر غيره به من الطاعات ، إشارة إلى قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . 152 و قد قيل : إنّ المعنى « لم لا تفعلون ما تقولون » ، فإنّه إذا قال و لم يفعل ، فعدم الفعل قبيح لا القول . و يفعل من الخيرات و الطاعات ما لا يقوله لمصلحة تقيّة أو عدم انتهاز فرصة أو عدم وجدان قابل ، كما قال تعالى : فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى 153 ، كذا فهمه الأكثر . و يخطر بالبال أنّه المعنى أنّه يحسن إلى غيره سواء وعده و الإحسان أو لم يعده ،

كما فسّرت الآية المتقدّمة في كثير من الأخبار بخلف الوعد . و في النهج : « و كان يقول ما يفعل ، و لا يقول ما لا يفعل » ، و في بعض نسخه في الأوّل : « و كان يفعل ما يقول » .

« كان إذا ابتزّه أمران » كذا في أكثر النسخ بالبآء الموحّدة و الزاي على بناء الافتعال ، أي استلبه و غلبه و أخذه قهرا ، كناية عن شدّة ميله إليهما و حصول الدواعي في كلّ منهما .

----

(151) الصحاح ، ص 1745 .

----

(152) الصف : 2 .

----

(153) الأعلى : 9 .

[458]

في القاموس : « البزّ » الغلبة و أخذ الشيء بجفاء و قهر كالابتزاز ، و « بزبز الشيء سلبه ك « ابتزّه » ، و لا يبعد أن يكون في الأصل : « انبراه » بالنون و البآء الموحّدة على الحذف و الإيصال أي اعترض له .

و في النهج « و كان إذا بدهه أمران نظر أيّهما أقرب إلى الهوى فخالفه » يقال :

« بدهه أمر » كمنعه أي بغته و فاجأه .

و هذا الكلام يحتمل معنيين :

الأوّل أن يكون المعنى : إذا عرضت له طاعتان كان يختار أشقّهما على نفسه لكونها أكثر ثوابا كالوضوء بالماء البارد و الحارّ في الشتاء ، كما ورد ذلك في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

و الثاني أن يكون معيارا لحسن الأشياء و قبحها كما إذا ورد عليه فعل لا يدري فعله أفضل أو تركه فينظر إلى نفسه و كلّما تهواه يخالفها كما ورد لا تترك النفس و هواها فإنّ رداها في هواها و هذا هو الغالب ، لكن جعلها قاعدة كلّيّة كما تقوله المتصوّفة مشكل لما نقل عن بعضهم أنّه مرّ بعذرة فعرضها على نفسه فأبت فأكلها ، و الظاهر أنّ أكلها كان عين هواها لتعدّه الرّعاع [154] من الناس شيخا كاملا و لكلّ عذرة آكلا .

« إلاّ عند من يرجو عنده البرء » أي ربّه تعالى فإنّه الشافي حقيقة أو المراد الطبيب الحاذق الّذي يرجو بمعالجته البرء فإنّه حينئذ ليس بشكاية ، بل هو طلب لعلاجه ، فالاستثناء منقطع . و في النهج : « و كان لا يشكو وجعا إلاّ عند برئه » أي يحكيه بعد البرء للشكر و التحدّث بنعمة اللّه ، فالاستثناء منقطع أو أطلقت الشكاية عليها على المشاكلة ، و قيل : أي كان يكتم مرضه عن إخوانه لئلاّ يتجشّموا زيارته .

« و لا يستشير » في المصباح : « شاورته في كذا و استشرته » راجعته لأرى رأيه فيه .

« فأشار عليّ بكذا » أراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت إشارته حسنة و الا سيئة ؟ ؟ ؟

« المشورة » . و فيه لغتان : سكون الشين و فتح الواو و الثانية ضمّ الشين و سكون الواو

[154] « الرعاع » بالفتح ، سقاط الناس و سفلتهم و غوغاؤهم ، الواحد « رعاعة » ، و قيل : لا واحد له من لفظه .

وزان معونة ، و يقال : هي من « شار الدابّة » إذا عرضه في المشوار ، و يقال : من « أشرت العسل » شبّه حسن النصيحة بشري العسل .

« إلاّ من يرجو عنده النصيحة » أي خلوص الرأي و عدم الغشّ و كمال الفهم .

« كان لا يتبرّم » كأنّ إعادة تلك الخصال مع ذكرها سابقا للتأكيد و شدّة الاهتمام بترك تلك الخصال ، أو المراد بها في الأوّل تشهّي الدنيا و التسخّط من فقدها التبرّم بمصائب الدنيا و الشكاية عن الوجع ، و المراد هنا التبرّم من كثرة سؤال الناس و سوء أخلاقهم و التسخّط بما يصل إليه منهم و تشهّي ملاذّ الدنيا و التشكّي عن أحوال الدهر أو عن الاخوان . و الشكاية و التشكّي و الاشتكاء بمعنى و يمكن الفرق بأمور اخر بالتأمّل فيما ذكرنا .

« و لا ينتقم » أي من العدوّ حتّى ينتقم اللّه له كما مرّ . « و لا يغفل عن العدوّ » أي الأعداء الظاهرة و الباطنة كالشيطان و النفس و الهوى .

« فعليكم بمثل هذه الأخلاق » ، في النهج : « فعليكم بهذه الخلائق فالزموها و تنافسوا فيها ، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير » .

أقول : لمّا كان الغرض من ذكر صفات الأخ أن يقتدي السامعون به في الفضائل المذكورة ، أمرهم عليه السلام بلزومها و التنافس فيها أو في بعضها إن لم يمكن الكلّ .

قوله عليه السلام « من ترك الكثير » أي الكلّ .

و أقول : في رواية النهج ترك بعض تلك الخصال و فيها زيادة أيضا و هي قوله « و كان إن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت ، و كان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلّم » . و المراد بالفقرة الأولى أنّه إن غلبه أحد بالجدال و

الخروج عن الحقّ عدل إلى السكوت و ترك المراء فكان هو الغالب حقيقة لعدم خروجه عن الحقّ أو المراد أنّ سكوته كان أكثر من غيره ، فالكلام أعمّ ممّا هو في معرض الجدال ، و أمّا الثانية فالحرص على الاستماع لاحتمال الانتفاع ، و قيل : صيغة التفضيل هنا ، مثلها في

[460]

قوله تعالى : أَ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ؟ (الفرقان : 15) . 155

[هذا بيان آخر في شرح الحكمة :] بيان :

قيل : كان يكتمه لئلاّ يتكلّف الناس زيارته و الأظهر أنّه بعد البرء شكر لا شكاية ، أو يحمل على ما إذا كان على سبيل الشكر . 156

290

و قال عليه السلام : لو لم يتوعّد (4807) اللّه على معصيته لكان يجب ألاّ يعصى شكرا لنعمه .

291

و قال عليه السلام ، و قد عزى الأشعث بن قيس عن ابن له :

يا أشعث ، إن تحزن على ابنك فقد استحقّت منك ذلك الرّحم ،

و إن تصبر ففي اللّه من كلّ مصيبة خلف . يا أشعث ، إن صبرت جرى عليك القدر و أنت مأجور ، و إن جزعت جرى عليك القدر و أنت مأزور (4808) . يا أشعث ، ابنك سرّك و هو بلاء و فتنة ، و حزنك (4809) و هو ثواب و رحمة .

بيان

قال الجوهريّ : « الوزر » الإثم و الثقل .

قال الأخفش : تقوله منه : وزر يوزر و وزر يزر و وزُر يوزر ، فهو موزور . و إنّما قال في الحديث « مأزورات » لمكان « مأجورات » و لو أفرد لقال « موزورات » . انتهى .

قوله عليه السلام « و هو بلاء و فتنة » لقوله تعالى : إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ

----

(155) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الايمان و الكفر ، ص 295 303 .

----

(156) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 81 ، باب آداب المريض و أحكامه ، ص 205 .

[461]

أَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ (التغابن : 15) . 157

[هذا بيان آخر في شرح الكلام :] بيان :

« إن تحزن » ظاهره و [158] جواز الحزن و لا ينافي كونه مأزورا على الجزع فإنّ الحزن غير الجزع .

و قال الشيخ الرضي رحمه اللّه قولهم في اللّه من كلّ ما فات خلف أوفي الطاقة .

و قال الجوهري : « الوزر » الإثم و الثقل .

قال الأخفش : تقول منه : وزر يوزر و وزر يزر و وزُر يوزر فهو موزور ، و إنّها قال في الحديث « مأزورات » لمكان « مأجورات » و لو أفرد لكان موزورات . « سرّك » أي الولد ، و كونه فتنة لقوله تعالى : إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ .
159 قوله عليه السلام « جلل » قال في النهاية : الجلل من الأضداد يكون للعظيم و الحقير . انتهى .

أي كلّ مصيبة قبلك و بعدك سهل هيّن بالنسبة إلى مصابك . و قيل : أراد به أنّ المصاب به قبله عظيم على المسلمين لحذرهم منه و بعده عظيم لاختلال أمرهم و أمر الدّين بفقده ، و الأوّل أظهر . 160

292

و قال عليه السلام ، على قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ساعة دفنه :

إنّ الصّبر لجميل إلاّ عنك ، و إنّ الجزع لقبيح إلاّ عليك ، و إنّ المصاب بك لجليل ، و إنّه قبلك و بعدك لجلل (4810) .

----

(157) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الطهارة ، ص 134 .

[158] في معتقدي أنّ هذه الواو زائدة (المصحّح) .

----

(159) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 732 ، ط كمپاني و ص 678 ، ط تبريز .

----

(160) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الطهارة ، ص 134 .

[462]

293

و قال عليه السلام : لا تصحب المائق (4811) فإنّه يزيّن لك فعله ، و يودّ أن تكون مثله .

294

و قد سئل عن مسافة ما بين المشرق و المغرب ، فقال عليه السلام : مسيرة يوم للشّمس .

بيان

لعل عدوله عليه السلام عن الجواب الحقيقيّ إلى الإقناعيّ للاشعار بقلّة الفائدة في معرفة تلك المسافة نحو ما قيل في قوله تعالى : قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ،

أو لعسر إثباتها على وجه لا يبقى للمنافقين من الحاضرين سبيل إلى الإنكار كما صرّح عليه السلام به في جواب من سأل عن عدد شعر لحيته ، أو لعدم استعداد الحاضرين لفهمه بحجّة و دليل و عدم المصلحة في ذكره بلا دليل . 161

295

و قال عليه السلام : أصدقاؤك ثلاثة ، و أعداؤك ثلاثة ،

فأصدقاؤك : صديقك ، و صديق صديقك ، و عدوّ عدوّك . و أعداؤك :

عدوّك ، و عدوّ صديقك ، و صديق عدوّك .

296

و قال عليه السلام ، لرجل رآه يسعى على عدوّ له ، بما فيه إضرار بنفسه : إنّما أنت كالطّاعن نفسه ليقتل ردفه (4812) .

297

و قال عليه السلام : ما أكثر العبر و أقلّ الاعتبار

----

(161) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 59 ، باب الأيّام و الساعات و الليل و النهار ، ص 3 .

[463]

298

و قال عليه السلام : من بالغ في الخصومة أثم ، و من قصّر فيها ظلم ، و لا يستطيع أن يتّقي الله من خاصم .

299

و قال عليه السلام : ما أهمّني ذنب أمهلت بعده حتّى أصلّي ركعتين و أسأل الله العافية .

300

و سئل عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم ؟

فقال عليه السلام : كما يرزقهم على كثرتهم . فقيل : كيف يحاسبهم و لا يرونه ؟ فقال عليه السلام : كما يرزقهم و لا يرونه .

301

و قال عليه السلام : رسولك ترجمان عقلك ، و كتابك أبلغ ما ينطق عنك

302

و قال عليه السلام : ما المبتلى الّذي قد اشتدّ به البلاء ،

بأحوج إلى الدّعاء الّذي لا يأمن البلاء

303

و قال عليه السلام : النّاس أبناء الدّنيا ، و لا يلام الرّجل على حبّ أمّه .

304

و قال عليه السلام : إنّ المسكين رسول اللّه ، فمن منعه فقد منع اللّه ، و من أعطاه فقد أعطى اللّه .

[464]

305

و قال عليه السلام : ما زنى غيور قطّ .

306

و قال عليه السلام : كفى بالأجل حارسا

307

و قال عليه السلام : ينام الرّجل على الثّكل (4813) ، و لا ينام على الحرب (4814) . قال الرضي : و معنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد ، و لا يصبر على سلب الأموال .

308

و قال عليه السلام : مودّة الآباء قرابة بين الأبناء ، و القرابة إلى المودّة أحوج من المودّة إلى القرابة .

309

و قال عليه السلام : اتّقوا ظنون المؤمنين ، فإنّ اللّه تعالى جعل الحقّ على ألسنتهم .

310

و قال عليه السلام : لا يصدق إيمان عبد ، حتّى يكون بما في يد اللّه أوثق منه بما في يده .

311

و قال عليه السلام لأنس بن مالك ، و قد كان بعثه إلى طلحة و الزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئا مما سمعه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في معناهما ، فلوى عن ذلك ، فرجع إليه ، فقال :

إنّي أنسيت ذلك الأمر ، فقال عليه السلام : إن كنت كاذبا فضربك اللّه بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة .

قال الرضي : يعني البرص ، فأصاب أنسا هذا الداء فيما بعد في وجهه ، فكان لا يرى إلا مبرقعا .

312

و قال عليه السلام : إنّ للقلوب إقبالا و إدبارا (4815) ، فإذا أقبلت فاحملوها على النّوافل ، و إذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض .

313

و قال عليه السلام : « و في القرآن نبأ ما قبلكم ، و خبر ما بعدكم ، و حكم ما بينكم (4816) » .

314

و قال عليه السلام : ردّوا الحجر (4817) من حيث جاء فإنّ الشّرّ لا يدفعه إلاّ الشّرّ .

315

و قال عليه السلام لكاتبه عبيد اللّه بن أبي رافع : ألق (4818) دواتك ، و أطل جلفة (4819) قلمك ، و فرّج بين السّطور ، و قرمط (4820) بين الحروف : فإنّ ذلك أجدر بصباحة الخطّ .

بيان

قال الجوهري : « لاقت الدّواة تليق » أي لصقت . و « لقتها أنا » يتعدّي و لا يتعدّي فهي مليقة إذا أصلحت مدادها . و « ألقتها إلاقة » لغة فيه .

و قال : « الجلف » القشر ، يقال : « جلفت الطين عن راس الدّن ، أجلفه بالضمّ و جلفت الشيء » قطعت و استأصلته .

و قال ابن أبي الحديد : « الجلفة » هيئة فتحة القلم و أصله القشر . 162

----

(162) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 734 ، ط كمپاني و ص 680 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 19 ، ص 223 ، ط بيروت .

316

و قال عليه السلام : أنا يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الفجّار . قال الرضي : و معنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني ، و الفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها ، و هو رئيسها .

317

و قال له بعض اليهود : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام له : إنّما اختلفنا عنه لا فيه ، و لكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم : « اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقال إنّكم قوم تجهلون » .

318

و قيل له : بأيّ شيء غلبت الأقران ؟ فقال عليه السلام :

ما لقيت رجلا إلاّ أعانني على نفسه . قال الرضي : يومىء بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب .

319

و قال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية : يا بنيّ ، إنّي أخاف عليك الفقر ، فاستعذ باللّه منه ، فإنّ الفقر منقصة (4821) للدّين ،

مدهشة للعقل ، داعية للمقت

320

و قال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة (4822) : سل تفقّها ، و لا تسأل تعنّتا ، فإنّ الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم ، و إنّ

[467]

العالم المتعسّف شبيه بالجاهل المتعنّت .

321

و قال عليه السلام لعبد اللّه بن العباس ، و قد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه :

لك أن تشير عليّ و أرى ، فإن عصيتك فأطعني .

بيان

قال ابن ميثم : روي أنّه أشار عليه [عليّ] عليه السلام عند انصرافه من مكّة حاجّا و قد بايعه النّاس فقال يا أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ هذا أمر عظيم يخاف فيه عوائل الناس فاكتب لطلحة بولاية البصرة و للزبير بولاية الكوفة و اكتب إلى معاوية و ذكّر القرابة و الصّلة و أقرّه على ولاية الشام حتّى يبايعك ، فإن بايعك و جرى على سنّتك و طاعة اللّه فاتركه على حاله ، و إن خالفك فادعه إلى المدينة و أبدله بغيره و لا تموّج بحار الفتنة .

فقال عليه السلام : معاذ اللّه أن أفسد ديني بدنيا غيري و لك يا ابن عباس أن تشير إلى آخر الكلام . 163

322

و روي أنه عليه السلام ، لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشبّاميين (4823) ،

فسمع بكاء النساء على قتلى صفين ، و خرج إليه حرب بن شرحبيل الشبّامي ، و كان من وجوه قومه ، فقال عليه السلام له :

أتغلبكم نساؤكم على ما أسمع ؟ ألا تنهونهنّ عن هذا الرّنين (4824) ؟

و أقبل حرب يمشي معه ، و هو عليه السلام راكب ، فقال عليه السلام :

ارجع ، فإنّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ، و مذلّة (4825) للمؤمن .

----

(163) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 734 ، ط كمپاني و ص 680 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 402 .

[468]

323

و قال عليه السلام ، و قد مر بقتلى الخوارج يوم النّهروان :

بؤسا لكم ، لقد ضرّكم من غرّكم ، فقيل له : من غرّهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الشّيطان المضلّ ، و الأنفس الأمّارة بالسّوء ، غرّتهم بالأمانيّ ، و فسحت لهم بالمعاصي ، و وعدتهم الإظهار ، فاقتحمت بهم النّار .

بيان

و « فسحت » أي أوسعت لهم بالرخصة في المعاصي . « و وعدتهم الإظهار » أي أن يظهرهم و يغلبهم علينا . 164

324

و قال عليه السلام : اتّقوا معاصي اللّه في الخلوات ، فإنّ الشّاهد هو الحاكم .

325

و قال عليه السلام ، لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر :

إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به ، إلاّ أنّهم نقصوا بغيضا ، و نقصنا حبيبا .

326

و قال عليه السلام : العمر الّذي أعذر اللّه فيه إلى ابن آدم ستّون سنة .

327

و قال عليه السلام : ما ظفر من ظفر الإثم به ، و الغالب

----

(164) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 603 ، ط كمپاني و ص 556 ، ط تبريز .

بالشّرّ مغلوب .

328

و قال عليه السلام : إنّ اللّه سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء : فما جاع فقير إلاّ بما متّع به غني ، و اللّه تعالى سائلهم عن ذلك .

329

و قال عليه السلام : الاستغناء عن العذر أعزّ من الصّدق به .

330

و قال عليه السلام : أقلّ ما يلزمكم للّه ألاّ تستعينوا بنعمه على معاصيه .

331

و قال عليه السلام : إنّ اللّه سبحانه جعل الطّاعة غنيمة الأكياس (4826) عند تفريط العجزة (4827)

332

و قال عليه السلام : السّلطان وزعة (4828) اللّه في أرضه .

333

و قال عليه السلام ، في صفة المؤمن : المؤمن بشره (4829) في وجهه ، و حزنه في قلبه ، أوسع شيء صدرا ، و أذلّ شيء نفسا . يكره الرّفعة ، و يشنأ السّمعة . طويل غمّه ، بعيد همّه ، كثير صمته ، مشغول وقته . شكور صبور ، مغمور (4830) بفكرته ، ضنين (4831) بخلّته (4832) ،

سهل الخليقة (4833) ، ليّن العريكة (4834) نفسه أصلب من الصّلد (4835) ،

و هو أذلّ من العبد .

توضيح

« البشر » بالكسر ، الطلاقة و كتمان الحزن من الشكر و لا يختصّ بحزن الآخرة كما قيل . و « سعة صدره » كناية عن قوّة حلمه و شدّة تحمّله للمشاقّ . و « ذلّة نفسه » للتواضع و النّظر إلى عظمة اللّه و استحقار العمل .

« يكره الرفعة » أي الشرف و العلوّ في الدّنيا . و « يشنأ » كيمنع و يسمع يبغض . « السمعة » أي إسماع العمل الناس أو فعله لذلك . و « طول الغمّ » لذكر الموت و الآخرة و عدم العلم بالعاقبة . « بعيد همّه » أي حزنه تاكيدا أو الهمّ بمعنى القصد و العزم ، أي همّته عالية مصروفة إلى الأمور الباقية . « مشغول وقته » أي مستغرق في العبادة و الذّكر و التفكّر في آيات اللّه و تحصيل العلم و بذله و نحو ذلك ، و الحاصل أنّه لا يضيع العمر .

« مغمور بفكرته » يقال : « غمره الماء » كنصر أي غطّاه ، و « الفكر » و « الفكرة » إعمال النظر و المراد به التفكّر في آلاء اللّه و عبره و علوم اللّه و حكمه .

« ضنين بخلّته » ، « الضنّة » البخل ، و « الخلّة » بالضمّ ، الصداقة و المحبّة الّتي تخلّلت القلب فصارت خلاله أي في باطنه كما في النهاية . و في المصباح : « الخلّة » بالفتح ، الصداقة و الضمّ لغة و بالفتح الفقر و الحاجة . فالفقرة تحتمل وجوها :

الأوّل : أنّه ضنين بخلّته لترصّده مواقع الخلّة و أهلها الّذين هم إخوان الصدق في اللّه و هم قليلون .

الثاني : أن يكون المراد أنّه إذا خالّ أحدا أي صادقه ضنّ أن يضيع خلّته أو يهمل خليله ، فالمراد استحكام مودّته .

الثالث : أن يكون بفتح الخاء كما روي ، أي إذا عرضت له حاجة ضنّ بها أن يسأل أحدا فيها و يظهرها .

و « الخليقة » الطبيعة و سهولنها خلوّها عن الفظاظة و الخشونة . و « العريكة » النفس و الطبيعة ، يقال : « فلان ليّن العريكة » إذا كان مطاوعا منقادا قليل الخلاف و النفور منكسر النخوة . و « حجر صلد » بالفتح ، أي صلب أملس و صلابته لثباته في طاعة اللّه و إمضاء أموره و شجاعته و حميّته ، أو شدّة إيمانه و يقينه و عدم تزلزله في الفتن .

[471]

و « ذلّته » تواضعه . 165

334

و قال عليه السلام : لو رأى العبد الأجل و مصيره ، لأبغض الأمل و غروره .

335

و قال عليه السلام : لكلّ امرىء في ماله شريكان :

الوارث و الحوادث .

336

و قال عليه السلام : المسؤول حرّ حتّى يعد .

337

و قال عليه السلام : الدّاعي بلا عمل كالرّامي بلا وتر

338

و قال عليه السلام : العلم علمان : مطبوع و مسموع (4836) ،

و لا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع .

بيان

لعلّ المراد بالمطبوع ما استنبط بفهمه و فكره الصائب في الأصول و الفروع من الأدلّة العقليّة و النقليّة ، و ربّما يخصّ المطبوع بالأصول و المسموع بالفروع . 166

339

و قال عليه السلام : صواب الرّأي بالدّول : يقبل بإقبالها (4837) ، و يذهب بذهابها .

----

(165) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 67 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 306 .

----

(166) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 1 ، كتاب العلم ، ص 219 .

[472]

340

و قال عليه السلام : العفاف زينة الفقر ، و الشّكر زينة الغنى .

341

و قال عليه السلام : يوم العدل على الظّالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم

342

و قال عليه السلام : الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي النّاس .

343

و قال عليه السلام : الأقاويل محفوظة ، و السّرائر مبلوّة (4838) ،

و « كلّ نفس بما كسبت رهينة » ، و النّاس منقوصون (4839) مدخولون (4840) إلاّ من عصم اللّه : سائلهم متعنّت ، و مجيبهم متكلّف ، يكاد أفضلهم رأيا يردّه عن فضل رأيه الرّضى و السّخط ، و يكاد أصلبهم عودا (4841) تنكؤه (4842) اللّحظة (4843) ، و تستحيله (4844) الكلمة الواحدة .

344

و قال عليه السلام : معاشر النّاس ، اتّقوا اللّه ، فكم من مؤمّل ما لا يبلغه ، و بان ما لا يسكنه ، و جامع ما سوف يتركه ،

و لعلّه من باطل جمعه ، و من حقّ منعه ، أصابه حراما ، و احتمل به آثاما ، فباء بوزره ، و قدم على ربّه ، آسفا لاهفا ، قد « خسر الدّنيا و الآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » .

345

و قال عليه السلام : من العصمة تعذّر المعاصي .

346

و قال عليه السلام : ماء وجهك جامد يقطره السّؤال ، فانظر عند من تقطره .

347

و قال عليه السلام : الثّناء بأكثر من الاستحقاق ملق (4845) ،

و التّقصير عن الاستحقاق عيّ أو حسد .

348

و قال عليه السلام : أشدّ الذّنوب ما استهان به صاحبه .

349

و قال عليه السلام : من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ، و من رضي برزق اللّه لم يحزن على ما فاته ، و من سلّ سيف البغي قتل به ، و من كابد الأمور (4846) عطب (4847) ، و من اقتحم اللّجج غرق ، و من دخل مداخل السّوء اتّهم . و من كثر كلامه كثر خطؤه ،

و من كثر خطؤه قلّ حياؤه ، و من قلّ حياؤه قلّ ورعه ، و من قلّ ورعه مات قلبه ، و من مات قلبه دخل النّار . و من نظر في عيوب النّاس ، فأنكرها ، ثمّ رضيها لنفسه ، فذلك الأحمق بعينه . و القناعة مال لا ينفد . و من أكثر من ذكر الموت رضي من الدّنيا باليسير ،

و من علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه .

350

و قال عليه السلام : للظّالم من الرّجال ثلاث علامات :

يظلم من فوقه بالمعصية ، و من دونه بالغلبة (4848) ، و يظاهر (4849) القوم الظّلمة (4850) .

351

و قال عليه السلام : عند تناهي الشّدّة تكون الفرجة ،

و عند تضايق حلق البلاء يكون الرّخاء .

352

و قال عليه السلام لبعض أصحابه : لا تجعلنّ أكثر شغلك بأهلك و ولدك : فإن يكن أهلك و ولدك أولياء اللّه ، فإنّ اللّه لا يضيع أولياءه ، و إن يكونوا أعداء اللّه ، فما همّك و شغلك بأعداء اللّه ؟

353

و قال عليه السلام : أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله .

354

و هنأ بحضرته رجل رجلا بغلام ولد له فقال له : ليهنئك الفارس ، فقال عليه السلام : لا تقل ذلك ، و لكن قل : شكرت الواهب ، و بورك لك في الموهوب ، و بلغ أشدّه ، و رزقت برّه .

بيان

« شكرت الواهب » جملة دعائيّة ، أي رزقك اللّه شكره . « و الأشدّ » القوّة و فسّر بما بين ثماني عشر إلى ثلثين . 167

355

و بنى رجل من عماله بناء فخما (4851) ، فقال عليه السلام :

----

(167) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 732 ، ط كمپاني و ص 678 ، ط تبريز .

أطلعت الورق (4852) رؤوسها إنّ البناء يصف لك الغنى .

بيان

قال الجوهريّ : « رجل فخم » أي عظيم القدر و قال : « الورق » الدراهم المضروبة . 168

356

و قيل له عليه السلام : لو سدّ على رجل باب بيته ، و ترك فيه ، من أين كان يأتيه رزقه ؟ فقال عليه السلام : من حيث يأتيه أجله .

357

و عزّى قوما عن ميت مات لهم فقال عليه السلام : إنّ هذا الأمر (4853) ليس لكم بدأ ، و لا إليكم انتهى ، و قد كان صاحبكم هذا يسافر ، فعدوه في بعض أسفاره ، فإن قدم عليكم و إلاّ قدمتم عليه .

358

و قال عليه السلام : أيّها النّاس ، ليركم الله من النّعمة وجلين (4854) ، كما يراكم من النّقمة فرقين (4855) إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد أمن مخوفا ، و من ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختبارا (4856) فقد ضيّع مأمولا (4857) .

359

و قال عليه السلام : يا أسرى الرّغبة (4858) أقصروا (4859) ،

----

(168) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 732 ، ط كمپاني و ص 678 ، ط تبريز .

[476]

فإنّ المعرّج (4860) على الدّنيا لا يروعه (4861) منها إلاّ صريف (4862) أنياب الحدثان (4863) . أيّها النّاس ، تولّوا (4864) من أنفسكم تأديبها ، و اعدلوا بها عن ضراوة (4865) عاداتها .

360

و قال عليه السلام : لا تظنّنّ بكلمة خرجت من أحد سوءا ، و أنت تجد لها في الخير محتملا .

361

و قال عليه السلام : إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصّلاة على رسوله ، صلّى الله عليه و آله و سلّم ،

ثمّ سل حاجتك ، فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين (4866) ، فيقضي إحداهما و يمنع الأخرى .

362

و قال عليه السلام : من ضنّ (4867) بعرضه فليدع المراء (4868) .

363

و قال عليه السلام : من الخرق (4869) المعاجلة قبل الإمكان ، و الأناة (4870) بعد الفرصة (4871) .

364

و قال عليه السلام : لا تسأل عمّا لا يكون ، ففي الّذي قد كان لك شغل (4872) .

365

و قال عليه السلام : الفكر مرآة صافية ، و الاعتبار (4873)

[477]

منذر (4874) ناصح . و كفى أدبا لنفسك تجنّبك (4875) ما كرهته لغيرك .

366

و قال عليه السلام : العلم مقرون بالعمل : فمن علم عمل ، و العلم يهتف بالعمل (4876) ، فإن أجابه و إلاّ ارتحل عنه .

367

و قال عليه السلام : يا أيّها النّاس ، متاع الدّنيا حطام (4877) موبىء (4878) فتجنّبوا مرعاه (4879) قلعتها (4880) أحظى (4881) من طمأنينتها (4882) ، و بلغتها (4883) أزكى (4884) من ثروتها . حكم على مكثر منها بالفاقة (4885) ، و أعين من غني عنها (4886) بالرّاحة . من راقه (4887) زبرجها (4888) أعقبت (4889) ناظريه كمها (4890) ، و من استشعر الشّغف (4891) بها ملأت ضميره أشجانا (4892) ، لهنّ رقص (4893) على سويداء قلبه (4894) :

همّ يشغله ، و غم يحزنه ، كذلك حتّى يؤخذ بكظمه (4895) فيلقى (4896) بالفضاء ، منقطعا أبهراه (4897) ، هيّنا على اللّه فناؤه ، و على الإخوان إلقاؤه (4892) . و إنّما ينظر المؤمن إلى الدّنيا بعين الاعتبار (4899) و يقتات منها (4900) ببطن الاضطرار (4901) ، و يسمع فيها بأذن المقت (4902) و الإبغاض ، إن قيل أثرى (4903) قيل أكدى (4904) و إن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هذا و لم يأتهم « يوم فيه يبلسون (4905) » .

368

و قال عليه السلام : إنّ اللّه سبحانه وضع الثّواب على

[478]

طاعته ، و العقاب على معصيته ، ذيادة (4906) لعباده عن نقمته ، و حياشة (4907) لهم إلى جنّته .

369

و قال عليه السلام : يأتي على النّاس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلاّ رسمه ، و من الإسلام إلاّ اسمه ، و مساجدهم يومئذ عامرة من البناء ، خراب من الهدى ، سكّانها و عمّارها شرّ أهل الأرض .

منهم تخرج الفتنة ، و إليهم تأوي الخطيئة ، يردّون من شذّ عنها فيها ، و يسوقون من تأخّر عنها إليها . يقول اللّه سبحانه : فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة تترك الحليم فيها حيران ، و قد فعل ، و نحن نستقيل اللّه عثرة الغفلة .

بيان

« إلاّ رسمه » أي أي [169] كتابة دون العمل به و تلاوته كما ينبغي . و قيل : « رسم القرآن » تلاوته و هو أثره . و « إليهم تأوي » كناية عن شدّة ملازمتهم لها ،

أو عن رجوع آثامها إليهم لكونهم سبب شيوعها في الناس . و الضمائر المؤنّثة إمّا راجعة إلى الفتنة أو الخطيئة . و قيل : ينبغي أن يكون قد قال هذا الكلام في أيّام خلافته لأنّها كانت أيّام السّيف المسلّط على أهل الضّلال من المسلمين و كذلك ما بعثه اللّه عزّ و جلّ على بني أميّة و أتباعهم من سيوف بني هاشم بعد انتقاله عليه السلام ، و على هذا ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام « و قد فعل » على دنوّ وقوع الفعل ، أو أنّه قضي في علم اللّه و قدر حتما ، أو يكون قوله عليه السلام « يأتي على الناس زمان »

[169] في المصدر أيضا يكون « أي ، أي » ، و الحال أنّ واحدا منهما زائد (المصحّح) .

[479]

بمعنى أنّ مثل ذلك من الأمور الممكنة الّتي تجري على الخلق و إن كان قد وقع . و يمكن أن يكون إخبارا عن وقوع الأمور في آخر الزمان و يحمل قوله « و قد فعل » على أحد الوجهين و يكون الحكم بدنوّه مثل قوله تعالى : اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (القمر : 1) . 170

370

و روي أنّه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام الخطبة : أيّها النّاس ، اتّقوا اللّه ، فما خلق امرؤ عبثا فيلهو (4908) ،

و لا ترك سدى فيلغو (4909) و ما دنياه الّتي تحسّنت له بخلف (4910) من الآخرة الّتي قبّحها سوء النّظر عنده ، و ما المغرور الّذي ظفر من الدّنيا بأعلى همّته كالآخر الّذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته (4911) .

371

و قال عليه السلام : لا شرف أعلى من الإسلام ، و لا عزّ أعزّ من التّقوى ، و لا معقل أحسن من الورع ، و لا شفيع أنجح من التّوبة ، و لا كنز أغنى من القناعة ، و لا مال أذهب للفاقة من الرّضى بالقوت . و من اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم (4912) الرّاحة ،

و تبوّأ (4913) خفض الدّعة (4914) . و الرّغبة (4915) مفتاح النّصب (4916) ،

و مطيّة (4917) التّعب ، و الحرص و الكبر و الحسد دواع إلى التّقحّم في الذّنوب ، و الشّرّ جامع مساوىء العيوب .

----

(170) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 734 ، ط كمپاني و ص 680 ، ط تبريز .

[480]

372

و قال عليه السلام لجابر بن عبد اللّه الأنصاري : يا جابر ،

قوام الدّين و الدّنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ، و جاهل لا يستنكف أن يتعلّم ، و جواد لا يبخل بمعروفه ، و فقير لا يبيع آخرته بدنياه ، فإذا ضيّع العالم علمه استنكف (4918) الجاهل أن يتعلّم ،

و إذا بخل الغنيّ بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه .

يا جابر ، من كثرت نعم اللّه عليه كثرت حوائج النّاس إليه ، فمن قام للّه فيها بما يجب فيها عرّضها (4919) للدّوام و البقاء ، و من لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزّوال و الفناء .

373

و روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه و كان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد :

إني سمعت عليا رفع اللّه درجته في الصالحين ، و أثابه ثواب الشهداء و الصدّيقين ، يقول يوم لقينا أهل الشام :

أيّها المؤمنون ، إنّه من رأى عدوانا يعمل به و منكرا يدعى إليه ،

فأنكره بقلبه فقد سلم و برىء (4920) ، و من أنكره بلسانه فقد أجر ،

و هو أفضل من صاحبه ، و من أنكره بالسّيف لتكون كلمة اللّه هي العليا و كلمة الظّالمين هي السّفلى ، فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى ،

و قام على الطّريق ، و نوّر في قلبه اليقين .

[481]

بيان

قوله عليه السلام « فقد سلم و بريء » أي من العذاب المترتّب على فعل المنكر و الرضابه ، لا أنّه خرج بمجرّد ذلك عن العهدة .

و قال ابن ميثم : و إنّما خصّص المنكر بقلبه بالسلامة و البراءة أي من عذاب اللّه لأنّه لم يحمل إثما ، و إنّما لم يذكر له أجرا و إن كان كلّ واجب يثاب عليه لأنّ غاية إنكار المنكر دفعه ، و الإنكار بالقلب ليس له في الظاهر تأثير في دفع المنكر ، فكأنّه لم يفعل ما يستحقّ به أجرا . انتهى . 171 و فيه ما فيه . 172

374

و في كلام آخر له يجري هذا المجرى : فمنهم المنكر للمنكر بيده و لسانه و قلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير ، و منهم المنكر بلسانه و قلبه و التّارك بيده ، فذلك متمسّك بخصلتين من خصال الخير و مضيّع خصلة ، و منهم المنكر بقلبه ، و التّارك بيده و لسانه ، فذلك الّذي ضيّع أشرف الخصلتين (4921) من الثّلاث ، و تمسّك بواحدة ، و منهم تارك لإنكار المنكر بلسانه و قلبه و يده ، فذلك ميّت الأحياء . و ما أعمال البرّ كلّها و الجهاد في سبيل اللّه ، عند الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ، إلاّ كنفثة (4922) في بحر لجّيّ (4923) .

و إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لا يقرّبان من أجل ، و لا ينقصان من رزق ، و أفضل من ذلك كلّه كلمة عدل عند إمام جائر .

----

(171) شرح النهج لابن ميثم ، ج 5 ، ص 428 .

----

(172) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 482 ، ط تبريز .

[482]

375

و عن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أوّل ما تغلبون (4924) عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثمّ بألسنتكم ، ثمّ بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفا ، و لم ينكر منكرا ، قلب فجعل أعلاه أسفله ، و أسفله أعلاه .

376

و قال عليه السلام : إنّ الحقّ ثقيل مريء (4925) ، و إنّ الباطل خفيف وبيء (4926) .

377

و قال عليه السلام : لا تأمننّ على خير هذه الأمّة عذاب اللّه ،

لقوله تعالى : فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ و لا تيأسنّ لشرّ هذه الأمّة من روح اللّه (4927) لقوله تعالى : إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

378

و قال عليه السلام : البخل جامع لمساوىء العيوب ،

و هو زمام يقاد به إلى كلّ سوء .

379

و قال عليه السلام : يا بن آدم ، الرّزق رزقان : رزق تطلبه ، و رزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك . فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك كفاك كلّ يوم على ما فيه ، فإن تكن السّنة من عمرك

[483]

فإنّ اللّه تعالى سيؤتيك في كلّ غد جديد ما قسم لك ، و إن لم تكن السّنة من عمرك فما تصنع بالهمّ فيما ليس لك ، و لن يسبقك إلى رزقك طالب ، و لن يغلبك عليه غالب ، و لن يبطىء عنك ما قد قدّر لك قال الرضي : و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب ، إلا أنه هاهنا أوضح و أشرح ،

فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في أول الكتاب .

380

و قال عليه السلام : ربّ مستقبل يوما ليس بمستدبره (4928) ،

و مغبوط (4929) في أوّل ليله ، قامت بواكيه في آخره .

381

و قال عليه السلام : الكلام في وثاقك (4930) ما لم تتكلّم به ، فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه ، فاخزن (4931) لسانك كما تخزن ذهبك و ورقك (4932) ، فربّ كلمة سلبت نعمة و جلبت نقمة .

382

و قال عليه السلام : لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كلّ ما تعلم ، فإنّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة .

383

و قال عليه السلام : احذر أن يراك الله عند معصيته ،

و يفقدك عند طاعته ، فتكون من الخاسرين ، و إذا قويت فاقو على طاعة الله ، و إذا ضعفت فاضعف عن معصية الله .

384

و قال عليه السلام : الرّكون إلى الدّنيا مع ما تعاين (4933)

[484]

منها جهل ، و التّقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثّواب عليه غبن (4934) ، و الطّمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار له عجز .

385

و قال عليه السلام : من هوان الدّنيا على الله أنّه لا يعصى إلاّ فيها ، و لا ينال ما عنده إلاّ بتركها .

386

و قال عليه السلام : من طلب شيئا ناله أو بعضه .

387

و قال عليه السلام : ما خير بخير بعده النّار ، و ما شرّ بشرّ بعده الجنّة ، و كلّ نعيم دون الجنّة فهو محقور (4935) ، و كلّ بلاء دون النّار عافية .

388

و قال عليه السلام : ألا و إنّ من البلاء الفاقة (4936) ، و أشدّ من الفاقة مرض البدن ، و أشدّ من مرض البدن مرض القلب . ألا و إنّ من صحّة البدن تقوى القلب .

389

و قال عليه السلام : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

و في رواية أخرى : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب آبائه .

390

و قال عليه السلام : للمؤمن ثلاث ساعات : فساعة يناجي فيها ربّه ، و ساعة يرمّ (4937) معاشه ، و ساعة يخلّي بين نفسه و بين لذّتها

[485]

فيما يحلّ و يجمل . و ليس للعاقل أن يكون شاخصا إلاّ في ثلاث :

مرمّة (4938) لمعاش ، أو خطوة في معاد (4939) ، أو لذّة في غير محرّم .

391

و قال عليه السلام : ازهد في الدّنيا يبصّرك اللّه عوراتها ،

و لا تغفل فلست بمغفول عنك

392

و قال عليه السلام : تكلّموا تعرفوا ، فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه .

393

و قال عليه السلام : خذ من الدّنيا ما أتاك ، و تولّ عمّا تولّى عنك ، فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطّلب (4940) .

394

و قال عليه السلام : ربّ قول أنفذ من صول (4941) .

395

و قال عليه السلام : كلّ مقتصر (4942) عليه كاف .

396

و قال عليه السلام : المنيّة (4943) و لا الدّنيّة (4944) و التّقلّل (4945) و لا التّوسّل (4946) . و من لم يعط قاعدا لم يعط قائما (4947) ، و الدّهر يومان : يوم لك ، و يوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، و إذا كان عليك فاصبر

397

و قال عليه السلام : نعم الطّيب المسك ، خفيف محمله ،

عطر ريحه .

[486]

398

و قال عليه السلام : ضع فخرك ، و احطط كبرك ، و اذكر قبرك .

399

و قال عليه السلام : إنّ للولد على الوالد حقّا ، و إنّ للوالد على الولد حقّا . فحقّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء ، إلاّ في معصية اللّه سبحانه ، و حقّ الولد على الوالد أن يحسّن اسمه ، و يحسّن أدبه ، و يعلّمه القرآن .

400

و قال عليه السلام : العين حقّ ، و الرّقى حقّ ، و السّحر حقّ ،

و الفأل (4948) حقّ ، و الطّيرة (4949) ليست بحقّ ، و العدوى ليست بحقّ ،

و الطّيب نشرة (4950) ، و العسل نشرة ، و الرّكوب نشرة ، و النّظر إلى الخضرة نشرة .

401

و قال عليه السلام : مقاربة النّاس في أخلاقهم أمن من

402

و قال عليه السلام لبعض مخاطبيه ، و قد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها :

لقد طرت شكيرا ، و هدرت سقبا . قال الرضي : و الشكير هاهنا : أول ما ينبت من ريش الطائر ، قبل أن يقوى و يستحصف .

و السقب : الصغير من الإبل ، و لا يهدر إلا بعد أن يستفحل .

403

و قال عليه السلام : من أومأ (4952) إلى متفاوت (4953) خذلته

[487]

الحيل (4954) .

404

و قال عليه السلام ، و قد سئل عن معنى قولهم : « لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه » : إنّا لا نملك مع اللّه شيئا ، و لا نملك إلاّ ما ملّكنا ، فمتى ملّكنا ما هو أملك به منّا (4955) كلّفنا ، و متى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا .

405

و قال عليه السلام لعمار بن ياسر ، و قد سمعه يراجع المغيرة ابن شعبة كلاما : دعه يا عمّار ، فإنّه لم يأخذ من الدّين إلاّ ما قاربه من الدّنيا ، و على عمد لبس على نفسه (4956) ، ليجعل الشّبهات عاذرا لسقطاته .

406

و قال عليه السلام : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند اللّه و أحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتّكالا على اللّه .

407

و قال عليه السلام : ما استودع اللّه امرأ عقلا إلاّ استنقذه (4957) به يوما ما

408

و قال عليه السلام : من صارع الحقّ صرعه .

409

و قال عليه السلام : القلب مصحف البصر (4958) .

[488]

410

و قال عليه السلام : التّقى رئيس الأخلاق .

411

و قال عليه السلام : لا تجعلنّ ذرب (4959) لسانك على من أنطقك ، و بلاغة قولك على من سدّدك (4960) .

بيان

« الذرابة » حدّة اللسان ، و « الذّرب » محرّكة ، فساد اللّسان ، و الغرض رعاية حقّ المعلّم .

و ما ذكره ابن أبي الحديد من أنّ المراد ب « من أنطقه » و « من سدّده » هو اللّه سبحانه ، فلا يخفى بعده . 173

412

و قال عليه السلام : كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

413

و قال عليه السلام : من صبر صبر الأحرار ، و إلاّ سلا (4961) سلوّ الأغمار (4962) .

بيان

قال في القاموس : « سلاه و عنه كدعاه و رضيه سلوا و سلوّا » نسيه ، فتسلّى . و في النهاية : « الأغمار » جمع « غمر » بالضمّ و هو الجاهل الغرّ الّذي لم يجرّب الأمور . 174

414

و في خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزيا عن ابن له :

----

(173) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 44 .

----

(174) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، كتاب الطهارة ، ص 139 .

[489]

إن صبرت صبر الأكارم ، و إلاّ سلوت سلوّ البهائم .

بيان

« سلاه و سلا عنه سلوا و سلوّا » نسيه ، فتسلّى . و المعنى : إن صبرت عند المصيبة بقضاء اللّه كنت من الأكارم و الأفاضل و فزت بالثواب ، و إن لم تصبر فلا محالة تنسى المصيبة و تترك الجزع بعد زمان كالبهائم فإنّها تنسى ما تصيبها بعد ذهاب ألمها و لا ثواب لها . [175]

415

و قال عليه السلام في صفة الدنيا : تغرّ و تضرّ و تمرّ ، إنّ اللّه تعالى لم يرضها ثوابا لأوليائه ، و لا عقابا لأعدائه ، و إنّ أهل الدّنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا (4963) .

416

و قال لابنه الحسن عليهما السلام : لا تخلّفنّ وراءك شيئا من الدّنيا ، فإنّك تخلّفه لأحد رجلين : إمّا رجل عمل فيه بطاعة اللّه فسعد بما شقيت به ، و إمّا رجل عمل فيه بمعصية اللّه فشقي بما جمعت له ، فكنت عونا له على معصيته ، و ليس أحد هذين حقيقا أن تؤثره على نفسك . قال الرضي : و يروى هذا الكلام على وجه آخر و هو : أمّا بعد ، فإنّ الّذي في يدك من الدّنيا قد كان له أهل قبلك ، و هو

[175] بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 732 ، ط كمپاني و ص 678 ، ط تبريز . و الأمر الّذي يجب أن أذكره هنا هو أنّ هذا البيان ورد في شرح الكلام رقم 405 سهوا و اشتباها من قبل المصنّف رحمه اللّه (المصحّح) .

[490]

صائر إلى أهل بعدك ، و إنّما أنت جامع لأحد رجلين : رجل عمل فيما جمعته بطاعة اللّه فسعد بما شقيت به ، أو رجل عمل فيه بمعصية اللّه ، فشقيت بما جمعت له . و ليس أحد هذين أهلا أن تؤثره على نفسك ، و لا أن تحمل له على ظهرك ، فارج لمن مضى رحمة اللّه ، و لمن بقي رزق اللّه .

417

و قال عليه السلام لقائل قال بحضرته : « أستغفر اللّه » :

ثكلتك أمّك ، أتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفار درجة العلّيّين ، و هو اسم واقع على ستّة معان : أوّلها النّدم على ما مضى ، و الثّاني العزم على ترك العود إليه أبدا ، و الثّالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى اللّه أملس ليس عليك تبعة ، و الرّابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها ، و الخامس أن تعمد إلى اللّحم الّذي نبت على السّحت (4964) فتذيبه بالأحزان ، حتّى تلصق الجلد بالعظم ، و ينشأ بينهما لحم جديد ، و السّادس أن تذيق الجسم ألم الطّاعة كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : « أستغفر اللّه » .

و قال العلاّمة رحمه اللّه في شرحه

التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية و العزم على ترك المعاودة في المستقبل لأنّ ترك العزم يكشف عن نفي الندم . و هي واجبة بالإجماع ، لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنّها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك و لا تجب من الصغائر المعلوم أنّها صغائر ، و قال

[491]

آخرون : إنّها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل ، و قال آخرون : إنّها تجب من كلّ صغير و كبير من المعاصي أو الإخلال بالواجب ، سواء تاب منها قبل أو لم يتب .

و قد استدلّ المصنّف على وجوبها بأمرين :

الأوّل أنّها دافعة للضرر الّذي هو العقاب أو الخوف فيه ، و دفع الضرر واجب .

الثاني أنّا نعلم قطعا وجوب الندم على فعل القبيح أو الإخلال بالواجب ، إذا عرفت هذا فنقول : إنّها تجب من كلّ ذنب لأنّها تجب من المعصية لكونها معصية و من الإخلال بواجب لكونه كذلك ، و هذا عامّ في كلّ ذنب و إخلال بواجب . انتهى .

أقول : ظاهر كلامه وجوب التوبة عن الذنب الّذي تاب منه و لعلّه نظر إلى أنّ الندم على القبيح واجب في كلّ حال ، و كذا ترك العزم على الحرام واجب دائما ، و فيه أنّ العزم على الحرام ما لم يأت به لا يترتّب عليه إثم كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة إلاّ أن يقول : إنّ العفو عنه تفضّلا لا ينافي كونه منهيّا عنه كالصغائر المكفّرة ، و أمّا الندم على ما صدر عنه فلا نسلّم وجوبه بعد تحقّق الندم سابقا و سقوط العقاب و إن كان القول بوجوبه أقوى .

الثاني : اختلف المتكلّمون في أنّه هل تتبعّض التوبة أم لا ، و الأوّل أقوى لعموم النصوص و ضعف المعارض .

قال المحقّق في التجريد : و يندم على القبيح لقبحه و إلاّ انتفت ، و خوف النار إن كان الغاية فكذلك ، و كذا الإخلال . فلا تصحّ من البعض و لا يتمّ القياس على الواجب ، و لو اعتقد فيه الحسن صحّت و كذا المستحقر ، و التحقيق أنّ ترجيح الداعي إلى الندم عن البعض يبعث عليه و إن اشترك الداعي في الندم على القبيح كما في الداعي إلى الفعل ، و لو اشترك الترجيح اشترك وقوع الندم و به يتأوّل كلام أمير المؤمنين و أولاده عليهم السلام و إلاّ لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه المقيم على صغيرة .

[492]

و قال العلاّمة : اختلف شيوخ المعتزلة هنا ، فذهب أبو هاشم [176] إلى أنّ التوبة لا تصحّ من قبيح دون قبيح ، و ذهب أبو عليّ [177] إلى جواز ذلك ، و المصنّف رحمه الله استدلّ على مذهب أبي هاشم بأنّا قد بيّنّا بأنّه يجب أن يندم على القبيح لقبحه و لو لا ذلك لم تكن مقبولة و القبح حاصل في الجميع ، فلو تاب من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه تائبا عنه لا لقبحه . و احتجّ أبو عليّ بأنّه لو لم تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح لم يصحّ الإتيان بواجب دون واجب ، و التالي باطل ، بيان الشرطيّة أنّه كما يجب عليه ترك القبيح لقبحه كذا يجب عليه فعل الواجب لوجوبه فلو لزم من اشتراك القبائح في القبح عدم صحّة التوبة من بعضها لزم من اشتراك الواجبات في الوجوب عدم صحّة الإتيان بواجب دون آخر ، و أمّا بطلان التالي فبالإجماع إذ لا خلاف في صحّة صلاة من أخلّ بالصوم .

و أجاب أبو هاشم بالفرق بين ترك القبيح لقبحه و فعل الواجب لوجوبه بالتعميم في الأوّل دون الثاني ، فإنّ من قال لا آكل الرمّانة لحموضتها فإنه لا يقدم على أكل كلّ حامض لاتّحاد الجهة في المنع و لو أكل الرمّانة لحموضتها لم يلزم أن يأكل كلّ رمّانة حامضة فافترقا .

و إليه أشار المصنّف رحمه الله و لا يتمّ القياس على الواجب أي لا يتمّ قياس ترك القبيح لقبحه على فعل الواجب لوجوبه ، و قد تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح إذا اعتقد التائب في بعض القبائح أنّها حسنة و تاب عمّا يعتقده قبيحا ، فإنّه تقبل توبته لحصول الشرط فيه و هو ندمه على القبيح لقبحه . و إذا كان هناك فعلان أحدهما عظيم القبح و الآخر صغيره و هو مستحقر بالنسبة إليه حتّى لا يكون معتدّا به و يكون وجوده بالنسبة إلى العظيم كعدمه حتّى تاب فاعل القبيح عن العظيم فإنّه تقبل توبته . و مثال ذلك أنّ الإنسان إذا قتل ولد غيره و كسر له قلما ثمّ تاب و أظهر الندم على قتل

[176] هو عبد السلام بن أبي علي محمّد بن عبد الوهّاب ، يلقّب هو و أبوه أبو علي بالجبائي ، و كلاهما من رؤساء المعتزلة و لهما مقالات في الكلام على مذهب الاعتزال . توفّي أبو هاشم سنة 321 و كانت ولادته سنة 247 .

[177] أي محمد بن عبد الوهّاب الجبائي المتوفّى سنة 303 ، و قد أوعزنا سابقا إلى ترجمته .

[493]

الولد دون كسر القلم فإنّه تقبل توبته ، و لا يعتدّ العقلاء بكسر القلم و إن كان لا بدّ من أن يندم على جميع إساءته ، و كما أنّ كسر القلم حال قتل الولد لا يعدّ إساءة فكذا العزم .

ثمّ قال رحمه الله : و لمّا فرغ من تقرير كلام ابي هاشم ذكر التحقيق في هذا المقام ، و تقريره أن نقول : الحقّ أنّه يجوز التوبة عن قبيح دون قبيح لأنّ الأفعال تقع بحسب الدواعي و تنتفي الصوارف فإذا ترجّح الداعي وقع الفعل . إذا عرفت هذا فنقول : يجوز أن يرجّح فاعل القبائح دواعيه إلى الندم على بعض القبائح دون بعض و إن كانت القبائح مشتركة في أنّ الداعي يدعو إلى الندم عليها ، و ذلك بأن يقترن ببعض القبائح قرائن زائدة كعظم الذنب أو كثرة الزواجر عنه أو الشناعة عند العقلاء عند فعله . و لا تقترن هذه القرائن ببعض القبائح فلا يندم عليه و هذا كما في دواعي الفعل فإنّ الأفعال الكثيرة قد تشترك في الدواعي ثم يؤثر صاحب الدواعي بعض تلك الأفعال على بعض بأن يترجّح دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترن به من زيادة الدواعي فلا استبعاد في كون قبح الفعل داعيا إلى العدم ثمّ يقترن ببعض القبائح زيادة الدواعي الندم عليه فيرجّح لأجلها الداعي إلى الندم على ذلك البعض ، و لو اشتركت القبائح في قوّة الدواعي اشتركت في وقوع الندم عليها و لم يصحّ الندم على البعض دون الآخر . و على هذا ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام و كلام أولاده كالرضا و غيره عليهم السلام حيث نقل عنهم نفي تصحيح التوبة عن بعض القبائح دون بعض ، لأنّه لو لا ذلك لزم خرق الإجماع و التالي باطل فالمقدّم مثله ، بيان الملازمة أنّ الكافر إذا تاب عن كفره و أسلم و هو مقيم على الكذب إمّا أن يحكم بإسلامه و تقبل توبته من الكفر أولا ، و الثاني خرق الإجماع لاتّفاق المسلمين على إجراء حكم المسلم عليه ، و الأوّل هو المطلوب . و قد التزم أبو هاشم استحقاقه عقاب الكفر و عدم قبول توبته و إسلامه و لكن لا يمتنع إطلاق اسم الإسلام عليه .

الثالث : اعلم أنّ العزم علي عدم العود إلى الذنب فيما بقي من العمر لا بدّ منه في التوبة كما عرفت ، و هل إمكان صدوره منه في بقيّة العمر شرط ، حتّى لوزنى ثمّ

[494]

جبّ [178] و عزم علي أن يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصحّ توبته أم ليس بشرط فتصحّ ؟ الأكثر على الثاني بل نقل بعض المتكلّمين إجماع السلف عليه ، و أولى من هذا بصحّة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنّه الموت فيه و أمّا التوبة عند حضور الموت و تيقّن الفوت و هو المعبّر عنه بالمعاينة فقد انعقد الإجماع على عدم صحّتها ، و قد مرّ ما يدلّ عليه من الآيات و الأخبار .

الرابع : في أنواع التوبة ، قال العلاّمة رحمه الله : التوبة إمّا أن تكون من ذنب يتعلّق به تعالى خاصّة أو يتعلّق به حقّ الآدميّ .

و الأوّل إمّا أن يكون فعلا قبيحا كشرب الخمر و الزنا أو إخلالا بواجب كترك الزكاة و الصلاة ، فالأوّل يكفي في التوبة منه الندم عليه و العزم على ترك العود إليه . و أمّا الثاني فتختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعيّة ، فمنه ما لا بدّ مع التوبة من فعله أداء كالزكاة و منه ما يجب معه القضاء كالصلاة و منه ما يسقطان عنه كالعيدين ، و هذا الأخير يكفي فيه الندم و العزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح . و أمّا ما يتعلّق به حقّ الآدميّ فيجب فيه الخروج إليهم منه ، فإن كان أخذ مال وجب ردّه على مالكه أو ورثته إن مات و لو لم يتمكّن من ذلك وجب العزم عليه ، و كذا إن كان حدّ قذف ، و إن كان قصاصا وجب الخروج إليهم منه بأن يسلم نفسه إلى أولياء المقتول فإمّا أن يقتلوه أو يعفو عنه بالدية أو بدونها و إن كان في بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقتصّ منه في ذلك العضو إلى المستحقّ من المجنيّ عليه أو الورثة ، و إن كان إضلالا وجب إرشاد من أضلّة و رجوعه ممّا اعتقده بسببه من الباطل إن أمكن ذلك .

و اعلم أنّ هذه التوابع ليست أجزاء من التوبة فإنّ العقاب سقط بالتوبة ثمّ إن قام المكلّف بالتبعات كان ذلك إتماما للتوبة من جهة المعنى لأنّ ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب بالتوبة عمّا تاب منه بل يسقط العقاب و يكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزمه التوبة منها ، نعم التائب إذا فعل التبعات بعد

[178] « جبّ » أي استوصل ذكره و خصياه .

إظهار توبته كان ذلك لالة على صدق الندم و إن لم يقم بها أمكن جعله دلالة على عدم صحّة الندم .

ثمّ قال رحمه الله : المغتاب إمّا أن يكون قد بلغه اغتيابه أو لا ، و يلزم الفاعل للغيبة في الأوّل الاعتذار عنه إليه لأنّه أوصل إليه ضرر الغمّ فوجب عليه الاعتذار منه و الندم عليه ، و في الثاني لا يلزمه الاعتذار و لا الاستحلال منه لأنّه لم يفعل به ألما ، و في كلا القسمين يجب الندم لله تعالى لمخالفة النهي و العزم على ترك المعاودة .

و قال المحقّق في التجريد : و في إيجاب التفصيل مع الذكر إشكال . و قال العلاّمة : ذهب قاضي القضاة [179] إلى أنّ التائب إن كان عالما بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كلّ واحدة منها مفصّلا و إن كان يعلمها على الإجمال وجب عليه التوبة كذلك مجملا و إن كان يعلم بعضها على التفصيل و بعضها على الإجمال وجب عليه التوبة عن المفصّل بالتفصيل و عن المجمل بالإجمال ، و استشكل المصنّف رحمه الله إيجاب التفصيل مع الذكر لإمكان الاجتزاء بالندم على كلّ قبيح وقع منه و إن لم يذكره مفصّلا .

ثمّ قال المحقّق رحمه الله : و في وجوب التجديد إشكال . و قال العلاّمة قدّس سرّه : إذا تاب المكلّف عن معصية ثمّ ذكرها ، هل يجب عليه تجديد التوبة ؟

قال أبو عليّ : نعم ، بناء على أنّ المكلّف القادر بقدرة لا ينفكّ عن الضدّين : إمّا الفعل أو الترك ، فعند ذكر المعصية إمّا أن يكون نادما عليها أو مصرّا عليها ، و الثاني قبيح فيجب الأوّل . و قال أبو هاشم : لا يجب لجواز خلوّ القادر بقدرة عنهما .

ثمّ قال المحقّق : و كذا المعلول مع العلّة . و قال الشارح : إذا فعل المكلّف العلّة قبل وجود المعلول هل يجب عليه الندم على المعلول أو على العلّة أو عليهما ؟ مثاله الرامي إذا رمى قبل الإصابة ، قال الشيوخ : عليه الندم على الإصابة لأنّها هي القبيح و قد

[179] هو عبد الجبّار المعتزلي ابن أحمد بن عبد الجبّار الهمداني الاسد آبادي ، شيخ معتزلة عصره المتوفّى سنة 415 .

صارت في حكم الموجود لوجوب حصوله عند حصول السبب ، و قال القاضي : يجب عليه ندمان : أحدهما على الرمي لأنّه قبيح و الثاني على كونه مولّدا للقبيح ، و لا يجوز أن يندم على المعلول لأنّ الندم على القبيح إنّما هو لقبحه و قبل وجوده لا قبح .

الخامس : اعلم أنّه لا خلاف بين المتكلّمين في وجوب التوبة سمعا ، و اختلفوا في وجوبها عقلا .

فأثبته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب . قال الشيخ البهائيّ رحمه اللّه : هذا لا يدلّ على وجوب التوبة عن الصغائر ممّن يجتنب الكبائر لكونها مكفّرة و لهذا ذهبت البهشميّة [180] إلى وجوبها عن الصغائر سمعا لا عقلا . نعم ، الاستدلال بأنّ الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعمّ القسمين . و أمّا فوريّة الوجوب ، فقد صرّح بها المعتزلة فقالوا : يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر تجب التوبة منه أيضا حتّى أنّ من أخّر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين ، و ساعتين أربع كبائر : الأوّلتان و ترك التوبة عن كلّ منهما ، و ثلاث ساعات ثمان كبائر و هكذا . و أصحابنا يوافقونهم على الفوريّة ، لكنّهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلاميّة .

السادس : سقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الإسلام . و انّما الخلاف في أنّه هل يجب على اللّه حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلما أو هو تفضّل يفعله سبحانه كرما منه و رحمة بعباده ؟ فالمعتزلة على الأوّل و الأشاعرة على الثاني ، و إلى الثاني ذهب شيخ الطائفة في كتاب الاقتصاد و العلاّمة الحلّي رحمه اللّه في بعض

[180] هم أتباع أبي علي و أبي هاشم الجبائيّين ، و هؤلاء فرقة من المعتزلة انفردوا عنهم بأمور : كإثبات إرادات حادثة لا في محلّ يكون الباري تعالى بها موصوفا ، و تعظيما لا في محلّ إذا أراد أن يعظّم ذاته ، و فناء لا في محلّ إذا أراد أن يفنى العالم . و قالا بأنّه تعالى متكلّم بكلام يخلقه في محلّ ، و حقيقة الكلام أصوات مقطّعة و حروف منظومة ، و المتكلّم من فعل الكلام .

و قالا بأنّه تعالى لا يرى بالأبصار في دار القرار ، و أنّ المعرفة و شكر المنعم و معرفة الحسن و القبح واجبات عقليّة ، و أنّ الذمّ و العقاب ليسا على الفعل ، و أنّ التوبة لا تصحّ من العاجز بعد العجز عن مثله . . . إلى غير ذلك ممّا هو مذكور في تراجم الفرق و كتب الملل و النحل كالملل للشهرستانيّ و « الفرق بين الفرق » للبغدادي .

[497]

كتبه الكلاميّة و توقّف المحقّق الطوسيّ طاب ثراه في التجريد . و مختار الشيخين هو الظاهر من الأخبار و أدعية الصحيفة الكاملة و غيرها ، و هو الّذي اختاره الشيخ الطبرسيّ رحمه اللّه و نسبه إلى أصحابنا كما عرفت . و دليل الوجوب ضعيف مدخول كما لا يخفى على من تأمّل فيه .

أقول : أثبتنا بعض أخبار التوبة في باب الاستغفار و باب صفات المؤمن و باب صفات خيار العباد و باب جوامع المكارم ، و سيأتي تحقيق الكبائر و الصغائر و الذنوب و أنواعها و حبط الصغائر بترك الكبائر في أبوابها إن شاء اللّه تعالى . 181

418

و قال عليه السلام : الحلم عشيرة (4965) .

419

و قال عليه السلام : مسكين ابن آدم : مكتوم الأجل ،

مكنون (4966) العلل ، محفوظ العمل . تؤلمه البقّة ، و تقتله الشّرقة (4967) ،

و تنتنه (4968) العرقة (4969) .

420

و روي أنه عليه السلام كان جالسا في أصحابه ، فمرت بهم امرأة جميلة ، فرمقها القوم بأبصارهم ، فقال عليه السلام :

إنّ أبصار هذه الفحول طوامح (4970) ، و إنّ ذلك سبب هبابها (4971) ،

فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله ، فإنّما هي امرأة كامرأته .

----

(181) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 6 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 43 48 .

[498]

فقال رجل من الخوارج : « قاتله اللّه كافرا ما أفقهه » فوثب القوم ليقتلوه ، فقال عليه السلام :

رويدا (4972) إنّما هو سبّ بسبّ ، أو عفو عن ذنب

بيان

« طمح بصره » امتدّ و علا ، ذكره في النهاية و قال : « هبّ التيس » أي هاج للسّفاد ، يقال : هبّ يهبّ هبيبا و هبابا .
182

421

و قال عليه السلام : كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيّك من رشدك .

422

و قال عليه السلام : افعلوا الخير و لا تحقروا منه شيئا ،

فإنّ صغيره كبير و قليله كثير ، و لا يقولنّ أحدكم : إنّ أحدا أولى بفعل الخير منّي ، فيكون و اللّه كذلك . إنّ للخير و الشّرّ أهلا ، فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله (4973) .

423

و قال عليه السلام : من أصلح سريرته أصلح اللّه علانيته ،

و من عمل لدينه كفاه اللّه أمر دنياه ، و من أحسن فيما بينه و بين اللّه أحسن اللّه ما بينه و بين النّاس .

424

و قال عليه السلام : الحلم غطاء ساتر ، و العقل حسام

----

(182) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 621 ، ط كمپاني .

[499]

قاطع ، فاستر خلل خلقك بحلمك ، و قاتل هواك بعقلك .

425

و قال عليه السلام : إنّ للّه عبادا يختصّهم اللّه بالنّعم لمنافع العباد ، فيقرّها (4974) في أيديهم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم ، ثمّ حوّلها إلى غيرهم .

426

و قال عليه السلام : لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين :

العافية و الغنى . بينا تراه معافى إذ سقم ، و بينا تراه غنيّا إذ افتقر .

427

و قال عليه السلام : من شكا الحاجة إلى مؤمن ، فكأنّه شكاها إلى اللّه ، و من شكاها إلى كافر ، فكأنّما شكا اللّه .

428

و قال عليه السلام في بعض الأعياد : إنّما هو عيد لمن قبل اللّه صيامه و شكر قيامه ، و كلّ يوم لا يعصى اللّه فيه فهو عيد .

429

و قال عليه السلام : إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة اللّه ، فورثه رجل فأنفقه في طاعة اللّه سبحانه ، فدخل به الجنّة ، و دخل الأوّل به النّار .

430

و قال عليه السلام : إنّ أخسر النّاس صفقة (4975) ، و أخيبهم سعيا ، رجل أخلق (4976) بدنه في طلب ماله ، و لم تساعده المقادير على

[500]

إرادته ، فخرج من الدّنيا بحسرته ، و قدم على الآخرة بتبعته (4977) .

431

و قال عليه السلام : الرّزق رزقان : طالب ، و مطلوب .

فمن طلب الدّنيا طلبه الموت ، حتّى يخرجه عنها ، و من طلب الآخرة طلبته الدّنيا حتّى يستوفي رزقه منها .

432

و قال عليه السلام : إنّ أولياء اللّه هم الّذين نظروا إلى باطن الدّنيا إذا نظر النّاس إلى ظاهرها ، و اشتغلوا بآجلها (4978) إذا اشتغل النّاس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم (4979) ، و تركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم ، و رأوا استكثار غيرهم منها استقلالا ،

و دركهم لها فوتا ، أعداء ما سلم النّاس ، و سلم (4980) ما عادى النّاس بهم علم الكتاب و به علموا ، و بهم قام الكتاب و به قاموا ، لا يرون مرجوّا فوق ما يرجون ، و لا مخوفا فوق ما يخافون .

تبيان

مع أنّ الظاهر اتّحاد الروايتين بينهما اختلاف كثير ، و بعض فقرات الرواية الأولى مذكورة في خطبة أخرى سنشير إليها و قد مرّ معنى الاخلاص . و « باطن الدنيا » ما خفي عن أعين الناس من مضارّها و وخامة عاقبتها للراغبين إليها فالمراد بالنظر إليه التفكّر فيه و عدم الغفلة عنه ، أو ما لا يلتفت الناس إليه من تحصيل المعارف و القربات فيها فالمراد بالنظر إليه الرغبة و طموح البصر إليه ، و إنّما سمّاه باطنا لغفلة أكثر الناس عنه و لكونه سرّ الدنيا و حقيقتها و غايتها الّتي خلقت لأجلها . و المراد

[501]

بظاهرها و شهواتها الّتي تغرّ أكثر الناس عن التوجّه إلى باطنها . و المراد بآجل الدنيا ما يأتي من نعيم الآخرة بعدها أضيف إليها لنوع من الملابسة ، أو المراد بآجلها ما يظهر ثمرتها في الآجل من المعارف و الطاعات ، و أطلق الآجل عليه مجازا .

« و ما علموا أنّه سيتركهم » الأموال و الأولاد و ملاذّ الدنيا . و « الاماتة » الإهلاك المعنويّ بحرمان الثواب و حلول العقاب عند الإياب . و « ما يميتهم » اتّباع الشهوات النفسانيّة و الاتّصاف بالصفات الذميمة الدنيّة . و في الرواية الثانية نسبة الخشية إلى الإماتة و العلم بالترك لأنّ الترك معلوم لا بدّ منه بخلاف الإماتة إذ يمكن أن تدركهم رحمة من اللّه تلحقهم بالسعداء أو للمبالغة في اجتناب المنهيّات من الأخلاق و الأعمال بأنّهم يتركون ما خشوا أن يميتهم فكيف إذا علموا . و « الاستكثار » عدّ الشيء كثيرا أو جمع الكثير من الشيء ، و يقابله الاستقلال بالمعنيين . و « الدّرك » محرّكة ، اللّحاق و الوصول إلى الشيء يقال : أدركته إدراكا و دركا . و الضمير في « دركهم » يرجع إلى غيرهم ، و يحتمل الرجوع إليهم أيضا .

و « السلم » بالفتح و الكسر ، الصلح ، يذكّر و يؤنّث و في نسخ النهج بالكسر . و « سالمه » أي صالحه . و « ما سالم الناس » ما مالوا إليه من متاع الدنيا و زينتها و ملاذّها . و « ما عادى الناس » ما رفضوه من العلوم و العبادات و الرغبة في الآخرة و ثوابها . و « بهم علم الكتاب » لأنّه لولاهم لما علم تفسير الآيات و تأويل المتشابهات و هذه من أوصاف أئمتنا المقدّسين صلوات اللّه عليهم أجمعين . و يحتمل أن تشمل الحفظة لأخبارهم المقتبسين من أنوارهم . و « به علموا » لدلالة آيات الكتاب على فضلهم و شرف منزلتهم كآيات المودّة و التطهير و الولاية و غيرها ، و لو عمّم الكلام حتّى يدخل فيه العلماء الرّبّانيّون ، فالمراد به أنّه علم فضلهم بالآيات الدّالّة على فضل العلماء كقوله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ 183 و قوله عزّ و جلّ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ؟ 184 و قوله سبحانه : وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

----

(183) الفاطر : 28 .

----

(184) الزمر : 9 .

[502]

خَيْراً كَثِيراً 185 إلى غير ذلك من الآيات . و قيل : « به علموا » لاشتهارهم به عند الناس .

« و بهم قام الكتاب » أي بهم صارت أحكامه قائمة في الخلق معمولا بها . « و به قاموا » أي ارتفعت منزلتهم و فازوا بالزلفى بالعمل بما فيه أو ببركته انتظم الأمر في معاشهم ، و قال بعض الشارحين : أي قاموا بأوامره و نواهيه ، فلا يكون الباء مثلها في « بهم قام الكتاب » . و قال بعضهم : « بهم قام الكتاب » لأنّهم قرّروا البراهين على صدقه و صحّته ، « و به قاموا » أي باتّباع أوامر الكتاب ، لأنّه لو لا تأدّبهم بآداب القرآن و امتثالهم أوامره لما أغنى عنهم علمهم شيئا .

و « دون ما يخافون » أي غير ما يخافون من عذاب الآخرة و البعد من رحمة اللّه ، و في بعض النسخ : « فوق ما يخافون » .

قوله عليه السلام « أيّها المعلّل نفسه » أقول : بعض هذه الفقرات مذكورة في كلام له عليه السلام ذكره حين سمع رجلا يذمّ الدّنيا كما سيأتي . و قال الجوهريّ : « علّله بالشيء » أي لهّاه به كما يعلّل الصبيّ بشيء من الطعام يتجزّأ به عن اللبن ، يقال : « فلان يعلّل نفسه تعلّة و تعلّل به » أي تلهّى به و تجزّء . و قال :

« الركض » تحريك الرجل ، و « ركضت الفرس برجلي » إذا استحثثته ليعدو ، ثمّ كثر حتّى قيل : « ركض الفرس » إذا عدا . « و الحبائل » جمع الحبالة و هي الّتي يصاد بها ،

أي تركض لأخذ ما وقع في الحبائل الّتي نصبتها في الدنيا ، كناية عن شدّة الحرص في تحصيل متمنّياتها أو المعنى : نصب لك الشيطان مصائد فيها ليصطادك بها و أنت تركض إليها حتّى تقع فيها جهلا و غرورا .

« المجتهد في عمارة ما سيخرب منها » أي تسعى بغاية جهدك في عمارة ما تعلم أنّه آئل إلى الخراب و لا تنتفع به . ثمّ بيّن عليه السلام ما يمكن أن يستدلّ به على خرابها و عدم بقائها بقوله « ألم تر إلى مصارع آبائك » ، يقال : « صرع فلان من دابّته » على صيغة المجهول ، أي سقط و « صرعه » أي طرحه على الأرض ، و الموضع مصرع . و

----

(185) البقرة : 269 .

[503]

« الثرى » بالفتح ، الندى أو التراب النديّ و في المصباح : « بلي الثوب يبلى من باب تعب بلى بالكسر و القصر و بلاء بالفتح و المدّ » خلق فهو بال ، و « بلي الميّت » أفنته الأرض ، و قوله « في البلى » كأنّه حال عن آبائك . و في النهج : « متى استهوتك أم متى غرّتك ؟ أ بمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثرى ؟ » . 186 و « الجنادل » جمع « جندل » كجعفر هي الحجارة ، و قال الجوهريّ :

« مرّضته تمريضا » إذا قمت عليه في مرضه . 187 و « العلّة » المرض ، و « علّله » أي قام عليه في علّته يطلب دواءه و صحّته و يتكفّل بأموره .

و قال الجوهريّ : « استوصفت الطبيب لدائي » إذا سألته أن يصف لك ما تتعالج به . 188 انتهى . و « الاستعتاب » الاسترضاء ، كناية عن طلب الدعاء أو رضاهم إذا كانت لهم موجدة ، و في بعض النسخ : « تستغيث » و هو أظهر .

و في القاموس : « أغنى عنه غناء فلان » و معناه : ناب عنه و أجزأ مجزأه . 189 و قال الراغب : « أغنى عنه كذا » إذا اكتفاه ، قال [اللّه] تعالى : مَا اَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ و قال : لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لاَ أَوْلاَدُهُمْ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ و قال : لاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ 190 .

و في القاموس : « نجع الطعام كمنع نجوعا » هنأ آكله و العلف في الدابّة ،

و الوعظ و الخطاب فيه دخل فأثر كأنجع و نجّع . 191

----

(186) نهج البلاغة ، الحكمة رقم 131 .

----

(187) الصحاح ، ص 1106 .

----

(188) الصحاح ، ص 1439 .

----

(189) القاموس ، ج 4 ، ص 371 .

----

(190) مفردات غريب القرآن ، ص 366 . و الآيات على الترتيب في : المسد : 2 و الحاقّة 28 و آل عمران : 10 و آل عمران : 116 و الشعراء : 207 و المرسلات : 31 .

----

(191) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 69 ، كتاب الإيمان و الكفر ، ص 319 .

433

و قال عليه السلام : اذكروا انقطاع اللّذّات ، و بقاء التّبعات .

434

و قال عليه السلام : اخبر تقله (4981) . قال الرضي : و من الناس من يروي هذا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم . و مما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي ، قال المأمون : لو لا أن عليا قال « اخبر تقله » لقلت : اقله تخبر .

435

و قال عليه السلام : ما كان اللّه ليفتح على عبد باب الشّكر و يغلق عنه باب الزّيادة ، و لا ليفتح على عبد باب الدّعاء و يغلق عنه باب الإجابة ، و لا ليفتح لعبد باب التّوبة و يغلق عنه باب المغفرة .

436

و قال عليه السلام : أولى النّاس بالكرم من عرفت به الكرام .

437

و سئل عليه السلام : أيهما أفضل : العدل ، أو الجود ؟

فقال عليه السلام : العدل يضع الأمور مواضعها ، و الجود يخرجها من جهتها ، و العدل سائس عام ، و الجود عارض خاصّ ، فالعدل أشرفهما و أفضلهما .

438

و قال عليه السلام : النّاس أعداء ما جهلوا .

439

و قال عليه السلام : الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن :

[505]

قال اللّه سبحانه : لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَ لاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ .

و من لم يأس (4982) على الماضي ، و لم يفرح بالآتي ، فقد أخذ الزّهد بطرفيه .

440

و قال عليه السلام : ما أنقض النّوم لعزائم اليوم (4983)

441

و قال عليه السلام : الولايات مضامير الرّجال (4984) .

442

و قال عليه السلام : ليس بلد بأحقّ بك من بلد . خير البلاد ما حملك .

443

و قال عليه السلام : و قد جاءه نعي الأشتر رحمه اللّه :

مالك (4985) و ما مالك و اللّه لو كان جبلا لكان فندا ، و لو كان حجرا لكان صلدا ، لا يرتقيه الحافر ، و لا يوفي عليه (4986) الطّائر . قال الرضي : و الفند : المنفرد من الجبال .

بيان

قال الجزريّ : « الفند [192] من الجبل » أنفه الخارج منه . 193

[هذا بيان آخر في شرح الكلام :] توضيح :

قال في النهاية : « الفند من الجبل » أنفه الخارج منه . و منه حديث عليّ عليه السلام : « لو كان جبلا لكان فندا » . و قيل : هو المنفرد من الجبال .

[192] في النهاية ، ج 3 ، ص 216 : و « الفند » بكسر الفاء و سكون النون .

----

(193) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 42 ، تاريخ أمير المؤمنين ، ص 173 .

[506]

و قال ابن أبي الحديد : إنّما قال [عليّ] عليه السلام : « لو كان جبلا لكان فندا » لأنّ الفند قطعة من الجبل طولا و ليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت ، و لذلك قال عليه السلام : « لا يرتقيه الحافر » لأنّ القطعة المأخوذة من الجبل طولا في دقّة لا سبيل للحافر إلى صعودها و لو أخذت عرضا لأمكن صعودها . ثمّ وصف عليه السلام تلك القطعة بالعلوّ العظيم فقال : « و لا يوفي عليه الطائر » أي لا يصعد عليه ،

يقال : « أوفى فلان على الجبل » أي أشرف .

رجال الكشي 194 : ذكر أنّه لما [195] نعي الاشتر إلى أمير المؤمنين عليه السلام تاق حزنا ثمّ قال : رحم اللّه مالكا . و ما مالك عزّ عليّ به هالكا ،

لو كان صخرا لكان صلدا و لو كان جبلا لكان فندا ، و كأنّه قدمني قدا . 196

444

و قال عليه السلام : قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه .

445

و قال عليه السلام : إذا كان في رجل خلّة (4987) رائقة فانتظروا أخواتها .

446

و قال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق ، في كلام دار بينهما :

----

(194) اختيار معرفة الرجال ، الجزء الأوّل ، ص 66 .

[195] في معتقدي يجب أن تكون العبارة هكذا : « لمّا جاء نعي » . لأنّه في غير هذه الصورة ليست الجملة كاملة و لا يكون لها معنى (المصحّح) .

----

(196) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 658 ، ط كمپاني و ص 607 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 20 ، ص 93 ، ط بيروت .

[507]

ما فعلت إبلك الكثيرة ؟ قال : دغدغتها الحقوق (4988) يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام : ذلك أحمد سبلها .

بيان

« ما فعلت إبلك » أي كيف تلفت . « دغدغتها الحقوق » أي فرقتها المصارف الضروريّة من الزكوة و الجهاد و نوائب القبيلة و أمثالها . و « أحمد » من المبنيّ للمفعول . 197

447

و قال عليه السلام : من اتّجر بغير فقه فقد ارتطم (4989) في الرّبا .

448

و قال عليه السلام : من عظّم صغار المصائب ابتلاه اللّه بكبارها . و دعوات الراوندي : مثله .

بيان

قوله « بكبارها » أي في الدّنيا أو أعمّ من الدّنيا و العقبى ، فإنّ تعظيم المصيبة يوجب الجزع الموجب للنّار أو لحبط الأعمال المنجية منها . 198

449

و قال عليه السلام : من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته .

450

و قال عليه السلام : ما مزح (4990) امرؤ مزحة إلاّ مجّ (4991)

----

(197) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 734 ، ط كمپاني و ص 680 ، ط تبريز .

----

(198) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 82 ، ص 136 .

من عقله مجّة .

451

و قال عليه السلام : زهدك في راغب فيك نقصان حظّ ،

و رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس .

452

و قال عليه السلام : الغنى و الفقر بعد العرض (4992) على اللّه .

453

و قال عليه السلام : ما زال الزّبير رجلا منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه المشؤوم عبد اللّه .

454

و قال عليه السلام : ما لابن آدم و الفخر : أوّله نطفة ،

و آخره جيفة ، و لا يرزق نفسه ، و لا يدفع حتفه .

455

و سئل : من أشعر الشعراء ؟ فقال عليه السلام :

إنّ القوم لم يجروا في حلبة (4993) تعرف الغاية عند قصبتها ، فإن كان و لا بدّ فالملك الضّلّيل (4994) . يريد امرأ القيس .

أقول :

قال ابن أبي الحديد : [199] في أمالي ابن دريد :

قال : أخبرنا الجرموزي [200] عن ابن اليلبي [201] عن ابن الكلبي عن شدّاد بن

[199] في المصدر : قرأت في أمالي .

[200] في المصدر : الحرموزي بالحآء المهملة .

[201] في المصدر : ابن المهلبي .

إبراهيم عن عبيد الله بن الحسن الضهري [202] عن ابن عراده :

قال : كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعشي الناس في شهر رمضان باللحم و لا يتعشّى معهم فإذا فرغوا خطبهم و وعظهم فأفاضوا ليله في الشعراء و هم على عشائهم فلمّا فرغوا خطبهم [عليّ] عليه السلام .

و قال في خطبته : اعلموا أنّ ملاك أمركم الدين و عصمتكم التقوى و زينتكم الأدب و حصون أعراضكم الحلم . ثمّ قال : قل يا أبا الأسود فيما كنتم تفيضون فيه أيّ الشعراء أشعر ؟

فقال : يا أمير المؤمنين الّذي يقول :

و لقد اغتدى يدافع ركني
اعوجى ذو ميعة اضريج

مخلط مزيد معنّ مقن
منفح يطرح [203] سبوح خروج

يعني أبا داود [204] الأيادي .

فقال عليه السلام : ليس به .

قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟

قالوا [205] : لو رفعت للقوم غاية فخرجوا [206] إليها معا علمنا من السابق منهم و لكن إن يكون [207] فالّذي لم يقل من [208] رغبة و لا رهبة .

قيل : من هو يا أمير المؤمنين ؟

[202] في المصدر : العنبري .

[203] في المصدر : مطرح . و هذا صحيح لأنّ المصنّف رحمه اللّه يذكره بهذه الصورة بعد بضعة سطور « » (المصحّح) .

[204] في المصدر : أبا دؤاد .

[205] في المصدر : فقال . و هذا صحيح (المصحّح) .

[206] في المصدر : فجروا .

[207] في المصدر : إن يكن .

[208] في المصدر : عن . و هذا أفصح في اللّغة العربيّة لهذا المورد (المصحّح) .

[510]

قال : الملك الضليل ذو القروح .

قيل : امرئ القيس يا أمير المؤمنين ؟

قال : هو .

قيل : فأخبرنا عن ليلة القدر ؟

قال : ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها ، و لست أشكّ أنّ اللّه إنّما يسترها عنكم نظرا لكم لأنّكم [209] لو أعلمكموها عملتم فيها و تركتم غيرها و أرجو أن لا تخطئكم إن شاء اللّه انهضوا رحمكم اللّه .

و قال ابن دريد : لمّا فرغ من الخبر اضريج ينشقّ في عدوه .

و قيل : واسع الصدر و منفح يخرج الصيد من مواضعه و مطرح يطرح ببصره و خروج سابق . و « الميعة » أوّل جري الفرس . انتهى .

و أقول : « الحلبة » بالفتح ، الخيل تجمع للسباق من كلّ اوب و لا تخرج من وجه واحد . و « قصبة السبق » هي الّتي تنصبّ ليحرزها السابق من القوم في الرهان . و « الضليل » كقنديل مبالغة في الضلال و لعلّ المعنى أنّهم لم ينشدوا في أمر واحد و زمان واحد حتّى يعرف أيّهما أسبق و أكمل ، أو أنّ الشّعر ليس مقصورا على فن واحد و لا لطائفة منحصرة في نوع حتّى يكون للتفضيل حدّ معيّن . 210

456

و قال عليه السلام : ألا حرّ يدع هذه اللّماظة (4995) لأهلها ؟

إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة ، فلا تبيعوها إلاّ بها .

457

و قال عليه السلام : منهومان (4996) لا يشبعان : طالب علم

[209] في المصدر : لأنّه . و هذا صحيح لأنّ الضمير هنا يكون ضمير الشأن ، فلا يصحّ أن يقال : لأنّكم (المصحّح) .

----

(210) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 738 ، ط كمپاني و ص 684 ، ط تبريز . فراجع شرح النهج لابن أبي الحديد أيضا ،

ج 20 ، ص 153 ، ط بيروت .

[511]

و طالب دنيا .

458

و قال عليه السلام : الإيمان أن تؤثر الصّدق حيث يضرّك ،

على الكذب حيث ينفعك ، و ألاّ يكون في حديثك فضل عن عملك (4997) ،

و أن تتّقي اللّه في حديث غيرك (4998) .

بيان

لعلّ الضر محمول على ما لا يبلغ حدّا يجب فيه التقيّة . و « حديث الغير » يحتمل الرواية و الغيبة و أشباههما ، أو المراد عدم مبادرة كلام الغير بالرّدّ و إنكاره مع العلم بحقّيّته حسدا و مراء . 211

459

و قال عليه السلام : يغلب المقدار (4999) على التّقدير (5000) ،

حتّى تكون الآفة في التّدبير . قال الرضي : و قد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف هذه الألفاظ .

بيان

« المقدار » القدر . 212

460

و قال عليه السلام : الحلم (5001) و الأناة (5002) توأمان (5003) ينتجهما علوّ الهمّة .

461

و قال عليه السلام : الغيبة (5004) جهد (5005) العاجز .

----

(211) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 2 ، كتاب العلم ، ص 122 .

----

(212) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 5 ، كتاب العدل و المعاد ، ص 126 .

462

و قال عليه السلام : ربّ مفتون بحسن القول فيه .

463

و قال عليه السلام : الدّنيا خلقت لغيرها ، و لم تخلق لنفسها .

464

و قال عليه السلام : إنّ لبني أميّة مرودا يجرون فيه ، و لو قد اختلفوا فيما بينهم ثمّ كادتهم (5006) الضّباع لغلبتهم . قال الرضي : و المرود هنا مفعل من الإرواد ، و هو الإمهال و الإظهار ، و هذا من أفصح الكلام و أغربه ، فكأنه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية ،

فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها .

465

و قال عليه السلام في مدح الأنصار : هم و الله ربّوا (5007) الإسلام كما يربّى الفلو (5008) مع غنائهم (5009) ، بأيديهم السّباط (5010) ،

و ألسنتهم السّلاط (5011) .

بيان

« الفلو » المهر الصغير . و « رجل سبط اليدين » سخيّ . و « رجل سليط » أي فصيح حديد اللسان . 213

466

و قال عليه السلام : « العين وكاء السّه » . قال الرضي : و هذه من الاستعارات العجيبة ، كأنّه يشبه السه بالوعاء ، و العين بالوكاء ،

فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء . و هذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلّى الله عليه

----

(213) بحار الأنوار ، الطبعة الجديدة ، ج 22 ، تاريخ نبيّنا صلّى الله عليه و آله ، ص 312 .

و آله و سلم ، و قد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام ، و ذكر ذلك المبرد في كتاب « المقتضب » في باب « اللفظ بالحروف » . و قد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم :

« بمجازات الآثار النبوية » .

467

و قال عليه السلام في كلام له : و وليهم وال فأقام و استقام ، حتّى ضرب الدّين بجرانه (5012) .

468

و قال عليه السلام : يأتي على النّاس زمان عضوض (5013) ،

يعضّ الموسر (5014) فيه على ما في يديه و لم يؤمر بذلك ، قال اللّه سبحانه : وَ لاَ تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ . تنهد فيه (5015) الأشرار ،

و تستذلّ الأخيار ، و يبايع المضطرّون ، و قد نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن بيع المضطرّين (5016) .

469

و قال عليه السلام : يهلك فيّ رجلان : محبّ مفرط ،

و باهت (5017) مفتر (5018) . قال الرضي : و هذا مثل قوله عليه السلام : هلك فيّ رجلان : محبّ غال ،

و مبغض قال .

470

و سئل عن التوحيد و العدل ، فقال عليه السلام :

التّوحيد ألاّ تتوهّمه (5019) ، و العدل ألاّ تتّهمه (5020) .

471

و قال عليه السلام : لا خير في الصّمت عن الحكم ، كما أنّه لا خير في القول بالجهل .

[514]

472

و قال عليه السلام في دعاء استسقى به :

اللّهمّ اسقنا ذلل السّحاب دون صعابها . قال الرضي : و هذا من الكلام العجيب الفصاحة ، و ذلك أنّه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود و البوارق و الرياح و الصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص (5021) برحالها (5022) و تقص (5023) بركبانها ، و شبه السحاب خالية من تلك الروائع (5024) بالإبل الذلل التي تحتلب (5025) طيعة (5026) و تقتعد (5027) مسمحة (5028) .

473

و قيل له عليه السلام : لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام :

الخضاب زينة و نحن قوم في مصيبة (يريد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم) .

474

و قال عليه السلام : ما المجاهد الشّهيد في سبيل اللّه بأعظم أجرا ممّن قدر فعفّ : لكاد العفيف أن يكون ملكا من الملائكة .

475

و قال عليه السلام : « القناعة مال لا ينفد » . قال الرضي : و قد روى بعضهم هذا الكلام لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم .

476

و قال عليه السلام لزياد بن أبيه و قد استخلفه لعبد اللّه ابن العباس على فارس و أعمالها ، في كلام طويل كان بينهما ، نهاه فيه عن تقدم الخراج (5029) : استعمل العدل ، و احذر العسف (5030) و الحيف (5031) ، فإنّ العسف يعود بالجلاء ، و الحيف يدعو إلى السّيف .

[515]

بيان

قال في القاموس : « عسف السلطان » ظلم ، و « [عسف] فلانا » استخدمه الميل و الجور و الظلم ، فيحتمل أن يكون المراد بالحيف الميل إلى بعض الرّعايا بالاعزاز و الاحترام و تفضيل بعضهم على بعض ، فإنّ ذلك يورث العداوة بينهم و عدم طاعة بعضهم للوالي فيكون داعيا إلى القتال ، أو المراد بالعسف الاستخدام كما هو دأب الملوك في استخدام الرّعايا و أخذ دوابّهم .

فالحيف بمعنى الظلم أي سائر انواعه .

و قال ابن أبي الحديد : كانت عادة أهل فارس في أيّام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستسلاف و كان ذلك يجحف بالناس . 214

477

و قال عليه السلام : أشدّ الذّنوب ما استخفّ به صاحبه .

478

و قال عليه السلام : ما أخذ اللّه على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا .

479

و قال عليه السلام : شرّ الإخوان من تكلّف له . قال الرضي : لأن التكليف مستلزم للمشقة ، و هو شر لازم عن الأخ المتكلف له ، فهو شرّ الإخوان .

480

و قال عليه السلام : إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه

----

(214) بحار الأنوار ، الطبعة القديمة ، ج 8 ، ص 633 ، ط كمپاني و ص 583 ، ط تبريز . راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج 20 ،

ص 245 ، ط بيروت .

[516]

قال الرضي : يقال : حشمه و أحشمه إذا أغضبه ، و قيل : أخجله ، « أو احتشمه » طلب ذلك له ، و هو مظنّة مفارقته . و هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، حامدين للّه سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضم ما انتشر من أطرافه ، و تقريب ما بعد من أقطاره . و تقرر العزم كما شرطنا أولا على تفضيل أوراق من البياض في آخر كل باب من الأبواب ، ليكون لاقتناص الشارد ، و استلحاق الوارد ، و ما عسى أن يظهر لنا بعد الغموض ، و يقع إلينا بعد الشذوذ ، و ما توفيقنا إلاّ باللّه : عليه توكلنا ، و هو حسبنا و نعم الوكيل .

و ذلك في رجب سنة أربع مئة من الهجرة ، و صلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل ، و الهادي إلى خير السبل ، و آله الطاهرين ، و أصحابه نجوم اليقين .

[519]

فهرس الألفاظ الغريبة المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الرّسائل و الحكم

[521]

(3300) شبههم بالجبهة من حيث الكرم .

(3301) شبههم بالسنام من حيث الرفعة .

(3302) عيانه : رؤيته .

(3303) استعتابه : استرضاؤه .

(3304) الوَجيف : ضرب من سير الخيل و الإبل سريع .

(3305) الحِدَاء : زجل الإبل و سوقها .

(3306) دار الهجرة : المدينة .

(3307) قَلَعَ المكان بأهله : نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم .

(3308) جاشَتْ : غلت و اضطربت .

و الجيش : الغليان .

(3309) المِرْجَلْ : القدر .

(3310) شاخصاً : ذاهبا مبعدا .

(3311) خِطّة : بكسر الخاء : الأرض التي يختطها الإنسان و يعلم عليها بالخط ليعمرها .

(3312) يشرع : أي يفتح .

(3313) الضراعة : الذلّة . و الدرك بالتحريك : التبعة (3314) مبلبل الأجسام : مهيج داءاتها المهلكة لها .

(3315) شيّد : رفع البناء .

(3316) نجّد بتشديد الجيم : أي زين .

(3317) اعتقد المال : اقتناه .

(3318) إشخاصهم : إرسالهم و ترحيلهم حتى يحضروا بأشخاصهم .

(3319) توافى القوم : وافى بعضهم بعضا حتى تم اجتماعهم .

(3320) المُتَكَارِهُ : المتثاقل بكراهة الحرب ،

وجوده بالجيش يضر أكثر مما ينفع .

(3321) الطُعمة بضم الطاء : المأكلة .

(3322) تَفْتَات : أي تستبد ، و هو افتعال من الفوت كأنه يفوت آمره فيسبقه إلى الفعل قبل أن يأمره .

(3323) خُزّان : بضم فتشديد : جمع خازن و المراد الحافظ .

(3324) الوُلاة : جمع وال من ولي عليه .

(3325) تجنى كتولّى : ادعى الجناية على من لم يفعلها .

(3326) مُوَصَّلة بصيغة المفعول : ملفّقة من كلام مختلف وصل بعضه ببعض على التباين ، كالثوب المرقع .

(3327) مُحَبَّرَة : أي مزيّنة .

[522]

(3328) نَمقّتها : حسّنت كتابتها .

و أمضيتها : أنفذتها و بعثتها .

(3329) هَجَرَ : هذى في كلامه و لغا .

(3330) اللغط : الجلبة بلا معنى .

(3331) لا يُثني : لا ينظر فيها ثانيا بعد لنظر الأول .

(3332) المُرَوّي : هو المتفكر هل يقبل الشيء أو ينبذه .

(3333) المُداهن : المنافق .

(3334) الفصل : الحكم القطعي .

(3335) حرب مُجْلِية أي مخرجة له من وطنه .

(3336) السلم المخزية : الصلح الدال على العجز .

(3337) فانْبِذْ إليه : أي اطرح إليه عهد الأمان و أعلنه بالحرب ، و الفعل من باب ضرب .

(3338) الاجتياح : الاستئصال و الإهلاك .

(3339) هموا بنا الهموم : قصدوا إنزالها بنا .

(3340) الأفاعيل : جمع أفعولة : الفعلة الرديئة .

(3341) العذب : هنيء العيش .

(3342) أحلسونا : ألزمونا .

(3343) اضطرونا : ألجأونا .

(3344) الجبل الوَعْر : الصعب الذي لا يرقى إليه .

(3345) عزم الله لنا : أراد لنا أن نذبّ عن حوزته .

(3346) المراد من الحوزة هنا الشريعة الحقة .

(3347) رمى من وراء الحُرْمة : جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أو هي من ورائه .

(3348) احمرار البأس : اشتداد القتال .

(3349) حر الأسنة بفتح الحاء : شدة وقعها .

(3350) مؤتة بضم الميم : بلد في حدود الشام .

(3351) بقدم مثل قدمي جرت و ثبتت في الدفاع عن الدين .

(3352) السابقة : فضله السابق في الجهاد .

(3353) أدلى اليه برَحِمِهِ : توسّل ، و بمال دفعه اليه ، و كلا المعنيين صحيح .

(3354) تَنْزِع : كتضرب : أي تنتهي .

(3355) الشقاق : الخلاف .

(3356) الزَوْر : بفتح فسكون :

الزائرون .

(3357) الجلابيب جمع جلباب : و هو الثوب فوق جميع الثياب كالملحفة .

(3358) تَبَهّجَت : تحسنت .

(3359) المِجَنّ : الترس ، أي يوشك أن يطلعك الله على مهلكة لك لا تتقي منها بترس ، و رويت « منج بدل مجنّ » .

(3360) قَعَسَ : تأخر .

(3361) الأهبة : بضم الهمزة : العدّة .

(3362) الغُواة : جمع غاو ، قرين السوء الذي يزيّن لك الباطل و يغريك بالفساد .

(3363) المُتْرَف : من أطغته النعمة .

(3364) سَاسَة : جمع سائس .

(3365) الباسِق : العالي الرفيع .

[523]

(3366) الغِرّة بالكسر : الغرور .

(3367) الأمْنِيَة بضم الهمزة : ما يتمناه الإنسان و يؤمل إدراكه .

(3368) المَرِين بفتح فكسر اسم مفعول من ران ذنبه على قلبه : غلب عليه فغطى بصيرته .

(3369) شدخاً : أي كسرا في الرطب .

(3370) المِنْهاج : هو هنا طريق الدين الحق .

(3371) ثأر به : طلب بدمه .

(3372) حائدة : من حاد عن الشيء : إذا مال عنه و عدل عنه إلى سواه .

(3373) قُبُل : قدّام .

(3374) الأشراف جمع شرف محركة :

العلو و العالي .

(3375) سِفاح الجبال : أسافلها .

(3376) الأثناء : منعطفات الأنهار .

(3377) الرِدْء بكسر فسكون : العون .

(3378) المَرَدّ بتشديد الدال : مكان الرد و الدفع .

(3379) صَيَاصي : أعالي .

(3380) المَنَاكب : المرتفعات .

(3381) الهِضاب : جمع هضبة بفتح فسكون : الجبل لا يرتفع عن الأرض كثيرا مع انبساط في أعلاه .

(3382) الرّماح كِفّة : أي بمثل كفّة الميزان مستديرة حولكم محيطة بكم .

(3383) الغرار بكسر الغين : النوم الخفيف .

(3384) المضمضة : أن ينام ثم يستيقظ ثم ينام تشبيها بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجه ، و هو أدق التشبيه و أجمله .

(3385) البَرْدان : وقت ابتراد الأرض و الهواء من حر النهار ، الغداة و العشيّ .

(3386) غَوّرْ : أي انزل بهم في الغائرة و هي القائلة : وقت اشتداد الحر .

(3387) رفّه : هوّن و لا تتعب نفسك و لا دابتك .

(3388) الظعن : السفر .

(3389) ينبطح السّحَر : ينبسط ، مجاز عن استحكام الوقت بعد مضي مدة منه و بقاء مدة .

(3390) الشّنَآن : البغضاء .

(3391) الإعذار اليهم : تقديم ما يعذرون به في قتالهم .

(3392) الحَيّز : ما يتحيز فيه الجسم أي يتمكن ، و المراد منه مقر سلطتهما .

(3393) الدِرْع : ما يلبس من مصنوع الحديد للوقاية من الضرب و الطعن .

(3394) المِجَنّ : الترس .

(3395) الوَهْن : الضعف .

(3396) السَقْطة : الغلطة .

(3397) أحزم : أقرب للحزم .

(3398) أمثل : أولى و أحسن .

(3399) المُعْوِر كمجرم : الذي أمكن من نفسه و عجز عن حمايتها :

و أصله أعور أبدى عورته .

(3400) أجهَزَ على الجريح : تمم أسباب موته .

(3401) الفِهْر بالكسر : الحجر على مقدار ما يدق به الجوز أو يملأ الكف .

(3402) الهِرَاوَة بالكسر : العصا أو شبه المقمعة من الخشب .

(3403) أفْضَتْ : انتهت و وصلت .

(3404) أنْضَيْتُ : أبليت بالهزال و الضعف في طاعتك .

(3405) صرّحَ مكنونُ الشّنَآن : صرح القوم بما كانوا يكتمون من البغضاء .

(3406) جاشت : غلت .

(3407) المراجل : القدور .

(3408) الأضغان جمع ضغن : و هو الحقد .

(3409) لا تشتدنّ عليكم فَرّة بعدها كرّة : لا يشق عليكم الأمر إذا انهزمتم متى عدتم للكرّة ، و لا تثقل عليكم الدورة من وجه العدو إذا كانت بعدها حملة و هجوم عليه .

(3410) وَطّنوا : مهّدوا للجنوب : جمع جنب ، مصارعها : أماكن سقوطها ، أي إذا ضربتم فأحكموا الضرب ليصيب ، فكأنكم مهدتم للمضروب مصرعه .

(3411) اذْمُرُوا على وزن اكتبوا : أي حرضوا .

(3412) الدَعْسيّ : اسم من الدعس أي الطعن الشديد .

(3413) الطِّلَحْفِيّ بكسر الطاء و فتح اللام : أشد الضرب .

(3414) إماتة الأصوات : انقطاعها بالسكوت .

(3415) المُهاجِر : من آمن في المخافة و هاجر تخلصا منها .

(3416) الطَلِيق : الذي أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية . و أبو سفيان و معاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح .

و هاجر تخلصا منها .

(3417) الصريح : صحيح النسب في ذوي الحسب .

(3418) اللَصِيق : من ينتمي إليهم و هو أجنبي عنهم .

(3419) المُدْغِل : المفسد .

(3420) نَعَشْنا : رفعنا .

(3421) تَنَمّرُكَ : أي تنكّر أخلاقك .

(3422) غَيْبُوبة النجم : كناية عن الضعف .

(3423) طلوع النجم : كناية عن القوة .

(3424) الوَغْم بفتح فسكون : الحرب و الحقد .

(3425) اربَعْ : ارفق وقف عند حد ما تعرف .

(3426) فالَ رأيُهُ : ضعف .

(3427) الدَهَاقين : الأكابر ، الزعماء أرباب الأملاك بالسواد ، واحدهم دهقان بكسر الدال . و لفظه معرّب .

(3428) يُدْنَوا : يقرّبوا .

(3429) يُقْصَوْا : يبعدوا .

(3430) يُجْفَوْا : يعاملوا بخشونة .

(3431) تشوبه : تخلطه .

(3432) داول : اسلك فيهم منهجا متوسطا .

[525]

(3433) كُوَر جمع كورة : و هي الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان . و الأهواز : تسع كور بين البصرة و فارس .

(3434) فيئهم : ما لهم من غنيمة أو خراج .

(3435) الوَفْر : المال .

(3436) ثقيل الظهر : أي مسكين لا تقدر على مؤونة عيالك .

(3437) الضَئِيل : الضعيف النحيف .

و ضئيل الأمر : الحقير .

(3438) الفضل : ما يفضل من المال .

(3439) المتمرّغ في النعم : المتقلب في الترف .

(3440) أسلف : قدم في سالف أيامه .

(3441) يفوته الشيء : يذهب عنه إلى غير رجعة .

(3442) يدركه : يناله و يصيبه .

(3443) خلاكم ذمّ : عداكم و جاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية .

(3444) القارِبُ : طالب الماء ليلا ، و لا يقال لطالبه نهارا .

(3445) يُولِجُهُ : يدخله .

(3446) الأَمَنَةُ بالتحريك : الأمن .

(3447) الحَدَث بالتحريك : الحادث أي الموت .

(3448) أصدره : أجراه كما كان يجري على يد الحسن .

(3449) الوُصْلة بالضم : الصلة و هي هنا القرابة .

(3450) ترك المال على أصوله : أن لا يباع منه شيء و لا يقطع منه غرس .

(3451) الوَدِيّة كهدية : واحدة الودي أي صغار النخل و هو هنا الفسيل .

(3452) أطوف عليهن : كناية عن غشيانهنّ .

(3453) رَوّعه ترويعاً : خوّفه .

(3454) الاجتياز : المرور .

(3455) أخْدَجَتِ السحابةُ : قلّ مطرها و المراد من قوله : « لا تخدج بالتحية لهم » لا تبخل بها عليهم .

(3456) أنْعَمَ لَك : أي قال لك نعم .

(3457) تُعْسِفُهُ : تأخذه بشدة .

(3458) تُرْهِقُهُ : تكلّفه ما يصعب عليه .

(3459) صدع المال : قسمه قسمين .

(3460) خيّره في الأشياء : ترك له أن يختار منها ما يشاء .

(3461) إن استَقالك فأقِلْهُ : أي ان ظن في نفسه سوء الاختيار و طلب الإعفاء من هذه القسمة فأعفه منها .

(3462) العَوْد فتح فسكون : المسنة من الإبل .

(3463) الهَرِمة : من الإبل أسنّ من العود .

(3464) المهلوسة : الضعيفة . هلسه المرض : أضعفه .

(3465) العَوار بفتح العين : العيب .

(3466) المُجْحِف : من يشتد في سوق الإبل حتى تهزل .

(3467) المُلْغِب : الذي يعيي غيره و يتعبه .

و هو من اللغوب : الإعياء .

(3468) حَدَرَ يَحْدُر كينصر و يضرب :

أسرع ، و المراد سق إلينا سريعا .

(3469) فَصِيل الناقة : ولدها و هو رضيع .

(3470) مَصْر اللبن : حلب ما في الضرْع جميعه .

(3471) ليرقّه عن اللاّغب : أي ليرح ما أُلغب أي أعياه التعب .

(3472) ليستأن : أي يرفق من الأناة بمعنى الرفق .

(3473) النَّقِب بفتح فكسر : ما نقب خفّه كفرح : أي تخرّق .

(3474) ظَلَعَ البعيرُ : غمز في مشيته .

(3475) الغُدُر جمع غدير : ما غادره السيل من المياه .

(3476) جوَادّ الطرق : يريد بها هنا الطرق التي لا مرعى فيها .

(3477) النّطِاف جمع نطفة : المياه القليلة ، أي يجعل لها مهلة لتشرب و تأكل .

(3478) البُدّن بضم الباء و تشديد الدال :

السمينة .

(3479) المُنْقِيات : اسم فاعل من أنقت الإبل إذا سمنت ، و أصله صارت ذات نقي بكسر فسكون :

أي مخّ .

(3480) مجهودات : بلغ منها الجهد و العناء مبلغا عظيما .

(3481) جَبَهَهُ كمنعه : أصله ضرب جبهته ، و المراد واجهه بما يكره .

(3482) عَضِهَ فلانا كفرح بهته .

(3483) لا يرغب عنهم : لا يتجافى .

(3484) بُؤسَى على وزن « فعلى » أي عذاب و شدة .

(3485) الخِزْي : بكسر الخاء و سكون الزاي أشد الذل .

(3486) آسِ : أمر من آسى بمد الهمزة :

أي سوّى ، يريد ، اجعل بعضهم أسوة بعض أي مستوين .

(3487) حَيْفَك لهم : أي ظلمك لأجلهم .

(3488) المترفون : المنعمون .

(3489) النَوَاصي جمع ناصية : مقدّم شعر الرأس .

(3490) تخالف على نفسك : أي تخالف شهوة نفسك .

(3491) المنافحة : المدافعة و المجالدة .

(3492) إن في الله خَلَفاً من غيره : أي عوضا .

(3493) يَقْمَعه : يقهره .

(3494) منافق الجَنان : من أسرّ النفاق في قلبه .

(3495) عالم اللسان : من يعرف أحكام الشريعة و يسهل عليه بيانها فيقول حقا يعرفه المؤمنون و يفعل منكرا ينكرونه .

(3496) خَبّأ عجباً . أخفى أمرا عجيبا ثم أظهره .

(3497) طفقت بفتح فكسر : أخذت .

(3498) بَلاء الله تعالى : إنعامه و إحسانه .

(3499) ناقِل التّمْرِ إلى هَجَر : مثل قديم ،

و هجر : مدينة بالبحرين كثيرة النخيل .

[527]

(3500) المُسَدّد : معلم رمي السهام .

(3501) النضال : الترامي بالسهام .

(3502) اعتزلك : جعلك بمعزل عنه .

(3503) ثَلْمه : عيبه .

(3504) الطُلَقاء : الذين أسروا في الحرب ثم أطلقوا ، و كان منهم أبو سفيان و معاوية .

(3505) حَنّ : صوّت . و القدح بالكسر السهم ، و إذا كان سهم يخالف السهام كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها ، مثل يضرب لمن يفتخر بقوم ليس منهم و أصل المثل لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قال له عقبة بن أبي معيط :

أأقتل من بين قريش ؟ فأجابه :

« حنّ قدح ليس منها » .

(3506) الظّلْع : مصدر ظلع البعير بظلع إذا غمز في مشيته ، يقال اربع على ظلعك ، أي قف عند حدّك .

(3507) الذرع بالفتح : بسط اليد ، و يقال للمقدار .

(3508) ذهّاب بتشديد الهاء : كثير الذهاب .

(3509) التيه : الضلال .

(3510) الرَوّاغ : الميّال .

(3511) القصد : الاعتدال .

(3512) شهيدنا : هو حمزة بن عبد المطلب استشهد في أحد .

(3513) واحدنا : هو جعفر بن أبي طالب أخو الإمام .

(3514) جَمّة : أي كثيرة .

(3515) تمجّها : تقذفها .

(3516) الرَمِيّة : الصيد يرميه الصائد .

« و مالت به الرميّة » : خالفت قصده فاتبعها ، مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه .

(3517) صنائع : جمع صنيعة ، و صنيعة الملك من يصطنعه لنفسه و يرفع قدره . و آل النبي أسراء إحسان الله عليهم ، و الناس أسراء فضلهم بعد ذلك .

(3518) العادي : الاعتيادي المعروف .

(3519) الأكْفَاء جمع كفؤ بالضم :

النظير في الشرف .

(3520) يريد بالمكذّب هنا : أبا جهل .

(3521) أسد الله : حمزة .

(3522) أسد الأحلاف : أبو سفيان ، لأنه حزّب الأحزاب و حالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق .

(3523) سيدا شباب أهل الجنة : الحسن و الحسين بنص قول الرسول .

(3524) صبية النار : قيل هم أولاد مروان ابن الحكم أخبر النبي عنهم و هم صبيان بأنهم من أهل النار ، و مرقوا عن الدين في كبرهم .

(3525) خير النساء : فاطمة .

(3526) حَمّالة الحطب : أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، و زوجة أبي لهب .

[528]

(3527) جاهليتنا لا تُدْفَع : شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد .

(3528) يوم السَقِيفَة : هو يوم الاجتماع في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لرسول الله .

(3529) فَلَجوا عليهم : أي ظفروا بهم .

(3530) شَكاة بالفتح : أي نقيصة و أصلها المرض .

(3531) ظاهرٌ عنكَ عارها : أي بعيد ،

و أصله من ظهر إذا صار ظهرا أي خلفا .

(3532) الجمل المخشوش : هو الذي جعل في أنفه الخشاش بكسر الخاء :

و هو ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد .

(3533) الغَضاضة : النقص .

(3534) سنح : أي ظهر و عرض .

(3535) لِرَحِمِكَ منه : لقرابتك منه يصح الجدال معك فيه .

(3536) أعدى : أشد عدوانا .

(3537) المَقاتل : وجوه القتال و مواضعه .

(3538) استقعده : طلب قعوده و لم يقبل نصره .

(3539) اسْتَكَفّه : طلب كفّه عن الشيء .

(3540) بثّوا المَنُون إليه : أفضوا بها اليه .

(3541) المعوِّقون : المانعون من النصرة .

(3542) نَقَمَ عليه كضرب : عاب عليه .

(3543) الأحداث جمع حدث : البدعة .

(3544) الظِنّة بالكسر : التهمة .

(3545) المتنصح : المبالغ في النصح .

(3546) الاستعبار : البكاء .

(3547) ألفيْت : وجدت .

(3548) ناكلين : متأخرين .

(3549) لَبّثَ بتشديد الباء : فعل أمر من لبثه إذا استزاد لبثه ، أي مكثه يريد امهل .

(3550) الهَيْجاء : الحرب .

(3551) حَمَل بالتحريك هو ابن بدر ،

رجل من قشير أغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها .

(3552) مُرْقِل : مسرع .

(3553) الجَحْفَل : الجيش العظيم .

(3554) الساطع : المنتشر .

(3555) القَتام بالفتح : الغبار .

(3556) متسربلين : لابسين لباس الموت كأنهم في أكفانهم .

(3557) بَدْرِيّة : من ذراري أهل بدر .

(3558) أخوه حنظلة ، و خاله الوليد بن عتبة ، وجده عتبة بن ربيعة .

(3559) انتشار الحبل : تفرق طاقاته و انحلال فتله ، مجاز عن التفرق .

(3560) غبا عنه : جهله .

(3561) خَطَتْ : تجاوزت .

(3562) المُرْدِية : المهلكة .

(3563) سَفَه الآراء : ضعفها .

[529]

(3564) الجائرة : المائلة عن الحق .

(3565) المُنابذة : المخالفة .

(3566) قرّب خيله : أدناها منه ليركبها .

(3567) رَحَل ركابه : شد الرحال عليها .

(3568) الركاب : الإبل .

(3569) اللَعْقة : اللحسة . و قد شبه الوقعة باللعقة في السهولة و سرعة الانتهاء .

(3570) الناكث : ناقض العهد .

(3571) المَحَجّة : الطريق المستقيم .

(3572) النَهْجَة : الواضحة .

(3573) مُطَلّبَة بالتشديد : مساعفة لطالبها بما يطلبه .

(3574) الأكياس العقلاء ، جمع كيّس كسيّد .

(3575) الأنكاس جمع نكس بكسر النون : الدنيء الخسيس .

(3576) نَكَب : عدل .

(3577) جَار : مال .

(3578) خَبَطَ : مشى على غير هداية .

(3579) التيه : الضلال .

(3580) أجرَيْت إلى غاية خُسْر : أجريت مطيتك مسرعا إلى غاية خسران .

(3581) أولجتك : أدخلتك .

(3582) أقحمتك : رمت بك .

(3583) الغَيّ : ضد الرشاد .

(3584) أوْعَرَت : أخشنت و صعبت .

(3585) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفّين .

(3586) المقرّ للزمان : المعترف له بالشدة .

(3587) غرض الأسقام : هدف الأمراض ترمي إليه سهامها .

(3588) الرهينة : المرهونة أي أنه في قبضة الأيام و حكمها .

(3589) الرَمِيّة : ما أصابه السهم .

(3590) نُصُب الآفات : لا تفارقه العلل .

و هو من قولهم : فلان نصب عيني بالضم : أي لا يفارقني .

(3591) الصريع : الطريح .

(3592) جُموح الدهر : استقصاؤه و تغلّبه .

(3593) يَزَعُني : يكفّني و يصدّني .

(3594) ما ورائي : كناية عن أمر الآخرة .

(3595) صَدَفَه : صرفه .

(3596) محض الأمر : خالصه .

(3597) مسظتهراً به : أي مستعينا به .

(3598) قَرِّرْه بالفناء : اطلب منه الإقرار بالفناء .

(3599) بَصِّرْه : اجعله بصيرا .

(3600) الفجائع جمع فجيعة : و هي المصيبة تفزع بحلولها .

(3601) بايِنْ : أي : باعد و جانب .

(3602) الغَمَرات : الشدائد .

(3603) الكهف : الملجأ .

(3604) الحريز : الحافظ .

(3605) الاستخارة : إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .

(3606) صَفْحا : جانبا .

(3607) لا يحق بكسر الحاء و ضمها :

أي لا يكون من الحق .

[530]

(3608) بَلَغْتُ سناً : أي وصلت النهاية من جهة السن .

(3609) الوَهْن : الضعف .

(3610) أفضي : ألقي إليك .

(3611) الفرس الصعب : غير المذلل .

(3612) النُّفُور : ضد الآنس .

(3613) جدّ رأيك : أي محقّقه و ثابته .

(3614) كفاه بُغْية الشيء : أغناه عن طلبه .

(3615) استبان : ظهر .

(3616) النَخِيل : المختار المصفى .

(3617) تَوَخيّت : أي تحرّيت .

(3618) أجمعت عليه : عزمت .

(3619) مُقْتَبَل بالفتح من اقتبل الغلام فهو مقتبل . و هو من الشواذ ،

و القياس مقتبل بكسر الباء لأنه اسم فاعل . و مقتبل الإنسان :

أول عمره .

(3620) لا أجاوز ذلك : لا أتعدى بك .

(3621) أشفقت : أي خشيت و خفت .

(3622) التبس : غمض .

(3623) الهَلَكَة : الهلاك .

(3624) لم يدعوا : لم يتركوا .

(3625) الشائِبة : ما يشوب الفكر من شك و حيرة .

(3626) أوْلجَتْك : أدخلتك .

(3627) العَشْواء : الضعيفة البصر أي تخبط خبط الناقة العشواء لا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه .

(3628) تورّط الأمر : دخل فيه على صعوبة في التخلص منه .

(3629) الإمساك عن الشيء : حبس النفس عنه .

(3630) أمثل : أفضل .

(3631) شفقتك : خوفك .

(3632) الرائد : من ترسله في طلب الكلأ ليتعرف موقعه . و الرسول قد عرف عن الله و أخبرنا فهو رائد سعادتنا .

(3633) لم آلُكَ نصيحةً : أي : لم أقصّر في نصيحتك .

(3634) خطره : أي قدره .

(3635) خَبَرَ الدنيا : عرفها كما هي بامتحان أحوالها .

(3636) السَفْر بفتح فسكون :

المسافرون .

(3637) نَبَا المنزل بأهله : لم يوافقهم المقام فيه لو خامته .

(3638) الجَدِيب : المقحط لا خير فيه .

(3639) أمّوا : قصدوا .

(3640) الجَناب : الناحية .

(3641) المَرِيع بفتح فكسر : كثير العشب .

(3642) وَعْثاء السفر : مشقته .

(3643) الجُشُوبة بضم الجيم : الغلظ .

(3644) هجم عليه : انتهى إليه بغتة .

(3645) الإعجاب : استحسان ما يصدر عن النفس مطلقا .

(3646) آفة : علة . و الألباب : العقول .

(3647) الكَدْح : أشد السعي .

(3648) خازناً لغيرك : تجمع المال ليأخذه الوارثون بعدك .

(3649) الارتياد : الطلب . و حسنه : إتيانه من وجهه .

(3650) الفاقة : الفقر .

(3651) البَلاغ بالفتح : الكفاية .

(3652) كؤوداً : صعبة المرتقى .

(3653) المُخِفّ بضم فكسر : الذي خفف حمله .

(3654) المُثْقِل : هو من أثقل ظهره بالأوزار .

(3655) ارْتَدِهِ : ابعث رائدا من طيبات الأعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل .

(3656) المُسْتَعْتَب : مصدر ميمي من استعتب . و الاستعتاب : الاسترضاء و المراد أن الله لا يسترضى بعد إغضابه إلا باستئناف العمل .

(3657) المُنْصَرَف : مصدر ميمي من انصرف . و المراد لا انصراف إلى الدنيا بعد الموت .

(3658) الإنابة : الرجوع إلى الله .

(3659) نُزوعك : رجوعك .

(3660) المُنَاجاة : المكالمة سرا .

(3661) أَفْضَيْت : ألقيت .

(3662) أبثثته : كاشفته .

(3663) ذات النفس : حالتها .

(3664) اسْتَكْشَفْتَه كروبك : طلبت كشف غمومك .

(3665) شآبيب : جمع الشوبوب بالضم :

و هو الدفعة من المطر ، و ما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها .

(3666) القنوط : اليأس .

(3667) قُلْعة بضم القاف و سكون اللام ،

و بضمتين ، و بضم ففتح : يقال منزل قلعة أي لا يملك لنازله ،

أو لا يدري متى ينتقل عنه .

(3668) البُلْغة : الكفاية و ما يتبلغ به من العيش .

(3669) الحِذْر بالكسر : الاحتراز و الاحتراس .

(3670) الأزْر بالفتح : القوة .

(3671) بَهَرَ كمنع : غلب ، أي يغلبك على أمرك .

(3672) إخلاد أهل الدنيا : سكونهم إليها .

(3673) التكالب : التواثب .

(3674) نعاه : أخبر بموته . و الدنيا تخبر بحالها عن فنائها .

(3675) ضارية : مولعة بالافتراس .

(3676) يهِرّ بكسر الهاء : يعوي و ينبح ،

و أصلها هَرير الكلب ، و هو صوته دون حاجة من قلة صبره على البرد . فقد شبه الإمام أهل الدنيا بالكلاب العاوية .

(3677) النّعَم بالتحريك : الإبل .

[532]

(3678) مُعَقّلَة : من عقّل البعير بالتشديد شد وظيفه إلى ذراعه .

(3679) أضلّت : أضاعت .

(3680) مجهولها : طريقها المجهول لها .

(3681) السُروح بالضم : جمع سرح بفتح فسكون : و هو المال السارح السائم من إبل و نحوها .

(3682) العاهة : الآفة ، فالمراد بقوله :

(سروح عاهة) أنهم يسرحون لرعي الآفات .

(3683) الوَعْث : الرخو يصعب السير فيه .

(3684) مُسيم : من أسام الدابة يسيمها :

سرحها إلى المرعى .

(3685) يُسْفِر : يكشف .

(3686) الأظْعان جمع ظعينة : و هي الهودج تركب فيه المرأة ، عبر به عن المسافرين في طريق الدنيا إلى الآخرة .

(3687) الوادع : الساكن المستريح .

(3688) خَفّضْ : أمر من خفّض بالتشديد : أي ارفق .

(3689) أجمل في كَسْبِه : أي سعى سعيا جميلا لا يحرص فيمنع الحق و لا يطمع فيتناول ما ليس بحق .

(3690) الحَرَب بالتحريك : سلب المال .

(3691) الدَنِيّة : الشيء الحقير المبتذل .

(3692) الرغائب : جمع رغيبة ، و هي ما يرغب في اقتنائه من مال و غيره .

(3693) عِوَضاً : بدلا .

(3694) اليُسْر : السهولة ، و المراد سعة العيش .

(3695) العُسْر : الصعوبة ، و المراد ضيق العيش .

(3696) تُوجِف : تسرع .

(3697) المَطَايَا : جمع مطية ، و هي ما يركب و يمتطى من الدواب و نحوها .

(3698) المَناهل : ما ترده الإبل و نحوها للشرب .

(3699) الهَلَكَة : الهلاك و الموت .

(3700) التلافي : التدارك لاصلاح ما فسد أو كاد .

(3701) ما فرط : أي : قصر عن إفادة الغرض أو إنالة الوطَر .

(3702) إدراك ما فات : هو اللحاق به لأجل استرجاعه ، وفات : أي سبق إلى غير عودة .

(3703) بشدّ وكائها : أي : رباطها .

(3704) أحْفَظُ لسرّه : أشد صونا له و حرصا على عدم البوح به .

(3705) أهجرَ إهجارا و هجرا بالضم :

هذى يهذي في كلامه .

(3706) الخُرْق بالضم : العنف .

(3707) المُسْتَنْصَح اسم مفعول :

المطلوب منه النصح .

(3708) المُنى جمع منية بضم فسكون :

ما يتمناه الشخص لنفسه و يعلل نفسه باحتمال الوصول إليه .

(3709) النّوْكَى : جمع أنوك ، و هو كالأحمق وزنا و معنى .

(3710) مَهين : بفتح الميم بمعنى حقير ،

و الحقير لا يصلح أن يكون معينا .

(3711) الظَنين بالظاء : المتهم .

(3712) ساهِلِ الدهر : خذ حظك منه بسهولة و يسر .

(3713) القَعُود بفتح أوله : الجمل الذي يقتعده الراعي في كل حاجته .

و للفصيل ، أي ساهل الدهر ما دام منقادا و خذ حظك من قياده .

(3714) المَطِيّة : ما يركب و يمتطى ،

و اللجاج بالفتح : الخصومة .

(3715) صَرْمِهِ : قطيعته .

(3716) الصِلَة : الوصال ، و هو ضد القطيعة .

(3717) الصُدود : الهجر .

(3718) « اللّطَف بفتح اللام و الطاء :

الاسم من ألطفه بكذا أي برّه به » .

(3719) جموده : بخله .

(3720) البَذْل : العطاء .

(3721) الغيظ : الغضب الشديد .

(3722) المَغَبّة بفتحتين ثم باء مشددة :

بمعنى العاقبة .

(3723) لِنْ : أمر من اللين ضد الغلظ و الخشونة .

(3724) غالظك : عاملك بغلظ و خشونة .

(3725) مثواك : مُقامك ، من ثوى يثوي :

أقام يقيم ، و المراد هنا : منزلتك من الكرامة .

(3726) تفلّت بتشديد اللام : أي تملّص من اليد فلم تحفظه .

(3727) القصد : الاعتدال .

(3728) جار : مال عن الصواب .

(3729) الصاحِب مناسب : أي يراعى فيه ما يراعى في قرابة النسب .

(3730) الغيْب : ضد الحضور أي من حفظ لك حقك و هو غائب عنك .

(3731) الهوى : شهوة غير منضبطة و لا مملوكة بسلطان الشرع و الأدب .

(3732) لم يُبَالِكَ : أي لم يهتم بأمرك .

باليته و باليت به : أي راعيته و اعتنيت به .

(3733) تَعَجّلْتَه : استبقت حدوثه .

(3734) أعظمه : هابه و أكبر من قدره .

(3735) الأفْن بالسكون : النقص .

(3736) الوَهْن : الضعف .

(3737) القَهْرَمان : الذي يحكم في الأمور و يتصرف فيها بأمره .

(3738) لا تَعْدُ بفتح فسكون : أي لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها .

(3739) التغاير : إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب .

(3740) يتواكلوا : يتكل بعضهم على بعض .

(3741) أرْدَيْت : أهلكت جيلا ، أي قبيلا و صنفا .

(3742) الغَيّ : الضلال ، ضد الرشاد .

(3743) جازوا : بعدوا .

[534]

(3744) وجهتهم بكسر الواو : أي جهة قصدهم .

(3745) نكصوا : رجعوا .

(3746) « عولوا » : أي اعتمدوا .

(3747) فاء : رجع . و المراد هنا الرجوع إلى الحق .

(3748) المُوازَرَة : المعاضدة .

(3749) جاذبِ الشيطان : أي إذا جذبك الشيطان فامنع نفسك من متابعته .

(3750) القِياد : ما تقاد به الدابة .

(3751) « عَيْني » : أي رقيبي الذي يأتيني بالأخبار .

(3752) بالمغرب : بالأقاليم الغربية .

(3753) يراد بالموسم هنا : الحج .

(3754) الكُمْه جمع أكمه : و هو من ولد أعمى .

(3755) « يَلْبِسون » : يخلطون .

(3756) يحتلبون الدنيا : يستخلصون خيرها .

(3757) الدَرّ بالفتح : اللبن .

(3758) الصليب : الشديد .

(3759) النَعْماء : الرخاء و السعة .

(3760) البَطِر : الشديد الفرح مع ثقة بدوام النعمة .

(3761) البَأساء : الشدة .

(3762) فَشِلاً : جبانا ضعيفا .

(3763) توجّده : تكدّره .

(3764) « مَوْجِدتك » : أي غيظك .

(3765) التسريح : الإرسال .

(3766) العمل هنا : الولاية .

(3767) ناقماً : أي كارها .

(3768) الحمام بالكسر : الموت .

(3769) « أَصْحِرْ له » : أي ابرز له ،

من « أصحر » إذا برز للصحراء .

(3770) احتسبه عند الله : أسأل الأجر على الرزية فيه .

(3771) الكادح : المبالغ في سعيه .

(3772) « طَفّلت تطفيلا » : أي دنت و قربت .

(3773) الإياب : الرجوع إلى مغربها .

(3774) ولا : كناية عن السرعة التامة ،

فان حرفين ثانيهما حرف لين سريع الانقضاء عند السمع و المعروف عند أهل اللغة « كلا و ذا » . قال ابن هانىء المغربي :

و أسرع في العين من لحظة و أقصر في السمع من لا و ذا (3775) نجا جَرِيضاً : أي قد غصّ بريقه من شدة الجهد و الكرب . يقال جرض بريقه يجرض بالكسر ،

مثال كسر يكسر .

(3776) المُخَنَّق بضم ففتح فنون مشددة :

موضع الحنق من الحيوان .

(3777) الرّمَق بالتحريك : بقية الروح .

(3778) لأياً : مصدر محذوف العامل ،

و معناه الشدة و العسر ، و « ما » بعده مصدرية ، و « نجا » في معنى المصدر ، أي عسرت نجاته عسرا بعسر .

[535]

(3779) التركاض : مبالغة في الركض ،

و استعاره لسرعة خواطرهم في الضلال .

(3780) التجْوال : مبالغة في الجول و الجولان (3781) الشِقاق : الخلاف .

(3782) جِماحهم : استعصاؤهم على سابق الحق .

(3783) التيه : الضلال و الغواية .

(3784) الجَوازي جمع جازية : و هي النفس التي تجزي ، كناية عن المكافأة ، و قوله (جزأتهم الجوازي) دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم .

(3885) قوله ابن أمي ، يريد رسول الله (ص) ، فإن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ربت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها :

« فاطمة أمي بعد أمي » .

(3786) المُحِلّون : الذين يحلون القتال و يجوزونه .

(3787) مُقِرّاً للضيم : راضيا بالظلم .

(3788) واهناً : ضعيفا .

(3789) السَلِس بفتح فكسر : السهل .

(3790) الزمام : العنان الذي تقاد به الدابة .

(3791) الوطيء : اللين .

(3792) المُتَقَعّد : الذي يتخذ الظهر أي الدابة قعودا يستعمله للركوب في كل حاجاته .

(3793) صليب : شديد .

(3794) يعز عليّ : يشق عليّ .

(3795) الكآبة : ما يظهر على الوجه من أثر الحزن .

(3796) عاد : أي عدوّ .

(3797) « الحَيْرَة المُتّبَعة » : اسم مفعول من « اتّبعه » ، و الحَيْرة هنا بمعنى الهوى الذي يتردد الإنسان في قبوله .

(3798) طِلْبَة بالكسر و بفتح فكسر :

مطلوبة .

(3799) الحجاج بالكسر : الجدال .

(3800) الجَوْر : الظلم و البغي .

(3801) السُرادِق بضم السين : الغطاء الذي يمد فوق صحن البيت .

(3802) البَرّ بفتح الباء : التقي .

(3803) الظاعن : المسافر .

(3804) يستراح إليه : يعمل به ، و أصله « استراح إليه » بمعنى سكن و اطمأن و السكون إلى المعروف يستلزم العمل به .

(3805) نَكَلَ عنه كضرب و نصر و علم : نكص و جبن .

(3806) الرَّوْع : الخوف .

(3807) مَذْحِج كمجلس : قبيلة مالك ،

و أصله اسم أكمة ولد عندها أبو القبيلتين طيّىء و مالك ، فسميت قبيلتاهما به .

(3808) الكليل : الذي لا يقطع .

(3809) الظُّبَة بضم ففتح مخفف : حد السيف و السنان و نحوها .

(3810) النابي من السيوف : الذي لا يقطع .

[536]

(3811) الضريبة : المضروب بالسيف .

و إنما دخلت التاء في ضريبة و هي بمعنى المفعول لذهابها مذهب الأسماء كالنطيحة و الذبيحة .

(3812) « آثرتكم » : خصصتكم به و أنا في حاجة اليه ، تقديما لنفعكم على نفعي .

(3813) الشكيمة في اللجام : الحديدة المعرضة في فم الفرس ، و يعبر بشدتها عن قوة النفس و شدة البأس .

(3814) الضِرْغام : الأسد .

(3815) إن تُعْجزا : توقعاني في العجز ،

من أعجز يعجز إعجازا . و المراد :

أن تعجزاني عن الإيقاع بكما فأمامكما حساب الله .

(3816) أخْزَيْت أمانتك : ألصقت بأمانتك خزية بالفتح : أي رزية أفسدتها و أهانتها .

(3817) جرّدت الأرض : قشّرتها ،

و المعنى أنه نسبه إلى الخيانة في المال ،

و إلى إخراب الضياع .

(3818) أشركتك في أمانتي : جعلتك شريكا فيما قمت فيه من الأمر .

(3819) المُواساة : من « آساه » إذا أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل ،

أو مطلقا . و قالوا : ليست مصدرا لواساه فانه غير فصيح ، و تقدم للإمام استعماله ، و هو حجة .

(3820) الموازرة : المناصرة .

(3821) كَلِب كفرح : اشتد و خشن .

(3822) حَرِبَ كفرح : اشتد غضبه و استأسد في القتال .

(3823) خزيت كرضيت : ذلت و هانت .

(3824) من « فَنَكَت الجارية » إذا صارت ماجنة ، و مجون الأمة أخذها بغير الحزم في أمرها كأنها هازلة .

(3825) شَغَرَت : لم يبق فيها من يحميها .

(3826) المِجَنّ : الترس ، و قلب ظهر المجن : مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه .

(3827) آسَيْت : ساعدت و شاركت في الملمات .

(3828) كادَه عن الأمر : خدعه حتى ناله منه .

(3829) الغرّة : الغفلة .

(3830) الفيء : مال الغنيمة و الخراج .

و أصله ما وقع للمؤمنين صلحا من غير قتال .

(3831) الأزَلّ بتشديد اللام : السريع الجري .

(3832) الدامية : المجروحة .

(3833) المِعْزَى : أخت الضأن ، اسم الجنس كالمعز و المعيز .

(3834) الكسيرة : المكسورة .

(3835) التأثّم : التحرّز من الإثم ، بمعنى الذنب . و حدرت : أسرعت اليهم بتراث أو ميراث ، أو هو من « حدره » بمعنى حطه من أعلى لأسفل

[537]

(3836) لا أبَا لغيرك : عبارة تقال للتوبيخ مع التحامي من الدعاء على من يناله التقريع .

(3837) حَدَرْتَ اليهم : أسرعت اليهم .

(3838) تراث : ميراث .

(3839) النقاش بالكسر : المناقشة ،

بمعنى الاستقصاء في الحساب .

(3840) تُسيغ : تبلع بسهولة .

(3841) لأعْذرنّ إلى الله فيك : أي لأعاقبنك عقابا يكون لي عذرا عند الله من فعلتك هذه .

(3842) الهَوَادَة بالفتح : الصلح و اختصاص شخص ما بميل اليه و ملاطفة له .

(3843) ضَحِّ : من « ضحيت الغنم » إذا رعيتها في الضحى ، أي فارع نفسك على مهل .

(3844) المَدَى بالفتح : الغاية .

(3845) الثرى : التراب .

(3846) « لاتَ حينَ مناص » : أي ليس الوقت وقت فرار .

(3847) التثريب : اللوم .

(3848) الظنين : المتهم . و في التنزيل :

(و ما هو على الغيب بظنين) .

(3849) الظَلَمة بالتحريك : جمع ظالم .

(3850) أستظهر به : أستعين .

(3851) أرْدَشير خُرّة بضم الخاء و تشديد الراء : بلدة من بلاد العجم .

(3852) الفيء : مال الغنيمة و الخراج .

و أصله ما وقع للمؤمنين صلحا من غير قتال .

(3853) اعْتَامَك : اختارك ، و أصله أخذ العيمة بالكسر : و هي خيار المال .

(3854) النّسَمَة : محرّكة الروح ، و هي في البشر أرجح ، و برأها : خلقها .

(3855) قِبَل بكسر ففتح : ظرف بمعنى عند .

(3856) يَسْتَزِلّ : أي يطلب به الزلل ،

و هو الخطأ .

(3857) اللّب : القلب .

(3858) يَسْتَفِلّ بالفاء : يثلم .

(3859) الغرْب بفتح فسكون : الحدة و النشاط .

(3860) يقتحم غفلته : يدخل غفلته بغتة فيأخذه فيها ، و تشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن أنواع التشبيه .

(3861) الغِرّة بالكسر : خلو العقل من ضروب الحيل ، و المراد منها العقل الساذَج .

(3862) فلتة أبي سفيان : قوله في شأن زياد : إني أعلم من وضعه في رحم أمه يريد نفسه .

(3863) المأدبة بفتح الدال و ضمها :

الطعام يصنع لدعوة أو عرس .

(3864) تُستَطاب لك : يطلب لك طيبها

[538]

(3865) الألوان : المراد هنا أصناف الطعام .

(3866) الجِفان بكسر الجيم جمع جفنة و هي القصعة .

(3867) عائلهم : محتاجهم .

(3868) « مجفو » : أي مطرود ، من الجفاء .

(3869) قَضِمَ كسمع : أكل بطرف أسنانه ، و المراد الأكل مطلقا ،

و المقضم كمقعد : المأكل .

(3870) الفظه : أطرحه .

(3871) الطِمْر بالكسر : الثوب الخلق البالي .

(3872) طُعْمه بضم الطاء : ما يطعمه و يفطر عليه .

(3873) قُرْصَيْه : تثنية قرص ، و هو الرغيف .

(3874) السداد : التصرف الرشيد . و أصله الثواب و الاحتراز من الخطأ .

(3875) التِبْر بكسر فسكون : فتات الذهب و الفضة قبل أن يصاغ .

(3876) الوَفْر : المال .

(3877) الطِمْر : الثوب البالي ، و قد سبق قريبا . و الثوب هنا عبارة عن الطمرين ، فان مجموع الرداء و الإزار يعد ثوبا واحدا ، فبهما يكسى البدن لا بأحدهما .

(3878) أتان دَبِرَة : هي التي عقر ظهرها فقلّ أكلها .

(3879) مَقِرَة : أي مرّة .

(3880) فَدَك بالتحريك : قرية لرسول الله (ص) ، و كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد خيبر ،

و إجماع الشيعة على أنه كان أعطاها فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته ،

إلا أن أبا بكر رضي الله عنه آثر ردّها لبيت المال .

(3881) المظانّ : جمع مظنة و هو المكان الذي يظنّ فيه وجود الشيء .

(3882) جَدَث بالتحريك : أي قبر .

(3883) أضْغَطَها : جعلها من الضيق بحيث تضغط و تعصر الحال فيها .

(3884) المَدَر : جمع مدرة : مثل قصب و قصبة و هو التراب المتلبد ،

أو قطع الطين .

(3885) فُرَجها : جمع فرجة ، مثال غرف و غرفة : كل منفرج بين شيئين .

(3886) أرُوضُها : أذلّلها .

(3887) المزلق و مثله المزلقة : موضع الزلل ، و هو المكان الذي يخشى فيه أن تزل القدمان . و المراد هنا الصراط .

(3888) القزّ : الحرير .

(3889) الجشع : شدة الحرص .

(3890) القُرْص : الرغيف .

(3891) بطون غرثى : جائعة .

(3892) أكباد حرّى مؤنث حران أي عطشان .

(3893) البِطْنَة بكسر الباء : البطر و الأشر .

[539]

(3894) القِدّ بالكسر : سير من جلد غير مدبوغ .

(3895) الجُشوبة : الخشونة ، و تقول :

جشب الطعام كنصر و سمع :

فهو جشب ، و جشب كشهم و بطر : و جشيب و مجشاب و مجشوب ، أي غلظ فهو غليظ .

(3896) تقمّمها : التقاطها للقمامة ، أي الكناسة .

(3897) « تكترش » : تملأ كرشها .

(3898) الأعلاف جمع علف : ما يهيأ للدابة لتأكله .

(3899) اعْتَسف : ركب الطريق على غير قصد .

(3900) المَتاهة : موضع الحيرة .

(3901) الشجرة البريّة : التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه .

(3902) الرَوَاتِع الخَضِرة : الأشجار و الأعشاب الغضة الناعمة التي تنبت في الأرض الندية .

(3903) النابتات العِذْية : التي تنبت عذيا ، و العذي بسكون الذال الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر .

(3904) الوَقود : اشتعال النار .

(3905) « كالضوء من الضوء » : شبّه الإمام نفسه بالضوء الثاني ، و شبه رسول الله بالضوء الأول ، و شبّه منبع الأضواء عز و جل بالشمس التي توجب الضوء الأول ، ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثاني .

(3906) « الذراع من العضد » : شبه الإمام نفسه من الرسول بالذراع الذي أصله العضد ، كناية عن شدة الامتزاج و القرب بينهما .

(3907) جَهَدَ كمنع : جد .

(3908) المركوس : من الركس ، و هو رد الشيء مقلوبا و قلب آخره على أوله ، و المراد مقلوب الفكر .

(3909) المَدَرَة بالتحريك : قطعة الطين اليابس .

(3910) حبّ الحصيد : حب النبات المحصود كالقمح و نحوه . و المراد بخروج المدرة من حبّ الحصيد أنه يطهر المؤمنين من المخالفين .

(3911) اليْكِ عني : اذهبي عني .

(3912) الغارِب : ما بين السَنام و العنق .

و قوله عليه السلام للدنيا « حبلك على غاربك » و الجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت .

(3913) انسَلّ من مخالبها : لم يعلق به شيء من شهواتها .

(3914) الحبائل جمع حِبالة : و هي شبكة الصياد .

(3915) المداحض : المساقط و المزالق .

(3916) المَدَاعب جمع مدعبة : من الدعابة ، و هي المزاح .

(3917) مضامين اللّحُود : أي الذين تضمنتهم القبور .

(3918) المهاوي : جمع مهوى ، مكان السقوط ، و هو من هوى يهوي .

[540]

(3919) الوِرْد بكسر الواو : ورود الماء .

(3920) الصَدَر بالتحريك : الصدور عن الماء بعد الشرب .

(3921) مكان دَحْض بفتح فسكون :

أي زلق لا تثبت فيه الأرجل .

(3922) زلق : زلّ و سقط .

(3923) « ازوَرّ » : مال و تنكب .

(3924) مُنَاخه : أصله مبرك الإبل ، من أناخ ينيخ ، و المراد به هنا : مقامه .

(3925) حان : حضر .

(3926) انسلاخه : زواله .

(3927) « عزب يعزب » : أي بعد .

(3928) « لا أسلس » أي لا أنقاد .

(3929) « تهِشّ إلى القُرص » : تنبسط إلى الرغيف و تفرح به من شدة ما حرمته .

(3930) « مأدوماً » : حال من الملح ، أي مأدوما به الطعام .

(3931) لأدَعَنّ : لأتركنّ .

(3932) مقلتي : عيني .

(3933) نَضَب : غار .

(3934) مَعِينها بفتح فكسر : ماؤها الجاري .

(3935) السائمة : الأنعام التي تسرح .

(3936) رِعْيها بكسر الراء الكلأ .

(3937) الربيضة : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها .

(3938) الربوض للغنم : كالبروك للإبل .

(3939) يهجع : أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها .

(3940) قَرّت عينه : دعاء على نفسه ببرود العين أي جمودها من فقد الحياة .

(3941) الهاملة : المتروكة ، و الهمل من الغنم ترعى نهارا بلا راع .

(3942) البؤس : الضر . و عرك البؤس بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه .

(3943) الغُمْض بالضم : النوم .

(3944) الكَرَى بالفتح : النعاس .

(3945) افْتَرَشَت أرضها : لم يكن لها فراش .

(3946) توسّدَت كفها : جعلته كالوسادة .

(3947) تجافت : تباعدت و نأت .

(3948) مضاجع : جمع مضجع : موضع النوم .

(3949) الهمهمة : الصوت الخفي يتردد في الصدر .

(3950) تَقَشّعَت جنوبهم : انحلّت و ذهبت كما يتقشع الغمام .

(3951) « وَ لْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ » : كأن الإمام يأمر الأقراص أي الأرغفة بالكفّ أي الانقطاع عن ابن حنيف و المراد أمر ابن حنيف بالكفّ عنها استعفافا . و رفع « أقراصك » على الفاعلية أبلغ من نصبها على المفعولية .

(3952) أستظهر به : أستعين به .

(3953) « و اقمع » أي اكسر .

(3954) النخوة بالفتح : الكِبْر .

(3955) الأثيم : فاعل الخطايا و الآثام .

[541]

(3956) اللهاة : قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق ، قرنها بالثغر تشبيها له بفم الانسان .

(3957) الثَغْر : المكان الذي يظن طروق الأعداء له على الحدود .

(3958) المَخُوف : الذي يخشى جانبه و يرهب .

(3959) ضِغْث : خلط ، أي شيء تخلط به الشدة باللين .

(3960) « آس » : أي شارك بينهم و اجعلهم سواء .

(3961) حتى لا يطمع العظماء في حيفك :

أي حتى لا يطمعوا في أن تمالئهم على هضم حقوق الضعفاء . و قد تقدم مثل هذا .

(3962) لا تَبْغِيا الدنيا و إن بَغَتْكُما : لا تطلباها و إن طلبتكما .

(3963) « زُوِيَ » : أي قبض و نحي عنكما .

(3964) اغبّ القوم : جاءهم يوما و ترك يوما ، أي صلوا أفواههم بالإطعام و لا تقطعوه عنها .

(3965) يورّثهم : يجعل لهم حقا في الميراث .

(3966) لم تُنَاظَرُوا مبني للمجهول : أي لم ينظر اليكم بالكرامة ، لا من الله ، و لا من الناس ، لإهمالكم فرض دينكم .

(3967) التباذل : مداولة البذل : أي العطاء .

(3968) لا أُلْفِيَنّكم : لا أجدنّكم ،

نفي في معنى النهي .

(3969) تخوضون دماء المسلمين : تسفكون دماءهم . أصله خوض الماء :

الدخول و المشي فيه .

(3970) لا تمثِّلوا به : من التمثيل : و هو التشويه بعد القتل أو قبله بقطع الأطراف مثلا .

(3971) المُثْلَة : و الاسم من التمثيل ، و هو التشويه الذي سبق شرحه .

(3972) « يُوتِغَان المرءَ » : يهلكانه .

(3973) ما قضي فواته : أي ما فات منه لا يدرك ، و المراد دم عثمان و الانتصار له ، فمعاوية يعلم أنه لا يدركه ،

لانقضاء الأمر بموت عثمان رضي الله عنه .

(3974) تَألّوْا على الله : حلفوا ، من الألية و هي اليمين .

(3975) أكذبهم : حكم بكذبهم .

(3976) يغتبط : يفرح و يسرّ .

(3977) أحمد عاقبة عمله : وجدها حميدة .

(3978) « أمكن الشيطان من قِياده » : أي مكنه من زمامه و لم ينازعه .

(3979) « لَهَجاً » : أي و لوعا و شدة حرص .

تقول : قد لهج بالشيء من باب طرب : إذا أغري به فثابر عليه .

(3980) المسالح جمع مسلحة : أي الثغور ، لأنها مواضع السلاح ،

و أصل المسلحة : قوم ذوو سلاح .

(3981) الطّوْل بفتح الطاء عظيم الفضل (3982) احتجز : استتر .

(3983) طواه عنه : لم يجعل له نصيبا فيه .

(3984) دون مَقْطَعِه : دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم .

(3985) لا تنكصوا : لا تتأخروا إذا دعوتكم .

(3986) الغمرات : الشدائد .

(3987) الخُزّان بضم فزاي مشددة :

جمع خازن ، و الخزّان يخزنون أموال الرعيّة في بيت المال لتنفق في مصالحها .

(3988) لا تُحْشِموا أحداً : لا تغضبوه ،

من أحشم يحشم .

(3989) الطِلبَة بالكسر و بفتح الطاء اللام : المطلوب .

(3990) دابّة يعتملون عليها : المراد أنّها تلزمهم لأعمالهم في الزرع و حمل الأثقال .

(3991) لمكان درهم : لأجل الدراهم .

(3992) مُصَلّ و لا معاهد : أردا « بالمصلي » المسلم ، و « بالمعاهد » الذمي الذي لا بد من الوفاء بعهده .

(3993) ادخر الشيء : استبقاه ، لا يبذل منه ، لوقت الحاجة ، و ضمن « ادخر » هاهنا معنى « منع » فعداه بنفسه لمفعولين ، أي لا تمنعوا أنفسكم شيئا من النصيحة .

(3994) « أبْلُوا » : أدوا ، يقال : أبليته عذرا ، أي أديته إليه .

(3995) يقال : اصطنعت عنده ، أي طلبت منه أن يصنع لي شيئا .

(3996) « تفيء » أي تصل في ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها فيء : أي ظل .

(3997) مربض العنز : المكان الذي تربض فيه و تبرك .

(3998) « يدفع الحاج » : يفيض من عرفات .

(3999) صلّوا بهم صلاة أضعفهم : أي لا تطيلوا الصلاة ، بل صلوا بمثل ما يطيقه أضعف القوم .

(4000) لا تكونوا مَنّانين : أي لا تكونوا سببا في إفساد صلاة المأمومين و إدخال المشقة عليهم . بالتطويل .

(4001) « يزعها » : يكفها .

(4002) الجَمَحات : منازعات النفس إلى شهواتها و مآربها .

(4003) شُحّ بنَفْسِك : ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل ، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب ، بل من الحرص أن تحمل على ما تكره .

(4004) يَفْرُط : يسبق .

(4005) الزلل : الخطأ .

(4006) استكفاك : طلب منك كفاية أمرك و القيام بتدبير مصالحهم .

(4007) أراد « بحرب اللّه » مخالفة شريعته بالظلم و الجور .

(4008) « لا يد لك بنقمته » : أي ليس لك يد أن تدفع نقمته ، أي لا طاقة لك بها .

(4009) بجح به : كفرح لفظا و معنى .

(4010) البادرة : ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل .

[543]

(4011) المندوحة : المتسع ، أي المخلص .

(4012) مؤمر كمعظم : أي مسلط .

(4013) الإدغال : إدخال الفساد .

(4014) منهكة : مضعفة ، و تقول « نهكه » أي أضعفه . و تقول : نهكه السلطان من باب فهم : أي بالغ في عقوبته .

(4015) الغِيَر بكسر ففتح : حادثات الدهر بتبدل الدول .

(4016) الأبّهَة بضم الهمزة و تشديد الباء مفتوحة : العظمة و الكبرياء .

(4017) المَخِيلة بفتح فكسر : الخيلاء و العجب .

(4018) يُطامن الشيء : يخفض منه .

(4019) الطِماح ككتاب : النشوز و الجماح .

(4020) الغرب بفتح فسكون : الحدة .

(4021) يفيء : يرجع .

(4022) عَزَب : غاب .

(4023) المساماة : المباراة في السمو ، أي العلو .

(3024) من لك فيه هوى : أي لك إليه ميل خاص .

(4025) أدحض : أبطل .

(4026) كان حربا : أي محاربا .

(4027) « ينزع » كيضرب : أي يقلع عن ظلمه .

(4028) « يجحِف برضى الخاصة » :

يذهب برضاهم .

(4029) الإلحاف : الالحاح و الشدة في السؤال .

(4030) جِماع الشيء بالكسر : جمعه ،

أي جماعة الاسلام .

(4031) الصِغْو بالكسر و الفتح : الميل .

(4032) أشنؤهم : أبغضهم .

(4033) الأطلب للمعائب : الأشد طلبا لها .

(4034) أطلق عقدة كل حقد : احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم .

(4035) الوِتْر بالكسر : العداوة .

(4036) « تَغَابَ » : تغافل .

(4037) يَضِح : يظهر و الماضي وضح .

(4038) الساعي : هو النمام بمعائب الناس .

(4039) الفضل هنا : الإحسان بالبدل .

(4040) يَعِدُك الفقر : يخوفك منه لو بذلت .

(4041) الشّرَه بالتحريك : أشد الحرص (4042) غرائز : طبائع متفرقة .

(4043) بِطانة الرجل بالكسر : خاصته ،

و هو من بطانة الثوب خلاف ظهارته .

(4044) الأثمة جمع آثم : و هو فاعل الاثم ، أي الذنب .

(4045) الظَّلَمَة : جمع ظالم .

(4046) الآصار جمع إصر بالكسر :

و هو الذنب و الإثم .

(4047) الأوزار : جمع وزر : و هو الذنب و الإثم أيضا .

(4048) الإلف بالكسر : الألفة و المحبة .

(4049) « رُضْهُم » : أي عوّدهم على ألا يطروك : أي يزيدوا في مدحك .

[544]

(4050) لا يَبْجَحُوك : أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك و لم تكن فعلته .

(4051) الزَهْو بالفتح : العجب .

(4052) « تدني » : أي تقرّب . و العزة هنا :

الكبر .

(4053) قِبَلَهُم بكسر ففتح : أي عندهم .

(4054) النَصَب بالتحريك : التعب .

(4055) « ساء بلاؤك عنده » : البلاء هنا :

الصنع مطلقا حسنا أو سيئا .

(4056) سهمه : نصيبه من الحق .

(4057) « يكون من وراء حاجتهم » : أي يكون محيطا بجميع حاجاتهم دافعا لها .

(4058) المعاقد : العقود في البيع و الشراء و ما شابههما مما هو شأن القضاة .

(4059) المرافق : أي المنافع التي يجتمعون لأجلها .

(4060) الترفق أي التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

(4061) رِفْدهم : مساعدتهم و صلتهم .

(4062) جيب القميص : طوقه ، و يقال « نقي الجيب » : أي طاهر الصدر و القلب .

(4063) الحِلم هنا : العقل .

(4064) ينبو عليه : يتجافى عنهم و يبعد .

(4065) جماع من الكرم : مجموع منه .

(4066) شُعَب بضمّ ففتح : جمع شعبة .

(4067) العُرْف : المعروف .

(4068) تفاقَم الأمرُ : عظم : أي لا تعدّ شيئا قويتهم به غاية في العظم زائدا عما يستحقون ، فكل شيء قويتهم به واجب عليك اتيانه ، و هم مستحقون لنيله .

(4069) لا تحقرَنّ لطفا : أي لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته ، بل كل تلطف و ان قل فله موقع من قلوبهم .

(4070) « آثر » أي أفضل و أعلى منزلة .

(4071) وَاسَاهُمْ : ساعدهم بمعونته لهم .

(4072) أفضل عليهم : أي أفاض .

(4073) الجِدَة بكسر ففتح الغنى .

(4074) خلوف أهليهم : جمع خلف بفتح و سكون و هو من يبقى في الحي من النساء و العجزة بعد سفر الرجال .

(4075) حِيطة بكسر الحاء : من مصادر « حاطه » بمعنى حفظه و صانه .

(4076) ذوو البلاء : أهل الأعمال العظيمة (4077) يحرض الناكل : يحث المتأخر القاعد .

(4078) بلاء امرىء : صنيعه الذي أبلاه .

(4079) ما يُضْلِعُك من الخطوب : ما يؤودك و يثقلك و يكاد يميلك من الأمور الجسام .

(4080) مُحْكَم الكتاب : نصه الصريح .

(4081) تمحّكه الخصوم : تجعله ما حقا لجوجا . يقال : محك الرجل كمنع إذا لجّ في الخصومة ، و أصرّ على رأيه .

(4082) يتمادى : يستمر و يسترسل .

(4083) الزَلّة بالفتح : السقطة في الخطأ .

(4084) لا يَحْصر : لا يعيا في المنطق .

(4085) الفيء : الرجوع إلى الحق .

(4086) لا تشرف نفسه : لا تطلع و الاشراف على الشيء : الاطلاع عليه من فوق .

(4087) أدنى فهم و أقصاه : أقربه و أبعده .

(4088) الشبهات : ما لا يتضح الحكم فيه بالنص ، و فيها ينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح .

(4089) التبرم : الملل و الضجر .

(4090) أصرمهم : أقطعهم للخصومة و أمضاهم .

(4091) لا يزدهيه إطراء : لا يستخفه زيادة الثناء عليه .

(4092) تعاهده : تتبعه بالاستكشاف و التعرف .

(4093) افسح له في البذل : أي أوسع له في العطاء بما يكفيه .

(4094) اسْتَعْمِلْهُم اختباراً : ولّهم الأعمال بالامتحان .

(4095) محاباة : أي اختصاصا و ميلا منك لمعاونتهم .

(4096) أثَرَة التحريك : أي استبدادا بلا مشورة .

(4097) فإنهما جماع من شُعَب الجور و الخيانة : أي يجمعان فروع الجور و الخيانة .

(4098) « تَوَخّ » : أي اطلب و تحرّ أهل التجربة . . .

(4099) القَدَم بالتحريك : واحدة الأقدام ، أي : الخطوة السابقة .

و أهلها هم الأولون .

(4100) أسبغ عليه الرزق : أكمله و أوسع له فيه .

(4101) ثلموا أمانتك : نقصوا في أدائها أو خانوا .

(4102) العيون : الرقباء .

(4103) « حَدْوَة » : أي سوق لهم و حثّ .

(4104) إذا شكوا ثِقَلاً أو علّة : يريد المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته .

(4105) انقِطاع شِرْب بالكسر : أي ماء تسقى في بلاد تسقى بالأنهار .

(4106) انقِطاع بالّة : أي ما يبل الأرض من ندى و مطر فيما تسقى بالمطر .

(4107) إحالة أرض : بكسر همزة إحالة :

أي تحويلها البذور إلى فساد بالتعفن .

(4108) اغتمرها أي : عمها من الغرق فغلبت عليها و الرطوبة حتى صار البذر فيها غمقا ككتف : أي له رائحة خمة و فساد .

(4109) أجحف العطش : أي : أتلفها و ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم ينبت .

(4110) التبجح : السرور بما يرى من حسن عمله في العدل .

(4111) استفاضة العدل : انتشاره .

[546]

(4112) معتَمِداً فضل قوتهم : أي متحدا زيادة قوتهم عمادا لك تستند اليه عند الحاجة .

(4113) ذَخَرَت : وفّرت .

(4114) الإجْمَام : الترفيه و الاراحة .

(4115) الإعْوَاز : الفقر و الحاجة .

(4116) إشراف أنفسهم على الجمع : لتطلع أنفسهم إلى جمع المال ، ادخارا لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا .

(4117) لا تُبْطِره : أي لا تطغيه .

(4118) جماعة من الناس تملأ البصر .

(4119) لا تُقصر به الغفلة : أي لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من أعمالك ، و لا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب .

(4120) عَقْداً اعْتَقَدَه لك : أي معاملة عقدها لمصلحتك .

(4121) لا يعجز عن إطلاق ما عُقِد عليك :

إذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد .

(4122) الفِراسة بالكسر قوة الظن و حسن النظر في الأمور .

(4123) الاستنامة : السكون و الثقة .

(4124) « يتعرفون لفراسات الولاة » :

أي يتوسلون اليها لتعرفهم .

(4125) بتصنعهم : بتكلفهم إجادة الصنعة .

(4126) تغابيت : أي تغافلت .

(4127) المضطرب بماله : المتردد به بين البلدان .

(4128) المترفّق : المكتسب .

(4129) المَرَافِق : ما ينتفع به من الأدوات و الآنية .

(4130) المطارح : الأماكن البعيدة .

(4131) لا يلتئم الناس لمواضعها : أي لا يمكن التئام الناس و اجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة .

(4132) أنهم سِلْم : أي أن التجار و الصناع مسالمون .

(4133) البائقة : الداهية .

(4134) الضيق : عسر المعاملة .

(4135) الشحّ : البخل .

(4136) الاحتكار : حبس المطعوم و نحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة .

(4137) المبتاع : هنا المشتري .

(4138) « قارف » : أي خالط .

(4139) الحُكْرَة بالضم : الاحتكار .

(4140) فَنَكِّل به : أي أوقع به النكال و العذاب ، عقوبة له .

(4141) في غير إسراف : أي من غير أن تجاوز حد العدل .

(4142) البؤسى بضم أوله : شدة الفقر .

(4143) الزَمْنَى بفتح أوله : جمع زمين و هو المصاب بالزمانة بفتح الزاي أي العاهة ، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب .

[547]

(4144) القانع : السائل .

(4145) المُعْترّ بتشديد الراء : المتعرض للعطاء بلا سؤال .

(4146) اسْتَحْفَظَك : طلب منك حفظه .

(4147) غَلاّت : ثمرات .

(4148) صوافي الاسلام جمع صافية :

و هي أرض الغنيمة .

(4149) بَطَر : طغيان بالنعمة .

(4150) التافه : الحقير .

(4151) لا « تُشْخص همك » : أي لا تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم .

(4152) « صعّر خدّه » : أماله إعجابا و كبرا .

(4153) تقتحمه العين : تكره أن تنظر اليه احتقارا و ازدراء .

(4154) « فَرّغ لأولئك ثقتك » : أي اجعل للبحث عنهم أشخاصا يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم .

(4155) « بالإعذار إلى الله » : أي بما يقدم لك عذرا عنده .

(4156) ذوو الرقّة في السن : المتقدمون فيه .

(4157) « لذوي الحاجات » : أي المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم .

(4158) تُقْعِد عنهم جندك : تأمر بأن يقعد عنهم و لا يتعرض لهم جندك .

(4159) الأحراس جمع حرس بالتحريك و هو من يحرس الحاكم من وصول المكروه .

(4160) الشُرَط بضم ففتح طائفة :

من أعوان الحاكم ، و هم المعروفون بالضابطة ، واحده شرطة بضم فسكون .

(4161) التعتعة في الكلام : التردد فيه من عجز و عي ، و المراد غير خائف تعبيرا باللازم .

(4162) في غير موطن : أي في مواطن كثيرة .

(4163) التقديس : التطهير ، أي لا يطهر الله أمة . . . الخ .

(4164) الخرق بالضم : العنف ضد الزفق .

(4165) العي بالكسر : العجز عن النطق .

(4166) نَحِّ : فعل أمر من نحّى ينحّي ،

أي ابعد عنهم .

(4167) الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق .

(4168) الأنف محركة : الاستنكاف و الاستكبار .

(4169) أكناف الرحمة : أطرافها .

(4170) هنيئا : سهلا لا تخشنه باستكثاره و المن به .

(4171) امنع في إجمال و إعذار : و إذا منعت فامنع بلطف و تقديم عذر .

(4172) يعيا : يعجز .

(4173) حَرِجَ يَحْرَج من باب تعب :

ضاق ، و الأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ، و يحبّون المماطلة في قصائها : استجلابا للمنفعة ، أو إظهارا للجبروت .

[548]

(4174) أجزلها : أعظمها .

(4175) « غير مثلوم » : أي غير مخدوش بشيء من التقصير و لا مخروق بالرياء .

(4176) لا تكوننّ منفّراً و لا مضيعا :

أي لا تطل الصلاة فتكرّه بها الناس و لا تضيع منها شيئا بالنقص في الأركان بل التوسط خير .

(4177) سمات جمع سمة بكسر ففتح :

و هي العلامة .

(4178) البذل : العطاء .

(4179) أيِسُوا : قنطوا و يئسوا .

(4180) شكاة بالفتح : شكاية .

(4181) « فاحسم » : أي اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم ،

و إنما يكون بالأخذ على أيديهم و منعهم من التصرف في شؤون العامة .

(4182) الاقطاع : المنحة من الأرض .

و القطيعة : الممنوح منها .

(4183) الحامّة كالطامّة : الخاصة و القرابة .

(4184) الاعتقاد : الامتلاك ، و العقدة بالضم : الضيعة ، و اعتقاد الضيعة : اقتناؤها ، و إذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها ، أي يقرب منها ، من الناس .

(4185) الشِّرْب بالكسر : هو النصيب في الماء .

(4186) مهنأ ذلك : منفعته الهنيئة .

(4187) المَغَبَّة كمحبّة : العاقبة .

(4188) حَيْفاً : أي ظلما .

(4189) أصْحِرْ لهم بعذرك : أي أبرز لهم ، و بيّن عذرك فيه . و هو من الاصحار : الظهور ، و أصله البروز في الصحراء .

(4190) عَدَلَ الشيءُ عن نفسه : نحّاه عنه (4191) رياضةً : أي تعويدا لنفسك على العدل .

(4192) الإعذار : تقديم العذر أو إبداؤه .

(4193) الدَعَة محرّكة : الراحة .

(4194) « قارَبَ لتغفّل » : أي تقرّب منك بالصلح ليلقي عليك عنه غفلة فيغدرك فيها .

(4195) أصل معنى الذمّة وجدان مودع في جبلة الانسان ، ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه ، و يدفعه لأداء ما يجب عليه منها ، ثم أطلقت على معنى العهد و جعل العهد لباسا لمشابهته له في الرقابة من الضرر .

(4196) حُطْ عهدك : امر من حاطه يحوطه بمعنى حفظه و صانه .

(4197) الجُنّة بالضم : الوقاية ، أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك .

(4198) لما استوبلوا من عواقب الغدر » أي وجدوها وبيلة ، مهلكة .

(4199) خاس بعهده : خانه و نقضه .

(4200) الخَتْل : الخداع .

(4201) « أفضاه » : هنا بمعنى أفشاه .

(4202) الحريم : ما حرم عليك أن تمسه .

[549]

(4203) المَنَعَة بالتحريك : ما تمتنع به من القوة .

(4204) « يستفيضون » : أي يفزعون اليه بسرعة .

(4205) الادغال : الافساد .

(4206) المدالسة : الخيانة .

(4207) العلل جمع علّة : و هي في النقد و الكلام ، بمعنى ما يصرفه عن وجهه و يحوله إلى غير المراد ،

و ذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه و عدم صراحته .

(4208) لحنِ القول : ما يقبل التوجيه كالتورية و التعريض .

(4209) أن تحيط بك من الله فيه طِلْبَة :

أي تأخذك بجميع أطرافك مطالبة الله إياك بحقه في الوفاء الذي غدرت به .

(4210) القود بالتحريف : القصاص ،

و إضافته للبدن لأنه يقع عليه .

(4211) أفْرَطَ عليك شوْطك : عجّل بما لم تكن تريده : أردت تأديبا فأعقب قتلا .

(4212) الوكْزَة بفتح فسكون : الضربة بجمع الكف بضم الجيم : أي قبضته ، و هي المعروفة باللكمة .

(4213) تَطْمَحَنّ بك : ترتفعنّ بك .

(4214) الإطراء : المبالغة في الثناء .

(4215) التزيد كالتقيّد : إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار .

(4216) المقت : البغض و السخط .

(4217) التسقط : من قولهم « تسقط في الخبر يتسقط » إذا أخذه قليلا ،

يريد به هنا : التهاون .

(4218) اللجاجة : الاصرار على النزاع .

و تنكّرت : لم يعرف وجه الصواب فيه .

(4219) الوَهْن : الضعف .

(4220) الاستئثار : تخصيص النفس بزيادة (4221) الناس فيه أسوة : أي متساوون .

(4222) التغابي : التغافل .

(4223) يقال « فلان حميّ الأنف » : إذا كان أبيا يأنف الضيم .

(4224) السَوْرة بفتح السين و سكون الواو : الحدة .

(4225) الحَدّة بالفتح : البأس .

(4226) الغرب بفتح فسكون : الحدّ تشبيها له بحد السيف و نحوه .

(4227) البادرة : ما يبدو من اللسان عند الغضب من سباب و نحوه .

(4228) تضعيف الكرامة : زيادة الكرامة إضعافا .

(4229) العَرَض بالتحريك : هو المتاع و ما سوى النقدين من المال .

(4230) جعلتما لي عليكما السبيل : أي الحجّة .

(4231) عَدَوْت : أي و ثبت .

(4232) ألّب بفتح الهمزة و تشديد اللام :

أي حرّض . قالوا : يريد بالعالم أبا هريرة و بالقائم عمرو بن العاص

[550]

(4233) القِياد بالكسر : الزمام .

و « نازعه القياد » إذا لم يسترسل معه .

(4234) القارعة : البلية و المصيبة .

(4235) تمسّ الأصل أي تصيبه فتقلعه .

(4236) الدابر : هو الآخر .

(4237) « أولي ألية » : أي احلف باللّه حلفة غير حانثة .

(4238) الباحة : كالساحة وزنا و معنى .

(4239) سمت : أي ارتفعت .

(4240) الاهواء جمع هوى : و هو الميل مع الشهوة حيث مالت .

(4241) النزوة : من « نزا ينزو نزوا » أي وثب .

(4242) الحفيظة : الغضب .

(4243) « وقمه فهو واقم » : أي قهره .

(4244) قمعه : رده و كسره .

(4245) الحي : موطن القبيلة أو منزلها .

(4246) لمّا نفَر إلي : بتشديد « لمّا » و تقديره : « إلاّ » .

(4247) استعتبني : طلب مني العتبى أي الرضى ، أي طلب مني أن أرضيه بالخروج عن إساءتي .

(4248) « و الظاهر أن ربنا واحد » :

الواو للحال ، أي كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أننا متحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلا في دم عثمان .

(4249) « لا نستزيدهم في الإيمان » :

أي لا نطلب منهم زيادة في الإيمان لأنهم كانوا مؤمنين .

(4250) النائرَة بالنون الموحدة بمعنى الثائرة بالتاء المثلثة ، و أصلها من ثارت الفتنة إذا اشتعلت و هاجت .

(4251) المكابرة : المعاندة .

(4252) جنحت الحرب : مالت و أقبلت .

و منه قد جنح الليل إذا أقبل .

(4253) ركدت : استقرت و ثبتت .

(4254) وَقَدَتْ كوعدت : أي اتّقدت و التهبت .

(4255) « حَمِشَتْ » : استقرّت و شبّت .

(4256) ضرّستنا : عضتنا أضراسها .

(4257) سارعناهم : سابقناهم .

(4258) الراكس : الناكث الذي قلب عهده و نكثه .

(4259) ران على قلبه : غطى .

(4260) حلوان : إيالة من إيالات فارس .

(4261) اختلف هواه : جرى تبعا لمآربه الشحصية .

(4262) الفَرْغَة : الواحدة من الفراغ ،

و المراد بها هنا خلوّ الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمة .

(4263) الاحْتِساب على الرعية : مراقبة أعمالها و تقويم ما اعوجّ منها و إصلاح ما فسد .

(4264) يَطَأ الجيش عملهم : أي يمرّ بأراضيهم .

(4265) الشّذَى : الضرب و الشر .

[551]

(4266) مَعَرَّة الجيش : أذاه .

(4267) جَوْعَة بفتح الجيم : الواحدة من مصدر جاع ، و يراد بجوعة المضطرّ حال الجوع المهلك .

(4268) « نَكِّلُوا » أي أوقعوا النكال و العقاب .

(4269) رأيٌ مُتَبِّرٌ كمعظّم من « تبره تتبيرا » إذا أهلكه : أي هالك صاحبه .

(4270) قرقيسيا بكسر القافين بينهما ساكن : بلد على الفرات .

(4271) المَسالِح : جمع مسلحة : و هي موضع الحامية على الحدود .

(4272) رَأيٌ شَعَاعٌ كسحاب : أي متفرّق .

(4273) المَنْكِب كمسجد : مجتمع الكتف و العضد ، و شدته كناية عن القوة و المنعة .

(4274) الثُغْرة : الفرجة يدخل منها العدو .

(4275) مُغْنٍ عنه : نائب منابه .

(4276) المُهَيْمِن : الشاهد ، و النبي شاهد برسالة المرسلين الأولين .

(4277) الرُوع بضم الراء : القلب ، أو موضع الروع منه بفتح الراء :

أي الفزع .

(4278) راعَني : أفزعني .

(4279) انثيال الناس : انصبابهم .

(4280) أمْسَكْت يدي : كففتها عن العمل و تركت الناس و شأنهم .

(4281) رَاجِعَة الناس : الراجعون منهم .

(4282) « ثَلْماً » : أي خرقا .

(4283) زَاح : ذهب .

(4284) « زَهَقَ » : خرجت روحه و مات ،

مجاز عن الزوال التام .

(4285) تَنَهْنَهَ : أي كفّ .

(4286) الطِلاع ككتاب : ملء الشيء .

(4287) آسى : مضارع « أسيت عليه » :

كرضيت أي حزنت .

(4288) يلي أَمْرَ الأمّة : يتولاها و يكون عنها مسؤولا .

(4289) دُوَلاً بضم ففتح جمع دولة بالضم : أي شيئا يتداولونه بينهم .

(4290) الخَوَل محركة : العبيد .

(4291) « حَرْباً » : أي محاربين .

(4292) شرب الحرام : يريد الخمر .

(4293) الرَضَائخ : جمع رضيخة و هي شيء قليل يعطاه الإنسان يصانع به عن شيء يطلب منه كالأجر .

و رضخت له : أعطيت له .

(4294) تَأليبكم : تحريضكم و تحويل قلوبكم عنهم .

(4295) « وَنَيْتم » : أي ضعفتم و فترتم .

(4296) أطْرَاف البلاد : جوانبها .

(4297) انتقصت : حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليها .

(4298) تُزْوَى مبني للمجهول :

تقبض ، و هي من زواه : إذا قبضه عنه .

(4299) تُقِرّوا : تعترفوا .

(4300) الخَسْف : أي الضيم .

[552]

(4301) تَبُوؤوا : أي تعودوا بالذل .

(4302) الأرِق بفتح فكسر : أي الساهر .

(4303) التثبيط : الترغيب في القعود و التخلف .

(4304) رفْع الذيل و شدّ المِئْزر : كناية عن التشمير للجهاد .

(4305) اخْرُج من جُحْرِك : كنى بجحره عن مقرّه .

(4306) « انْدب » : أي ادع من معك .

(4307) إن حقّقْت أي أخذت بالحق و العزيمة فانفذ ، أي امض الينا .

(4308) تفشّلت : أي جبنت .

(4309) الخاثِر : الغليظ ، و الكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة ،

و أصل المثل « لا يدري أ يختر أم يذيب » قالوا : إن المرأة تملأ السمن فيختلط خاثره برقيقه فتقع في حيرة : إن أوقدت النار حتى يصفو احترق ، و إن تركته بقي كدرا .

(4310) تُعْجَل عن قِعْدَتِك : القعدة بالكسر : هيئة القعود ، و أعجله عن الأمر : حال دون إدراكه ،

أي يحال بينك و بين جلستك في الولاية .

(4311) الهُوَيْنى : تصغير الهونى بالضم مؤنث أهون .

(4312) اعْقِل عقلك : قيّده بالعزيمة ،

و لا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .

(4313) بالحَرِيّ : أي بالوجه الجدير بك .

(4314) « لَتُكْفَيَنّ » : بلام التأكيد و نونه ،

أي إنا لنكفيك القتال و نظفر فيه .

(4315) كَرْهاً : أي من غير رغبة . فإن أبا سفيان إنما أسلم قبل فتح مكة بليلة ، خوف القتل ، و خشية من جيش النبي (ص) البالغ عشبرة آلاف و نيّف .

(4316) أنْفُ الاسلام : كناية عن أشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح .

(4317) شَرّدَ به : طرده و فرق أمره .

(4318) المِصْرَانِ : الكوفة و البصرة .

(4319) فاسْتَرْفِهْ : فعل أمر ، أي استح و لا تستعجل .

(4320) الحاصِب : ريح تحمل التراب و الحصى .

(4321) الأغْوَار جمع غَوْر بالفتح :

و هو الغبار .

(4322) الجُلْمُود بالضم : الصخر .

(4323) « أعْضَضْتُه به » : جعلته يعضّه و الباء زائدة .

(4324) أغْلَف القلب : الذي لا يدرك ،

كأن قلبه في غلاف لا تنفذ اليه المعاني .

(4325) مُقَارِب العقل : ناقصه ضعيفه ،

كأنه يكاد يكون عاقلا و ليس به عقل .

(4326) الضَالّة : ما فقدته من مال و نحوه ،

و نشد الضالة : طلبها ليردها ،

مثل يضرب لطالب غير حقه .

(4327) السَائِمَة : الماشية من الحيوان .

(4328) صُرِعُوا مَصَارِعَهُم : سقطوا قتلى في مطارحهم .

(4329) الوَغَى : الحرب .

(4330) « لم تُمَاشِها الهُوَيْنى » : أي لم ترافقها المساهلة .

(4331) الخُدْعَة مثلّثة الخاء : ما تصرف به الصبي عن اللبن و طلبه أول فطامه ، و ما تصرف به عدوّك عن قصدك به في الحروب و نحوها .

(4332) الفِصَال : الفطام .

(4333) اللّمْح الباصر : الأمر الواضح .

(4334) عِيان الأمُور : مشاهدتها و معاينتها .

(4335) الاقْتِحام : إلقاء الناس في الأمر من غير رويّة .

(4336) المَيْن : الكذب .

(4337) انتحالك : ادعاؤك لنفسك .

(4338) ما قَدْ عَلا عنك : ما هو أرفع من مقامك .

(4339) « ابتزازك » أي سلبك .

(4340) اخْتُزِنَ أي منع دون الوصول اليك .

(4341) المراد بالذي هو ألزم له من لحمه و دمه البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين .

(4342) اللَبْس بالفتح : مصدر « لبس عليه الأمر يلبس » كضرب يضرب أي خلطه ، و في التنزيل :

(و للبسنا عليهم ما يلبسون) .

(4343) اللُبْسَة بالضم : الإشكال .

(4344) أغْدَفَت المرأة قِنَاعَها : أرسلته على وجهها فسترته ، و أغدف الليل : أرخى سدوله أي أغطيته

من الظلام . و الجلابيب : جمع جلباب ، و هو الثوب الأعلى يغطي ما تحته ، أي طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخفت الحقيقة .

(4345) أغْشَتِ الأبصار : أضعفتها و منعتها النفوذ إلى المرئيات الحقيقية .

(4346) أفَانِينُ القَوْل : ضروبه و طرائقه .

(4347) السِّلْم : ضد الحرب .

(4348) الأساطير : جمع أسطورة ،

بمعنى الخرافة لا يعرف لها منشأ .

(4349) حاكَه يحوكه : نسجه ، و نسج الكلام : تأليفه .

(4350) الحِلْم بالكسر : العقل .

(4351) الدَهاس كسحاب : أرض رخوة لا هي تراب و لا رمل ، و لكن منهما ، يعسر فيها السير .

(4352) الخابط في السير : الذي لا يهتدي .

(4353) الدِيماس بالكسر : المكان المظلم تحت الأرض .

(4354) المَرْقبة بفتح فسكون : مكان الارتقاب ، و هو العلو و الإشراف ،

أي رفعت نفسك إلى منزلة بعيد عنك مطلبها .

(4355) « نازحة » : أي بعيدة ، و الأعلام :

جمع علم ، و هو ما ينصب ليهتدى به ، أي خفيّة المسالك .

(4356) الأَنُوق كصبور : طير أصلع الرأس ، أصفر المنقار ، يقال :

أعزّ من بيض الأنوق ، إذ تحرزه

[554]

فلا تكاد تظفر به ، لأن أوكارها في القلل الصعبة . و لهذا الطائر خصال عدّها صاحب القاموس .

(4357) العَيّوق بفتح فضم مشدّد نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(4358) الصّدَر بالتحريك : الرجوع بعد الشرب . و الورد بالكسر :

الإشراف على الماء .

(4359) ينهَد : ينهض لحربك .

(4360) أُرْتِجَتْ : أغلقت ، و تقول :

أرتج الباب كرتجه ، أي أغلقه .

(4361) خَلّفَت : تركت .

(4362) أيّام اللّه : هي التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم .

(4363) العَصْرَان : هما الغداة و العشيّ على سبيل التغليب .

(4364) ذِيدَتْ : أي دفعت و منعت ،

مبني للمجهول من « ذاده يذوده » إذا طرده و دفعه .

(4365) وِرْدَها بالكسر : ورودها .

(4366) قِبَلَكَ بكسر ففتح : أي عندك (4367) الفَاقَة : الفقر الشديد .

(4368) الخَلّة بالفتح : الحاجة .

(4369) مَحَابّ بفتح الميم : مواضع محبته من الأعمال الصالحة .

(4370) « كُن آنَسَ ما تكون بها أحْذَرَ ما تكون منها » آنس : أفعل تفضيل من الأنس ، أي أشدّ أنسا ، و هي هنا حال من اسم « كن » ، و أحذر : خبر . و المراد فليكن أشدّ حذرك منها في حال شدة أنسك بها .

(4371) « أشْخَصَتْه » : أي أذهبته .

(4372) اعْتَبِر : قس .

(4373) « حائل » : أي زائل .

(4374) وَثِيق : محكم قويّ .

(4375) « اصْفَحْ مع الدَوْلَة » : أي عند ما تكون لك السلطة .

(4376) تَقْدِمَة كتجربة : مصدر قدّم بالتشديد : أي بذلا و إنفاقا .

(4377) « فَال الرَأي يَفِيلُ » : أي ضعف .

(4378) المَعَارِيض جمع معراض كمحراب ، و هو سهم بلا ريش رقيق الطرفين ، غليظ الوسط ،

يصيب بعرضه دون حدّه .

(4379) « من فُضِّلْت عليه » : أي من دونك ممن فضلك الله عليه .

(4380) « فاصلاً في سبيل الله » : أي خارجا ذاهبا .

(4381) « خُذْ عَفْوَها » : أي وقت فراغها و ارتياحها إلى الطاعة و أصله العفو ، بمعنى ما لا أثر فيه لأحد بملك ، عبر به عن الوقت الذي لا شاغل للنفس فيه .

(4382) « آبق » : أي هارب منه متحوّل عنه .

(4383) قِبَلك بكسر ففتح : أي عندك .

(4384) يتسلّلون : يذهبون واحدا بعد واحد .

[555]

(4385) غَيّاً : ضلالا .

(4386) الإيضاع : الإسراع .

(4387) مُهْطِعُون : مسرعون .

(4388) الأَثَرَة بالتحريك : اختصاص النفس بالمنفعة و تفضيلها على غيرها بالفائدة .

(4389) السُحْق بضم السين : البعد .

(4390) حَزْنُهُ : بفتح فسكون : أي خشنه .

(4391) الهَدْي بفتح فسكون : الطريقة و السيرة .

(4392) رُقِيَ إليّ : رفع و أنهي إليّ .

(4393) العَتاد بالفتح : الذخيرة المعدّة لوقت الحاجة .

(4394) الشِسْع بالكسر : سير بين الإصبع الوسطى و التي تليها في النعل العربي . كأنه زمام و يسمى قبالا ككتاب .

(4395) « جِبَايَة » : أي تحصيل أموال الخراج و نحوه ، عمل من أعمال الدولة .

(4396) نَظّار : كثير النظر . و العطف بالكسر : الجانب ، أي كثير النظر في جانبيه عجبا و خيلاء .

(4397) البُرْدَانِ : تثنية برد بضم الباء و هو ثوب مخطّط ، و المختال :

المعجب .

(4398) الشِرَاكانِ : تثنية شراك ككتاب :

و هو سير النعل كله ، و تفّال :

كثير التفل .

و التّفل بالتحريك : البصاق ،

و إنما يفعله المعجب بشراكيه ليذهب عنهما الغبار و الوسخ ، يتفل فيهما ثم يمسحهما ليعودا كالجديدين .

(4399) دُوَل جمع دولة بالضم : ما يتداول من السعادة في الدنيا .

(4400) مُوَهِّن : مضعف .

(4401) فِراستي بالكسر : أي صدق ظني .

(4402) حَاوَل الأمر : طلبه و رامه ، أي تطالبني ببعض غاياتك كولاية الشام و نحوها .

(4403) تراجعني السطور : أي تطلب مني أن أرجع إلى جوابك بالسطور .

(4404) كالمُسْتَثْقِل النائم : يقول : أنت في محاولتك كالنائم الثقيل نومه :

يحلم أنه نال شيئا ، فإذا انتبه وجد الرؤيا كذبت ، أي عليه ، فأمانيك فيما تطلب شبيهة بالأحلام ، إن هي إلا خيالات باطلة .

(4405) « يُبْهِظه » : أي يثقله و يشقّ عليه مقامه .

(4406) الاستبقاء : الإبقاء ، و المراد إبقائي لك و عدم إرادتي لإهلاكك .

(4407) القَوَارِع أي الدواهي .

(4408) تَقْرَع العظم : أي تصدمه فتكسره .

(4409) « تَهْلِسُ اللحمَ » : أي تذيبه و تنهكه .

(4410) « تَبّطَكَ » : أي أقعدك .

(4411) تَأذَن بفتح الذال : أي تسمع .

[556]

(4412) الحاضر : ساكن المدينة .

(4413) البادي : المتردّد في البادية .

(4414) المِعْتَبَة كالمصطبة : الغيظ .

(4415) « إعْذَارِي » : أي إقامتي على العذر .

(4416) قِبَلَك : أي عندك .

(4417) الوَفْد بفتح فسكون : الجماعة الوافدون ، أي القادمون .

(4418) طَيْرَة من الشيطان بفتح الطاء و سكون الياء أي خفّة و طيش .

(4419) « القرآن حَمّال » : أي يحمل معاني كثيرة .

(4420) « مَحِيصاً » : أي مهربا .

(4421) مُعْجِباً : أي موجبا للتعجّب .

(4422) القَرْح : في الأصل الجرح ، و هو هنا مجاز عن فساد بواطنها .

(4423) العَلَق بالتحريك : الدم الغليظ الجامد .

(4424) المَآب : المرجع .

(4425) وَأيْتُ : وعدت و أخذت على نفسي .

(4426) و إني لأعْبَدُ : أي آنف ، فهو من عبد يعبد ، كغضب يغضب ، عبدا ، و المراد :

إني لآنف من أن يقول غيري قولا باطلا ، فكيف لا آنف أنا من ذلك لنفسي .

(4427) « أخَذُوهم بالباطِل فاقْتَدَوْه » :

كلّفوهم بإتيان الباطل فأتوه ،

و صار قدوة يتبعها الأبناء بعد الآباء .

(4428) ابن اللّبون بفتح اللام و ضم الباء ابن الناقة إذا استكمل سنتين .

(4429) أزْرَى بها : حقرها .

(4430) اسْتَشْعَرَه : تبطّنه و تخلّق به .

(4431) أمّرَ لسانَه : جعله أميرا .

(4432) المُقِلّ بضم فكسر و تشديد اللام الفقير .

(4433) الجُنّة بالضم : الوقاية .

(4434) الحِبَالَة بكسر الحاء ، بزنة كتابة : شبكة الصيد ، و مثله الأحبول و الأحبولة بضم الهمزة فيهما و تقول : حبل الصيد و احتبله ، إذا أخذه بها .

(4435) الاحتمال : تحمّل الأذى .

(4436) « يَنْظُرُ بشحْم » : يريد بالشحم شحم الحدقة .

(4437) « يتَكلّم بلحم » : يريد باللحم :

اللسان .

(4438) « يَسْمَع بعظْم » : يريد عظام الأذن يضربها الهواء فتقرع عصب الصماخ فيكون السماع .

(4439) أطْرَاف النِّعَم : أوائلها .

(4440) أقْصاها : أبعدها ، و المراد آخرها .

(4441) أُتِيح له : قدّر له .

(4442) المَفْتُون : الداخل في الفتنة .

(4443) الحَتْف بفتح فسكون : الهلاك .

(4444) غَيِّرُوا الشّيْبَ : يريد تغييره بالخضاب ليراهم الأعداء كهولا أقوياء .

(4445) قُلّ بضم القاف : أي قليل أهله .

(4446) النِطَاق ككتاب : الحزام العريض ، و اتساعه كناية عن العظم و الانتشار .

(4447) الجِرَان على وزن النطاق :

مقدّم عنق البعير يضرب به على الأرض إذا استراح و تمكن .

(4448) العِنان ككتاب : سير اللجام تمسك به الدابة .

(4449) « عَثرَ بأجَلِه » : المراد أنه سقط في أجله بالموت قبل أن يبلغ ما يريد .

(4450) العَثْرَة : السقطة ، و إقالة عثرته : رفعه من سقطته .

و المروءة بضم الميم : صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير .

(4451) قُرِنَتِ الهَيْبَة بالخَيْبَة : أي من تهيّب أمرا خاب من إدراكه .

(4452) الحَيَاء بالحِرْمَان : أي من أفرط به الخجل من طلب شيء حرم منه .

(4453) « امْشِ بدائِكَ » : أي ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل ، فان أعياك فاسترح له .

(4454) كنت في إدْبَارٍ : أي تركت الموت خلفك و توجّهت اليه ليلحق بك .

(4455) « الموت في إقْبَال » : أي توجه إليك بعد أن تركته خلفك .

(4456) الشّفَق بالتحريك : الخوف .

(4457) تأوّلِ الحكمة : الوصول إلى دقائقها .

(4458) العِبْرَة : الاعتبار و الاتعاظ .

(4459) سُنّة الأوّلين : طريقتهم و سيرتهم .

(4460) غَوْر العلم : سرّه و باطنه .

(4461) زُهْرَة الحكم بضم الزاي : أي حسنه .

(4462) الشرائع جمع شريعة : أصلها مورد الشاربة ، و المراد هنا الظاهر المستقيم من المذاهب ، و « صدر عنها » : أي رجع عنها بعد ما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف فيحسن حكمه .

(4463) « الصدق في المَوَاطِن » : مواطن القتال في سبيل الحق .

(4464) الشّنَآن بالتحريك : البغض .

(4465) التّعَمّق : الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الأسرار .

(4466) الزّيْغ : الحيدان عن مذاهب الحق و الميل مع الهوى الحيواني .

(4467) الشِقَاق : العناد .

(4468) « لم يُنِبْ » : أي لم يرجع ، أناب ينيب : رجع .

(4469) وَعُرَ الطريقُ : ككرم ، و وعد و ولع : خشن و لم يسهل السير فيه .

(4470) أعْضَلَ : اشتدّ و أعجزت صعوبته .

(4471) التّمَارِي : التجادل لإظهار قوة الجدل لا لإحقاق الحق .

(4472) الهَوْل بفتح فسكون : مخافتك من الأمر لا تدري ما هجم عليك منه فتدهش .

(4473) التَردّد : انتقاض العزيمة و انفساخها ثم عودها ، ثم انفساخها .

(4474) الاسْتِسْلام : إلقاء النفس في تيار الحادثات .

(4475) المِرَاء بكسر الميم : الجدال .

(4476) الدَيْدَن : العادة .

(4477) « لم يصبح ليله » : أي لم يخرج من ظلام الشك إلى نهار اليقين .

(4478) نَكَصَ على عَقِبَيْه : رجع متقهقرا .

(4479) الرَيْب : الظنّ ، أي الذي يتردد في ظنه و لا يعقد العزيمة في أمره .

(4480) سَنَابِكُ الشياطين جمع سنبك بالضم : و هو طرف الحافر ،

و وطئته : داسته . أي تستنزله شياطين الهوى فتطرحه في الهلكة .

(4481) المُقَدّر : المقتصد ، كأنه يقدّر كل شيء بقيمته فينفق على قدره .

(4482) المُقَتّر : المضيّق في النفقة ،

كأنه لا يعطي إلا القتر ، أي الرمقة من العيش .

(4483) المُنى جمع منية : و هي ما يتمناه الانسان لنفسه ، و في تركها غنى كامل ، لأن من زهد شيئا استغنى عنه .

(4484) طول الأمَل : الثقة بحصول الأماني بدون عمل لها .

(4485) الدَهَاقِين جمع دهقان : و هو زعيم الفلاحين في العجم . و الأنبار من بلاد العراق .

(4486) « تَرَجّلُوا » : أي نزلوا عن خيولهم مشاة .

(4487) اشتدّوا : أسرعوا .

(4488) تَشُقُّون بضم الشين و تشديد القاف من المشقّة .

(4489) تَشْقَوْن الثانية بسكون الشين :

من الشقاوة .

(4490) الدَعَة بفتحات : الراحة .

(4491) العُجْب بضم فسكون الإعجاب بالنفس و من . أعجب بنفسه مقته الناس ، فلم يكن له أنيس و بات في وحشة دائمة .

(4492) التافه : القليل .

(4493) السَرَاب : ما يراه السائر الظمآن في الصحراء فيحسبه ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

(4494) النوافِل : جمع نافلة ، و هي ما يتطوع به من الأعمال الصالحات زيادة على الفرائض المكتوبة .

و المراد أن المتطوّع بما لم يكتب عليه لا يقربه إلى الله تطوّعه إذا قصّر في أداء الواجب .

(4495) حَذَفَاتُ اللسان : ما يلقيه الأحمق من العبارات العجلى بدون روية و لا تفكير .

(4496) مراجَعَة الفِكر : أي التروي فيما سبق به اللسان .

(4497) مُمَاخَضَة الرأي : تحريكه حتى يظهر زبده ، و هو الصواب .

[559]

(4498) حَتّ الورق عن الشجرة : قشره و الصبر على العلّة رجوع إلى الله و استسلام لقدره ، و في ذلك خروج اليه من جميع السيئات و توبة منها ،

لهذا كان يحتّ الذنوب .

(4499) الكَفَاف : العيش الوسط الذي يكفي الانسان حاجاته الأصلية .

(4500) الخَيْشُوم : أصل الأنف .

(4501) الجمّات جمع جمّة بفتح الجيم و هو من السفينة مجتمع الماء المترشّح من ألواحها ، و المراد لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها و حقيرها .

(4502) الجَدّ بالفتح : الحظ ، و المراد إقبال الدنيا على الانسان .

(4503) التَذَمّم : الفرار من الذم ،

كالتأثّم و التحرّج .

(4504) عَقَرَ : عضّ ، و منه الكلب العقور .

(4505) اللّسْبَة : اللسعة . لسبته العقرب بفتح السين : لسعته .

و المرأة في رأي الامام تشبه العقرب ، لكن لسعتها ذات حلاوة .

(4506) لا تُبَلْ : لا تكترث و لا تهتم .

(4507) يُبَاعِدُ الأمْنِيَة : أي يجعلها بعيدة صعبة المنال .

(4508) نَصِبَ من باب تعب و هو بمعناه مع مزيد الإعياء .

(4509) « نَفَسُ المَرْءِ خُطَاهُ إلى أجَلِه » :

كأن كلّ نفس يتنفسه الإنسان خطوة يقطعها إلى الأجل .

(4510) اعتبر آخرها على أولها : أي قيس فعلى حسب البدايات تكون النهايات .

(4511) أرْخَى سُدُوله : جمع سديل و هو ما أسدل على الهودج ،

و المراد حجب ظلامه .

(4512) يَتَمَلْمَل : لا يستقر من المرض كأنه على ملة ، و هي الرماد الحارّ .

(4513) السليم : الملدوغ من حيّة و نحوها .

(4514) يعْرِض به كتعرّضه : تصدى له و طلبه .

(4515) « لا حَانَ حِينُك » : لا جاء وقت و صولك لقلبي و تمكن حبك منه .

(4516) المَوْرِد : موقف الورود على الله في الحساب .

(4517) القضاء : علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها .

(4518) القَدَر : إيجاد الله للأشياء عند وجود أسبابها ، و لا شيء من القضاء و القدر منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله .

(4519) الخاتم : الذي لا مفرّ من وقوعه حتما .

(4520) « تَلَجْلَجُ » : بحذف إحدى التائين تخفيفا : أي تتحرك .

(4521) الآبَاط جمع إبط و ضرب الآباط : كناية عن شدّ الرّحال و حثّ المسير .

(4522) بَقِيّة السيف : هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا في حفظ شرفهم و دفع الضيم عنهم و فضلوا الموت على الذلّ ، فيكون الباقون شرفاء نجداء ، فعددهم أبقى و ولدهم يكون أكثر ، بخلاف الأذلآء ،

فإنّ مصيرهم إلى المحو و الفناء .

[560]

(4523) مَقَاتِلُه : مواضع قتله .

(4524) جَلَد الغلام : صبره على القتال .

(4525) مَشْهَد الغلام : إيقاعه بالأعداء .

(4526) رَوْح الله : بفتح الراء لطفه و رأفته .

(4527) مَكْرُ الله : أخذه للعبد بالعقاب من حيث لا يشعر .

(4528) طرائِف الحكم : غرائبها المستطرفة .

(4529) « أوْضَع العلمِ » : أي أدناه .

(4530) ما وقف على اللسان : أي لم يظهر أثره في الأخلاق و الأعمال .

(4531) أركان البدن : أعضاؤه الرئيسة كالقلب و المخ .

(4532) تثمير المال : إنماؤه بالربح .

(4533) انثلام الحال : نقصه .

(4534) لُحْمَتُهُ بالضم : أي نسبه .

(4535) الحَرُورِيّة : بفتح الحاء : الخوارج الذين خرجوا على عليّ بحروراء .

(4536) « يتهجّد » : أي يصلي بالليل .

(4537) إقْرَار بالمُلْك : لأن اللام في قوله تعالى (إنا لله) هي لام التمليك .

(4538) الهُلْك بالضم : الهلاك .

(4539) المراد استصغارها في الطلب لتعظم بالقضاء .

(4540) اسْتِكْتَامُها : أي الحرص على كتمانها عند محاولتها لتظهر بعد قضائها ، فلا تعلم إلا مقضية .

(4541) تَهْنُؤ : أي تصير هنيئة فيمكن التمتع بها .

(4542) الماحِل : الساعي في الناس بالوشاية (4543) يُظَرّف : بتشديد الراء مبنيا للمجهول : يعدّ ظريفا .

(4544) يضعّف : بالتشديد مبنيا للمجهول يعدّ ضعيفا .

(4545) الغُرْم بالضم : أي الغرامة .

(4546) المَنّ : ذكرك النعمة على غيرك مظهرا بها الكرامة عليه .

(4547) الاستطالة على الناس : التفوّق عليهم و التزيّد عليهم في الفضل .

(4548) أراد « بالرامِق » منتبه العين ، في مقابلة الراقد بمعنى النائم ، يقال :

رمقه ، إذا لحظه لحظا خفيفا .

(4549) شِعاراً : يقرؤونه سرا للاعتبار بمواعظه و التفكّر في دقائقه ، و أصل الشعار : ما يلي البدن من الثياب .

(4550) دِثاراً : أصل الدثار ما يعلو البدن من الثياب . و المراد من اتخاذهم الدعاء دثارا جهرهم به إظهارا للذلّة و الخضوع لله .

(4551) قَرَضوا الدنيا : مزقوها كما يمزّق الثوب المقراض .

(4552) على منهاج المسيح : طريقه في الزهادة .

(4553) العَشّار : من يتولى أخذ أعشار المال ، و هو المكّاس .

(4554) العَرِيف : من يتجسّس على أحوال الناس و أسرارهم فيكشفها لأميرهم مثلا .

(4555) الشُرْطي بضم فسكون نسبة إلى الشُرْطة : واحد الشرط كرطب : و هم أعوان الحاكم .

[561]

(4556) أي لا تنتهكوا نهيه عنها بإتيانها ،

و الانتهاك : الإهانة و الإضعاف .

(4557) لا تتكلّفوها : أي لا تكلّفوا أنفسكم بها بعد ما سكت الله عنها .

(4558) النِيَاط ككتاب : عرق معلّق به القلب .

(4559) البَضْعة بفتح الباء القطعة من اللحم ، و المراد بها هاهنا القلب .

(4560) سَنَحَ له : بدا و ظهر .

(4561) التَحفّظ : هو التوقّي و التّحرّز من المضرات .

(4562) الغِرّة بالكسر : الغفلة ،

و « استلبته » : أي سلبته و ذهبت به عن رشده .

(4563) أفَاد المال : استفاده .

(4564) الفاقة : الفقر .

(4565) جَهَدَهُ : أعياه و أتعبه .

(4566) « كَظّتْهُ » : أي كربته و آلمته .

(4567) البِطْنَة بالكسر : امتلاء البطن حتى يضيق النفس .

(4568) النُمْرُقَةُ بضم فسكون فضم ففتح : الوسادة ، و آل البيت أشبه بها للاستناد اليهم في أمور الدين ، كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر و اطمئنان الأعضاء ، و وصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها ،

فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه ، و آل البيت على الصراط الوسط العدل ، يلحق بهم من قصر ، و يرجع اليهم من غلا و تجاوز .

(4569) الغالي : المبالغ المجاوز للحدّ .

(4570) « لا يُصانع » : أي لا يداري في الحق .

(4571) المُضارَعَة : المشابهة ، و المعنى أنه لا يتشبه في عمله بالمبطلين .

(4572) اتباع المطامع : الميل معها و إن ضاع الحق .

(4573) تَهَافَتَ : تساقط بعد ما تصدّع .

(4574) أعْوَدُ : أنفع .

(4575) العُجْب بضم العين : الإعجاب بالنفس .

(4576) « الحَوْبَة » : هي الإثم .

(4577) « غَرّرَ » : أي أوقع بنفسه في الغرر و هو الخطر .

(4578) « يفنى ببقائه » : كلما طال عمره و هو البقاء تقدم إلى الفناء .

(4579) « يَسْقَمُ بصحّته » : أي كلما مدّت عليه الصحة تقرب من مرض الهرم ،

و سقم كفرح : مرض .

(4580) « يأتيه الموت من مأمنه » : أي الجهة التي يأمن إتيانه منها ، فان أسبابه كامنة في نفس البدن .

(4581) المُسْتَدْرَج : هو الذي تابع اللّه نعمته عليه و هو مقيم على عصيانه ،

إبلاغا للحجة و إقامة للمعذرة في أخذه .

(4582) ابْتَلى : امتحن .

(4583) الإملاء له : الإمهال .

[562]

(4584) الغالي : المتجاوز الحد في حبه بسبب غيره ، أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك .

(4585) القالي : المبغض الشديد البغض .

(4586) « سَفْر » : أي مسافرون .

(4587) سَنُبَوّئهم : ننزلهم .

(4588) أجْداثهم : قبورهم .

(4589) « التُرَاث » : أي الميراث .

(4590) الجائحة : الآفة تهلك الأصل و الفرع .

(4591) الخَلِيقة : الخلق و الطبيعة .

(4592) « غَيْرَة المرأة كُفْرٌ » : أي تؤدي إلى الكفر ، فانها تحرم على الرجل ما أحلّ اللّه له من زواج متعددات ، أما غيرة الرجل فتحريم لما حرّمه اللّه ، و هو الزنى .

(4593) « البخيل يستعجل الفقر » : يريد أنه يهرب من الفقر بجمع المال ،

و تكون له الحاجة فلا يقضيها ،

و يكون عليه الحق فلا يؤديه .

(4594) « تَوَقّوا البرد » : أي احفظوا أنفسكم من أذاه .

(4595) تَلَقّوه : استقبلوه .

(4596) آخِرُه يُورِق : لأن البرد في آخره يمس الأبدان بعد تعودها عليه ،

فيكون عليها أخف .

(4597) المُوحِشَة : الموجبة للوحشة ضد الأنس .

(4598) المَحَالّ جمع محلّ : أي الأركان المقفرة ، من « أقفر المكان » إذا لم يكن به ساكن و لا نابت .

(4599) الفَرَط بالتحريك المتقدّم إلى الماء ، للواحد و للجمع ، و الكلام هنا على الإطلاق ، أي المتقدمون .

(4600) التَبَع بالتحريك : التابع .

(4601) تَجَرّمَ عليه : ادّعى عليه الجرم بالضم : أي الذنب .

(4602) استهواه : ذهب بعقله و أذله فحيره .

(4603) المَصارِع جمع المصرع و هو مكان الانصراع ، أي السقوط أي مكان سقوط آبائك من الفناء .

(4604) البِلى بكسر الباء : الفناء بالتحلل .

(4605) الثَرَى : التراب .

(4606) عَلّل المريض : خدمه في علته كمرّضه : خدمه في مرضه .

(4607) اسْتَوْصَفَ الطبيبَ : طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء .

(4608) إشفاقك : خوفك .

(4609) الطِلْبَة بالكسر ، و بفتح فكسر المطلوب ، و أسعفه بمطلوبه : أعطاه إياه على ضرورة إليه .

(4610) « مَثّلَتْ لك به الدنيا نَفْسَكَ » :

أي أن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالا لنفسك تقيسها عليه .

(4611) تزَوّدَ : أي أخذ منها زاده للآخرة .

(4612) آذَنَتْ بمدّ الهمزة : أي أعلمت أهلها .

[563]

(4613) بَيْنها : أي بعدها و زوالها عنهم .

(4614) نَعَاه : إذا أخبر بفقده .

(4615) راح اليه : وافاه وقت العشي ،

أي أنها تمشي بعافية .

(4616) « تَبْتَكِر » : أي تصبح .

(4617) فَجِيعة : أي مصيبة فاجعة .

(4618) لِدُوا : فعل أمر من الولادة لجماعة المخاطبين .

(4619) أوْبَقَها : أهلكها .

(4620) ابْتَاع نفسه : اشتراها و خلصها من أسر الشهوات .

(4621) حُسْنُ التَبَعّل : إطاعة الزوج .

(4622) عَالَ : افتقر .

(4623) حَبِطَ عمله : بطل ، لأنه يحرم ثوابه .

(4624) الأكياس : جمع كيّس بتشديد الياء : أي العقلاء العارفون يكون نومهم و فطرهم أفضل من صوم الحمقى و قيامهم .

(4625) سُوسُوا : أمر من السياسة : و هي حفظ الشيء بما يحوطه من غيره و الصدقة تستحفظ الشفقة ، و الشفقة تستزيد الايمان و تذكر الله .

(4626) الجَبّان : كالجَبّانة : المقبرة .

(4627) « أصْحَرَ » : أي صار في الصحراء .

(4628) تنفّسَ الصُعَدَاء : أي تنفس تنفسا ممدودا طويلا .

(4629) أوْعِيَة : جمع وعاء و هو الإناء و ما أشبهه .

(4630) أوْعَاها : أشدّها حفظا .

(4631) العالم الرَبّانيّ : العارف بالله ،

المنسوب إلى الرب .

(4632) الهَمَج محركة : الحمقى من الناس .

(4633) الرَعَاع كسحاب : الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس .

(4634) الناعِق : مجاز عن الداعى إلى باطل أو حق .

(4635) يَزْكُو : يزداد نماء .

(4636) الحَمَلَة بالتحريك : جمع حامل ، و « أصبت » بمعنى وجدت ، أي لو وجدت له حاملين لأبرزته و بثثته .

(4637) اللَقِنُ بفتح فكسر : من يفهم بسرعة .

(4638) المُنْقَادُ لحاملي الحقّ : هو المنساق المقلّد في القول و العمل ، و لا بصيرة له في دقائق الحق و خفاياه ،

فذاك يسرع الشك إلى قلبه لأقل شبهة .

(4639) في أحنائه : أي جوانبه ، و مفردها حنو .

(4640) المَنْهوم : المفرط في شهوة الطعام .

(4641) سَلِس القِياد : سهله .

(4642) المُغْرَم بالجمع : المولع بجمع المال .

(4643) ادّخَار المال : اكتنازه .

(4644) « الأنْعَام » : البهائم .

(4645) السائمة : التي ترسل لترعى من غير أن تعلف .

[564]

(4646) مغمورا : غمره الظلم حتى غطّاه فهو لا يظهر .

(4647) اسْتَلانُوا : عدّوا الشيء لينا .

(4648) اسْتَعْوَرَه : عدّه وعرا خشنا .

(4649) المُتْرَفُون : أهل الترف و النعيم .

(4650) يُرَجّي التوبة بالتشديد : أي يؤخر التوبة .

(4651) يُقيم على الشيء : يداوم على إتيانه .

(4652) سَقِمَ : مرض .

(4653) يَسْتَيْقِن : يكون على ثقة و يقين .

(4654) بَطِرَ كفرح : اغتر بالنعمة ،

و الغرور فتنة .

(4655) القنوط : اليأس .

(4656) الوَهْن : الضعف .

(4657) أسْلَف : قدم .

(4658) سَوّفَ : أخّر .

(4659) عَرَتْه مِحْنَة : عرضت له مصيبة و نزلت به .

(4660) انفَرَج عنها : انخلع و بعد .

(4661) شرائط المِلّة : الثبات و الصبر ،

و استعانة بالله .

(4662) العِبْرة بالكسر : تنبّه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من إتيان أسبابه .

(4663) أدَلّ على أقرانه : استعلى عليهم .

(4664) الغُنْم بالضم : الغنيمة .

(4665) المَغْرَم : الغرامة .

(4666) بادره : عاجله قبل أن يذهب .

(4667) الفَوْت : فوات الفرصة و انقضاؤها .

(4668) اعْتَصِموا : تحصّنوا .

(4669) الذِمَم : العهود .

(4670) الأوتاد : جمع وتد ، و هو ما رزّ في الأرض أو الحائط من خشب ،

و يريد بالأوتاد هنا الرجال أهل النجدة الذين يوفون بها .

(4671) « من لا تُعْذَرُونَ بجهالَتِه » : أي عليكم بطاعة عاقل لا تكون له جهالة تعتذرون بها عند البراءة من عيب السقوط في مخاطر أعماله فيقل عذركم في اتباعه .

(4672) « بُصّرْتُم إن أبْصرْتم » : أي إن كانت لكم أبصار فأبصروا .

(4673) « اسْتَأْثَرَ » : أي استبد .

(4674) الخِيَرَة : الخيار .

(4675) « الإعْجاب يمنع الازْدِياد » :

من أعجب بنفسه وثق بكمالها فلم يطلب لها الزيادة في الكمال ،

فلا يزيد بل ينقص .

(4676) أمر الآخرة قريب ، و الاصطحاب في الدنيا قصير الزمن قليل .

(4677) أحَدّ بفتح الهمزة و الحاء و تشديد الدال : أي شحذ .

(4678) السِنَان : نصل الرمح .

(4679) هِبْت أمراً : خفت منه .

(4680) تَوَقّيه : الاحتراز منه .

(4681) « ازجر المسيء بثواب المُحسن » :

أي إذا كافأت المحسن على إحسانه أقلع المسيء عن إساءته طلبا للمكافأة .

[565]

(4682) اللّجَاجة : شدة الخصام تعصبا ،

لا للحقّ ، و هي تسلّ الرأي ،

أي تذهب به و تنزعه .

(4683) « بكفّه عَضّة » : أي يعض الظالم على يده ندما يوم القيامة .

(4684) وشِيك : قريب . أي أن الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب .

(4685) إبْدَاء الصفحة : إظهار الوجه ،

و المراد الظهور بمقاومة الحق .

(4686) غُيّبُ : جمع غائب : يريد بالمشيرين أصحاب الرأي في الأمر ،

و هم علي و أصحابه من بني هاشم (4687) خَصِيمُهم : المجادل باسمهم ،

و يريد احتجاج أبي بكر رضي الله عنه على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي (ص) .

(4688) الغَرَض بالتحريك : ما ينصب ليصيبه الرامي .

(4689) « تَنْتَضِل فيه » : أي تصيبه و تثبت فيه .

(4690) المَنايا جمع مَنِيّة : و هي الموت .

(4691) النَهْب بفتح فسكون : ما ينهب .

(4692) الشَرَق بالتحريك : وقوف الماء في الحلق ، أي مع كل لذة ألم .

(4693) المَنُون بفتح الميم : الموت .

(4694) أنفسنا نَصْب الحُتُوف : أي تجاهها . و الحتوف جمع حتف : أي هلاك .

(4695) الشَرَف : المكان العالي ، و المراد به هنا كل ما علا من مكان و غيره .

(4696) الغَوْغَاء بغينين معجمتين :

أوباش الناس يجتمعون على غير ترتيب .

(4697) الأجَل : ما قدره الله للحي من مدّة العمر .

(4698) جُنّة حصينة : وقاية منيعة .

(4699) الأوَد : بلوغ الأمر من الإنسان مجهوده لشدّته و صعوبة احتماله .

(4700) الشِماس بالكسر : امتناع ظهر الفرس من الركوب .

(4701) الضَرُوس بفتح فضم : الناقة السيّئة الخلق تعض حالبها ، أي إن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها و تلين بعد خشونتها ، كما تنعطف الناقة على ولدها ، و إن أبت على الحالب .

(4702) كَمّشَ بتشديد الميم : جدّ في السوق ، أي و بالغ في حث نفسه على المسير إلى الله ، و لكن مع تمهل البصير .

(4703) الوَجَل : الخوف .

(4704) المَوْئِل : مستقرّ السير ، يريد به هنا ما ينتهي اليه الانسان من سعادة و شقاء ، و كرته : حملته و إقباله .

(4705) المَغَبّة بفتح الميم و الغين و تشديد الباء : العاقبة ، إلا أنه يلاحظ فيها مجرد كونها بعد الأمر . أما العاقبة ففيها أنها مسببة عنه ،

و المصدر : عملك الذي يكون عنه ثوابك و عقابك : و المرجع : ما ترجع اليه بعد الموت و يتبعه إما السعادة و إما الشقاوة .

(4706) الفِدَام ككتاب ، و سحاب ،

و قد تشدّد الدال أيضا مع الفتح :

شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي ، أي : و إذا حلمت فكأنك ربطت فم السفيه بالفدام فمنعته من الكلام .

(4707) السُلُوّ : الهجر و النسيان .

(4708) الحِدْثان بكسر فسكون :

نوائب الدهر ، و الصبر يناضلها :

أي يدافعها .

(4709) الجَزَع : شدّة الفزع .

(4710) المُنى بضم ففتح : جمع منية ،

و هي ما يتمناه الانسان .

(4711) المَلُول بفتح الميم : السريع الملل و السآمة .

(4712) العُجْب بضم العين إعجاب المرء بنفسه .

(4713) الإغْضاء على الشيء : كناية عن تحمله .

(4714) القَذَى : الشيء يسقط من العين .

(4715) يريد من « لين العُود » : طراوة الجثمان الإنساني و نضارته بحياة الفضل و ماء الهمّة . و كثافة الأغصان كثرة الآثار التي تصدر عنه كأنها فروعه ، و يريد بها كثرة الأعوان .

(4716) « نال » : أي أعطى ، يقال :

نلته على وزن قلته : أي أعطيته .

(4717) الاستطالة : الاستعلاء بالفضل .

(4718) سُقْم المَوَدّة : ضعف الصداقة .

(4719) النَصَفَة بالتحريك : الإنصاف .

(4720) المُوَاصِلُون : أي المحبّون .

(4721) المُؤن بضم ففتح جمع مؤونة :

و هي القوت .

(4722) السُؤدَد : الشرف .

(4723) المُناوِىء : المخالف المعاند .

(4724) التَاطَ : التصق .

(4725) تُضْعَف : مجهول من « أضعفه » إذا جعله ضعفين .

(4726) المُبَارَزة : بروز كلّ للآخر ليقتتلا .

(4727) مصروع : مغلوب مطروح .

(4728) الزَهْو بالفتح : الكبر .

(4729) « مَزْهُوّة » : أي متكبّرة .

(4730) فَرِقَتْ كفرحت أي : فزعت .

(4731) العِرَاق بكسر العين : هو من الحشا ما فوق السرّة معترضا البطن .

(4732) المَجْذُوم : المصاب بمرض الجذام .

(4733) الغَصِيب : أي المغصوب .

(4734) القَلِيب بفتح فكسر : البئر .

(4735) الذَنُوب بفتح فضم : الدلو الكبير .

(4736) ازدحام الجواب : تشابه المعاني حتى لا يدري أيها أوفق بالسؤال .

[567]

(4737) نِفَار النِعَم : نفورها بعدم أداء الحق منها فتزول .

(4738) الرّحِم هنا كناية عن القرابة ،

و المراد أن الكريم ينعطف للاحسان بكرمه أكثر مما ينعطف القريب بقرابته .

(4739) العَزَائم : جمع عزيمة ، و هي ما يصمم الإنسان على فعله . و فسخ العزائم : نقضها .

(4740) العُقُود : جمع عقد ، بمعنى النية تنعقد على فعل أمر .

(4741) تَقْرِبَةً : أي سببا لتقرّب أهل الدين بعضهم من بعض ، إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد .

(4742) مَنْماة : إكثار و تنمية .

(4743) الشهادات : هي ما يدلي به الشهداء على حقوق الناس .

(4744) استظهاراً : إسنادا و تقوية .

(4745) المُجاحَدات : جمع مجاحدة :

و هي الإنكار و الجحود .

(4746) تُؤثِرُ : أي تحب .

(4747) الرَوَاح : السير من بعد الظهر .

(4748) الإدْلاج : السير من أول الليل .

(4749) نائبة : مصيبة .

(4750) أمْلَقتم : افتقرتم .

(4751) تَتَعَرّق أموالهم : من قولهم « تعرّق فلان العظم » أي أكل جميع ما عليه من اللحم .

(4752) الجَحْفَلَة : بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة للخيل و البغال و الحمير بمنزلة الشفة للإنسان .

(4753) اعْذِبُوا : أي أعرضوا و اتركوا .

(4754) الفَتّ : الدق و الكسر ، وفتّ في ساعده من باب نصر أي أضعفه كأنه كسره .

(4755) مَعَاقِدُ العزيمة : مواضع انعقادها و هي القلوب ، و قدح فيها : بمعنى خرقها كناية عن أوهنها .

(4756) « يكسر عنه » : يؤخّر عنه .

(4757) العَدْو بفتح فسكون : الجري .

(4758) الياسِرُون : اللاعبون بالميسر ،

و هو القمار .

(4759) يتضاربون بالقِداح : أي يقامرون بالسهام على النصيب من الناقة .

(4760) الجَزُور بفتح الجيم الناقة المجزورة ، أي المنحورة .

(4761) فَلَجَ : من باب ضرب و نصر :

فاز و انتصر .

(4762) العِضاض بكسر العين : أصله عضّ الفرس ، مجاز عن إهلاكها للمتحاربين .

(4763) فَزِع المسلمون : لجؤوا إلى طلب رسول الله ليقاتل بنفسه .

(4764) الحَمْيُ بفتح فسكون مصدر « حميت النار » : اشتدّ حرّها .

(4765) مُجْتَلَد : مصدر ميمي من الاجتلاد ، أي الاقتتال .

(نهج البلاغة م 46)

[568]

(4766) اسْتَحرّ : اشتدّ ، و الجلاد :

القتال .

(4767) النُخَيْلَة بضم ففتح : موصع بالعراق اقتتل فيه الإمام مع الخوارج بعد صفّين .

(4768) المَقُود : اسم مفعول ، و القادة :

جمع قائد .

(4769) الوَزَعَة محرّكة جمع وازع بمعنى الحاكم ، و الموزوع :

المحكوم .

(4770) « أين تَقَعَانِ مما أُريد » : أي أين أنتما و ما هي منزلتكما من الأمر الذي أريده ؟ و هو يحتاج إلى قوة عظيمة ، فلا موقع لكما منه .

(4771) أتُرَاني بضم التاء « مبني للمجهول » أي : أتظنني .

(4772) حِرْت : من « حار » أي تحير .

(4773) أتى الحَقّ : أخذ به .

(4774) يُغْبَط مبني للمجهول : أي يغبطه الناس و يتمنون منزلته لعزّته .

(4775) « أحْسِنُوا في عَقِب غيركم . . . » الخ : أي كونوا رحماء بأبناء غيركم يرحم غيركم أبناءكم . فالعقب هنا يراد به النسل و الأبناء .

(4776) نَقَفَهُ : ضربه .

(4777) الهَوْن بالفتح : الحقير ، و المراد منه هنا الخفيف لا مبالغة فيه .

(4778) « وَجِيهاً » : أي ذا منزلة عليّة من القرب إليه سبحانه .

(4779) لم يَخْفَ عليه : لم يغب عنه .

(4780) عُرُوضهم : جمع عرض بفتح فسكون و هو المتاع غير الذهب و الفضة .

(4781) المَدَاحِض : المزالق ، يريد بها الفتن التي ثارت عليه .

(4782) الذكر الحكيم : القرآن .

(4783) المُسْتَدْرَج : الذي يمهله الله و يمدّ له في النعمة مدّا .

(4784) المُبْتَلى : الممتحن بالبلايا .

(4785) « مُوردٌ غير مُصْدِرٍ » : أي من ورده هلك فيه ، و لم يصدر عنه .

(4786) شَرِقَ كتعب أي غصّ .

(4787) غُبْر الليلة بضم الغين و سكون الباء : بقيّتها .

(4788) الدَهْماء : السوداء .

(4789) كَشّرَ عن أسنانه : كضرب أبداها في الضحك و نحوه .

(4790) الأغَرّ : أبيض الوجه .

(4791) مَمْلُول : يسأم منه و يتضجّر .

(4792) الرَوِيّة بفتح فكسر فتشديد :

إعمال العقل في طلب الصواب .

(4793) الغِرّة بالكسر : الغفلة .

(4794) « جاهِلُكم يزداد » : أي يغالي و يزداد في العمل على غير بصيرة .

(4795) عالمُكم يُسَوّف بعمله : أي يؤخّره عن أوقاته .

[569]

(4796) الإنظار : أي التأخير .

(4797) مُؤجّل : قد أجّل الله عمره .

(4798) يراد هنا بالتسويف تأخير الأجل و الفسحة في مدّته .

(4799) أرْذَلَه : جعله رذيلا .

(4800) « حَظَرَه عليه » أي : حرمه منه .

(4801) « بَدّهُم » أي : كفّهم عن القول و منعهم .

(4802) نَقَعَ الغليلَ : أزال العطش .

(4803) الليث : الأسد ، و الغاب جمع غابة ، و هي الشجر الكثير الملتفّ يستوكر فيه الأسد .

(4804) الصِلّ بالكسر : الحيّة .

(4805) أدْلى بحجّته : أحضرها .

(4806) بَدَهَهُ الأمرُ : فجأه و بغته .

(4807) التَوَعّد : الوعيد ، أي : لو لم يوعد على معصيته بالعقاب .

(4808) مأزُور : مقترف للوزر ، و هو الذنب .

(4809) حَزَنَكَ : أكسبك الحزن .

(4810) الجَلَل بالتحريك : الهين الصغير ،

و قد يطلق على العظيم ، و ليس مرادا هنا .

(4811) المائِق : الأحمق .

(4812) الرِدْف بالكسر : الراكب خلف الراكب .

(4813) الثُكْل بالضم : فقد الأولاد .

(4814) الحَرَب بالتحريك : سلب المال .

(4815) إقْبَال القلوب : رغبتها في العمل ،

و إدبارها : مللها منه .

(4816) « نَبَأ ما قَبْلَنا » أي خبرهم في قصص القرآن ، و « نبأ ما بعدنا » الخبر عن مصير أمورهم ، و هو يعلم من سنّة الله فيمن قبلنا ،

و « حكم ما بيننا » في الأحكام التي نصّ عليها .

(4817) رَدّ الحجر : كناية عن مقابلة الشر بالدفع على فاعله ليرتدع عنه ،

و هذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن .

(4818) ألِقْ دَوَاتك : ضع الليقة فيها .

(4819) جِلْفة القلم بكسر الجيم : ما بين مبراه و سنته .

(4820) القَرْمطة بين الحروف : المقاربة بينها و تضييق فواصلها .

(4821) مَنْقَصة : نقص و عيب .

(4822) مُعْضِلَة : أي أحجية بقصد المعاياة .

(4823) شِبَام ككتاب : اسم حي .

(4824) الرَنِين : صوت البكاء .

(4825) مَذَلّة : أي موجبة للذلّ .

(4826) الأكْياس جمع كيّس و هم العقلاء .

(4827) العَجَزَة جمع عاجز : و هم المقصرون في أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم .

(4828) الوَزَعَة بالتحريك : جمع وازع ، و هو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة .

[570]

(4829) البِشْر بالكسر : البشاشة و الطلاقة .

(4830) « مَغْمُور » : أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه و ملّته .

(4831) ضَنِين : بخيل .

(4832) الخَلّة بالفتح : الحاجة .

(4833) الخَلِيقة : الطبيعة .

(4834) العَرِيكَة : النفس .

(4835) الصَلْد : الحجر الصلب .

(4836) مَطْبوع العلم : ما رسخ في النفس و ظهر أثره في أعمالها ، و مسموعه :

منقوله و محفوظه ، و الأول هو العلم حقا .

(4837) إقْبَال الدولة : كناية عن سلامتها و علوّها ، كأنّها مقبلة على صاحبها تطلبه للأخذ بزمامها ، و إن لم يطلبها .

(4838) « السَرَائِر مَبْلُوّة » : بلاها الله و اختبرها و علمها .

(4839) المَنْقُوص : المأخوذ عن رشده و كماله .

(4840) المَدْخُول : المغشوش ، مصاب بالدخل بالتحريك و هو مرض العقل و القلب .

(4841) أصْلَبُهُم عُوداً : المراد أشدّهم تمسكا بدينه .

(4842) تَنْكَؤه : تسيل دمه و تجرحه .

(4843) اللحظة : النظرة إلى مشتهى .

(4844) تَسْتَحِيله : تحوّله عما هو عليه .

(4845) مَلَق بالتحريك : تملّق ،

و العيّ بالكسر : العجز .

(4846) كابَدَها : قاساها بلا إعداد أسبابها ، فكأنه يحاذيها و تطارده .

(4847) عَطِبَ : انكسر ، و المراد خسر .

(4848) الغَلَبَة : القهر .

(4849) « يُظاهِرُ » أي يعاون .

(4850) الظَلَمَة : جمع ظالم .

(4851) فخماً : أي عظيما ضخما .

(4852) الوَرِق بفتح فكسر : الفضّة ،

أي ظهرت الفضة ، فأطلعت رؤوسها كناية عن الظهور ، و وضح هذا بقوله : « إن البناء يصف لك الغنى » : أي يدل عليه .

(4853) « هذا الأمر » : أي الموت لم يكن تناوله لصاحبكم أول فعل له و لا آخر فعل له ، بل سبقه ميتون و سيكون بعده ، و قد كان ميتكم هذا يسافر لبعض حاجاته فاحسبوه مسافرا ، و إذا طال زمن سفره فإنكم ستتلاقون معه و تقدمون عليه عند موتكم .

(4854) وَجِلِين : خائفين .

(4855) فَرِقِين : فزعين .

(4856) اخْتِباراً : امتحانا من الله .

(4857) ضَيّعَ مَأمُولاً : خسر أجرا كان يرتجيه .

(4858) أسْرَى : جمع أسير ، و الرغبة :

الطمع .

(4859) أقْصِرُوا : كفّوا .

[571]

(4860) المُعَرّج : المائل إلى الشيء و المعوّل عليه .

(4861) يُرَوّعُهُ : يفزعه .

(4862) الصَرِيف : صوت الأسنان و نحوها عند الاصطكاك .

(4863) الحِدْثان بالكسر : النوائب .

(4864) تَوَلّى الشيءَ : تحمّل ولايته ليقوم به .

(4865) الضَرَاوة : اللهج بالشيء و الولوع به ، أي : كفّوا أنفسكم عن اتباع ما تدفع إليه عاداتها .

(4866) الحاجتان : الصلاة على النبي و حاجتك ، و الأولى مقبولة مجابة قطعا .

(4867) ضَنّ : بخل .

(4868) المِراء : الجدال في غير حقّ ،

و في تركه صون للعرض عن الطعن .

(4869) الخُرْق بالضم : الحمق و ضدّ الرفق .

(4870) الأناة : التأنّي .

(4871) الفُرْصة : ما يمكّنك من مطلوبك .

(4872) « لا تَسْأل عمّا لا يكون » :

أي لا تتمن من الأمور بعيدها ،

فكفاك من قريبها ما يشغلك .

(4873) الاعْتِبار : الاتعاظ بما يحصل للغير و يترتب على أعماله .

(4874) مُنْذِر : مخوّف محذّر .

(4875) التَجَنّب : الترك .

(4876) العلم يهتف بالعمل : يطلبه و يناديه .

(4877) الحُطام كغراب : ما تكسر من يبس النبات .

(4878) « مُوبِيء » : أي ذو وباء مهلك .

(4879) مَرْعاه : محلّ رعيه و التناول منه .

(4880) القُلْعَة بالضم : عدم سكونك للتوطّن .

(4881) « أحظى » أي : أسعد .

(4882) طُمَأنينتها : سكونها و هدوءها .

(4883) البُلْغَة بالضم : مقدار ما يتبلّغ به من القوت .

(4884) أزْكَى : هنا أنمى و أكثر .

(4885) المُكْثِرُ بالدنيا حكم الله عليه بالفقر ،

لأنه كلما أكثر زاد طمعه و طلبه ،

فهو في فقر دائم إلى ما يطمع فيه .

(4886) غَنِيَ كرضي استغنى .

(4887) رَاقَه : أعجبه و حسن في عينه .

(4888) الزِبْرِج بكسر فسكون فكسر :

الزينة .

(4889) أعْقَبَت الشيءَ : تركته عقبها :

أي بعدها .

(4890) الكَمَهُ محركة : العمى .

(4891) الشَغَف بالغين محركة : الولوع و شدّة التعلّق .

(4892) الأشْجان : الأحزان .

(4893) رَقْص بالفتح و بالتحريك :

حركة واثب .

(4894) سُوَيْداء القلب : حبّته .

(4895) الكَظَم محركة : مخرج النفس .

(4896) يُلْقى : يطرح و ينبذ .

[572]

(4897) الأبْهَرَان : وريدا العنق ،

و انقطاعهما : كناية عن الهلاك (4898) إلقاؤه : المراد هنا طرحه في قبره .

(4899) الاعتبار : أخذ العبرة و العظة .

(4900) يَقْتَات : يأخذ من القوت .

(4901) بطْن الاضطِرَار : ما يكفي بطن المضطر ، و هو ما يزيل الضرورة .

(4902) المَقْت : الكره و السخط .

(4903) « فلان أثْرَى » أي : استغنى .

(4904) أكْدَى : أي افتقر .

(4905) أبْلَسَ : يئس و تحيّر ، و يوم الحيرة : يوم القيامة .

(4906) ذِيادة بالذال أي : منعا لهم عن المعاصي الجالبة للنقم .

(4907) حِيَاشَة : من « حاش الصيد » جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة و يسوقه إليها ليصيده ،

أي : سوقا إلى جنّته .

(4908) لَها : تلهّى بلذّاته .

(4909) لَغَا : أتى باللغو ، و هو ما لا فائدة فيه .

(4910) خَلَف بفتح اللام ما يخلف الشيء و يأتي بعده .

(4911) السُهْمَة بالضم : النصيب .

(4912) « انتظم الراحة » : من قولك « انتظمه بالرمح » أي :

أنفذه فيه ، كأنه ظفر بالراحة .

(4913) تَبَوّأ : أنزل .

(4914) الخَفْض : أي السعة ، و الدعة بالتحريك كالحفض ، و الإضافة على حد « كرى النوم » .

(4915) الرَغْبَة : الطمع .

(4916) النَصَب بالتحريك : أشد التعب (4917) المَطِيّة : ما يمتطى و يركب من دابّة و نحوها .

(4918) اسْتَنْكَفَ : رفض و أبي .

(4919) « عَرّضَها » : أي جعلها عرضة ،

أي نصبها له .

(4920) بَرِىءَ : سلم و تخلّص من الإثم .

(4921) « أشرف الخَصْلَتَين » : من إضافة الصفة للموصوف ، أي الخصلتين الفائقتين في الشرف عن الثالثة ،

و ليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدّد .

(4922) النَفْثَة كالنفخة : يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ .

(4923) لُجّيّ : كثير الموج .

(4924) تُغْلَبُون عليه : بمعنى يحدث أثرا شديدا عليكم إذا قمتم به .

(4925) مَرِيء : من « مرأ الطعام » مثلثة الراء مراءة ، فهو مريء أي هنيء حميد العاقبة .

(4926) وَبِيء : و خيم العاقبة ، و تقول :

أرض وبيئة ، أي كثيرة الوباء و هو المرض العام .

(4927) رَوْح الله بالفتح : رحمته .

[573]

(4928) « رُبَّ مُسْتَقْبل يوماً ليس بمُسْتَدْبِره » : أي ربما يستقبل شخص يوما فيموت ، و لا يستدبره أي لا يعيش بعده فيخلفه وراءه .

(4929) المَغْبُوط : المنظور إلى نعمته .

(4930) الوَثَاق كسحاب : ما يشدّ به و يربط ، أي : أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنك ،

فإذا تكلّمت به صرت مملوكا له .

(4931) خَزَنَ كنصر : حفظ و منع الغير من الوصول إلى مخزونه .

(4932) الوَرِق بفتح فكسر : الفضّة .

(4933) تُعَايِنُ : أي ترى بعينك من الدّنيا تقلّبا و تحوّلا ، لا ينقطع و لا يختص بخيّر و لا شرّير .

(4934) الغَبْن بالفتح : الخسارة الفاحشة .

(4935) المَحْقُور : الحقير المحقّر .

(4936) الفاقة : الفقر .

(4937) يَرُمّ بكسر الراء و ضمها : أي يُصلح .

(4938) المَرَمّة بالفتح : الإصلاح .

(4939) المَعَاد : ما تعود إليه في القيامة .

(4940) « أجْمِلْ في الطلَب » : أي ليكن طلبك جميلا واقفا بك عند الحق .

(4941) الصَوْل بالفتح : السطوة .

(4942) مُقْتَصَر بفتح الصاد اسم مفعول ، و إذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك .

(4943) « المَنِيّة » : أي الموت .

(4944) الدَنِيّة : التذلّل و النفاق .

(4945) « التَقَلّل » : أي الاكتفاء بالقليل .

(4946) التَوَسّل : طلب الوسيلة من الناس .

(4947) كنى « بالقعود » عن سهولة الطلب و « بالقيام » عن التعسّف فيه .

(4948) الفَأل : الكلمة الحسنة يتفاءل بها .

(4949) الطِيَرَة : التشاؤم .

(4950) النُشْرَة : العوذة و الرّقية .

(4951) غوَائِل : جمع غائلة : و هي العداوة و ما تجلبه من الشرور .

(4952) أوْمَأ : أشار ، و المراد طلب و أراد .

(4953) المُتَفاوِت : المتباعد .

(4954) خَذَلَتْه الحِيَل : تخلّت عنه عند حاجته إليها .

(4955) أمْلَكُ به مِنّا : أي فوق طاقتنا .

(4956) « على عمْد » متعلق بلبس ، أي :

أوقع نفسه في اللبس و هو الشبهة عامدا لتكون الشبهة عذرا له في زلاّته .

(4957) « ما اسْتَوْدَعَ الله امرَءاً عَقْلاً إلا اسْتَنْقَذَه » : أي إن الله لا يهب العقل ، إلا حيث يريد النجاة ،

فمتى أعطى شخصا عقلا خلّصه به من شقاء الدارين .

(4958) « القلب مُصْحَفُ البصر » : أي ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه .

(4959) الذَرَب : الحِدّة .

(4960) التَسْدِيد : التقويم و التثقيف

[574]

(4961) سَلا : نسي .

(4962) الأَغْمَار جمع غمر : مثلّث الأول و هو الجاهل لم يجرّب الأمور .

(4963) « صاح بهم سائقهم فارتحلوا » :

أي بينما هم قد حلّوا فاجأهم صائح الأجل و هو سائقهم بالرحيل فارتحلوا .

(4964) السُحْت بالضم : المال من كسب حرام .

(4965) خلق الحلم يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجتمع لك بالعشيرة ،

لأنه يوليك محبّة الناس فكأنه عشيرة .

(4966) « مَكْنُون » أي : مستور العلل و الأمراض لا يعلم من أين تأتيه .

(4967) الشَرْقة : الغَصّة بالرّيق .

(4968) تُنْتِنُ ريحه : توسخها .

(4969) العَرْقة : الواحد من العرق يتصبّب من الإنسان .

(4970) طَوَامِح : جمع طامح أو طامحة .

و تقول : طمح البصر ، إذا ارتفع ،

و طمح : أبعد في الطلب .

(4971) هَبَابها بالفتح أي هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى .

(4972) رُوَيْداً : أي مهلا .

(4973) « إنّ للخير و الشرّ أهلاً » . . . الخ :

أي ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم ، و ما تركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله .

فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلا و لا أن يكون عنكم في الخير بدلا .

(4974) « يُقِرّها » : أي يبقيها و يحفظها مدة بذلهم لها .

(4975) « الصَفْقَة » أي البيعة ، أي :

أخسرهم بيعا و أشدهم خيبة في سعيه .

(4976) أخْلَقَ بدنَهُ : أي أبلاه و نهكه في طلب المال و لم يحصّله .

(4977) التَبِعَة بفتح فكسر : حقّ الله و حقّ الناس عنده يطالب به .

(4978) إضافة « الآجل » إلى « الدنيا » لانه يأتي بعدها ، أو لأنه عاقبة الأعمال فيها ، و المراد منه ما بعد الموت .

(4979) « أمَاتُوا فيها ما خشُوا أن يميتهم » :

أي أماتوا قوة الشهوة و الغضب التي يخشون أن تميت فضائلهم .

(4980) سَلْم : مصدر بمعنى الصفة : أي مسالم .

(4981) اخْبُرْ بضم الباء أمر من « خبرته » من باب قتل أي : علمته ،

و « تقله » مضارع مجزوم بعد الأمر ، من « قلاه يقليه » كرماه يرميه بمعنى أبغضه ، أي : إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره فربما وجدت فيه ما لا يسرّك فتبغضه .

[575]

(4982) « لم يَأسَ » : لم يحزن على ما نفذ به القضاء (4983) « ما أنْقَضَ النوْمَ لعزائم اليوم » :

أي قد يجمع العازم على أمر ، فاذا نام و قام وجد الانحلال في عزيمته أو ثم يغلبه النوم عن إمضاء عزيمته .

(4984) المَضَامِير : جمع مضمار ، و هو المكان الذي تضمّر فيه الخيل للسباق .

و الولايات أشبه بالمضامير ، إذ يتبين فيها الجواد من البرذون .

(4985) مالك : هو الأشتر النخعي .

(4986) « أوْفى عليه » : وصل إليه .

(4987) الخَلّة بالفتح : الخَصلة .

(4988) ذَعْذَعَ المالَ : فرّقه و بدّده . أي فرّق إبلي حقوق الزكاة و الصدقات ،

و ذلك أحمد سبلها جمع سبيل أي أفضل طرق إفنائها .

(4989) ارْتَطَمَ : وقع في الوَرْطة فلم يمكنه الخلاص .

(4990) المَزْح و المَزَاحَة و المِزاح : بمعنى واحد ، و هو المضاحكة بقول أو فعل ، و أغلبه لا يخلو من سخرية .

(4991) مَجّ الماءَ من فِيه : رماه ، و كأن المازح يرمي بعقله و يقذف به في مطارح الضياع .

(4992) العَرْض على الله : يوم القيامة (4993) الحَلْبة بالفتح : القطعة من الخيل تجتمع للسباق ، عبّر بها عن الطريقة الواحدة ، و القصبة : ما ينصبه طلبة السباق حتّى إذا سبق سابق أخذه ليعلم بلا نزاع ،

و كانوا يجعلون هذا من قصب ،

أي لم يكن كلامهم في مقصد واحد بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب ،

و آخر مذهب الترهيب ، و ثالث مذهب الغزل و التشبيب .

(4994) الضِّلِيل : من الضَلال . و الملك الضلّيل هو امرؤ القيس .

(4995) اللُمَاظَة بالضم : بقية الطعام في الفم ، يريد بها الدنيا ، أي :

لا يوجد حرّ يترك هذا الشيء الدنيء لأهله .

(4996) المَنْهُوم : المفرط في الشهوة ،

و أصله في شهوة الطعام .

(4997) « في حديثك فضل » : أي لا تقول أزيد مما تفعل .

(4998) حَدِيث الغَيْر : الرواية عنه ،

و التقوى فيه : عدم الافتراء .

(4999) المِقْدَار : القدر الإلهي .

(5000) التقدير : القياس .

(5001) الحِلْم بالكسر : حبس النفس عند الغضب .

(5002) الأَناة : يريد بها التأني .

(5003) التَوْأمَان : المولودان في بطن واحد ، و التشبيه في الاقتران و التوالد من أصل واحد .

(5004) الغِيبة بالكسر : ذكرك الآخر بما يكره و هو غائب ، و هي سلاح العاجز ينتقم به من عدوه .

[576]

(5005) جُهْدُه : أي غاية ما يمكنه .

(5006) كَادَتْهُم أي مكرت بهم .

(5007) « رَبّوا » من التربية و الإنماء .

(5008) الفِلْو بالكسر ، أو بفتح فضم فتشديد أو بضمتين فتشديد المهر إذا فطم أو بلغ السنة .

(5009) الغَنَاء بالفتح ممدودا : الغنى ،

أي : مع استغنائهم .

(5010) السِبَاط ككتاب جمع سبط بفتح السين يقال : رجل سبط اليدين : أي سخيّ .

(5011) السِلاط : جمع سليط ، و هو الشديد و ذو اللسان الطويل .

(5012) الجِرَان ككتاب : مقدّم عنق البعير ، يضرب على الأرض عند الاستراحة ، كناية عن التمكن .

و الوالي يريد به النبي (ص) .

و « وليهم » أي : تولى أمورهم و سياسة الشريعة فيهم .

(5013) العَضُوض بالفتح : الشديد .

(5014) المُوسِر : الغنيّ ، و يعضّ على ما في يديه : يمسكه بخلا على خلاف ما أمره الله في قوله : « و لا تنسوا الفضل بينكم » : أي الإحسان .

(5015) « تَنْهَد » أي : ترتفع .

(5016) بِيَعَ بكسر ففتح : جمع بيعة بالكسر هيئة البيع ، كالجلسة لهيئة الجلوس .

(5017) بَهَتَهُ كمنعه : قال عليه ما لم يفعل .

(5018) مُفْتَرٍ : اسم فاعل من الافتراء .

(5019) تتوَهّمه ، أي : تصوره بوهمك ،

فكل موهوم محدود ، و الله لا يحد بوهم .

(5020) تتّهمه : أي في أفعال يظن عدم الحكمة فيها .

(5021) قَمَصَ الفَرَسُ و غيره كضرب و نصر : رفع يديه و طرحهما معا و عجن برجليه .

(5022) الرِحال : جمع رحل ، أي إنها تمتنع حتى على رحالها فتقمص لتلقيها .

(5023) وَقَصَت به راحِلتُه تقص كوعد يعد : تقحّمت به فكسرت عنقه .

(5024) رَوَائع : جمع رائعة ، أي مفزعة .

(5025) الاحتلاب : استخراج اللبن من الضرع .

[577]

(5026) طَيِّعَة بتشديد الياء : شديدة الطاعة .

(5027) تُقْتَعَدُ مبني للمجهول من اقتعده : اتخذه قُعْدة بالضم يركبه في جميع حاجاته .

(5028) مُسْمِحَة : اسم فاعل من « أسمح » أي سمح ككرم بمعنى جاد ،

و سماحها مجاز عن إتيان ما يريده الراكب من حسن السير .

(5029) تَقَدّمُ الخَرَاج : الزيادة فيه .

(5030) العَسْف بالفتح : الشدة في غير حق .

(5031) الحَيْف : الميل عن العدل إلى الظلم .